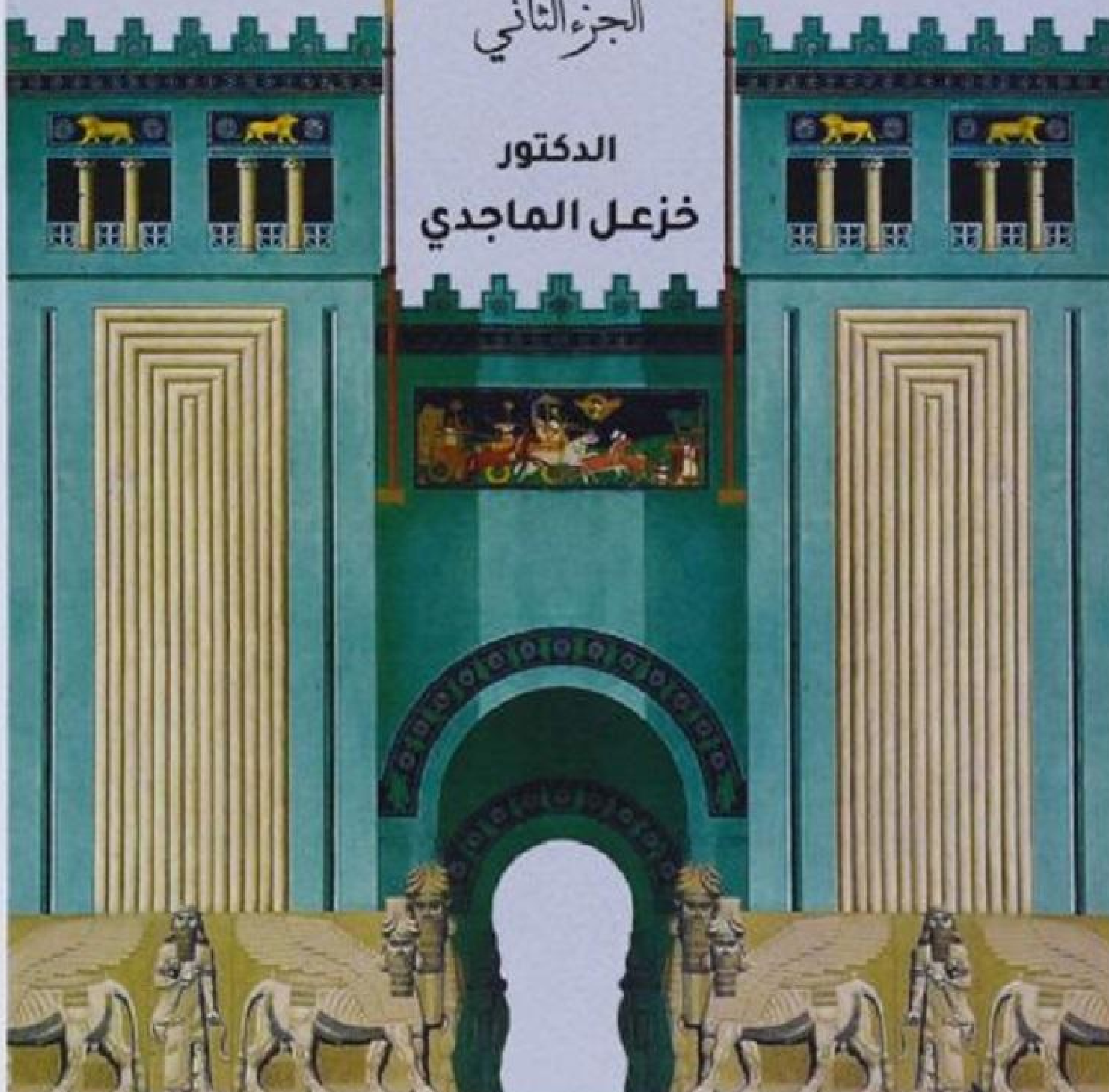
تاريخ

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

الحضارة الآشورية

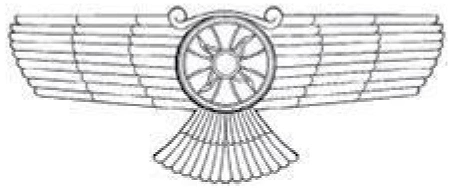
الجزء الثاني

الدكتور
خزعل الماجدي

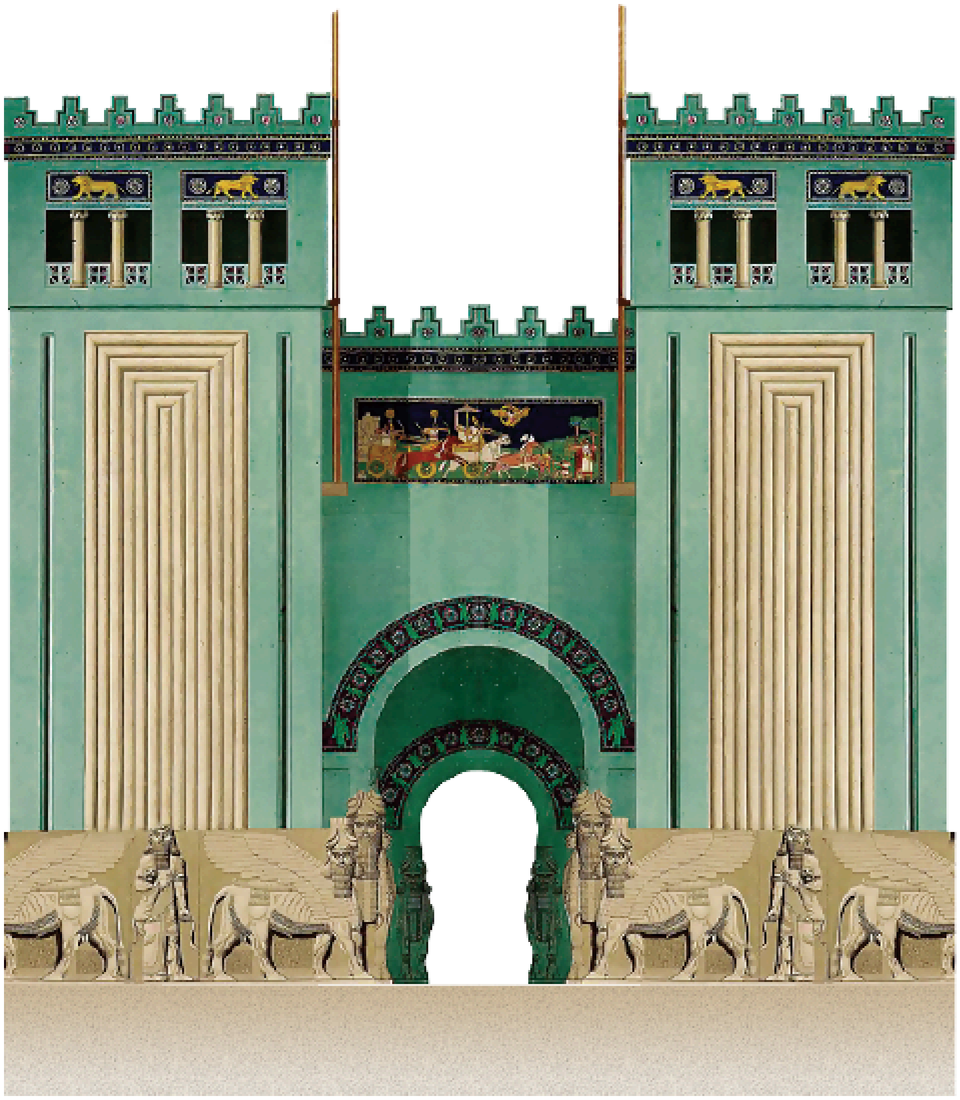


منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING | تساؤلات

الحضارة الآشورية



الجزء الثاني



الدكتور خزعل الماجدي

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
تساؤلات

دار الرافدين
للطباعة والنشر والتوزيع

الحضارة الآشورية

الجزء الثاني

الدكتور خزعل الماجدي

Assyrian Civilization

By Khazal Al-Majidi

الطبعة الأولى، يناير ـ كانون الثاني، 2021 (1000نسخة)

الطبعة الثانية، أغسطس ـ آب، 2021 (1000نسخة)

أيقونة سلسلة تأريخ الحضارات
رمز الحضارة

أيقونة الحضارة الآشورية:
قرص آشور المجنّح

لبنان ـ بيروت / الحمرا
تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: 07810001005 / 07830070045

dar alrafidain
Dar.alrafidain
@daralrafidain
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com

منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 96598810440 +
بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 9647811005860 +
الموقع الالكتروني:
www.takweeen.com
البريد الالكتروني:
Publishing@takweeen.com

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 634 - 63 - 0

الفصل العاشر المظهر النفسي



King and attendants, on enamelled brick (from Nimrud).

المبحث الأول: سايكولوجيا الفرد والمجتمع وعلاقتها بمحيطها الجغرافي والبشري

أولاً: أثر الجغرافيا على السايكولوجيا الفردية والجماعية

1. شكلت الجغرافيا الشمالية لوادي الرافدين طبيعة قاسية جبلية وصخرية وكانت تتماوج بين جبال زاجروس العالية وجبال طوروس الوعرة وبعض البيئات الصخرية هنا وهناك، هذه البيئة انعكست بقسوتها على الآشوريين وجبلوا عليها مع تقادم الزمن.

2. كان نهر دجلة أكثر سرعة وفيضاناً في مساره من نهر الفرات، وكانت أغلب المدن الآشورية الأولى التي احتضنت الآشوريين تقع على هذا النهر أو بالقرب منه ومن روافده، وهو ما جعل الناس في حالة حذر شديد وترقبٍ دائم وفزعٍ وخوفٍ، وحين كان يفيض يخلف آثاره النفسية والاجتماعية السلبية في نفوسهم.

3. يكون فيضان دجلة والفرات في أشهر الشتاء والربيع أي من (كانون الأول إلى حزيران)، وهو ما يؤدي بمحصول الربيع، وبعد أشهر الفيضان يأتي الصيف الحار، ولذلك كان نظام الري السائد في العراق هو نظام (الري الدائم)، بسبب عدم الاعتماد على الأمطار والحاجة الدائمة للمياه.

4. كان وادي الرافدين وما زال مفتوحاً على كل الاتجاهات، وكانت ظواهر الغزو والهجرة له تتفاوت بين وقت وآخر، ولكنها في حالي الازدهار أو الانحدار مستمرة.

5. كان للمناخ المتقلب والمتطرّف البارد والممطر والغائم شتاءً والحار صيفاً، في شمال بلاد الرافدين، عموماً، تأثيره السايكولوجي على الفرد والمجتمع عند الآشوريين. وهو ما يجعلهم أكثر قسوة وجلداً وصبراً.

6. كانت الأمطار البعلية التي تتمتع بها بلاد آشور، كونها فوق الخط المطري لوادي الرافدين، الأثر في اعتماد الفلاحين على المطر، وإهمال الري والسقي أو الاهتمام البسيط به، وهو ما جعلهم أقل قدرة على الابتكار في بناء السدود ومستلزمات الريّ كتلك التي تمتع بها السومريون والبابليون، وقد أثر هذا سلباً على استعداداتهم للجفاف الطارئ الذي كان يداهم المنطقة ويربك حياتهم بل ويدمرها ويسحقها. إن الاعتماد على الطبيعة لا على استخدامها وترويضها يورث اللامبالاة وعدم القدرة على الإبداع.

7. نشأ الآشوريون في بيئة تحتوي على الكثير من أنواع النباتات والحيوانات، كانت هناك الفيلة والأسود والضواري، ولا شك أن هذه الكائنات وغيرها تركت انطباعاً قاسياً ومعتماً في حياة وخيال الناس وهو ما أثر فيهم وجعلهم على شيء من القسوة وعدم الشعور بالأمان، الأمر الذي دعاهم للتحصن والخوف والهجوم.

ثانياً: أثر المحيط البشري على السايكولوجيا الفردية والجماعية

1. أحاطت البلاد الآشورية من الشمال أربعة شعوب تتمتع بالقوة والغلاظة والقسوة وهم (الحيثيون، الحوريون الميتانيون، الأوراراتو، الإسكيثيون) وكان هؤلاء يباغتون بلاد آشور ويهددون وجودها ويستولون على محاصيلها الزراعية ويتحكمون بطرقها التجارية، أما من الشرق فكانت هناك شعوب جبلية شبه متوحشة تغير عليهم بين فترة وأخرى منهم (جوتو، لولوبو، مانا)، وفي الغرب كان الآراميون بين بدو وحضر ومعهم الآراميون يضربون طوقهم على الأراضي غرب دجلة، وفي الجنوب ظل تهديد البابليين قائماً بين فترة وأخرى. كل هذه الشعوب حفزت عند الآشوريين قدرتهم على الحيطة والحذر وجعلتهم يفكرون في ردع هذه الشعوب وإبعاد ما تخططه لهم.

2. فقر الثروات المعدنية وخاماتها في آشور، وكان أغلبها في بلاد الأناضول، جعلهم يخافون من فقدانها، وحفّز فيهم التوثب والقوة للحصول عليها.

3. بُعد البحر المتوسط عنهم وعدم وجود موانئ قريبة منهم يستطيعون تأمينها لصادراتهم ووارداتهم جعلهم يطمحون للسيطرة على ساحل المتوسط.

ثالثاً: أثر المحيط الحربي على السايكولوجيا الفردية والجماعية

1. الانعطاف الخطير الذي كانت تلوّح به قرون العصر الحديدي القادمة في المنطقة، وعند الحيثيين بشكل خاص، جعلهم ينتبهون للحديد والخيول، وهي من نتاج العصر الحديدي، ويسعون بكافة السبل للحصول عليها، وحين حصلوا عليها كانت الإمبراطورية الحيثية قد

سقطت وكانوا قد تفوقوا في استعمالها، كل هذا جعلهم يشعرون بالدور البطولي الذي ينتظرهم في المنطقة ويبني شخصيتهم العسكرية.

2. نموّ الشخصية الحربية لإلههم القومي (آشور) وتطويرهم لشخصيته الشمولية كإله للسماء والأرض جعلهم يشعرون بالقوة وبمساندة آشور لهم خصوصاً أن ملوكهم كانوا يقومون بدور كهنة للإله آشور.

المبحث الثاني: سايكولوجيا الفرد والمجتمع وعلاقتها بالسياسة والدعاية الآشورية

كان للدعاية الإعلامية مظاهرها الواضحة في الحياة الآشورية، وخصوصاً في العصر الآشوري الحديث، وكان الملوك الآشوريون يقودون التخطيط لمثل هذه الدعاية من خلال وسائل عديدة أهمها:

الدعاية الإعلامية الموجهة للأعداء:

المبالغة في استخدام القوة المفرطة في معاملة أعدائهم إذ نجدهم قد بالغوا في أرقام الخسائر بالنسبة للجانب المعادي من القتلى والأسرى ولم تتطرق إلى ذكر خسائرهم.

وهناك المبالغة في سرد ألقاب الملوك وشجاعتهم وعظمتهم وغلب عليها جانب الأطناب والمبالغة وعدم الصراحة واحتفاظهم بالنصر في كل المعارك التي قاموا بها.

إعلام دعائي دبلوماسي»ومن بين المشاهد المهمة التي اخترناها لتكون شاهداً على ما ذهبنا إليه آنفاً لوح نقش على قاعدة من حجر الكلس عثر عليها في قصر الملك شلمنصر الثالث وهو رابع الملوك الآشوريين الذين حكموا في العصر الآشوري الحديث وواحد من أبرز القادة والساسة الأشوريين على مدى تاريخ الدولة الآشورية، وتقع بقايا ذلك القصر في مدينة نمرود، حيث ظهر فيه الملك الآشوري مصافحاً الملك البابلي مردوخ ـ زاكر ـ شومي

والمشهد فريد من نوعه إذ أظهر الملكين وهما ندان متكافئان من حيث حجماهما المتساويان والطريقة التي تقدما بها نحو بعضهما البعض قبيل وأثناء التصافح، ويبدو أن المكانة الحضارية لبابل عند الملك الآشوري شلمنصر الثالث قد دفعت به إلى أن يوعز للفنان الآشوري الذي قام بنقش هذا المشهد أن يجعل منهما متكافئين أحدهما للآخر وهذا الأسلوب لم يكن معهوداً في فن النحت الآشوري إذ عادةً ما نجد أنداد الملوك الأشوريين يظهرون بأحجام صغيرة وربما الهدف منها التصغير من شأن أولئك الملوك والاستهزاء بهم ويظهر أن هذا الأسلوب هو من أساليب الحرب النفسية التي شنوها ضد أعدائهم من الملوك ولعل ذلك يدفعنا للقول أن الملك الآشوري أراد أن يجعل من هذا المشهد دعاية إعلامية لسياسته تجاه بابل من أجل كسب ود سكان هذه البلاد، وقد أقيم هذا المشهد أمام أنظار الجميع» (سلمان 2010: 2).

منح فرصة الاستسلام للأعداء:

كان أعداء الآشوريين يُمنحون، في كثير من الأحيان قبل بدء المعركة، فرصة للاستسلام. حيث يقوم مبعوث بالسفر إلى أسوار المدينة التي ينوون مهاجمتها، وكان الناس فيها يشعرون بالخوف بجديّة هناك بالفعل، ويعدهم بأنهم إذا انحنوا وأشادوا بآشور، فسيسمح لهم بالعيش. حيث يقول لهم: «اصنعوا السلام معي واخرجوا إلى أنا!»، ثم يطلب منهم أن يأكلوا كل واحد منهم الفاكهة من شجرة العنب والتين الخاصة به ويشرب الماء من صهريجه. ثم يحذرهم بأن الذين لم يفعلوا ذلك «سيتعين عليهم أن يأكلوا فضلاتهم ويشربون بولهم». استسلمت العديد من البلدان. ذهب آخرون أبعد من ذلك. ملك أورارتو، عند سماعه نهج الجيش الآشوري، طعن نفسه في صدره بدلاً من مواجهته. وأرسل البعض تحية إلى آشور قبل أن ينظروا في طريقهم، واستسلموا حتى قبل أن يقتربوا من بلادهم.

الدعاية الإعلامية الموجهة للداخل:

أخذت الدعاية الإعلامية وجوهاً شتى في وسائلها المتاحة آنذاك، فكانت النقوس المرسومة والنصب والثيران المجنحة والأبواب الضخمة للمدن وهيبة وسعة القصور هي

من الوسائل الفنية ذات الطابع الإعلامي والذي يجعل الناس واثقين من قوة وعظمة دولتهم. وكان هذا يحمل مضموناً سياسياً ورسالة سياسية غير مباشرة للشعب بقوة الملك والدولة، فضلاً عن استخدامهم للمضامين والشواهد الدينية مثل إعلاء شأن إلههم القومي آشور أو غيره من الآلهة التي كان الناس يميلون لها حسب ظروفهم وحاجاتهم فيعملون على بنائها وتوسيعها إرضاءً لهم.

كانت الدعاية الإعلامية أداة الدولة والملوك لإقناع الشعب بقوتهم وبقدرتهم على تنفيذ المشاريع التي تخدمهم، وربما كانت وسيلة لجعلهم ينشغلون عن بعض أزمات الدولة الخارجية بشكل خاص.

كان للتحديات التي واجهها أولئك الملوك عند احتلالهم مدينة بابل دور كبير في استحداثهم لأساليب دعائية جديدة تماشت مع تطورات الأحداث السياسية المرافقة لتلك التحديات.

تصوير حياة العبودية للعبيد والأسرى:

يظهر الفن الآشوري موكبًا من عبيدهم مقيدين بالحجارة الكبيرة، ويضطرون إلى سحب الصخور الضخمة مثل البغال. وكان من المقرر أن تستخدم تلك الصخور لبناء القصور والعجائب للملوك، ولا يجوز أن يتوقف العبيد للحظة. وكان وراءهم، المراقبون المستعدّون لضرب أي شخص يتخبط. وكان حال النساء أسوأ من ذلك. فبعد الجحيم الذي عانت منها النساء من جميع العصور بعد الحروب، سيتم اقتيادهن وأطفالهن إلى العبودية. في بعض الأحيان، كانوا يُجردون من ملابسهم لإذلالهم ويتركهم يشعرون بالضعف والهوان. في حالة واحدة على الأقل، جعل ملك آشوري النساء يرفعن ثيابهن فوق رؤوسهن ويسرن كالعمياوات بعد خاطفيهن.

المبحث الثالث: الحرب النفسية

كانت الحرب النفسية حقلاً حربياً مهماً، فقد قدر الآشوريون استخدام ترويع أعدائهم. للحفاظ على القوى العاملة والتحرك بسرعة لحل مشاكل آشور المتعددة، فضّل الآشوريون قبول استسلام خصومهم أو تدمير قدرتهم على مقاومة الاستسلام. وهذا يفسر جزئياً استراتيجيتها وتكتيكاتها الهجومية. ورغم أن مصطلح الحرب النفسية واسع يحتاج إلى دراسة مفصلة. كانت هناك عدة طرق يمكن للآشوريين من خلالها التلاعب بعقلية أعدائهم.

يقسّم سام همفريس Sam Humphris الحرب النفسية عند الآشوريين إلى نوعين رئيسيين هما: أنظر: (Humphris 2020: 6 - 8).

1. الحرب النفسية السلبية (المنفعلة) Passive Psychological Warfare

وتشمل الحرب من خلال الدعاية والتصوير في النقوش واللغة الملكية. وكذلك الاستفسارات الإلهية والمصادر الثانوية من أجل تقديم تحليل كافٍ.

نقوش القصر الملكية. وبحكم طبيعتها، فإن لها تأثيراً خفياً وغير مباشر، فهي تترك انطباعاً يتّسم بالرهبة والخوف الداخلي. وبالتالي فإن هذه الأساليب تنشط غرس الإحساس بالخوف في العدو، بالإضافة إلى تركها في رهبة الإمبراطورية الآشورية الجديدة في النفوس.

الصور واضحة في المصادر الملكية، سواء كانت مرئية أو نصية. في المصادر النصية، يتم دمج هذه الأغراض لتحقيق تأثير كبير. التركيز على خوف العدو من آشور، والإله الراعي لآشور، الحكام الآشوريون الجدد أرادوا التأكيد على الإرهاب الذي يشعر به أعداؤهم. لقد عززوا هذا التأثير باستخدام تجميل اللغة المذهلة والذي يظهر، بصفة خاصة، في الحوليات الملكية.

كان الآشوريون حريصين على خلق صور حية في أذهان أتباعهم وأعدائهم، فغالبًا ما يستدعون رموزاً شائعة في الشرق الأدنى. مثل استخدام صور التلال المدمرة يعيد إلى

الأذهان الطوفان، فهو فيضان كارثي أرسلته الآلهة لإطفاء البشرية، مما يعني أن مقاومة قوة آشور هو مقاومة الآلهة نفسها. هناك أيضاً عنصر مدرج في النقوش الملكية ساعد في ترسيخ أفكار الإرهاب وهو روايات أساليب التعذيب المستخدمة ضد أعداء الدولة. وسيشاهدهم دبلوماسيون ومبعوثون أجانب، سيعملون على نشر هذا التخويف بقصد وبدون قصد، بسبب تسجيل مثل هذه الأعمال المذكورة، وهكذا تكون لدينا صورة آشورية مبنية، للتعامل مع غيرهم، على أساس التلاعب النفسي.

النحت الآشوري الجديد كان دقيقًا في تفاصيله، فمن الواضح أنه لم يكن لديهم نية في تجنيب المشاهدين من العنف الذي تسببوا فيه. إذ إن رؤية مثل هذه المحفزات البصرية أثناء وجود الملوك الأشوريين كان من الممكن أن يكمل التأثير الخفي الذي أدخلته المصادر النصية. هدفه خلق رعب كبير في قلب العدو.

2. الحرب النفسية النشطة (الفعّالة) Active Psychological Warfare

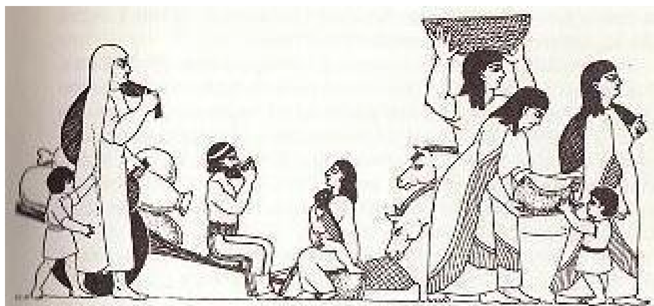
يتم إجراؤها في عمليات مباشرة ضد هدف أو عدو محدد، وعادة ما تظهر هذه التكتيكات خلال فترة الحرب، والتي كانت بالنسبة للآشوريين الجدد عملية سنوية. تم تلخيص أهدافها لإحباط معنويات الجماعات المعادية وإرباكها.

كان يتم استخدام العمليات النفسية كسلاح هجومي لتعزيز العمليات العسكرية، عن طريق استخدام الغش والخداع والحديث الناعم، ونشر الأخبار الكاذبة، والأخبار المربكة، والاتصال بجيش العدو بطرق علنية وسرية لفتح بوابات المدينة. هناك إجراءات أقل تحديداً من تكتيكات الحصار. غالبًا ما تُستخدم عمليات تشتيت الأذهان والإلهاء عن طريق الود والمفاوضات السلمية كحيلة للاستيلاء على مدينة التفاوض، وعمليات تطويق الأحياء وإشعارهم بالخوف.

الترحيل Deportations



62 The deportation of captives



63 Captives resting in transit

تفاصيل نقوش جدارية للجبس تصور ترحيل سكان مدينة لخيش من قبل الجيش الآشوري في عهد سنحاريب، 700-692 قبل الميلاد، من نينوى، العراق، موجود حاليًّا في المتحف البريطاني.

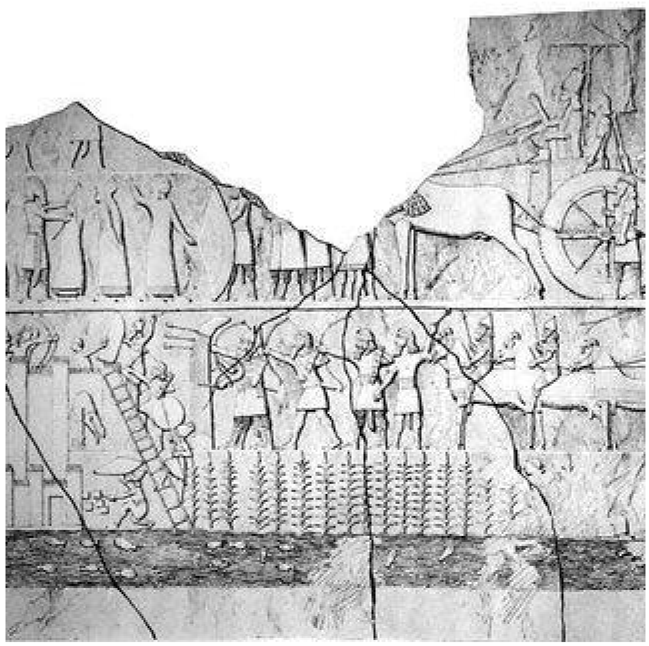
لا يمكن تأكيد أو نفي أن الآشوريين هم أول من قاموا بترحيل الناس من بلادهم وجعلهم في بلاد أخرى، رغم أن حكام وملوك الهلال الخصيب لم يفعلوا ذلك قبلهم، فمن المحتمل أنهم كانوا أول من مارسه على نطاق واسع. وقد بدأ الأشوريون في استخدام الترحيل الجماعي كعقاب للتمردات منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد. حيث شملت أغراض الترحيل، على سبيل المثال لا الحصر:

1. الحرب النفسية: التي تجعل إمكانية الترحيل أمراً مرعباً للناس.

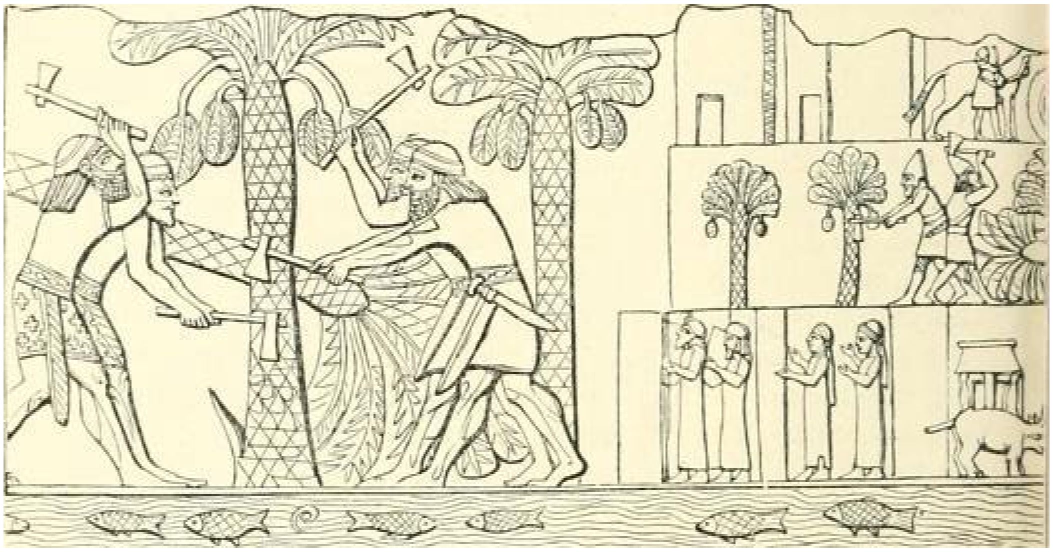
2. الاندماج: حيث يتم تكوين قاعدة سكانية متعددة الأعراق في كل منطقة من شأنها أن تحد من المشاعر القومية، مما يجعل إدارة الإمبراطورية أكثر سلاسة.

3. الحفاظ على الموارد البشرية: بدلاً من أن يُقتل الأعداء، يمكن أن يعملوا كعبيد أو كمجندين في الجيش.

وهكذا، بحلول القرن التاسع قبل الميلاد، جعل الأشوريون عادة ترحيل الآلاف من بلادهم أمراً طبيعياً بالنسبة لهم كنوع من علاج مشكلات التمرد ضدهم وكان الترحيل الآشوري ينطوي على إزالة عدو واحد واستيطانه في مكان آخر دون معرفة حاسمة بنتائج ذلك الإجراء.

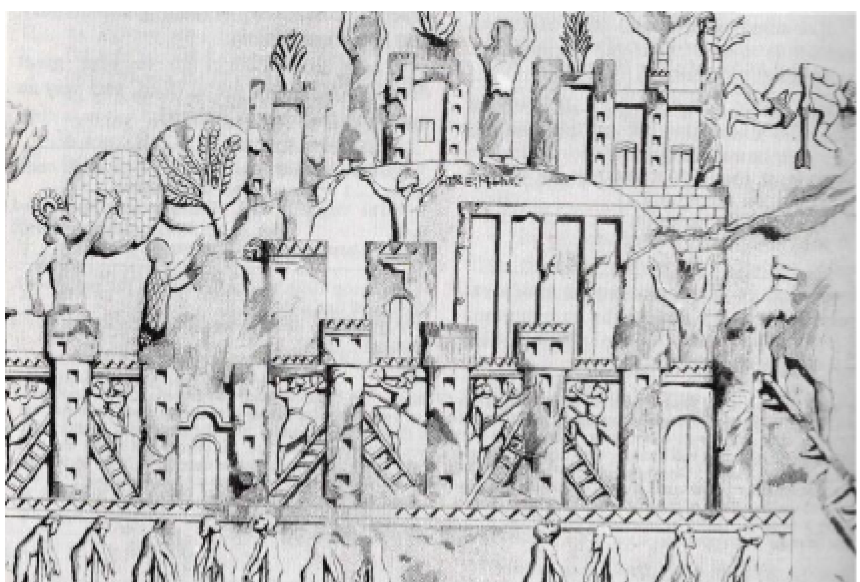


حملات الآشوريين على عيلام



الآشوريون أثناء غزوهم لبابل

Layard, Austen Henry 1880 - 1882



الجنود الآشوريون يرمون رجال لخيش من الأسوار ويعدمونهم، نينوى، حوالي 700 قبل الميلاد

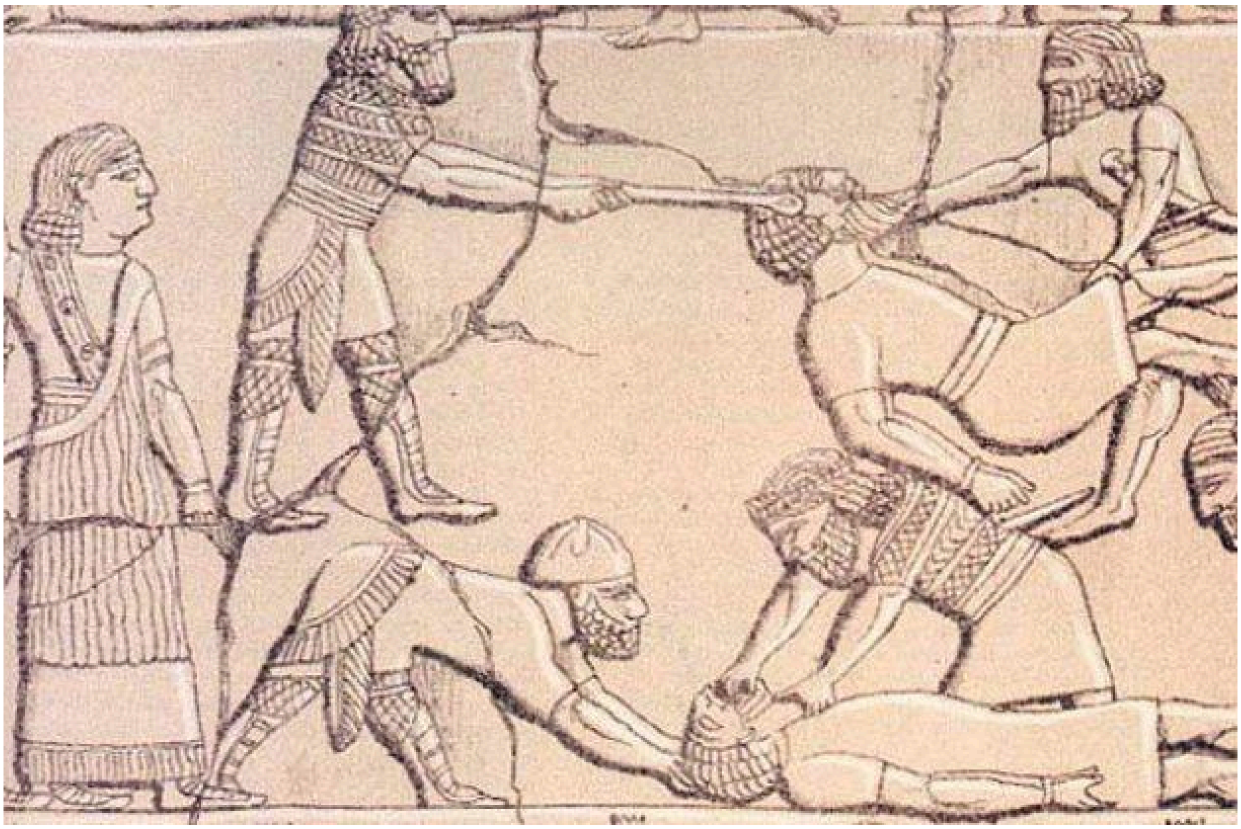
الإرهاب السايكولوجي:

كانت الحرب نشاطًا حربياً واقتصادياً منظماً لآشور، وبذلك تم تجسيد عسكرة المملكة من قبل حاكمها. وانعكس نطاق التوسع من خلال القيم الأيديولوجية، وتخصبت معها الميول اللاهوتية / القومية لربط الحرب بالمجد كسياسة للنخبة السياسية في آشور، كان الإله آشور بقرصه الشمسي وجناحيه العاليين يقف أعلى قامة الملك الآشوري في السياسات القائمة على الحرب، واتخذ الملك قراراته تحت الحضور الرمزي للإله آشور، وتطورت الفنون لتعبر عن هذه النزعة، فقد «ابتكر الآشوريون ألواحاً، مكتوبة ومنقوشة، أظهرت لأعدائها كيفية تعذيب أعدائهم ليخبروا المدينة القادمة بما سيحدث. وقد أظهر هؤلاء لهم سلخ ضحاياهم على قيد الحياة، وسمل عيونهم، وخوزقتهم على الأوتاد، وقد ترك الملك آشوربانيبال الثاني آشوري، يدعى، سلسلة كاملة من هذه الألواح وراءه، وذكر الأوصاف والحالات المرعبة التي كان جيشه يرتكبها ويفتخر بواحدٍ منها: «لقد جريت الكثير في أرضي وكسوت جلودهم فوق الجدران». «لقد أحرقت الفتيان والفتيات المراهقين...(على) عمود من الرؤوس التي نصبتها أمام المدينة. «بحلول الوقت الذي وصلت فيه جيوشهم إلى الأسوار، كانت ستنتشر هذه القصص. كل شخص يشاهد رتل مركباته يعرف أنه، بالمقارنة مع المصير الذي جلبه الجيش الآشوري، إن الموت سيكون بمثابة راحة». (انظر مارك أوليفر، موقع لستفيرس، الاطّلاع 2/8 / 2019).

OLIVER، MARK: 10 Horrors Of Being Invaded By The Assyrian Army

وهكذا أصبحت سايكولوجيا الفرد والمجتمع الآشورية مبنية على مركز مكثف من القسوة ونهب الآخرين والخضوع المطلق لملوكهم، وكان ذلك ينطوي على نتائج تربوية خطيرة تنعكس على المجتمع الآشوري نفسه بطريقة سلبية. فقد تشرعن الرعب وأصبح لازمة قوية للشخصية الآشورية. واستخدمت سياسة الرعب كإجراء نفسي من شأنه عودة الرعايا المتمردين الآشوريين إلى الطريق الصحيح بعد تسليه عليهم وعلى والخارجين على القانون داخل آشور، وتم إلحاق مثل هذه الرعب كحيلٍ مقصودة من قبل الملك ومؤسسته

السياسية. وتم اختيار العقوبات بشكل خاص واستخدامها في الظروف الاستثنائية، ولكنها عندما طُبقت تم الإعلان عنها كنوعٍ من الإجراءات الضرورية بحيث تكون بمثابة تذكير للمتمردين في المستقبل وكذلك للمقربين من السلطة لكي يكفّوا عن المؤامرات الداخلية.



سلخ وتعذيب جنود الأعداء

تظهر الرؤوس المتكدسة في نقش من عهد آشوربانيبال (668-627 قبل الميلاد)، كما يُرى هنا على أنها مستمدة من الأصل. في هذا المشهد يتم جمع الرؤوس داخل خيمة على اليسار. خارج الخيمة، خاض جنديان آشوريان يحملان رؤوساً إضافية عبر الجثث المقطوعة لأعدائهم العيلاميين.



صيادو الرؤوس الآشوريون. تظهر الرؤوس المتكدسة في نقش من عهد آشوربانيبال. في هذا المشهد يتم جمع الرؤوس داخل خيمة على اليسار. خارج الخيمة، خاض جنديان آشوريان يحملان رؤوساً إضافية عبر الجثث المقطوعة لأعدائهم العيلاميين.

المبحث الرابع: سايكولوجيا الفرد والمجتمع وعلاقتها بالعسكرتاريا الآشورية

كانت الدولة الآشورية أول دولة في التاريخ جعلت من الخدمة العسكرية خدمة إلزامية لجميع مواطنيها، فقد كان على كل رجل آشوري، سواء كان فقيراً أو غنياً وبغض النظر عن هويته، الالتحاق بالجيش. وكانت هذه الخدمة الإلزامية على شكل دورات أو وجبات تبدأ مع كلّ حرب كبيرة يخوضها الجيش، وتكون كل دورةٍ بثلاث سنوات لكل دورة من دوراتها وكما يلي:

السنة الأولى: يساق المكلف بالخدمة لمدة عامٍ، لكي يتخلص من ترف وسكينة حياته السابقة، يقضيها في الأعمال الشاقة لبناء الطرق والجسور والأبنية العسكرية والمدنية لصالح دولته.

السنة الثانية: يُرحّل المكلف بعد تدريبه العسكري إلى جبهات الحروب الكثيرة التي كانت منتشرة في أطراف الإمبراطورية الآشورية.

السنة الثالثة: يعود المكلّف إلى بيته وعائلته لمدة عام، يدير ما تركه هناك، من عملٍ وأسرةٍ، قبل سوقه، ولكي يستعد للسوق مرة أخرى بعد نهاية العام.

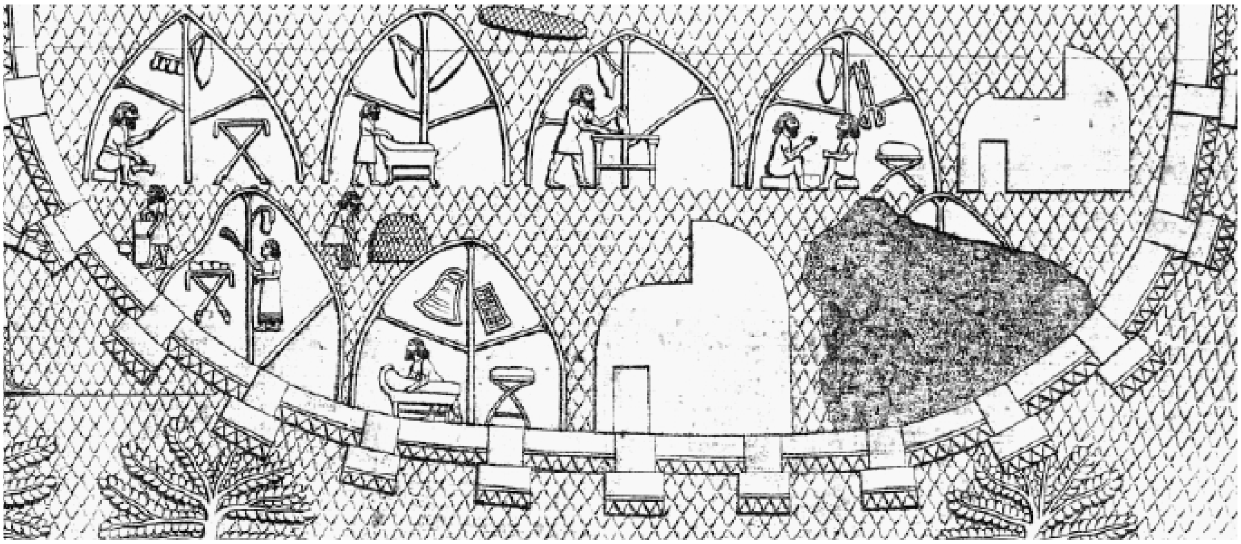
نُشرت دراسة جديدة إلى دليل على الصدمة التي يعاني منها الجنود العائدين إلى ديارهم من القتال، حيث توصّل فريق من الباحثين إلى عثورهم على إشارات لأعراض مرتبطة باضطراب ما بعد الصدمة في كتابات سابقة بكثير، تعود إلى الأسر الأشورية، بين 1300 ـ 609 قبل الميلاد. لقد نشروا نتائجهم في .Early Science and Medicine في مجلة مع دراسة بعنوان «لا شيء جديد تحت الشمس»

فقد كان الجنود مرتبطين بدورة مرهقة مدتها ثلاث سنوات. أمضوا عادة عاماً واحداً في الأعمال المرهق لبناء الطرق والجسور والمشاريع الأخرى، قبل قضاء عام في الحرب ثم العودة إلى عائلاتهم لمدة عام قبل بدء الدورة مرة أخرى. وقد تمكن المؤرخون، من خلال دراسة ترجمات النصوص المعروفة، من معرفة أعراض اضطراب ما بعد الصدمة المألوفة عند لجنود الآشوريين. وقال البروفيسور جيمي هاكر هيوز، أحد المشاركين في الدراسة ومدير معهد قدامى المحاربين والأسر في جامعة أنجليا روسكين: كانت أنواع الأعراض بعد المعركة واضحة جدًّا لما يمكن أن نسميه الآن أعراض الإجهاد اللاحق للصدمة. فقد وصفوا سماع ورؤية الأشباح تتحدث إليهم، وأغلب هذه الأشباح كانت للأشخاص الذين قتلوا في المعركة، وهذه هي بالضبط تجربة الجنود المعاصرين الذين شاركوا في القتال المباشر.

وكما توضح بعض البحوث العلمية، فقد وجد الباحثون حالات لجنود أبلغوا عن «ذكريات الماضي واضطراب النوم وضعف المزاج». (انظر موقع مجلة سمث، تاريخ الاطّلاع 1/ 8 / 2019).

Laura Clark.SMITHSONIANMAG.COM. JANUARY 26, 2015

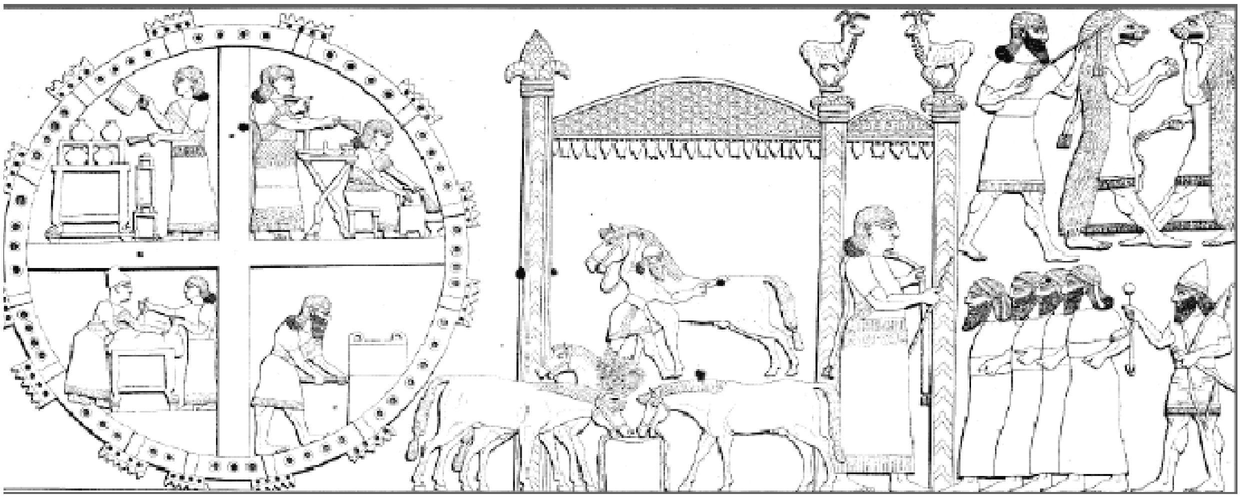
ساعدت الأسلحة الحديدية الآشوريين على أن يصبحوا آلة حرب. وبلغت الاستعدادات حالتها القصوى في ظل الإمبراطورية الحديثة حيث أصبحت الحياة العسكرية هي الحية الحقيقية، بينما صارت الحياة هامشاً تابعاً لها، لقد نسي الجنود حياتهم الطبيعية وانسجموا مع حياتهم العسكرية، وبذلك انقلب تركيبهم النفسي من حالة الراحة والسلام إلى حالة التخفّز والتوتر والقلق، كانت مخيماتهم توحي بنمط حياة دائمة يتغير المكان فيها فقط «هناك نقطة ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بخيام هؤلاء الجنود فيما يتعلق بمفروشاتهم». «تظهر النقوش من عصر سرجون الثاني إلى آشوربانيبال، وخاصة تلك من عهد سنحاريب، وسلسلة واسعة من الأجهزة التي تم تخزينها في عصر في المناطق الداخلية للوحدات الحية، بما يتوافق مع أسلوبها الأكثر تفصيلاً وتفصيلاً. أثاث حقيقي، تمثله الأرائك القائمة أو المطوية أو أسرة ذات أرجل أو عادية بأربع أرجل قابلة للطي على حوامل مبنية بشكل جيد مع أسِرّة منحنية نموذجية آشورية أو على أنها مجرد فراش ومقاعد وأوانٍ من مختلف الأنواع، مثبتة في وضع مستقيم أو على حوامل القدور، تم وضعها على الأرض الترابية؛ في حين أن جلود الماء وأباريق الزيت، بالإضافة إلى ركوب السروج وأغطية الركوب والفرش ونير ودروع وعناصر أخرى من المعدات المهنية لأصحابها، معلقة من الأعمدة الجانبية الطويلة داخل الخيمة. ويظهر تصوير معسكر سنحاريب أثناء حصار لخيش في 701 قبل الميلاد تفاصيل غنية للغاية من هذا النوع». (Milano 2014: 419).



مخيم الجنود الآشوريين من عصر سنحاريب

Layard 1853, pl. 77, detail; Barnett et al. 1998, pl. 35. Nineveh, reign .of Sennacherib. Cf. figs. 2, 29, 41, 44

وهناك إعداد الطعام وإنتاجه، التي تشكلها مساحة الأرباع التي تم إنشاؤها بواسطة الطرق المتقاطعة من البؤرة الاستيطانية. في الوقت نفسه، تم تصوير عدد من الأنشطة الأخرى المتعلقة بالمخيم (تدريب الخيول والتغذية، والاحتفالات الدينية، ووصول أسرى الحرب) ـ على نطاق أوسع قليلاً ـ في الفضاء خارج حدود المخيم. في هذه النماذج المبكرة التي تتعامل مع حياة المخيم.

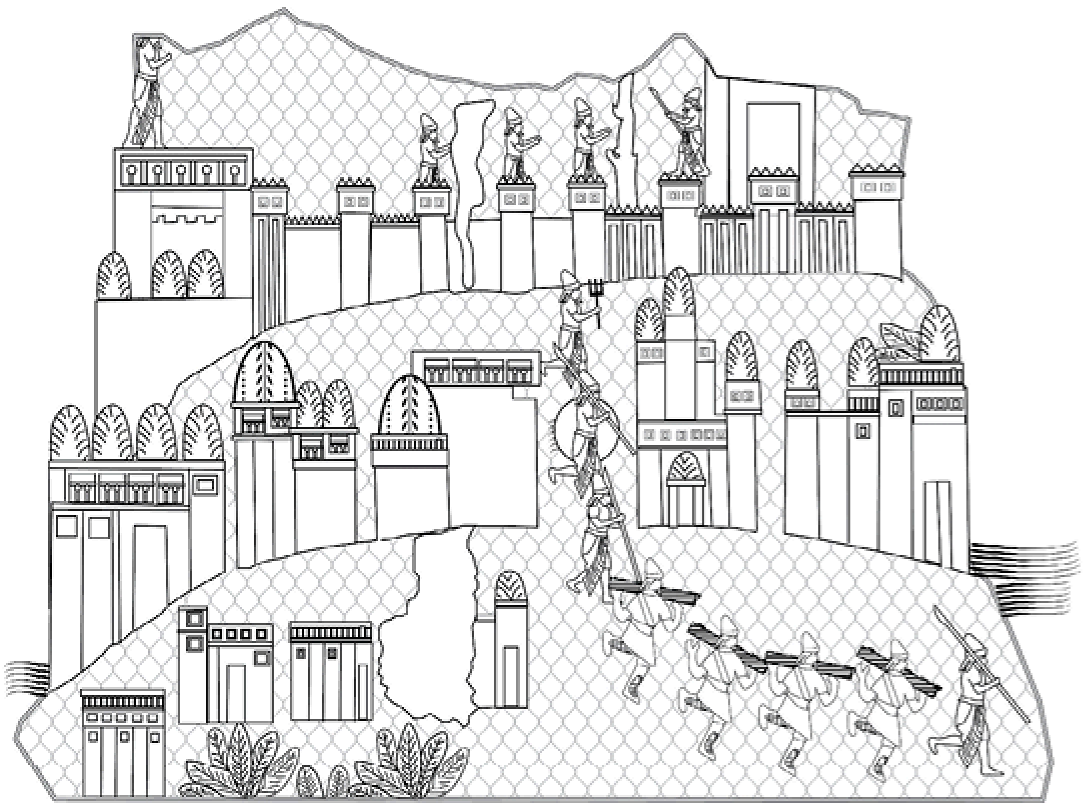


مخيم آشوري في زمن آشوربانيبال الثاني

BM 124548: Layard 1853, Pl. 30.Kalhu, reign of .Assurnasirpal II

الأمثلة على عنف الجيش الآشوري المفرط كثيرة، كان أبسطها سرقة الآشوريين للبلدان والشعوب التي يحتلونها، وإضرامهم النار في المحاصيل، وتدميرهم المدن والسدود. وطرد الناس من منازلهم وتهجيرهم.

عذبوا الناجين ونشروا الرعب في كل مكان ذهبوا إليه. وكانوا أول دولة تعذب أعداءها بالحرب النفسية، فقد كانت الحياة خلف أسوار المدن، التي يقترب الجيش الآشوري منها، مرعبة. وقد ترك نهب المدن والبيوت أثراً سلبياً في التكوين النفسي للآشوريين، لأن الأمر لم يعد شأناً حربياً تتطلبه مجريات العمليات العسكرية أحياناً، بل صار عادة متكررة أصبح الآشوري يتقصدها ويسعى لها باعتبارها مصدر عيشٍ واقتصادٍ وثراء أحياناً، وهو ما تخلّفه النزعة العدوانية في أخلاق الناس دائماً.



الآشوريون ينهبون بيوت صور بعد فك حصارها

كان الشعب الآشوري أكثر سلاماً، لكنه تغيّر مع حركة إصلاح الجيش الآشوري التي عرفها تجلات بلاصر الثالث، في الفترة بين القرن الرابع عشر وأوائل القرن الثامن، كان الجيش مستمداً بشكل رئيسي من السكان الفلاحين الأصليين. وكان على الجيش اتباع إملاءات الحملات الموسمية، حيث كان معظم المزارعين مشغولين طوال الربيع وأوائل الصيف. لذلك، مع حلول شهر يوليو، كانت تبدأ إجراء الاستدعاءات السنوية بشكل عام، ولهذا السبب تم تعديل الحملات والغزوات وحتى الغارات وفقاً للجدول الزمني الزراعي السنوي.

كان هذا النظام غير مرن بسبب الكثير من المتغيرات الموسمية. لكن تجلات بلاصر الثالث اجتاز أهواء الطبيعة من خلال إنشاء جيش كامل يعرف باسم (كسير ـ شاروتي) وبعبارة

أخرى، كان جيشه (أو على الأقل معظم القوى العاملة) متاحاً له على مدار العام، مع فرض سياسة تجنيد صارمة في المقاطعات الأصلية. ثم تم استكمال ذلك من خلال الثناء على شكل القوى العاملة من التابعين القريبين مع المرتزقة، وهكذا تحول الجيش الآشوري الوطني إلى مجموعة متنوعة من الطبقات والإثنيات. وكان الأشوريون على الأرجح من بين الفصائل الأولى في التاريخ التي استخدمت المظاهر النظامية لقواتها العسكرية. بالإضافة إلى المزايا التكتيكية، وربما تم استخدام عنصر التوحيد في أنواع الدروع والأسلحة لجعل الجيش منسجماً بصبغة قومية حربية كجيش ضارب في أنحاء الإمبراطورية.

المركبات والدّبابات

احتلت المركبات مكاناً خاصاً بين العائلة المالكة والخادمين الأثرياء، في بداية الأمر، لكنها دخلت كسلاحٍ قويّ في الجيش الآشوري، واستخدمت بشكل مستمر في ساحة المعركة لأكثر من ألف عام، ومع مرور الوقت، تمّ تطوير وتنظيم عدد الفرسان والخيول بطريقة أكثر قوة وكثافة واقتصاداً، وفي أواخر القرن السابع قبل الميلاد، تحولت المركبة من منصة مرنة للرماية والاستطلاع إلى أداة حرب ثقيلة صاخبة رسمتها أربعة خيول وركبها أربعة رجال. لذلك، تم تصميم المركبة بطرق عديدة كسلاح الصدمة النهائي الذي بعد أن يعمل كمنصة صاروخية متنقلة، سيتم شحنه داخل صفوف العدو بإطاره القوي المهيب وسيصيب العدو نفسياً وجسدياً بصدمة لا نظير لها.

أكملت الدبابات الآشورية، أو ما عرف بالكبوش والسلاحف الحديدية والخشبية، المهمة مع المركبات، فقد كانت هذه تستخدم لتحطيم وثقب الأسوار، وهذا أصبح الجيش الآشوري مدرعاً ومخيفاً بالنسبة لأي عدوٍّ ما زال يستخدم الأسلحة التقليدية.

نظام الدرع والرماية للجيش الآشوري:

بالإضافة للمركبات النخبوية وقوات الفرسان، تم تشكيل الجزء الأكبر من الجيش الآشوري من جنود المشاة. بسبب الميل الآشوري للقدرة التنظيمية، وتم تجميع المشاة في تشكيلات محددة لكل منها مجموعة من القيم التكتيكية الخاصة بهم.

ولهذه الغاية، استخدم الآشوريون أيضاً نظام الاقتران بين السهام والرماح، مما ضاعف هيمنتها كذراع هجوم للجيش الآشوري كانت راسخة في مذاهبها العسكرية. طور الآشوريون هذا المجال من خلال توظيف حامل الرمح المتفاني الذي رافق الرماة. لذلك، بينما كان الرامي يقوم بإعادة تحميل قوسه، كان الرمّاح مسؤولًا عن حماية شريكه القوّاس.

أسلحة حصار متقدمة:

صنعت الفرق الهندسية الآشورية أسلحة جديدة لحصار المدن وسلالم لتسلق أسوارها تمكن الجيش من اختراق بوابات المدينة عن طريق الاندفاع نحوها بقوة هائلة ودبابات صادمة، بينما يطلق الرماة النار عليهم من الأسفل. اخترع الأشوريون بعض أسلحة الحصار الأولى في العالم مثل (كبش الضرب)، وهو جهاز كان يبدو لا يمكن إيقافه تمامًا في وقتهم، كان هذا محركًا بالكامل على عجلات. وكبش مغطى بالحديد يتأرجح بواسطة السلاسل، ويسمح لها بسحق طريقها عبر جدران العدو كما لم يحدث من قبل. في أعلى دبابة الكبش، كان الرجال داخل المحرك محميين بألواح خشبية مغطاة بجلود الحيوانات الرطبة التي تطفئ السهام المشتعلة التي يطلقها المدافعون عن المدينة من فوق.

القضاء على المدن:

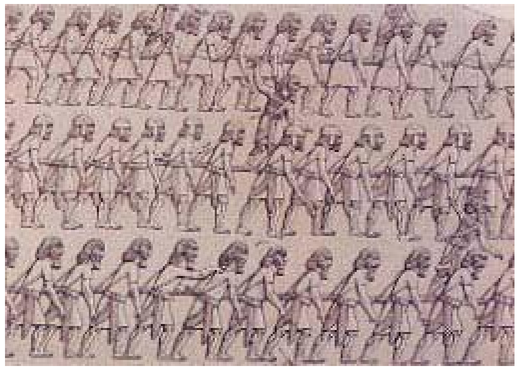
لم يتوقف الملوك الأشوريون، أحياناً، عن قتل أعدائهم، بل كانوا يتمادون أكثر فيمحون مدنهم بالكامل فعندما غزا الملك الآشوري سنحاريب بابل، مسحهم من الخريطة. كل ما تركه وراءه كان رسالة، تتباهى بمدى ذهابه لتدميرها، حيث قال: «لقد دمرت المدينة وبيوتها، من أسسها إلى قمتها، دمرت، أحرقت بالنار».«في خضم تلك المدينة، حفرت

قنوات، غمرت موقعها بالماء، ودمرت أساساتها. جعلت تدميرها أكثر اكتمالاً من ذلك بسبب الفيضانات. إنه في الأيام القادمة، قد لا يتم تذكر موقع تلك المدينة ومعابدها وآلهتها، لقد طمستها تماماً بفيضانات المياه وجعلتها مثل المروج».

«تكمل السجلات المكتوبة لشلمانصر الثالث أرشيفه التصويري: «ملأت السهل الواسع بجثث محاربيه... هؤلاء [المتمردون] اصطدمت بالرهانات.... هرم (عمود) للرؤوس التي نصبتها أمام المدينة». في القرن الثامن قبل الميلاد، احتل تيغلاث بلصر الثالث مركز الصدارة. من مدينة غزاها، قال «نبو أوشابشي، ملكهم، أقفلت الخط أمام بوابة مدينته على حصة. أرضه، زوجته، أبناؤه، بناته، ممتلكاته، كنز قصره، حملته من بيت أموكاني، أنا دستها مثل الدرس. كل أهلها (و) بضاعتها، وأخذت إلى آشور». يتم توضيح مثل هذه الإجراءات عدة مرات في النقوش في قصر تيغلاث بلصر في نمرود. تُظهر هذه النقوش أسلوباً فردياً في تنفيذ التفاصيل التي لها أهمية خاصة في تتبع تطور التقنيات العسكرية. ربما بعد أن أدرك ما تعنيه الهزيمة، انتحر ملك أورارتو، الذي هدده سرجون الثاني: «روعة أشور، يا سيدي، طغت عليه [ملك أورارتو] وطعن نفسه في خنجر الحديد من خلال القلب، مثل خنزير، وأنهى حياته». (Belibtreu 2002: 6)

تعذيب الناجين:

سجل ملك آشوري محاولة تجنيب، بعض الأشخاص الذين غزوه، من العقاب، بعد أن خذلوا أنفسهم أمامه. قال: «خرج إليّ نبلاء وشيوخ المدينة لإنقاذ حياتهم». «لقد أمسكوا قدمي وقالوا: «إذا كان يرضيك، اقتل! إذا كان يرضيك، فالعطف! إذا كان ذلك يرضيك، افعل ما تريد!» في أغلب الأحيان، سيتم إخضاع الرجال الباقين على قيد الحياة في الجحيم الذي كانوا يستخدمونه لترويع العالم نفسياً عن طريق جدع أنوفهم وآذانهم. لقد بالغ الملك أسرحدون حين جعل النبلاء يرتدون قلائد من رؤوس ملوكهم وقد كتب عليهم: «لقد علقت رؤوس الملوك على أكتاف نبلائهم، وعلى أنغام الغناء والموسيقى كنت أستعرضهم».



نقش ريليف آشوري للأسرى

التعامل مع المتمردين: الآشوريون يطيّرون سجناءهم أحياءً

كلما اندلع تمرد في الإمبراطورية الآشورية، سحقه الملوك الأشوريون بقسوةٍ وفرضوا عقوبات شديدة، وكان الملوك يؤكدون أن التمردات سيتم سحقها بقوة لكي لا تقوم شعوب أخرى بتكرارها.

كان المتمردون يتعرضون للهجوم، أو الاختناق، أو قطع رؤوسهم، أو حرقهم أحياء. وكان الناجون منهم يحملون كجزءٍ من الممتلكات، وكانت حيواناتهم تُنهب معهم، وقد نجحت سياستهم هذه في مدن شمال سوريا، بشكلٍ خاص، حيث تم تسليم العديد من المستوطنات الصغيرة على الفور إلى قواتهم، ثم ساروا جنوباً بالتوازي مع البحر الأبيض المتوسط.

اعتبر الآشوريون ملوكهم يحكمون بموافقة الآلهة (أو الإله آشور بشكل خاص)، وكانوا يفسرون التمردات على أنها خروج على هذا الإله وعلى خادمه، أي الملك، وهو أمر لا يمكن إلا أن يجلب الدمار الإلهي، ولذلك، تم تبرير وتمجيد هذه القسوة.

ظهرت أعمال وحشية أخرى في هذه القسوة مثل: الاغتصاب، وتشويه الرجال حتى الموت، ووضع الرؤوس والأعضاء المقطوعة أسفل أسوار المدينة المحتلة، والجماجم والأنوف في

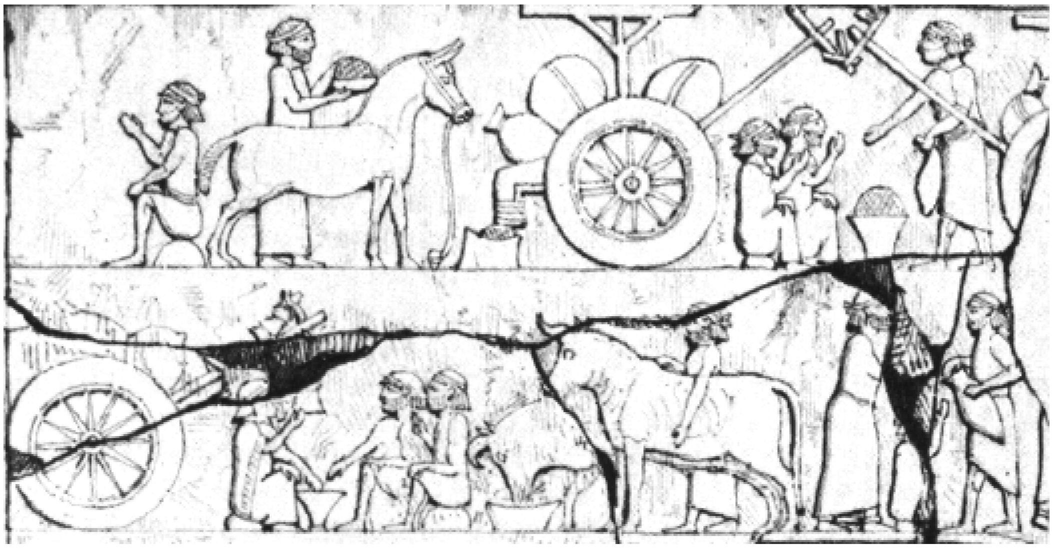
الأعلى. وتكدست الجثث. وأحياناً تُسمل عيون بعض أعدائهم ليكونوا صوت إعلامٍ عن قسوتهم فيتجولون وهم يتحدثون عن الرعب الآشوري لإحباط معنويات السكان المحليين، ولتصل هذه الأخبار إلى المدن الأخرى.

آشوربانيبال ينتقم من العيلاميين: آلهتهم تفرقوا في الريح

في عام 647 قبل الميلاد، قام الملك الآشوري أشوربانيبال بتدير وتسوية عاصمة العيلاميين، مدينة سوسة، بعد حرب حاسمة ونهائية ضدهم، ورأى أوستن هنري لايارد في نينوى، حين قرأ لوحاً آشورياً يتحدث عن هذه الحرب، بأن أشوربانيبال «منتقم»، سعى إلى الانتقام من الإذلال الذي ألحقه العيلاميون ببلاد ما بين النهرين على مر القرون.
آشوربانيبال يملي القصاص الآشوري بعد حصاره الناجح لسوسه، وكانت تتصاعد النيران من المدينة حيث يطيح بها الجنود الآشوريون بالفؤوس والعصي ويحملون الغنائم.

قال آشوربانيبال عن هذه الحرب «سوسة، المدينة المقدسة العظيمة، مسكن آلهتهم، مقر أسرارهم، هاجمتها. دخلت قصورها، فتحت خزائنها حيث جمعت الفضة والذهب، والسلع والثروة... دمرت زقورة سوسة. حطمت قرونها النحاسية اللامعة. لقد محوت معابد عيلام، وآلهتهم تفرقوا في الريح. مدافن ملوكهم القديمة والحديثة التي دمرتها، تعرّضت للشمس وحملت عظامهم نحو أرض عاشور. لقد دمرت مدن عيلام ونثرت على أراضيها الملح».

ربما تم عزل أسرى الحرب والمبعدين، الذين نراهم يقودونهم في المعسكر الآشوري على شكل نقوش من آشور ـ ناصربال إلى سنحاريب، في مناطق معينة من المجمع. احتياطيات الطعام التي أحضروها معهم في الأسر على عرباتهم التي تجرها البغال أو الثيران.



عزل أسرى الحرب

.Or. *Dr*. V 28 = Barnett 1976, pl. LXIXa

المبحث الخامس: الآثار السايكولوجية لسياسة التهجير وإعادة التوطين

سياسة إعادة التوطين:

كانت كل بلاد آشور خاضعة لسياسة إعادة التوطين التي اقتلعت عائلات بأكملها ونقلتهم عبر البلاد. وكانوا يفرزون، من بين أسرى هذه المدن، الصنّاع والمهرة في كل الجوانب، ويضعونهم في مهمات بناء القصور والمعابد والقنوات وغيرها. عادة ما كان هؤلاء الأشخاص محظوظين بما يكفي لجلب عائلاتهم، وأحياناً يُمنح الرجال الخطرون الذين حاربوا ضد آشور فرصة لاسترداد أنفسهم. فإذا كان الملك رحيماً، فسيتم إرسالهم إلى مملكة مدمرة في الضواحي ليُعاد بناؤها، ثم يُفرق الباقون حول البلاد. وكان شعب الأمة

المحتلة يُوزع حول المملكة، ويعيشون جنباً إلى جنب مع أناس من أراضي أجنبية بدلاً من أبناء وطنهم لكي لا يتجمعون معاً ويشنون ثورة أو عصياناً.

التشريع الوحشي للقانون:

مهّدت التشريعات القانونية الآشوري لتكوين الشخصية الآشورية القاسية والصلبة، وحين نطالع هذه القوانين سنجد بأنها تقضي معاقبة العديد من الجرائم في آشور بتقطيع الأعضاء أو الموت. فقد قضى القانون الآشوري بما يلي: إذا قبلت رجل زوجة رجل آخر، فسيقطعون شفته السفلية بفأس. إذا تم القبض على رجل مع رجل آخر، فسيحولونه إلى خصي. يُعاقب من ارتكب الزنا بالإعدام، في حالة الجريمة ذاتها التي يعاقب عليها بقطع الأذن أو الأنف.

كان التعامل مع بعض الجرائم يتم بطرق وحشية. وكان للرجال الحق في قتل الزوجات الزانيات. ويتم تسليم القتلة إلى عائلة الضحية، الذين كانوا أحراراً في التعامل معهم كما يحلو لهم... إلخ. وقد عرضنا هذه القوانين وناقشناها في الفصل الخاص بالمظهر القانوني.

أشباح القتلى تطارد الجنود:

كانت الحياة، تحت تهديد الآشوريين مرعبة، بالنسبة للآشوريين وكذلك ضحاياهم، حيث يقول علماء النفس المعاصرون: إنّ نتائج هذه الحروب تظهر في أعراض واسعة الانتشار للإجهاد اللاحق للصدمة، حيث كان الناجون من كلا الطرفين قد «وصفوا بالسمع والرؤية الأشباح تتحدث إليهم، وهي أشباح الأشخاص الذين قتلوا في المعركة». الدكتور جيمي هاكر هيوز يقول أن «هذه هي بالضبط تجربة جنود العصر الحديث الذين شاركوا في قتال مباشر». كان الأشوريون وحشيين للغاية لدرجة أن حملاتهم العسكرية وضعت أنفسهم في الجحيم. لقد تسببت الفظائع والذنوب في قتل وتعذيب الأبرياء وفي دمار نفوسهم. وعندما كان عامهم في الحرب ينتهي ويسمح لهم بالعودة إلى منازلهم وعائلاتهم، كانوا يعيشون في حياة تطاردها أشباح الناس الذين ألحقوا بهم كل هذه العذاب.

شرعنة سياسة الرعب:

وصفت بعض الحوليات الآشورية، في القرن التاسع قبل الميلاد، الحملة السابعة للملك آشوربانيبال بتفاصيل كاملة ودموية. غالباً ما كانت الكلمات الرئيسية في هذه السجلات الرسمية تحتوي على كلمات وعبارات مثل «مذبحة» و«ممزقة» و«مدمرة» و«محروقة» و«سقطت بالسيف» و«نصبت (أحياء) على أعمدة». توحي هذه الكلمات بصور الوحشية والسادية، وحتى لو لم تقع وكانت من أجل الدعاية والتخويف أو أن الجزء القليل منها قد وقع، ولكنها تعكس السايكولوجيا السلبية ونزعة الإرهاب. صحيح أن معظم هذه الحملات العقابية حصلت للتخفيف من حدة التمرد، لكنها كانت تعكس طبيعة الصورة الوحشية لمن فكّر بها، مسببة كل هذا الرعب والقلق الذي يرتجف منه التأريخ كلّه.

تقييد سلطات النبلاء لصالح الملك:

بحلول النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد (من حوالي 911-745 قبل الميلاد)، دخلت الإمبراطورية الآشورية في اضطراب سياسي مع اكتساب العديد من حكام المقاطعات المزيد من السلطة وإعلان استقلالهم تقريباً عن الدولة المركزية التقليدية. لكن صعود الملك تجلاث بلاصر الثالث غيّر كل شيء، مع فترة مزدهرة من الإصلاح السياسي والإداري الصارم. كان من أولى أوامره التجارية تقسيم المناطق (وبالتالي السكان) التي تشملها كل مقاطعة إلى وحدات إدارية أصغر.

جاءت هذه الإجراءات لتقويض سلطة النبلاء الإقليميين والنخب السياسية بشكل كامل. ومع ذلك، فإن دينامية تجلاث بلاصر لم تتوقف فقط عن الحد من سلامتها الإقليمية. كما اتخذ نهجاً يائساً على ما يبدو من شأنه أن يحد بطبيعته من قوة النبلاء في السيناريوهات المستقبلية ـ من خلال استخدام الـ (شا ـ ريشي) أو الخصيان كمحافظين تحت مراقبة الدولة للعديد من هذه الوحدات الإدارية المنتشرة عبر الإمبراطورية. وقد تأكدت مثل هذه الخطوات الجذرية من أن أحفاد العديد من النخب الساخطين لم يتمكنوا من الوصول إلى قوتهم، بينما عززوا في الوقت نفسه ولاء الدولة التي تستخدم الخصي.

الكفاءة في حرب الحصار

بحلول القرن الثامن قبل الميلاد، كانت معظم المراكز التجارية والمستوطنات الرئيسية في بلاد ما بين النهرين والأراضي المجاورة محاطة بأسوار. عندما وصلت تجربة الجيش الآشوري إلى أوجها بنشر أبراج وآلات حصار مختلفة. فعلى سبيل المثال، يُظهر نقش جدار لاخيش الذي يصور حصار سنحاريب في عام 701 قبل الميلاد، المحركات ذات العجلات المغطاة بجلود سميكة من الجلد. فقد تم تجميع هذه الهياكل الضخمة ودفعها إلى أسوار المدينة بمساعدة مسارات خاصة (تم دعمها على أسوار أرضية بنيت سابقاً خارج سور المدينة، من قبل مهندسي الحصار). كان الهدف الآشوري يستلزم بشكل أساسي تقريب محركات الحصار العملاقة هذه من الجدار حيث يمكن أن تضرب الدفاعات بمساعدة قضبان صدمات حادة.

لاحظ المؤرخ مارك هيلي (في كتابه «الآشوريون القدماء»)، لم يكن الآشوريون«مرتاحين» دائماً لحرب الحصار؛ وخيارهم الأول يعود تقليدياً إلى مناورات منضبطة ومرنة في ساحات القتال المفتوحة. وفي هذا الصدد، يمكن القول إن سياسات الرعب والخوف ربما استخدمت«كحلول» حطمت معنويات الأعداء قبل أن تصل إلى المرحلة الأخيرة من حرب الحصار الدفاعي.

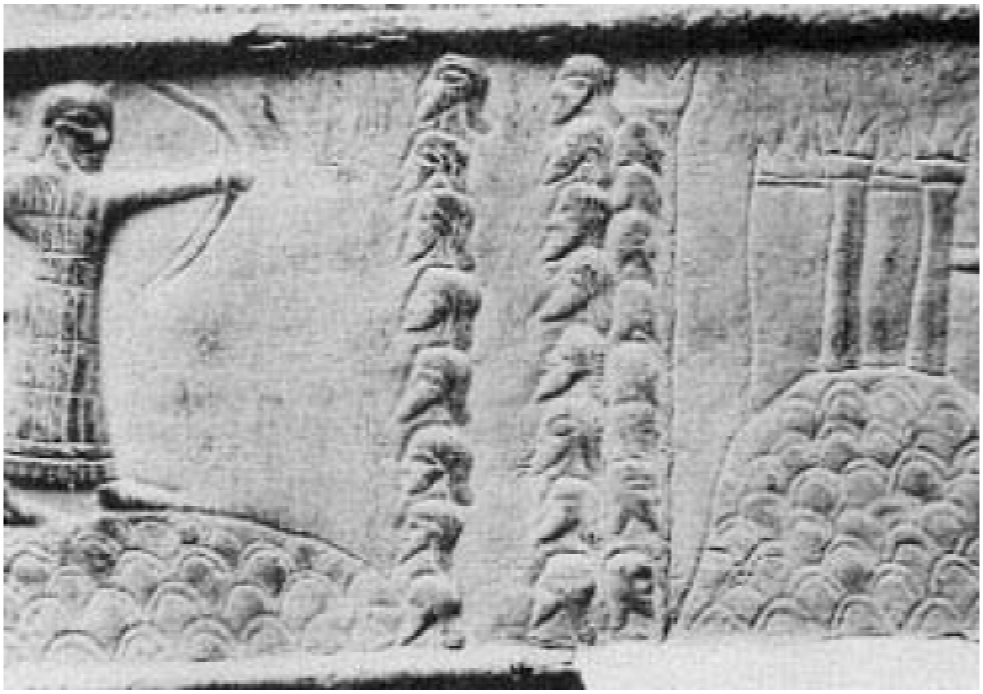
جلود منتفخة للسباحة:

البراعة العسكرية الآشورية لم تتوقف عند قوات الفرسان المختلطة وحرف الحصار المذهلة. يعرض أحد النقوش البارزة بشكل مناسب كيف تم تزويد الجيش الآشوري (ربما أولئك الذين يهاجمون من ضفة النهر) بأكياس جلد الماعز المصممة خصيصاً التي يمكن نفخها ثم استخدامها للعبور عبر المياه، مع ربط الخيول وتوجيهها خلفها. وبطريقة مماثلة، كانت آلات الحرب الضخمة معيارية بشكل أساسي. لذلك يمكن تفكيك هذه المحركات والأبراج وربطها بحرف بحرية مصممة خصيصاً مصنوعة من الجلد ونقلها بسهولة عبر الأنهار، ليتم تجميعها لاحقاً خارج أسوار المدينة. ونمتد النطاق قليلاً، هناك أيضاً إشارات

إلى الغوص في آشور القديمة، كما هو موضح في لوحة جدارية عمرها 3000 عام تظهر الرجال يسبحون تحت الماء، باستخدام نوع من جهاز التنفس.



ضحايا شلمنصر الثالث (858-824 ق.) تتدلى الرؤوس المقطوعة من الجدران، على اليمين، حيث تستهلك النيران (ممثلة بخطوط عمودية متوازية) هذه المدينة القديمة بالقرب من مصدر نهر دجلة. بجانب المدينة نرى سجيناً مجروحاً من اليدين والقدمين، مخترقاً بعمود. على اليسار يمسك جندي آشوري يد أسير مقطوع اليدين والقدمين. وهناك الأيدي والأقدام المتناثرة على الأرض.

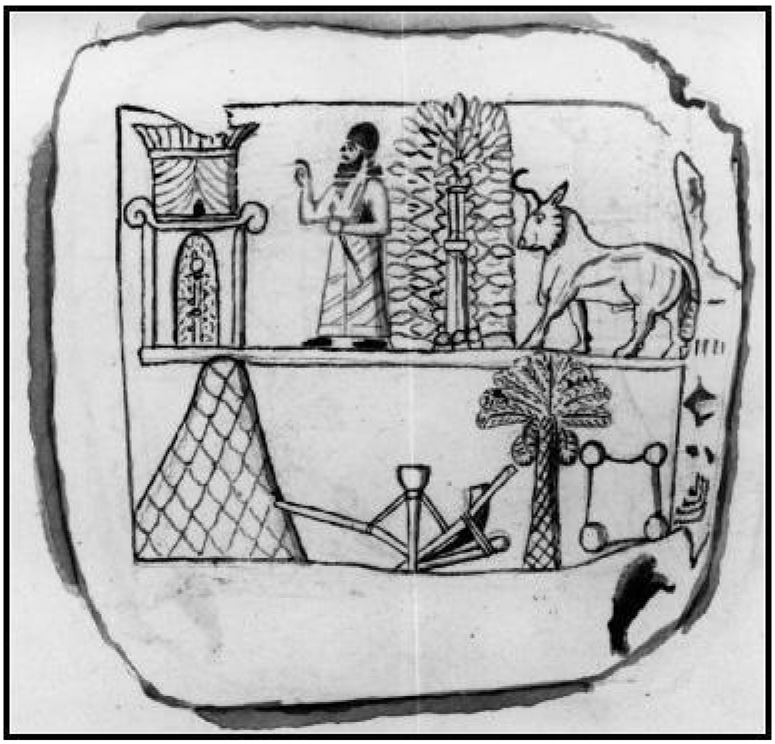


النقش البرونزي من منقوشات بلاوات، ثلاث رافعات للرؤوس، لكل منها ثمانية رؤوس من الذكور، تقف مثل أعمدة الطوطم البشرية خارج مدينة غزاها الآشوريون وهم على تلة. المدينة هي من أوبومو، في شبريا، تقع جنوب غرب بحيرة وان (ڤان)

4. انتشار الأمراض المعدية والوبائية مثل الكوليرا والطاعون، وهذا ما جعل العراقيين القدماء بشكل عام يموتون بأعدادٍ كبيرة، ومعروف ما تولده هذه النكبات في نفوس الناس ومجتمعاتهم من غضبٍ وحزنٍ، وتحسبهم للأقدار ومصارعتها وقدرتهم على صياغة أقدراهم بأنفسهم.

«وقد وصلتنا من عهده مجموعة من المنحوتات الأثرية التي جاءت تشير إلى اهتمامات هذا الملك بالمدينة وفي إحداها وهو المصنوع من الحجر الأسود نقشت عليه مشاهد فيها وصف لأعماله العمرانية في أسوار معابد بابل، وقد تضمن محتوى هذه المنحوتة مشاهد ذات طابع فني بابلي وأخرى ذات طابع آشوري وقد دمجت معاً لتعطي المشهد العام للمنحوتة وفيها نجد الشجرة المقدسة الآشورية وتاج ذي القرنين مستقراً على مذبح وهو مشهد متعارف عليه في بلاد بابل واحتوى أيضاً على محراث بابلي ونقش لنخلة مثمرة،

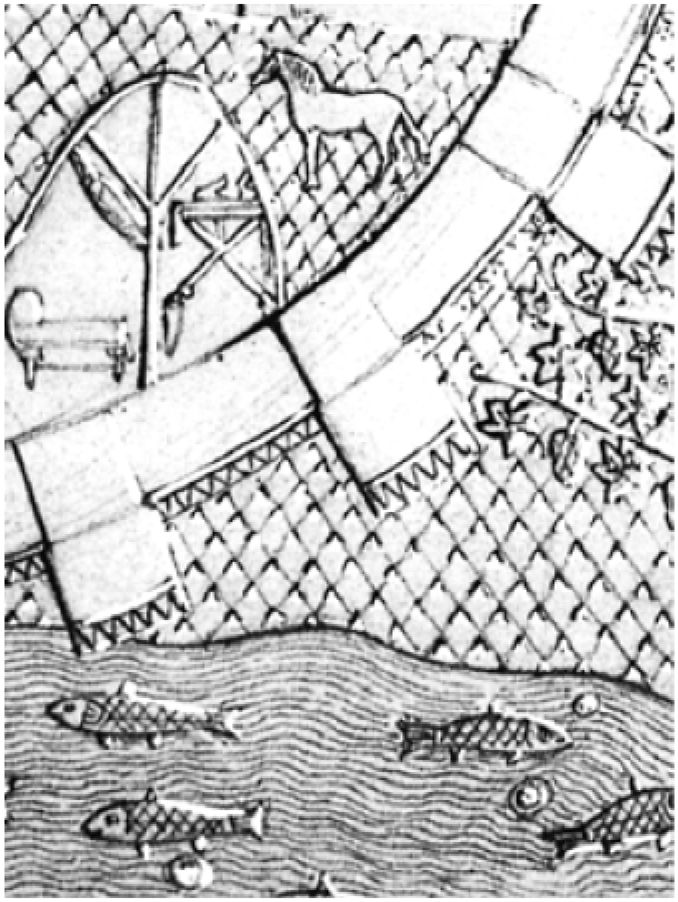
ومن سياق تلك المشاهد يبدو لنا من الواضح أن الفنان الآشوري كان يريد أن يقلد ما متعارف عليه من فن في بلاد بابل وأن يبتعد عن الأسلوب المتبع في سياق المشاهد الآشورية والمتمثل في الغلو في استخدام القوة العسكرية ومن الوارد جداً أن الملك الآشوري هو الذي أوعز للفنان الآشوري لينحو هذا المنحى المشابه لطبيعة الفن البابلي من أجل كسب وِد البابليين وهذا جزء من مشروع الترضية التي اتبعها مع سكان مدينة بابل والذي بدأه بإعادة بناء مدينتهم» (سلمان 2010: 3).



رليف من نينوى مصنوع من الحجر الأسود

الفصل الحادي عشر التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل





المبحث الأول: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل

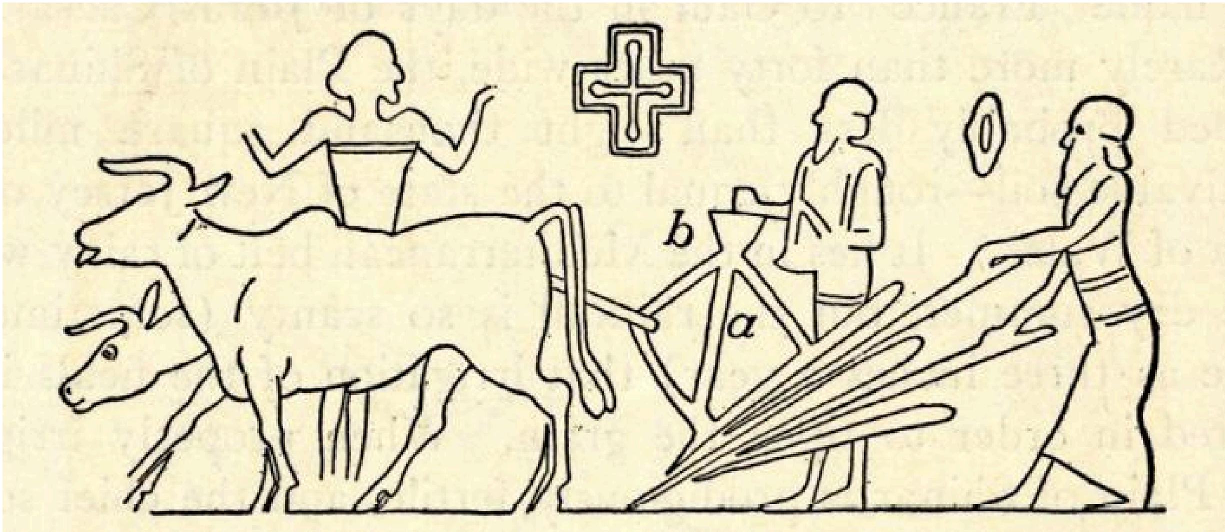
لطالما راودتنا فكرة تفسير التاريخ والحضارة الآشورية، بل وحضارات الشرق، من خلال المادة والطاقة وحجم العمل المبذول في استثمارهما، ويمكننا القول أننا سنصل إلى تفسيرات جديدة كلياً لما حصل، فما من حضارة استمرت وتصاعدت وبقيت إلّا وكان فيها تلازم منظومة المادة والطاقة والعمل متضافرة مع التقدم العلمي والتقني، وهو ما حصل في العصر الحديث، لكن ما يعوز، في هذا المجال هو الاطلاع على الوثائق القديمة التي تعطينا مثل هذا الربط والتحليل.

سنحاول، قدر الإمكان، معرفة هذا العامل المهم جداً في تاريخ وحضارة الشعوب، وفي الحضارة الآشورية ما يمكن تلمسه والكلام عنه.

أولاً: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل في الزراعة

كانت آشور قوة زراعية نوعية بالتأكيد، مما يعني أن قوتها كانت في جذورها على أساس الإنتاج الزراعي. وكانت كمجتمع زراعي قادرة على بناء دولةٍ حسب مواصفات الاقتصاد الزراعي، حصل هذا في العصر البرونزي بشكل خاص، لكن بلاد آشور كانت مهددة في زراعتها العريقة وتجارتها النشطة من قبل دولٍ وقوًى تتربص بها وتحتلها بين فترة وأخرى. وحين قدم العصر الحديدي كانت آشور قد تعرضت لجحافله اليابسة وجفافه، وكانت الدول حولها في صراعٍ وتطاحن، لكنها لم تجد الكثير الاستقلال أو الابتكار في القطاع المدني. فقد كان نصيبها من التكنولوجيا الزراعية قليلاً في البداية، ثم وجدت نفسها وقد تعلمت من الحيثيين التعامل التقني مع الحديد فظهرت بعض الابتكارات والهندسة الزراعية الجديدة.

كانت الحراثة تُنجز باستعمال الثيران، بمعدل أربعة ثيران لكل محراث وبوجود ما يقرب من ثلاثة رجال وكانت تربتها الزراعية تطاوع اختزالها لهذا العدد من الرجال والثيران، كان ذلك يتم في شهر تشرين الأول، وكان الشعير هو المحصول الأكثر شيوعاً. كما نما القمح والذرة والدخن والكتان والبصل في الحقول. وكان يمكن إجراء البذر يدوياً، ولكن منذ منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، بدأت تشغيل أدوات البذور الميكانيكية المركبة على المحراث في الظهور. وكانت دفقات من البذور تنزل خلف نصل المحراث. فعندما تتحرك المبذرة والمحراث إلى الأمام، يتم إيداع البذور في الأخاديد.



رسم لقطعة بناء (رليف) من بلاد ما بين النهرين، حوالي 1500 قبل الميلاد، يظهر بذارة ميكانيكية حيث (أ) تشير لوعاء ومزلق البذور، و(ب) يشير إلى قمع البذور.

وبمجرد أن يكتمل زرع الحقل، يتم غمره مرة أخرى حتى ارتفاع الأخاديد. فيغسل الماء الأملاح من التربة على جوانب الأخاديد. ويمكن ري الحقل عدة مرات أخرى خلال فصل الشتاء، مرة في الشهر في كانون الثاني والثانية في شباط والثالثة في آذار.

أما إذا تم إجراء ري واسع عن طريق كسر وإعادة بناء جدار القناة، فسيكون هذا عملاً مستهلكاً للوقت ومتعباً للجسد. واستغلالاً لطاقة المياه كان يتم سقي مساحات أصغر حجماً كحدائق الظل باستخدام الشادوف أو الناعور، والشادوف رافعة بسيطة مضادة للوزن تستخدم لغمس دلو في قناة أو نهر ورفعه إلى حقل أو حديقة. كان الشادوف مستخدماً في الشرق الأدنى منذ آلاف السنين كأداة أساسية للزراعة، أما الناعور فهو عبارة عن سطول من الماء تنقله من النهر للحقل بدورانه المستمر.

«وقت الحصاد في نيسان للشعير والبصل، وفي أيار ومايس للكتان والقمح. ويتم الحصاد باليد بالمنجل. ثم تُلقى الحبوب على أرضية الدرس بواسطة الثيران التي سحب لوحة الدرس فوق الحبوب. ثم يتم رمي الحبوب في الهواء للسماح للريح بفصل القشر عن

الحبوب. ثم تبدأ الدورة بأكملها من جديد، مع تطهير الحقول والري والحرث». (Eyre 1984: 163 - 164)

حافظ الآشوريون، بسبب التقدم التكنولوجي في الحروب، على أراضيهم، وعندما صعد الحيثيون وأطاحوا بحكم الحوريين، ظهر فراغ سياسيّ وعسكريّ في المنطقة ودفعها إلى الحرب والفوضى. وجعل هذا الآشوريين مستعدين لاكتساب المزيد من القوة في المنطقة. ففي حوالي 900 قبل الميلاد، ظهرت سلسلة جديدة من الملوك الأشوريين، بدءاً بأدد نيراري الثاني، إلى البروز ووسعت حدود آشور إلى إمبراطورية ضخمة.

استخدم أدد نيراري الثاني وخلفاؤه تقنيات حرب جديدة للسيطرة على مدن العدو واحدة تلو الأخرى. كان للآشوريين العديد من المزايا التي كانوا يطورونها لأجيال بينما جاءت الإمبراطوريات الأخرى وذهبت. كانوا أول من طور أسلحة حديدية في المنطقة، والتي كانت متفوقة على الأسلحة البرونزية التي كان أعداؤها يستخدمونها. سمحت لهم مهارتهم في أعمال الحديد بصنع الأسلحة والمواد الواقية بتكلفة أقل، حتى يتمكن المزيد من الجنود من استخدامها. بالإضافة إلى ذلك، كانوا أول جيش يمتلك وحدة هندسية منفصلة، والتي ستنشئ سلالم الصعود على الأسوار والقلاع أثناء الحروب، وتصنع الخنادق، وتحفر الأنفاق لمساعدة الجنود على الدخول إلى مدينة مسورة. كانوا أيضاً من بين أول من قام ببناء المركبات الحربية، والتي قدمت حماية أكبر في ساحة المعركة. سمحت هذه التطورات التكنولوجية للآشوريين بالهجوم ومهاجمة المناطق المجاورة لأول مرة، مما أدى إلى توسيع إمبراطوريتهم.

كانت تقنيات الحرب الآشورية عوناً لهم على التقدم في مجال الزراعة والريّ، وكان من واجب الملوك الأشوريين الحفاظ على نظام قنوات الري الفعالة لتمكين المزارعين من ري أراضيهم. وقد اتخذ تجلات ـ بلاصر الأول تدابير أخرى لتعزيز الإنتاج الزراعي، فقد كتب بما يلي:

«لقد قمت بتشغيل المحاريث في جميع أنحاء أرض آشور، حيث جمعت أكواماً من الحبوب أكثر من أسلافي. قمت بتأسيس قطعان من الخيول والأبقار والحمير من الغنائم التي كنت قد أخذتها، بمساعدة آشور إلهي، من الأراضي التي كنت قد حصلت عليها». (Saggs 1984: 162)

كما عملت قناة وفرة من قبل آشورناصربال لري حدائق الملك الملكية، المليئة بالنباتات المأخوذة من الأراضي التي غزاها. وخلص بحلم إلى أن «مياه القناة تتدفق من فوق إلى الحدائق. العطر يتخلل الممرات، وتيارات من المياه مثل العديد من نجوم السماء تتدفق في حديقة المتعة. مثل السنجاب، أقطف الفاكهة في حديقة المسرات». (Dalley 1993: 4)

كان الآشوريون مبتكرين تماماً عندما يتعلق الأمر بالزراعة، وهو أمر ضروري لأنهم عاشوا في منطقة كانت إما جافة للغاية أو مغمورة بالخصب والماء معظم الوقت. وللتعويض عن هذا، قاموا ببناء أنظمة قنوات واسعة النطاق من الطين. ستجمع القنوات مياه الأمطار، مما يساعد على منع الفيضانات في مواسم الأمطار لكنها لا تفي بالغرض حين تهمل لزمن طويل بشكل خاص. في المواسم الجافة، يمكن للمزارعين إطلاق المياه المخزنة في الحقول عن طريق الحفر فيها. وقد تم ذلك عن طريق الدفاع عن الفيضانات والتي تم استخدامها على طول حواف القنوات لتوجيه المياه إلى حيث كانت هناك حاجة إليها. نظراً لأهمية الزراعة للمجتمع، تم بناء القنوات على طول حواف جميع المزارع وتم الحفاظ عليها جيداً. تم بناء شبكات المياه لتزويد المدن بالمياه عن طريق بناء منحدرات لتوصيل المياه من التلال إلى السهول.

ويذكر أن سرجون الثاني قام بتوسيع نظام القنوات. عندما دخلت قواته إلى جبال القوقاز ضد مملكة أورارتو في عام 714 قبل الميلاد، اكتشفوا نوعاً جديداً من نظام قنوات المياه، كان نفقاً يستخدم لتوجيه المياه من التلال إلى السهول أدناه. تم بناؤها عن طريق حفر سلسلة من الأعمدة إلى أسفل مباشرة من السطح. ثم تم حفر الأنفاق بين قاع الأعمدة لإنشاء نفق تحت الأرض. تم حفر العمود الأول عند مصدر مياه أو جدول أو بئر طبيعي

على ارتفاعات أعلى. ينحدر النفق الناتج إلى أسفل برفق، مما يسمح للماء بالتدفق إلى أسفل الجبل.

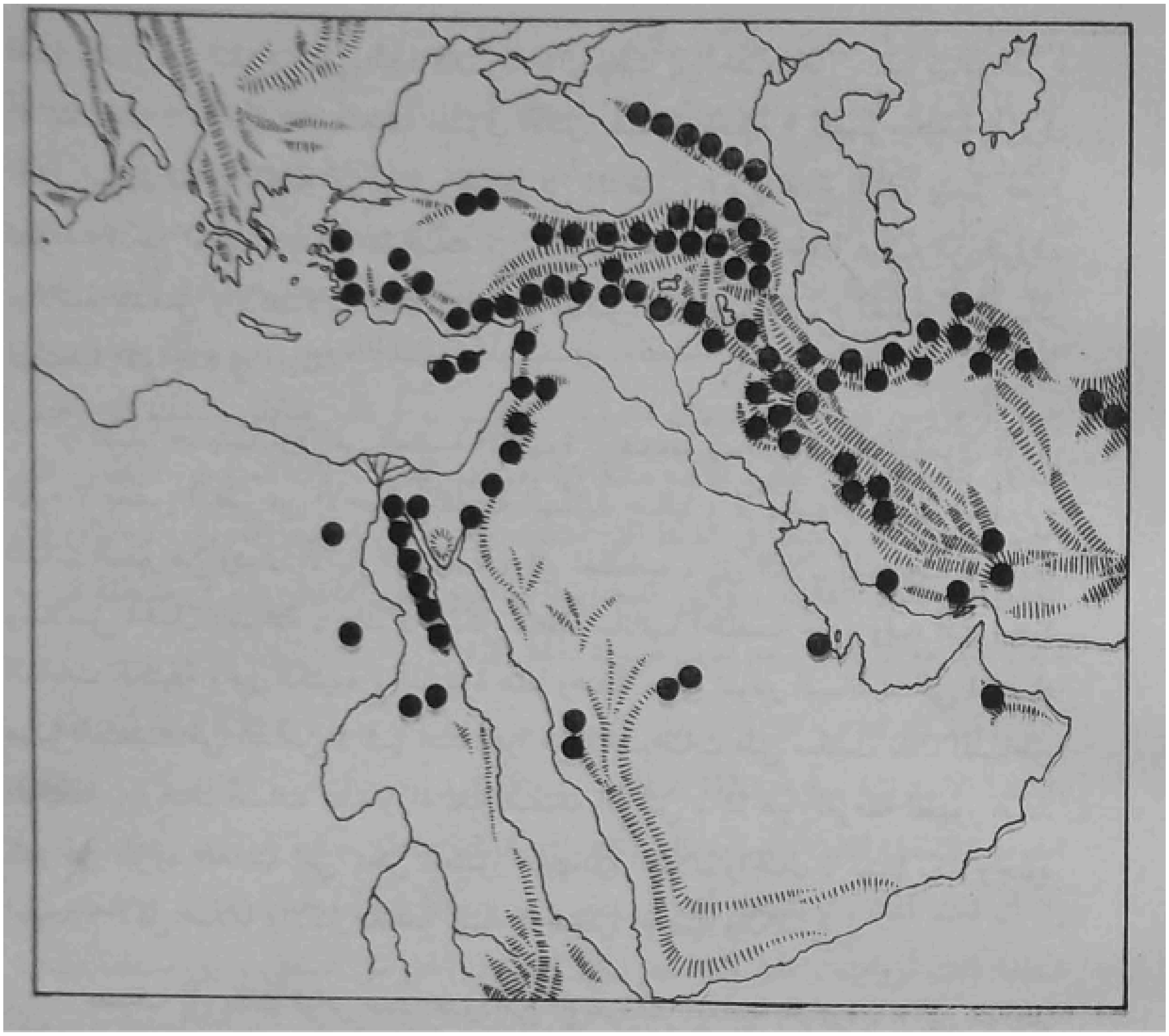
بنى سرجون الثاني عاصمة جديدة في دور ـ شاروكين. وفي جزء من هذه المدينة الجديدة، زرع حديقة أكبر. تضم هذه الغابة الحضرية آلاف الأشجار، بما في ذلك «2,350 حمولة من أشجار التفاح» التي قدمتها «جنباً إلى جنب مع المشملة، والبرقوق، والسفرجل وأشجار اللوز. تميزت الحديقة بتلة اصطناعية مع مذبح في الأعلى، وبركة كبيرة بما يكفي للاستمتاع بركوب القوارب، وجناح على جانب البركة مع سقف عمودي يوفر الظل».
(Dalley 1993: 4 - 5)

مع نمو القوة الآشورية وازدهار السكان، كان الطلب المتزايد على المواد الغذائية يستوجب بناء أنظمة ري أكثر تفصيلاً، وقد قام آشوربانيبال بتنفيذ مشروع هندسي مدني كبير حيث حفر قناة رئيسية تربط كالخو مع نهر الزاب العلوي، وقد كتب ما يلي:

«حفرت قناة من أعالي الزاب، وقطعت قمة جبلية، وسميتها قناة الوفرة. سقيت مروج دجلة وزرعت بساتين أشجار الفاكهة في المنطقة المجاورة. لقد زرعت البذور والنباتات التي وجدتها في البلدان التي سرت من خلالها وفي المرتفعات التي عبرتها: أشجار الصنوبر بأنواعها المختلفة، وأشجار السرو والعرعر بمختلف أنواعها، واللوز، والتمر، وخشب الأبنوس، وخشب الورد، والزيتون، والبلوط، طرخشق، الجوز، تربينث، والرماد، التنوب، الرمان، الكمثرى، السفرجل، التين، الكرمة». (Dalley 1993: 4)

ثانياً: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل في المعادن والصناعة

لا بد من ملاحظة اقتران التوزيع بين المعادن والمناطق الجبلية، فقد سُمّيت أودية النيل والفرات بالهلال الخصيب، أما الجبال المجاورة فهناك ما يبرر تسميتها بالهلال المعدني كما يقول هودجز.



خريطة تبيّن توزيع المصادر المعدنية في الشرق الأدنى (النقاط السوداء)

(هودجز 1988: 19)

ظهرت تكنولوجيا استعمال المعادن بالتزامن مع التغييرات التي حدثت في الحضارة الآشورية. كيف وأين تطورت تقنية عمل الحديد في آشور بين 1200 و700 قبل الميلاد. وبأي طريقة عكست وأثرت على الحضارة. هذه الفترة الزمنية مهمة لأن آشور كانت الإمبراطورية الأولى التي لديها أدوات حديدية وأسلحة أثناء توسيع حدودها.

غالبًا ما يُساء تمثيل المجتمع العسكري بسبب طبيعته الحربية والتوسعية، وهذا تبسيط ضيق الأفق. يمكن اعتبار الآشوريين أيضاً حضارة شجعت اقتصاد الزراعة والتجارة والحرف اليدوية. أحد الأمثلة يكمن في تقنيي المعادن في آشور الذين طوروا القدرة على صهر وتكوين الحديد في منتجات جديدة ومفيدة، مما يظهر وعيهم الفكري ورؤيتهم التكنولوجية.

تكنولوجيا النحاس:

التقنية الأولية لصهر النحاس تبدأ بوضع خام النحاس في فرن حفرة بسيطة حيث ارتفعت درجة الحرارة (فوق 1084 درجة مئوية، 1983 درجة فهرنهايت)، درجة حرارة انصهار النحاس. بعد ذلك، تغير النحاس الخام من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة. عندما يغرق المعدن المسال، يغرق النحاس في قاع الحفرة والخبث إلى الأعلى. بعد حدوث هذا الفصل، تُرك المصهور ليبرد إلى قطعة صلبة من النحاس والخبث. بعد ذلك، تمت إزالة الخبث عن طريق الطرق حتى تكسر قطعة النحاس. هذه القطعة من النحاس، التي يشار إليها باسم السبائك، كانت ناعمة نسبياً حتى تتمكن المطرقة الحجرية من تشكيلها في الكائن المطلوب. إذا تم تشكيل النحاس في درجة حرارة الغرفة، فقد خضعت المادة للتصلب وأصبحت أقوى بسبب الحركة القسرية للهيكل الشبكي المعدني، تنظيم الذرات في شكل بلوري، ومع ذلك، إذا شكلت سبيكة معدنية بالحرارة، ثم تم تشكيله فير سبيكة. يعتبر التزوير طريقة جيدة لتشكيل المعدن لأنه عندما يتم تسخين المعدن لتليين السبائك، فإنه يلد المادة أيضاً، مما يتسبب في إعادة بلورة الشبكة المعدنية ويوفر زيادة القوة والصلابة عندما يبرد المعدن. انظر (Haidar 2011: 6 - 12)

تكنولوجيا الحديد:

في العصر الحديدي، أي بعد 1200 قبل الميلاد، كان الآشوريون من أكبر منتجي الحديد في الشرق الأوسط. على الرغم من أنهم لم يحتاجوا إلى تحسين عملية ازدهار الحديد، إلا أنهم استخدموا التجارة لفصل إنشاء الحديد المطاوع من تزوير الحديد في الكائن

المطلوب. كانت هناك العديد من الحالات التي لم يقم فيها الحداد الذي أكمل عملية الصهر بتشكيله في الشكل النهائي. بدلاً من ذلك، كان يصنع سبائك الحديد التي تم نقلها من منطقة التفتح إلى محلات الحدادة في أماكن أخرى، مثل السبائك المكتشفة في نمرود. وكان مع هؤلاء الحدادين الثانويين الذين صاغوا الحديد المطاوع في العناصر المطلوبة. أثناء عملية التشكيل النهائية، تم تشكيل الحديد بفرن فحم. وخلافاً للازدهار، لم يكن لدى الكربون الزائد المنطلق في أفران الحدادة أكسيد يتحد معه. بدلاً من ذلك، تفاعل الكربون من الفحم مع الحديد لصنع سبيكة تسمى الفولاذ. هذه الأشياء لم تكن قطعاً حقيقية من الفولاذ لأنها لم يكن لديها توزيع كربوني بشكل موحد في جميع أنحاء المادة، وبدلاً من ذلك كان السطح الخارجي يكربن كالفولاذ وما زال الداخل مصنوعاً من الحديد. في الواقع، وفرت كربنة الحديد أسطح صلب. على الرغم من حقيقة أن عمل الحديد كان مهمة شاقة، فقد أصبح شائعاً جداً لأن الحديد معدن أقوى بكثير من النحاس والبرونز. انظر (Haidar 2011: 6 - 12)

تكنولوجيا أدوات البناء (Construction Tools):

أما أهم أدوات البناء فهي:

1. سلة البناء التي توضع فيها المؤنة (Gl.SAG.IL(tupsikku وهي السلة المستعملة في البناء، وقد وردت في كثير من النصوص الاقتصادية تضمنت إشارات إلى أن هذا النوع من السلال استعمل في بناء المعابد وأحياناً ترد بمصطلح آخر هو (gigurdu)Gi.Gur.DA والتي تعني السلة الكبيرة المصنوعة من القصب، وكذلك (GI.HA.AN.GI.HE.EN(gihinnu بمعنى السلة الكبيرة وهذا المصطلح استعمل في العصر البابلي القديم والمتأخر، عادة تكون هذه السلة مصنوعة من القصب وداخلها مطلي بالقير.
2. طاسة البناء (القفة) (GI.GUR.SAL.LA) gigursallu بمعنى القفة الكبيرة والتي تصنع عادة من المعدن، وقد ظهرت سلة البناء في بعض النماذج الفنية منها تماثيل

الملوك للدلالة على مشاركة الملك في بناء معين كما ظهرت بذات المشهد في بعض تماثيل الأسس.

3. الفأس (URUDU.DURIO.TAB.BA)ا PASTU وأحياناً ترد بصيغة أخرى (GIN PASU) والذي يستعمل لتكسير بعض الأجزاء.
4. المطرقة (GIS.NIG.GUL)ا aqqulu-akkulu التي تستعمل لتثبيت قطع الآجر أو الحجر في مكانها الصحيح أثناء البناء، فضلاً عن ذلك وردت تسمية المطرقة بمصطلح آخر هو (ZA.HA.DA) zahatu.
5. الشاقول (LAL/LAL)ا SAQALU والذي استعمل لضبط قياسات وأبعاد البناء. (العلي 2016: 395 ـ 396).

ثالثاً: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل في التجارة

ظهرت أدلة واضحة على ظهور استثمار طاقة التجارة في الحياة الآشورية مبكراً. فقد ظهر «دليل التجارة في الشرق الأدنى القديم بين مدينة آشور في آشوريا، شمال العراق الآن، وكانش Kaneš في الأناضول، وسط تركيا الآن، يأتي من الكتابة المسمارية على أكثر من 23000 لوح طيني تم اكتشافها في كانش Kaneš. تروي الألواح، في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، بأن التجار الآشوريين أسسوا مستعمرة تجارية في كانش. حيث قام التجار في آشور باستيراد القصدير والمنسوجات من الشرق والجنوب، وتعبئتها في أكياس، وتحميل الحقائب على الحمير. قاد الناقلون قوافل من 10 إلى 50 حماراً على بعد 1200 كيلومتر على الطرق الوعرة الضيقة إلى كانش. وبعد دفع الضرائب المناسبة، قام التجار ببيع القصدير والمنسوجات والحمير في سوق الفضة التي أرسلوها إلى آشور لبدء العملية من جديد. ولتسهيل بيع وشراء التجار وضعوا العقود وكتبوا رسائل تتعلق بالمشتريات والمبيعات وظروف السوق. أثبتت التجارة أنها مربحة للغاية ولكنها انتهت بالتدمير العنيف لكانش». (Alexander & Violet 2020: ABSTRACT p.1)

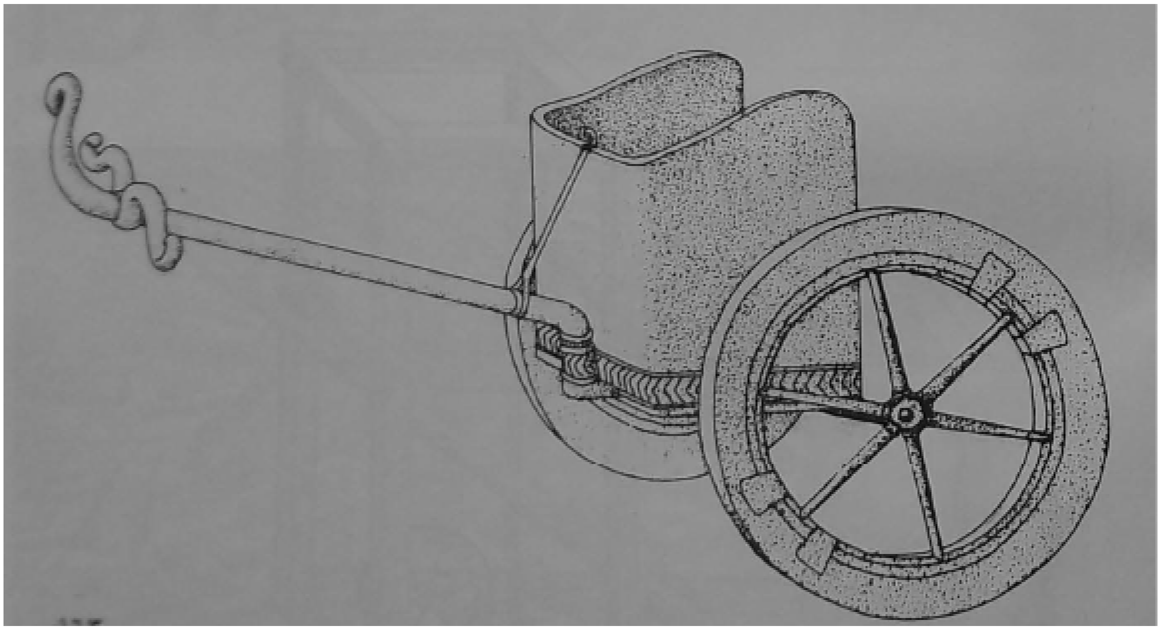
رابعاً: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل في الحرب

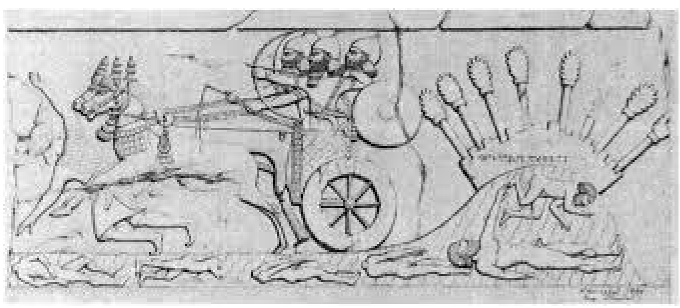
تقنيات آلات الحرب عند الآشوريين:

اشتهرت آشور في المقام الأول بابتكاراتها العسكرية. كانت حرب الحصار والفرسان والاندماج والتنظيم المنهجي للحرب قد تقدمت بشكل كبير من قبل الجيوش الآشورية التي كانت تنهال على مدن أجنبية، وتم إثراء الوطن الآشوري بأشياء مختلفة سُرقت ونُهبت من دول أخرى. ربما لم يكن الآشوريون مبدعين عظماء، لكنهم كانوا مشتقين رائعين، يأخذون الاختراعات من أجزاء مختلفة من العالم ويكيفونها مع احتياجاتهم الخاصة.

المركبات التي صممها وصنعها الآشوريون للحروب كانت ثقيلة وقوية، فأصبحت واسعة القطر، وزاد عدد أعمدة قضبان عجلاتها، وأصبح إطارها الخشبي سميكاً، وكل هذا من أجل تحاشي الأخطار الناجمة عن هجوم الفرسان بأسلحتهم عليها وعلى طاقمها.

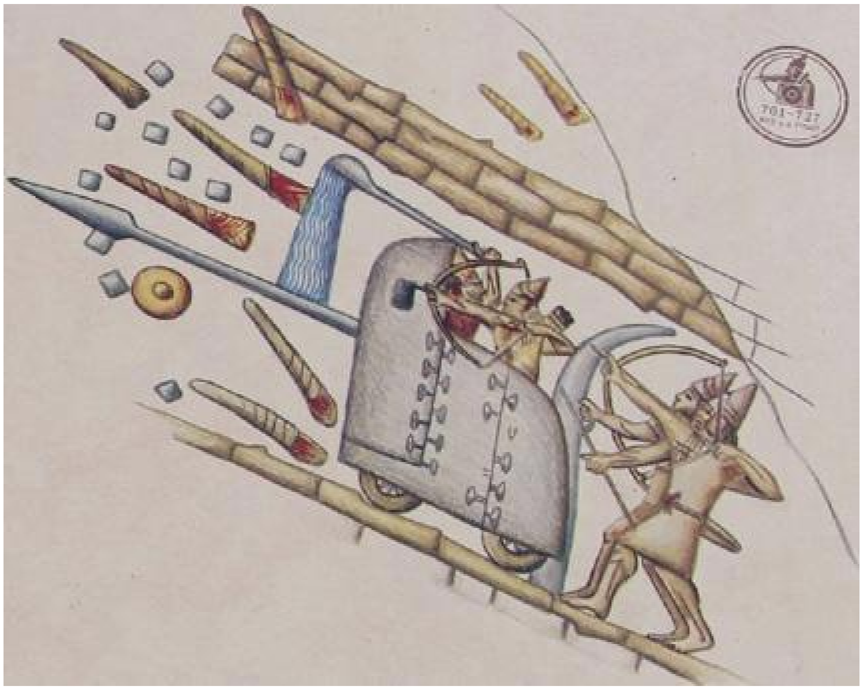
وبهذا الإجراء ازداد عدد أفراد طاقمها فأصبحوا أربعة (السائق، الرمّاح، القوّاس، الجندي المجهز بأسلحة يدوية). وكان هناك فرسان على خيولهم يرافقون المركبة للدفاع عنها ومساندتها.

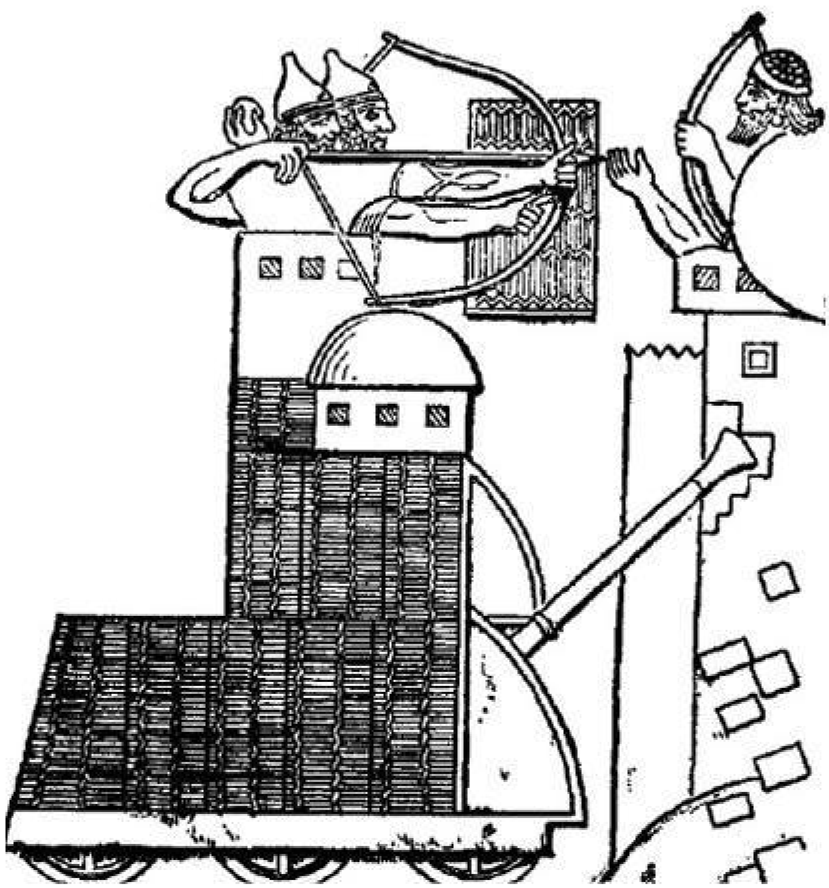




مركبة آشورية ثقيلة

أما آلات الحصار فقد تطورت هي الأخرى، فقد أصبحت تشبه البرج وتدمج بين برج الحصار والمنجنيق وتُرفع على عجلات. أما المنجنيق فكان على شكل ذراع مدببة تستعمل في إحداث فجوات في أسوار المدن المبنية من الطوب بينما تقوم المنصة العلوية بحمل رماة السهام الذين يوفرون الحماية لأولئك الذين يقومون بدك أسوار المدينة.



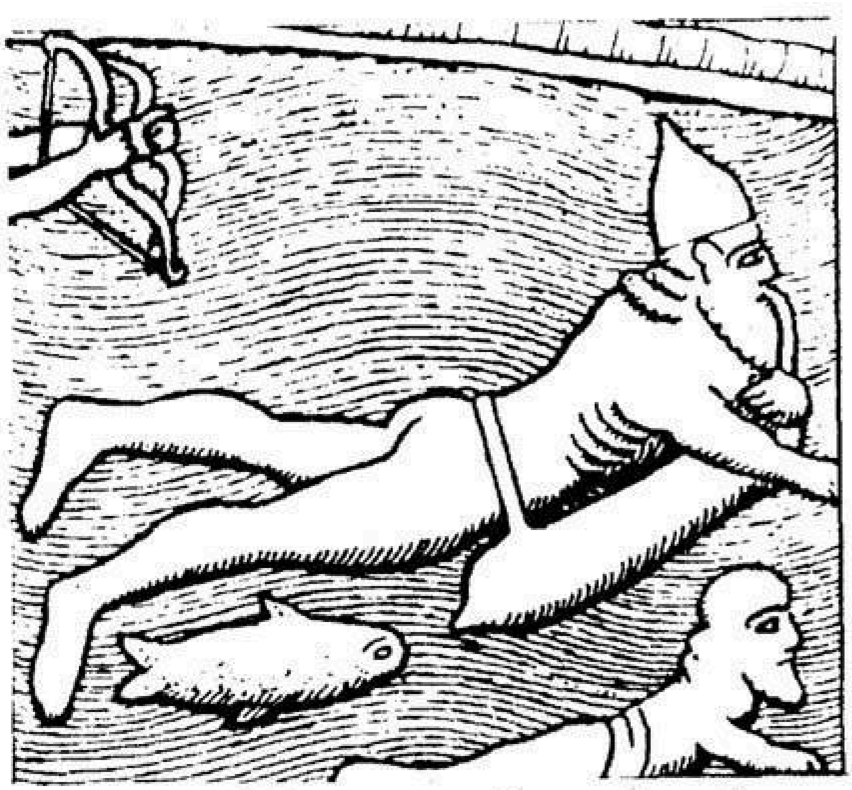


واستخدم الآشوريون الجسور العائمة لعبور الأنهار المحدود العرض، وفي حالات أخرى استعملت الجسور العائمة تدعمها عوامات عبارة عن قوارب كبيرة صنعت من القصب، أضيف لها القار حتى لا يتسرب إليها الماء، وهو أمر تقني متقدم جداً في عصرهم:



جزء من نحت آشوري برونزي بارز، يظهر فيه جسر عائم ويعود لنحو 900 ق.م

التقنية الأخرى التي استخدموها في حروبهم هي القرب المنفوخة التي ينام عليها الجنود فيطفون في الماء أو تجعلهم لا يغرقون ولا تظهر أجسادهم عند عبور الأنهار صوب أعدائهم، أي أنهم استخدموا جلود الحيوانات المنفوخة كعوامات، أما المعدات الحربية كالمركبات، فكانت تفكك إلى أجزاء وتحمل عبر النهر على مراحل، والجلود المنفوخة والقوارب البسيطة (القفف) ما زالت تستخدم حتى هذا اليوم.



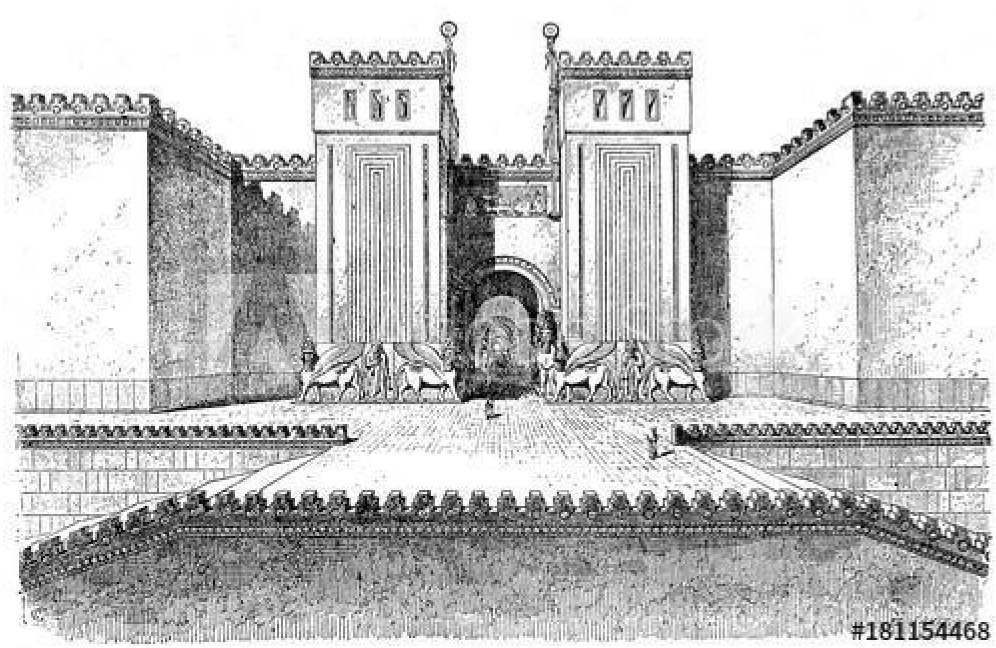
From an Assyrian bas-relief (c. 900 B.C.) in the British Museum

القرب المنفوخة للعوم والتسلل

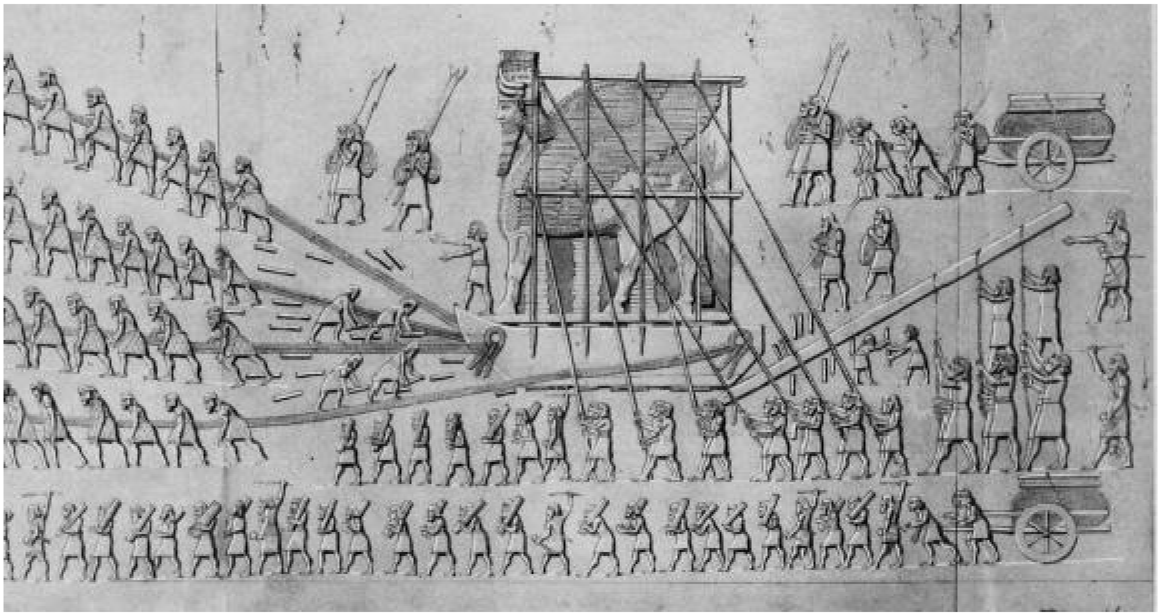
خامساً: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل في العمران

بنى الآشوريون معابدهم وقصورهم في المقام الأول من الحجر، ورفعوها إلى الأعالي بطبقات على شكل الزقورة، أو بمنصات عالية. وبنوا منازلهم، في الغالب، من الطين والطوب والحجر. كانت المنازل مستطيلة، مع وجود عوارض في الأعلى لدعم سقف ترابي. هذا الهيكل وعدم وجود فتحات إلى جانب الباب جعل المنازل رائعة للدفاع ـ ضرورية لمثل هذا الشعب المحارب.

كان الملوك الآشوريون يستثمرون طاقة العمل والمطاولة عند العمال الآشوريين خير استثمار، فقد كانوا ينقلون الثيران المجنح، على سبيل المثال، من مكان صنعها إلى مكان نصبها بطرق تنمّ عن ذكاء هندي عالٍ يقوم على الاستثمار الطبيعي للطاقة والمادة، كما في الشكل.



إعادة بناء قصر أشورناصربال في نمرود، مدينة كاهو الآشورية، الذي بني عام 865 قبل الميلاد. مزين بنقوش بارزة تصور مخلوقات أسطورية



تقنيات نقل ثور آشوري مجنّح في رسومات آشورية

المبحث الثاني: طاقات الطبيعة والإنسان

أولاً: طاقة الطبيعة والمناخ

كان تغير المناخ سيفاً ذا حدين في حياة الآشوريين، فكما ساهم، أولاً، في الصعود التدريجي للإمبراطورية الآشورية الجديدة، فإنه ساهم في انهيارها التراجيدي السريع في الوقت نفسه.

كانت الإمبراطورية الآشورية الحديثة قوة اقتصادية جبارة تشغلها آلة الحرب الهائلة بجيش دائم كبير مع الفرسان والمركبات والأسلحة الحديدية. ولأكثر من قرنين من الزمان، شن الآشوريون الأقوياء حملات عسكرية لا هوادة فيها بكفاءة لا ترحم. لقد قاموا بغزو ونهب وإخضاع القوى الإقليمية الرئيسية عبر الشرق الأدنى والأوسط، حيث حاول كل ملك آشوري التفوق على سلفه. وحكم آشوربانيبال، آخر ملك عظيم في بلاد آشور، هذه الإمبراطورية الشاسعة من مدينة نينوى القديمة وهي مدينة

مترامية الأطراف ذات حجم وعظمة لم يسبق لها مثيل مليئة بالمعابد ومجمعات القصر، مع حدائق غريبة تم ريها بنظام واسع من القنوات والقنوات المائية.

قامت مجموعة بحثية بالتحقيق في الظروف المناخية، على مر القرون القليلة، عندما ترسخت الإمبراطورية الآشورية الجديدة ثم عندما انهارت في النهاية. تتكون المجموعة من:

Ashish Sinha, Gayatri Kathayat, Harvey Weiss3, Hanying Li,Hai Cheng, Justin Reuter, Adam W. Schneider.

قدمت المجموعة سجلاً عالي الدقة ومؤرخاً بدقة للتغير المناخي من كهف كونابا في شمال العراق، مما يشير إلى أن صعود الإمبراطورية حدث خلال فترة زمنية استمرت قرنين من المناخ الرطب بشكل غير طبيعي في سياق الماضي 4000 عام، في حين تسببت موجات ضخمة خلال أوائل منتصف القرن السابع قبل الميلاد، شديدة مثل الجفاف الأخير في المنطقة ولكنها استمرت لعقود، في انخفاض الإنتاجية الزراعية في آشور، وبالتالي ساهمت في انهيارها السياسي والاقتصادي في نهاية المطاف.

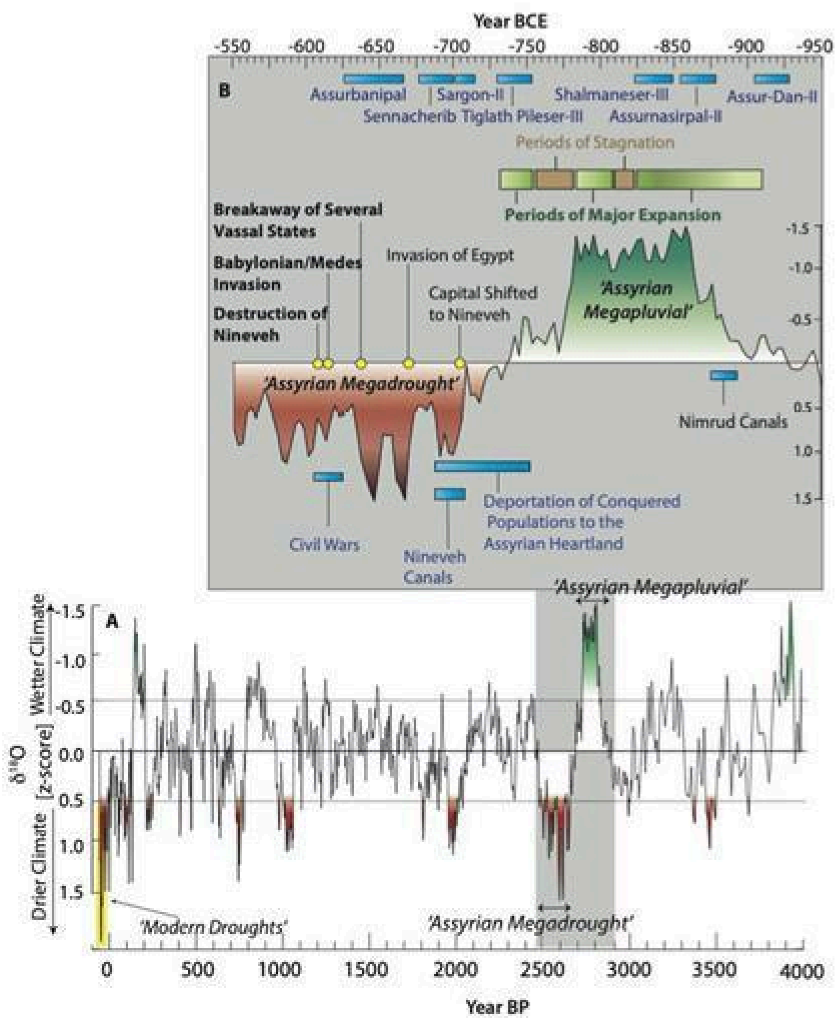
أصبح من الممكن إجراء مقارنة مباشرة بين سجل المناخ الصاعد والسجلات التاريخية والأثرية في المنطقة. لوضع الأحداث الرئيسية للتاريخ الآشوري الجديد في السياق الطويل الأمد لإعادة بناء المناخ.

وجد فريق العمل أن أهم مرحلة توسع للدولة الآشورية الجديدة حدثت خلال فترة قرنين من المناخ الرطب بشكل غير طبيعي، مقارنة مع 4000 سنة سابقة. تسمى هذه الفترة بالفترة المزدوجة الكبيرة، وهي الأمطار الغزيرة بشكل غير معتاد.

إن ما يقرب من قرنين من الظروف الرطبة بشكل، غير عادي، في هذه المنطقة شبه القاحلة سمحت للزراعة بالازدهار وتنشيط الاقتصاد الآشوري. عمل المناخ كعامل

كحافز لإنشاء شبكة كثيفة من المستوطنات الحضرية والريفية في المناطق غير المستقرة التي لم تكن قادرة في السابق على دعم الزراعة.

المرفق البياني المرفق هنا، من بحوثهم، يبيّن أن الفترات المبكرة من بداية ظهور الإمبراطورية الحديثة كانت مترعة بمناخ رطبٍ ساهم في نهضة زراعية وسكانية واضحة، بينما يبدأ المناخ بالجفاف تدريجياً مع بداية حكم الأسرة السرجونية، أي منذ سرجون الآشوري وتزداد وتيرته حتى تبلغ أقصاها مع حكم آشوربانيبال وفترة الملوك الضعفاء بعده، وهو الذي أفقد توازن الإمبراطورية وجعلها تضطرب سكانها وتعجز جيوشها عن الحركة بسبب القحط والجفاف وعدم وفرة الطعام.



نهضة الإمبراطورية الآشورية الجديدة خلال فترة غير معتادة من المناخ الرطب، ثم أنهيارها بسبب جفاف غير عادي.

Ashish Sinha, CC BY-ND

كانت التقلبات المناخية البرية، وهي فترة ممطرة بشكل غير، قد انتهت بالجفاف وأصبح جوهر اقتصادها الزراعي محصوراً في منطقة صغيرة إلى حد ما. خدمت هذه المنطقة الصغيرة نسبياً في شمال بلاد ما بين النهرين كمصدر رئيسي للإيرادات الزراعية وشجعت الحملات العسكرية الآشورية.

تبعتها على الفور موجات ضخمة من الجفاف خلال أوائل إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد. كانت هذه الظروف الجافة القديمة شديدة مثل حالات الجفاف الأخيرة في العراق وسوريا لكنها استمرت لعقود حدثت الفترة التي تميزت بانهيار الإمبراطورية الآشورية الجديدة خلال هذا الإطار الزمني.

تشير بيانات الباحثين إلى انتهاء الفترة الرطبة فجأة، وخضوع المنطقة لموجات عملاقة متكررة بين نزول وانقطاع الأمطار، فيكون هطول الأمطار غير منتظم إلى حد كبير، وتكون الزراعة بعلية مع خطر كبير من فشل المحاصيل. ومن المرجح أن يؤدي فشل المحاصيل المتكرر إلى تفاقم الاضطرابات السياسية في آشور، وشل اقتصادها وتمكين الدول المتنافسة المجاورة. يكون المناخ غير المؤكد والنمو في تعرّض المنطقة، ذاتها، التي كانت ذات يوم تشكل النواة الأشورية، لضربات الجفاف المتعددة السنوات. وكمثال من الحاضر فقد أدى الجفاف الكارثي في الفترة 2007-2008 في شمال العراق وسوريا، وهو الأشد خلال السنوات الخمسين الماضية، إلى فشل محاصيل الحبوب في جميع أنحاء المنطقة. وتقدم حالات الجفاف مثل هذه لمحة عن ما عاناه الآشوريون خلال منتصف القرن السابع قبل الميلاد. ويقدم انهيار

الإمبراطورية الآشورية الجديدة تحذيراً لمجتمعات اليوم. فتغير المناخ موجود ليبقى ويدمّر إن لم يتم التحسب له. انظر (Sinha & Kathayat 2019).

ثانياً: طاقة الفن

ربما هي المرة الأولى، في التاريخ، تستثمر فيها الدولة طاقة الفن لصالح القوة والدعاية لدعم توجهاتها الأيديولوجية، وهو ما يعطينا الحق في القول أن الدولة الآشورية كانت دولة بروباغاندا الفنون، وهو ما نجده اليوم أمراً مهيناً للحضارة ومعيباً لها، لكن الغريب، في الأمر، أن بعض صفحاتها، وخصوصاً في الجداريات الطويلة المنقوشة، كان فنّاً مبهراً لم نجد له نظيراً حتى يومنا هذا. وعلى الرغم من أن العمل الفني يصور الملوك والحرب والجنود لكنهم أبدعوا فيه أيما إبداعٍ. ورسموا هذه المشاهد، أيضاً، على السيراميك والمزهريات والأواني الأخرى المصنوعة من الطين. لم يتم استخدام الحجر للمنحوتات في كثير من الأحيان، ولكن كان يستخدم بشكل متكرر لنقوش مشاهد مختلفة ـ مرة أخرى، في الغالب من الحرب ـ حيث تم نحت الصور في ألواح. بعض من أكثر الأعمال الفنية تعقيداً في آشور هي العاج نمرود. تحمل هذه القطع، التي سميت باسم مدينة نمرود، منحوتات على العاج أو العظم كانت مطعمة عادة في إطار خشبي صغير أو صندوق.

تصنيف الزخارف الأدبية والبصرية الرئيسية للأيديولوجيا الملكية في النصف الأول من تاريخ الإمبراطورية الآشورية (934-746 قبل الميلاد)، ثم تحليلها على أنها»علاقات طاقة». وهذا يشمل العروض الملكية لقصة الملك في السلاح والصيد؛ علاقاته مع النبلاء والمدن والأراضي الأجنبية؛ مفاهيم الهوية العرقية والرسالة الإمبراطورية؛ وأعمال الملك التقية أمام الآلهة العظيمة. في حين أن كل هذه الزخارف الفردية قد لقيت اهتماماً علمياً وعملياً من قبل الباحثين لتفسير العنف والغطرسة في الخطاب السياسي.

فهرسة الزخارف الأدبية والألقاب الملكية والألقاب والعناصر المرئية / الأيقونية الموجودة في النقوش والنقوش الملكية لعشرة ملوك آشوريين جدد، من (934-746 قبل الميلاد). يتم فيها تغطية العديد من المجازات: زخارف المعاملة بالمثل في حسابات الجزية، والأدوار الجندرية، والعلاقات مع الملوك الآخرين.

الفترة الجديدة من العصر الآشوري الحديث قدمت الطاقة الأيقونية على طاقة النصوص المكتوبة لأسباب مهمة، وهي أن النقوش والمنحوتات والرسومات يفهمها الجميع بمجرد مشاهدتها، في حين يصب توفير النصوص للجميع فضلاً عن صعوبة قراءتها. من المحتمل أن تكون هذه نقطة مهمة للغاية، ويبدو أن قائمة طويلة من الصور تثبت ذلك. والسؤال هو هل كان ذلك يجري بتعمد وتخطيط واضحين في الثقافة السياسية وجعل العرض المرئي أو الأيقوني ممكناً أو مرغوباً أو فعالاً؟ وبالتأكيد تكون الإجابة بنعم، لأن تأثير الصور مباشر وآنٍ، بينما تأثير النصوص غير مباشر وهو من متطلبات حفظ التأريخ والأحداث.

ثالثاً: طاقة الصناعة

سنأخذ مثالاً بسيطاً دالاً على اجتماع المنفعة العملية في الصناعة الآشورية مع الطاقة الجمالية والفنية في صناعتها، فقد وردت أسماء وأشكال الأواني حسب استعمالاتها أو سعتها أو الجهة التي تستعملها (القصر، المعبد، العامة.. إلخ)، وسنثبت أسماءها، في هذا الجدول، بالأكدية والسومرية حسب طبيعة استخدامها، حيث يشير ذلك إلى تنوعل تفصيليّ جيد في الطاقة الصناعي، فلم تعد الأواني واحدة ونمطية في شكلها ونوعها وغايتها ومن يستعملها:

المعنى والاستعمال	بالسومرية	بالحرف العربي	بالأكديـ
١- طاسة كبيرة للطعام والتسخين	^{DUG}UTUL	دِ - قَ - رُ	ru
٢- قارورة للزيت	^{DUG}SAGAN	شِك - كَ - تُ	itu
٣- ابريق للبيرة	^{DUG}KA . DU	بِ - خُ	
٤- وعاء للبيرة	^{DUG}LAHTAN	لَخ - تَ - نُ	mu
٥- وعاء كبير للبيرة	^{DUG}MUD	خُ - بُ - رُ	ru
٦- إناء لصنع البيرة	^{DUG}GAKKUL	كَك - كُل - لُ	ullu
٧- إناء للنضح	^{DUG}A . SU	مَس - لَخ - تُ	lahtu
٨- إناء للشراب أو الطبخ مصنوع عادةً من المعدن	^{DUG}ZA . HUM	شَ - خُ	
٩- إناء كبير للشرب	^{DUG}AN . ZA . AM	اس - سَم - مُ	mmu
١٠- طاسة للمراهم الطبية	^{GIS}DILIM . I . SES	نَب- شَش - تُ	astu
١١- إناء للشرب	^{DUG}A . SIG	مَش - قُ	qu
١٢- قدر أو دست خاص بالطبخ	^{URUDU}SEN . TUR	نَن - جُ - سُ	usu
١٣- إناء للتقدمة (للهبة)	^{DUG}BAL	مَق - ق - تُ	qitu
١٤- إناء صغير للرتبة (عبادة)	^{DUG}SAB . TUR	جَ - رُن - نُ	nnu

المعنى والاستعمال	بالسومرية	بالحرف العربي	بالأكدي...
١٥– إناء للبخور	NI . NA	نج – نَك – كُ	...akku
١٦– طاسة للماء أو للبيرة مصنوع غالباً من القصبات المكسورة	GI.NIG.KAS.SUR.RA	كُ – نِن – نُ	...imnu
١٧– إناء للقياس	^{GIS}BA . RI . GA	بَر – ئك – تُ	...iktu
١٨– إناء بسعة نصف قا	^{DUG}SILA . GAZ	سِ–لَ–جَ–زُ	...gazu
١٩– إناء بسعة واحد سوتو	^{DUG}NU.GID.DA/ ^{GIS}BAN	كُب – بُت – تُ / سُ – تُ	...puttu / ...
٢٠– إناء بسعة ٢ سوتو	^{DUG}BANMIM	كَب – نُك – كُم	...ukkum
٢١– إناء بسعة ٣ سوتو	^{DUG}BANES	صبم – دُ	...du

أسماء وأشكال الأواني حسب استعمالاتها أو سعتها أو الجهة التي تستعملها

المرجع (المحمد 2009: 164 ـ 165)

طاقة السلطة والأيديولوجيا في مجرى التاريخ الآشوري وحياتهم:

كانت طاقة السلطة والأيديولوجيا الآشورية قد لعبت دوراً مهماً في تحفيز الطاقة المادية والفنية بشكل واسع، وقد برزت السلطة وأيديولوجيا الدولة الآشورية الجديدة، بوضوح، مع الملكين آشورناصربال الثاني وشلمنصر الثالث على وجه الخصوص. فهناك حوالي 90٪ من الأيقونات الملكية المحفوظة تعتني بإبراز السلطة وأيديولوجيتها، وتمثل الدعاية لهذين الحكام، بالدرجة الأساس، وترسم أيديولوجية الدولة الجديدة الآشورية المبكرة المتاحة للأشوريين، ولا بد من دراسة الخلفية

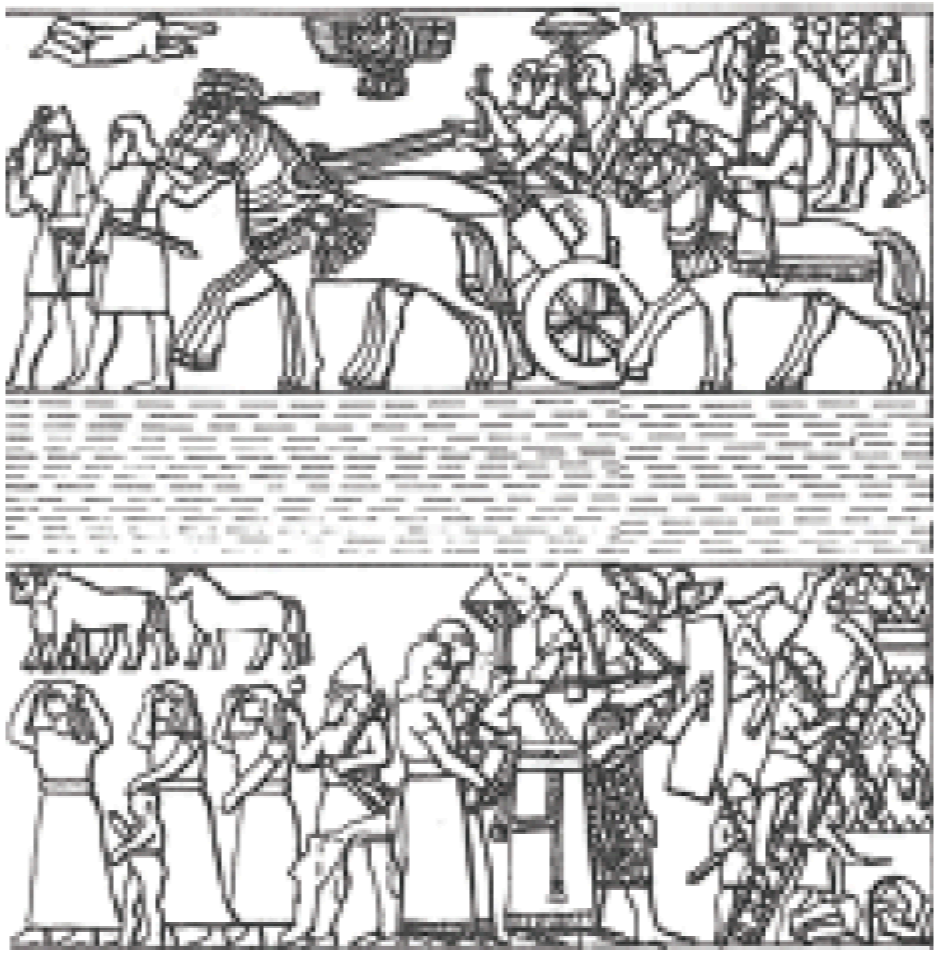
المقدسة لكل هذا بتحليل طبيعة آلهة الملك الآشوري و«الأراضي الأجنبية» لكي تكتمل صورة معرفة هذه السلطة بكل أبعادها.

الملكان المذكوران أعلاه يصوران نفسيهما، باستمرار، على أنهما الرابط بين آلهة بلاد ما بين النهرين والأراضي الأجنبية. وبهذه الصفة، يصبح الحاكم ممثلاً للآلهة العظيمة، المختارة، المدعومة، ولحمايتهم. يوصف الملكان بأنهما»نواب الوصي و«حكام» الآلهة المختلفة. غالباً ما تنص المقاطع السردية على أن الآلهة تساعد وتحمي الملك الآشوري في تحقيق واجباته. مثل حراس الملك، والشعارات الإلهية، والجن، والأشجار المقدسة، والعمالقة.

البراهين القابلة للتأسيس الملكي تعمل مثل محددات إلهية، مثل تبجيل الملك، صور الملك ذات القرون أو الملك الذي يقف على الحيوانات (أي كما يتم تصوير الآلهة)، ويقوم الملك بدور«الكاهن» والخادم فيما يتعلق بالآلهة العظيمة وتعكس هذه الملاحظة الإيمان بالطابع الديني للملكية الأشورية. يتناقض الدور الكهنوتي الواضح للملك الآشوري مع ما حصل في الجنوب (بابل) في مفهوم الملكية. في هذا الدور، يضحي الملكان بالطقوس ويؤدونها تكريما للآلهة، وبالتالي تم تصويرهما على أنهما من الـ«كهنة الذين يرهبون». الحاكم في كثير من الأحيان يصور نفسه وهو يرتدي لباس كهنوتي، يتواصل مع الشعارات الإلهية، وبالتالي يتم تصويره على أنه من«كهنة موقرين». الواجبات الدينية للملك لم يتم سنها فقط في المعابد ولكن أيضاً على سبيل المثال في القصور.فهو في الحالين يظهر كخادم الآلهة العظيمة، يصور نفسه على أنه متواضع، ويقظ، ويطيع وظيفة أخرى للملك فيما يتعلق بالآلهة الكبرى المعنية بالبناء. وقد تم تخصيص كل من الأشياء الكبيرة مثل المعابد وكذلك مختلف أدوات العبادة للآلهة من قبل الملكين. انظر (Karlsson 2013: 111).



الملك آشوربانيبال الثاني، يتوجه الإلهان آشور وعشتار، وهو نقش موجود على خوذة برونزية



الملك آشوربانيبال الثاني كمحارب

نقش على الحجر في قاعدة العرش في شمال غرب القصر، وهو الآن في المتحف البريطاني

المبحث الثالث: الواردات والصادرات الآشورية

الواردات الآشورية:

كانت الواردات الآشورية، في مجملها، من المواد الخام، بينما كانت الصادرات من المواد المصنّعة، وتعكس لنا هذه الحقيقة قدرة الآشوريين على استثمار المواد الأولية في بلدهم والمستورد منها وتصنيعها وتصديرها.

كانت الواردات المعدنية الخام، من بلاد الأناضول، كالذهب والفضة والحديد (من كوما وحرّان)، والخيول (من كبادوكيا). فقد كانت آشور بحاجة كبيرة للحديد بشكل خاص حين بدأت استثماره في تصنيع العربات والأسلحة وغيرها. وشكّلت الخيول حاجة ضرورية جداً لهم ساعدتهم في النقل والحروب.

استوردوا القصدير من منطقة قره داغ قرب تبريز في إيران وأواسط آسيا.
واستوردوا خشب الأرز من لبنان والعاج من أفريقيا، والبخور من بلاد العرب واليمن.

«استورد الآشوريون مختلف أنواع المعادن كالذهب والفضة والقصدير والنحاس والرصاص ومختلف أنواع الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والصخور وأصناف من الأخشاب مثل الأرز والأبنوس وخشب القس واللؤلؤ والعاج والكثير من المواد الضرورية التي لا تتوفر في بلادهم. ولعدم ثبات توفر المواد الغذائية بصورة دائمية، حيث كثيراً ما كانت تشح نتيجة قلة مياه الإرواء أو عدم توفرها أو زيادتها لحدوث فيضان مدمر بسبب الآفات الزراعية، فقد صار اهتمام الآشوريين بالتجارة الخارجية كبيراً. وذكر الملك آشور ـ بيل ـ كالا عن استحصال والده تجلات بلاصر الأول (1115 ـ 1077) ق.م، على حيوانات أراد تكاثرها في بلاد آشور كالجمل ذي السنامين لا بد أن جاء بها التجار عن طريق جبال زاجروس. وربما يكون حيوان البورخيش الذي ذكره هذا الملك هو ثور الثبت الطويل الصوف الضخم المعروف بالياك الذي وصل هو الآخر إلى آشور عن طريق التجارة، وجلبوا اللؤلؤ من الخليج العربي والعاج من الهند ومصر وأفريقية سواء بصورة مباشرة أو عن طريق الفينيقيين، وتدل كثرة قطع العاج التي عثر عليها في المواقع الآشورية خاصة في نمرود على مدى اعتماد

الآشوريين على التجارة الخارجية خاصة في جلب هذه المادة». (الأحمد 1991: 192).

«استورد الآشوريون اللازورد من بدخشان في أفغانستان وبكتريا. وربما استوردوا العقيق الأحمر واليشب والجزع (العقيق اليماني) من عربستان حيث وجد منها في حوض نهر الكرخة، أو أنهم استحصلوها من الهند، وجلبوا الزمرد والشذر من مصر، كما حصلوا على أحجار شبه كريمة من أرمينيا واستوردوا الصخور المنحوتة على شكل جعارين من مصر. وحصل الآشوريون على كثير من الأحجار الكريمة من صيدا والمدن البابلية والمصرية. وقدمت القبائل الميدية جزيتها إلى الملك أسرحدون باللازورد الذي قدمته أيضاً المناطق شمال شرق ميديا إلى تجلا تبليزر الثالث والتي كانوا يستحصلونها من بدخشان، وعثر سرجون الثاني على كميات كبيرة من اللازورد في قصر مصاصير (بمنطقة راوندوز)، ويعزى ثراء مصاصير إلى ارتباطها بخطوط التجارة عبر جبال زاجروس بأواسط آسيا وبدخشان، كما استحصل الآشوريون على الأحجار الكريمة من بلاد العرب وساحل البحر الأحمر وقدمت أيدوم إليهم جزيتها بالزمرد وقدمت مناطق نائيري وسورو جزيتها إلى الملك توكولتي ننورتا الثاني (890 ـ 884) ق.م، بالحديد». (الأحمد 1991: 193).

الصادرات الآشورية:

استثمر الآشوريون خامات أرضهم ومنتجاتها وقاموا بتصنيعها وتصديرها، فقد صدروا المحصولات الزراعية، والصوف الخام، والأقمشة للأناضول وفينيقيا.

وقاموا بتصنيع النحاس وتصديره لأغلب البلاد من حولهم، وصدروا الدبس والتين والجلود والزيوت.

كما صنّعوا العاج المستورد وصدروه كلوحات محفورة، وصدروا الزجاج الشفاف والملون والطاسات المعدنية والصحون.

«ظهر الرصاص في العصور الآشورية واسطة تبادل إلى جانب الفضة. وفي زمن الملك سرجون الثاني كانت نسبة الفضة إلى الذهب (1: 10) أي أن فضة العملة أصبحت أرخص نوعاً. وكانت الفضة المختومة واطئة من حيث الجودة خلافاً للفضة التي كانت تستعمل صناعياً، وكانت الأنظمة الرسمية الآشورية تمنع استعمال هذه الفضة حيث ورد في النص: «إذا صهرت قطعاً فضية تحوي علامة فإنك ستكون مذنباً بحق الدولة» وكانت هذه العلامة المختومة تشير إلى محتواها الأدنى من الفضة مضبوطاً. وهكذا تعد مزيجاً فضياً وليست فضة خالصة. وجاء في نص القول«أرسل لي فلان 20 شيقلاً فضة كانت ثلاثة منها فقط جيدة النوعية أما البقية فمختومة بعلامة» وورد في نص آخر«5 شيقلات فضة لقاء ثلث شقل ذهب»، ويحدد نص آخر سعر الذهب والفضة بالنسبة إلى المعادن الأخرى..» (الأحمد 1991: 196).

الفصل الثاني عشر المظهر الديني



شعار الإله آشور، في قرص ناريّ يرمي بقوسه، بجناحي وذيل نسرٍ

https://www.wisdomlib.org/mesopotamian/book/myths-and-legends-of-babylonia-and-assyria/d/doc7173.html

درج الباحثون في الحياة الآشورية على المرور سريعاً على الدين الآشوري باعتباره نسخة مشابهة للدين البابلي، ورغم التقارب في كلّ مكونات الدينين البابلي والآشوري لكن هناك صفات خاصة امتاز بها الدين الآشوري عن الدين البابلي على مدى تاريخه الممتد من حوالي 2600 ق.م وحتى سقوط الدولة الآشورية في حدود 609 ق.م. بل سيبدو الأمر

للمتمعن الفاحص الدقيق أن هناك ديناً قائماً بذاته تطورت فيه الكثير من النُّظم والرؤى والأفكار بطريقة مميزة، وأصبح مكوّن المعتقدات الدينية خاصاً بآشور، وساهم مع بقية المكونات الأخرى بإضافات نوعية مهّدت لبعض لأديان أو التي تلامست أو حلّت في وادي الرافدين، فقد ساهم الدين الآشوري بالتمهيد للديانة الزرادشتية، وساهم في تطوير الديانتين العبرية واليهودية.

القسم الأول: المكونات الرئيسية للدين الآشوري

المبحث الأول: المعتقدات الدينية

أولاً: المعتقدات الألوهية

تعدد الآلهة (بوليثيزم Polytheism):

كان نظام التعدد الإلهي هو السائد في الديانة الآشورية، وبقي حتى نهايتها، فقد ورثت الشجرة الإلهية الآشورية معظم الآلهة الأكدية والبابلية، وجرى التركيز على بعضها أو تخفيف حضور بعضها الآخر، لكن طارئاً حصل معها لم يحصل مع ديانة رافدينية قبلها وهي محاولة تنزيه وشمولية الإله (آشور)، وهو الإله القومي لهم، ومحاولة جعله إلهاً شاملاً مع الإبقاء على الآلهة الأخرى. وهذا يعني أن تعدد الآلهة كان نظاماً شكلياً، وخصوصاً في بلاد آشور التي جنحت، يوماً بعد آخر، نحو التفريد والشمولية ونزعات التوحيد المرتبطة بالإله آشور، وكذلك مجّدت القوة فعبدت الآلهة الأقوياء مع آشور مثل (ننورتا) خلفه و(أدد) و(زبابا) و(نرجال).

تفريد الآلهة (هينوثيزم Henotheism):

ورثت الديانة الآشورية من سومر وأكد وبابل مبدأ التفريد وجعلت من آشور إلهاً تفريدياً في بداية الأمر، لكن الكهنة الكبار وجدوا أن هذا لا يكفي لكي تتميز آشور عن غيرها فرفعت الإله آشور إلى الشمولية، وحظيت غيره من الآله بالتفريد وخصوصاً الإله ننورتا وريث (وليس ابنه، لأنه لا ولد ولا أباً له: لم يلد ولم يولد!)«وقياساً على ذلك من المعقول القول: إنه وبالنسبة للعالم الإلهي فإن جميع الآلهة في نهاية المطاف ما هي إلا تمثيل لإله واحد محيط بجميع القوى الإلهية، وإننا نجد هذا الأمر موجوداً في عدد من النصوص ـ مثلاً ـ النص التالي الموجه للإله نينورتا:

عيناك أيها الرب هما تمثلان الإله إنلنيل ونينيل

وشفتاك تمثلان آنو وأنتو

وأما جبينك فهو يمثل الإله شالا وهي زوجته المحبوبة التي تفرح القلب

وأما عنقك فيشبه ويمثل الإله مردوخ.

وأما رأسك فيمثل الإله حدد

الذي خلق السماء والأرض.

وكقضية جانبية من الممكن أن نشير أن هذا الشعر يمثل مظهراً آخر لذلك الزخم والتدفق الذي حدث داخل المجتمع الإلهي وعلى الرغم من محاولة اللاهوتيين تبني وجهة نظر واحدة متماسكة.

هنا يقول الإله حدد: ((هو الذي خلق السماء والأرض)).

وكان قد مُنح عدد من الآلهة الأخرى نفس اللقب، وكذلك فقد كرمت كثير من الآلهة بالقدرة على الخلق بالنسبة لعلم الأساطير». (ساغز 2008: 301 ـ 302).

شمولية الإله القومي (بانثيزم Pantheism):

تميزت الديانة الآشورية، دون غيرها من ديانات وادي الرافدين، برفع الإله القومي لها من درجة التفريد إلى درجة الشمولية أو العالمية (بانثيزم Pantheism)، وهناك نص لهاري ساغز يقول عن آشور:

«إن كوكب المشتري هو كوكب آفل (سن) (وهو الاسم الذي يطلق عادة على القمر) وأن الإله (سن) هو آشور، ثم يستمر هذا النص في القول: إن نجوماً أخرى محددة مرتبطة بآلهة أخرى هي نجوم الإله آشور. فهل إن الاعتراف بالآلهة الأخرى كمظهر من مظاهر وجود إله واحد، إنما تمثل الاعتراف بالوحدانية؟» (ساغز 2008: 302).

وحدانية الإله القومي (مونوثيزم Monotheism):

تزامنت نزعات التوحيد الآشورية الخاصة بالإله (آشور) مع ظهور الإمبراطورية الحديثة، ويبدو لنا التوحيد شبه مستحيل في حديقة آلهةٍ تتناسل وتلد سبع طبقات من الآلهة، فقد ورث الآشوريون كل العصارة الثيولوجية من آلهة وادي الرافدين مع قصصها وأساطيرها وأناشيدها، لكننا سنحاول البحث عن ما أسميه بنزعة الوحيد التي انبثقت من شمولية الإله آشور، ذلك الإله الذي لم يستحوذ على كلّ الآلهة ويستنسخهم في شخصيته مثلما ما فعله مردوخ وهو ينسج أسماءه الخمسين من أسماء وصفات الآلهة الكبيرة والصغيرة، ربما يكون آشور قد فعل العكس تماماً، فنراه مبتعداً متعالياً متفرداً طائراً في أفق الكون لوحده يرفض أن يكون له معبد ويرفض أن تكون له زوجة وولدٌ وأبٌ. حتى الكوكب العظيم (المشتري) الذي كانت تستحوذ عليه الآلهة القومية لشعوب وادي الرافدين والعالم القديم كلّه استغنى عنه وتركه لمردوخ البابلي الذي كان في مجمع الآلهة الآشورية كإله محترمٍ ومهيب.

مجمّع الآلهة ومجالسها: تتضح الصورة النهائية لمجلس الآلهة الآشورية بصيغة عشرة من الآلهة يترأسها الإله آشور ويقف على مسافة من مجلسها التاسوعي، لأنه إله متفرد نزّاع

نحو التوحيد وهؤلاء الآلهة التسعة بالنسبة له هم مجرد موظفين أو سفراء وهو بمثابة إمبراطور الآلهة. ويبدو أن مجالس الآلهة التي عرفناها عند السومريين والبابليين قد اختصرت في هذا المجلس العاشوري.

كان مجلس الآلهة التسعة يسمى (رابوتي) وليس (أنوناكي)، كما كان يسمى عند السومريين والبابليين والذي يتكون من سبعة آلهة وليس عشرة. أما الآلهة التسعة (متسلسلة حسب أعدادها الرمزية المقدسة) فهي كما يلي:

مجلس الآلهة الآشورية التسعة (رابوتي)

وقد يرد سؤال في الذهن، وهو ـ ما هو العدد الرمزي للإله آشور؟، ورغم أننا لم نجد ما يشير لهذا، لكننا يمكن أن نخمّن، على ضوء شمولية آشور، بأن عدده هو اللامتناهي، أو 360 باعتباره يمثل عدد الأفق الدائري الذي يجوبه آشور، لكن هذا مجرد تخمين.

المواحي:

تظهر مع الآشوريين ظاهرة المواحي (من جمع وتأنيث وحي) وهي الرسائل التي كانت تصل من الآلهة للأباطرة الآشوريين «وجدت بعض النصوص التي تعود إلى الألف الأول ق.م. في آشور وهي تحمل رسائل تختص بخير البلاد ولكنها تتألف من تقنيات مختلفة، فهي ليست آشورية صحيحة، نظراً لأن هناك أمثلة منها في أجزاء أخرى من الشرق الأدنى القديم وبما في ذلك التوراة ولكن بالنسبة لمنطقة ما بين النهرين كانت هذه منقولة من آشور، وحتى في آشور لم تكن شائعة والنصوص التي نعنيها تختص بالمواحي التي يصدرها أشخاص ملهمين وعادة كنَّ نساءً من اللواتي كنَّ يدعين أنها رسائل موجهة إلى الملك من أحد الآلهة وفي ما يلي مثال مما تقوله المواحي: (لا ينبغي أن تخاف يا أسرحدون، إنه أنا الإله الذي يتحدث إليك، وقد فتشت في أعماق قلبك مثل والدتك التي وهبتك الحياة، هناك ستون إلهاً عظيماً يقفون معي لحراستكم فالإله (سن) واقف بجانب

يدك اليمنى والإله شمش واقف بجانب يدك اليسرى، وهناك ستون إلهاً آخرون يقفون حولك وهم يطوقون الإعصار.

لا تثق بأي إنسان بل وجّه عينيك إلى جهتي انظر إلي.

أنا عشتار إلهة أربيل ولقد وهبتك عشتار الهناء).

وعندما كنت صغيراً حملتك بين يدي لا تخف بل احترمني». (ساغز 2008: 412-414).

ثانياً: المعتقدات (الدنيوية) العملية

الملك الكاهن الأعلى: انفردت الديانة الآشورية بجعل الملك هو الكاهن الأعلى ويأتي بعده الشانكا الذي هو الكاهن الأعلى العملي، لكن الملك جمع بيده السلطتين الدينية والدنيوية، وربما كان هذا سيفاً ذا حدّين، فقد أحكم الملك سيطرته على المؤسسة الدينية وحدّ من نفوذها وما عاد بالإمكان أن تتلاعب بمصيره، ولكن هذا جعل سلطته الدنيوية منفلتة ومبالغاً بها والتي ذهب بالملوك الآشوريين إلى أقصى الطموحات الإمبراطورية التي فوّضت الإمبراطورية، كان يمكن أن يقل غلواء الملك العسكري والمدني عن طريق رادع ديني تقوم به المؤسسة الدينية، ولكن ذلك لم يحصل.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

1.المؤسسة الإلهية

من إنليل السومري إلى مردوخ البابلي إلى آشور الآشوري:

استطاع السومريون صياغة إلههم القومي (إنليل) بطريقة تفريدية متقنة بدأت بتفوقه على الإله المنافس له وهو إنكي إله الماء الذي كان أخاً له من (آن) إله السماء، وقام بتنحيته من نفوذه ونقل المركزية الدينية السومرية من مدينة إنكي (أريدو) إلى مدينة إنليل (نيبور)، ربما حاولوا جمع صفاته من آلهة أخرى (رقمه 50 يدل على أن له 50 صفة)

لكنه كان رئيس مجلس الأنونا (الخمسين) فهو يترأس المجلس الإلهي الأعلى. وقد كانت لهذه الصياغة أثرها الكبير على ثيولوجيا وادي الرافدين لأنها ظلت مسيطرة عليه.

في أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إليش) ظهر الإله ميروداتش Merodach (مردوخ Marduk) كإله قومي للبابليين ولكنه لم ينحدر، نسلياً، من إله السماء (آنو)، كما هو حال إنليل، بل انحدر من الإله (إيا)، وهو الاسم الأكدي للإله إنكي، ولكنه احتل مكان والده وأصبح هو بطل الآلهة في بابل، ثم تمّ تفريده، بعد الانتصار على تيامت، ونقلت السيادة من مدينة أريدو، مدينة إيا، إلى مدينة بابل، ثم أصبح له خمسون اسماً وبدا كما لو أنه امتص شخصية ووظائف خمسين إلهاً بابلياً معه.

كما أنه مرتبط بشكل مباشر بشماش، إله الشمس الرئيسي للبانثيون اللاحق، وغالباً ما يتم تناوله على أنه «إله القنوات» و«فتحت نوافير تحت الأرض». في المظهر، عادة ما يتم رسمه بألسنة نار تنطلق من شخصه، مما يشير إلى شخصيته الشمسية. في أوقات أخرى، يتم تمثيله على أنه يقف فوق العمق المائي، مع مخلوق مقرن عند قدميه، والذي يعمل أيضاً أحياناً على ترميز Ea. من الجدير بالذكر أيضاً أن معبده في بابل يحمل نفس الاسم إيساجيلا (E-Sagila) «المنزل النبيل أو العالي» ـ مثلما كان ملاذ إيا EA في أريدو.

لنتأمل في هذا النص البابلي ونتعرف على تفريد مردوخ:

«(إن الإله) «تون» هو مردوخ فيما يخص الملاحة،

«لوجال ـ إن ـ كي ـ ا» هو مردوخ بوصفه إله الينابيع،

«نينورتا» هو مردوخ بوصفه إله المعزقة،

«نركَال» هو مردوخ فيما يخص المعركة،

«زبابا» هو مردوخ فيما يخص الصراع

«إنليل» هو مردوخ فيما يخص السيادة والاستشارة

«نابو» هو مردوخ فيما يخص الحسابات

«سين» هو مردوخ حينما ينير الليل

«شمش» هو مردوخ في كل ما يخص العدالة

«أدد» هو مردوخ فيما يخص المطر

«تيشباك» هو مردوخ فيما يخص الفنان

«الإله الكبير» هو مردوخ بوصفه إله كرزيزو

«شوكامونو» هو مردوخ حينما يتعلق الأمر بالسلّة

«إيا» هو مردوخ لمدرة الطين». (لابات 1988: 75)

وهنا يبدو أن مردوخ قد استوعب خصائص أغلب الآلهة المهمة لدرجة أنه كاد يثبت موقعه كإله وحيد في بابل، وبالتالي تم التوصل إلى درجة التفريد، التي جعلته بين التعدد والتوحيد، وهذه قفزة نوعية بالنسبة لإنليل السومري الذي انطوى هو الآخر، في النص أعلاه، في جعبة مردوخ.

الإله القومي للآشوريين هو (آشور) الذي ولد من لخمو (وهو إله بدئي سبق آنو)، في حين ولد الإله البابلي مردوخ من الإله (إيا) إله الأرض والماء والحكمة. وقد أخذ الإله آشور أغلب صفاته من الإله إنليل، فقد قام شمشي أدد الأول في مطلع القرن الثامن عشر قبل الميلاد بنقل الفكر الديني لمدينة (نيبور) التي كانت العاصمة الدينية لسومر وإلهها هو (إنليل)، ومع بداية السلالة السرجونية بدأ نقل صفات الإله مروخ البابلي للإله آشور، وهكذا أصبح هذا الإله حاملاً لصفات الإلهين القوميين لسومر وبابل فضلاً عن حمله لرمزية القرص

السماوي للشمس الذي كان يتّصف به الإله شمش الأكدي، وهكذا بدا كما لو أنه يحمل كل إرث الآلهة القومية في بلاد الرافدين. كان الإله آشور مرتبطاً بالقرص السماوي المجنّح والذي يظهر أحياناً في وسطه وهو يرشق السهام. وكانت زوجته هي الإلهة (عشتار) التي تظهر نزوعاً حربياً مقاتلاً أكثر من كونها إلهة خصبٍ وتكاثر. ونرى أن آشور هو الاسم الذكري لعشتار حيث آشور وإشتار يتناظران في نطقهما ومعروف أن حرف التاء الموجود في عشتار هو للتأنيث.

يتركز دين الدولة في بلاد آشور في العصرين القديم والوسيط، وفي الإمبراطورية الواسعة الراسخة في العصر الآشوري الحديث، ولذلك نلاحظ أنه عند سقوط الدولة الأشورية، سقط آشور معها. علاوة على ذلك، يمكن القول أن كل آلهة آشور قد تم دمجها في شخصه من خلال عملية تفريد واسعة، حصل هذا بشكل أرفع مما حصل مع مردوخ من خلال الأمور الآتية:

1. كل الآلهة موجودة في آشور ضمناً وهو تفريد عميق وواسع وشامل.

2. أصبح آشور رمزاً كونياً مبتعداً عن كونه إله كوكبٍ ما أو إله سماءٍ أو أرض أو وظيفة محددة، فعلى سبيل المثال سيكون في حسباننا أنه لا بد أن يكون إله المشتري (كما كان نظيراه إنليل ومردوخ)، ولكنه لم يفعلها وأبقى مردوخ البابلي في البانثيون الذي يترأسه إلهاً للمشتري، وكذلك أبقى إنليل بل وسلب إنليل صفة زوجته ننليل.

3. تعمقت صفة التفريد القومي بصفة الشمول العالمي للإله آشور الذي أصبح يسمى إله العالم، وكان الفاتحون والمحاربون الآشوريون يطلبون من الشعوب الأخرى أن تهتم به بالإضافة لبقاء آلهتهم الخاصة بهم. وهذا تطور كبير ومهم يمكن أن نسميه بدرجة رابعة تقع بين التفريد والتوحيد وهي (الشمول) فهو إله شمولي من الطراز الرفيع. أي أن الآلهة الآشورية الأخرى أصبحت سمات آشور، ولا يمكننا أن نفهم إلا الآلهة الآشورية المتبقية إذا اعتبرناها أقل من الأشور، إذا جاز التعبير، على أنها أضواء مكسورة لإله عظيم من المعركة والفتح.

4. التطور الخطير والمهم الذي سينجم عن مركزية وشمولية آشور هو أن الآلهة ستذوي تدريجياً وتحلّ محلها، بالفعالية والحضور، كائنات الأبكالو والجن الإلهية أو (الملائكة الآشوري) والتي ظهرت في أشكال الإلهة الحامية (لماسو وشيدو وغيرها) أو في الجن الهوائية أو الأبكالو المائية، كل هذه الكائنات اكتسحت الآلهة الآشورية في أهميتها، وأصبحت تُشكّل عناصر عالم إلهي ضوئي، في حين ظهرت كائنات وأرواح شريرة هي الشياطين التي شكّلت عناصر عالم مظلم وشرير ومرضيّ.

5. الصفة الأعظم لآشور أنه لم يُصنع له تمثال (صنم)، أي أنه لم يتجسّد بشكل بشريّ أو حيواني لمزيد من إبعاده عن أشكال الآلهة الأخرى بل كان له رمز واحد محدد، وظهر بعدد قليل جداً من أعمال الرسم على الزجاج وغيرها.

6. كان مردوخ، مثلاً، له مكان ثابت واحد بشكل رئيسي في بابل. وحين أصبحت الأراضي البابلية الأخرى خاضعة لتلك المدينة لا نجدها تضع إله بابل فوق إلهها المحلي. وكانت مدينة آشور هي مركز عبادة الإله آشور، لكنه لم يكن له معبد خاص به بل كان مقر عبادته مع عشتار في معبدها، رغم أنهم صنعوا معبداً له قرب معبدها في فترات مبكرة، لكن رموزه كانت موجودة في كالح ونينوى ودور ـ شروكين فقد كانت ترافق مكان استقرار الأباطرة الآشوريين.

نشأ آشور في مدينة (تاريبو) التي تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ليست بعيدة عن نقطة الزاب الأسفل، ولم يكن بصفاته التي نعرفها، فربما كان إلهاً للشمس آخر، أو للقمر، أو للنار، لكننا نرجّح أنه كان الإله الذكري لكوكب الزُّهرة (آشور) الذي كانت إلهته (أشتار أو عشتار) التي نرى أنها الاسم المؤنث لاسمه. وقد ذكرنا في كتبنا السابقة بأن عشتار أو أشت ـ آر تعني (النار المؤنثة للأرض أو القريبة من الأرض) وحين ندقق في هذا المعنى فسنعرف أن هذه الكتلة النارية القريبة من الأرض هي كوكب الزّهرة. وهي فعلاً إلهة الزُّهرة. وهكذا هو آشور فهو (أش ـ آر) أي نار الأرض، فهو النار الذكرية القريبة من الأرض، ولهذا يظهر محاطاً بدائرة النار. لكن آشور، بطبيعة الحال، تطوّر وأصبح إلهاً تفريدياً ثم إلهاً شمولياً.

كذلك يُشتق اسم آشور من جذر يعني «أن تكون كريماً»، وبالتالي يعني»الإله الكريم»، «الإله الصالح». ولكن هناك دلائل تشير إلى وجود شكل أقدم للاسم، موجود في سلالة الآلهة قبله أن شكل فقد وضع اسمه بدل اسم شبيه به وهو (أنشار = دائرة الأفق الأعلى) الذي زوجته (كيشار = دائرة الأفق الأسفل)، وإن أنشار هو الذي أرسل الآلهة آنو وإيا ومردوخ لتدمير الإلهة الأم (تيامت) التي شيطنوها وجعلوا منها غولة متوحشة ترمز للشر. ورغم أن ذلك لا نجده في النص البابلي حرفياً، لكن هناك إشارات آشورية له قد تكون ملمحاً من النسخة الآشورية لأسطورة الخليقة التي ما زلنا نفتقد وجودها.

أخذ الآشوريون عقيدتهم في تكوين العالم والخليقة عن ملحمة الخليقة البابلية، وأصبح الإله القومي«آشور» محل الإله القومي البابلي «مردوخ» لكن مضمون الملحمة بقي واحداً في أغلب مكوناته.

«كان الآلهة العظيمة تُصوَّر على أنها متعالة كونياً، ولكنها كانت تلعب دوراً مركزياً ومهماً في السيطرة على الأراضي الأجنبية، وبعبارة أخرى، كان يتم تصور الآلهة العظيمة كمالكين وسادة في جميع أنحاء العالم على حد سواء، كانت سيطرتهم على الكون تنطوي على السيادة الكونية الأسطورية، في حين أن السيطرة على العالم كانت تعبّر عن نوع دنيوي من السيادة، ويتضح ذلك من خلال الألقاب والسمات الإلهية. الإله آشور يوصف بأنه (ملك كل الآلهة العظيمة)، والإله ننورتا يُشار له على أنه (الابن الأول لإنليل)، والإلهة عشتار تُعرف بأنها (الموجودة قبل كل شيء في السماء والعالم الأسفل)، وهناك ما يشير إلى خصائص القوة الخاصة بكل إله، لكن هناك ما يشير أيضاً إلى وجود القوة العامة للجميع..»(Karlsson 1913: 58).

2.المؤسسة الكهنوتية

المعبد الآشوري

كان المعبد يسمى (أشرّا) وتعني (بيت الجميع)، والغريب أن المعبد الرئيسي والوحيد تقريباً لآشور ظل فريداً في المدينة التي تسمت باسمه ولم يظهر في مدنٍ أخرى، أما الطقوس والشعائر الآشورية فكان يقوم بها الكهنة الآشوريون وهم كهنة طقوسٍ وشعائر، في غالبيتهم، وكان فيهم، فضلاً عن ذلك، الرائي والمتنبئ والعرّاف والطبيب الخاص بطرد الأرواح الشريرة.

«ربما يتوقع المرء أن تكون عبادة الآلهة مرتبطة بالمعابد، والحقيقة أنها كانت كذلك مع أنها لم تكن محصورة بالمعابد حين كان القصر الملكي مهتماً بشؤون العبادة، هذا ولدينا عدد كبير من النصوص الواردة من المعابد البابلية، أكثر منها من المعابد الآشورية، وهكذا فنحن بالتالي نعرف معلومات أكثر عنها. ونظراً لذلك علينا أن نتجنب ذلك الانحراف بملء الفجوات حول المعابد الآشورية من المعلومات التي نعرفها حول المعابد البابلية، لوجود فروق كبيرة بالتأكيد». (ساغز 2008: 204).

لم تكن العبادة تقتصر على المعابد بل كانت تحصل في القصور، وكان هذا يشير إلى ميل دنيوي في العبادة الآشورية. كانت سلطة المعابد في آشور أقل، ولم تمتلك الأراضي والضيع مثل بابل، كانت أملاكها أقل بكثير ولذلك ضعفت سلطتها.

«إلّا أن المعبد كان يختلف من ناحية واحدة عن القصر فقد كان يحتوي على برج ذي درجات (وكان هذا البرج مربعاً في آشور) (الزقورات) وهو يحتوي على سبع درجات، وهناك صورة موجودة على ختم أسطواني يقدم لنا فكرة عن شكله، وهناك عدة زقورات في آشور تلك الموجودة في نمرود وهي عبارة عن تلة مرفوعة من صنع الإنسان مع أنها لا تُظهر بوضوح شكلها المدرج. أما بالنسبة للزقورات المعروفة في آشور فكانت حجومها الأصلية تتدرج من ثمانين قدماً مكعباً حتى ما يزيد عن (200) قدم مربع (أي: من 24 متراً مكعباً إلى 62 متراً مكعباً) وكان في ورسبال بقايا زقورة تحتوي على أربع درجات مع وجود درج منحدر عرضه ستة أقدام مصنوع من الآجر المشوي وهو محمي من الخارج بمتراس دائري. وأما الأوجه العمودية للدرجات الأربع فقد كانت مطلية بالجص ومدهونة

باللون الأبيض والأسود والأحمر والأزرق بالتوالي، وكانت هذه تدل على رموز دينية لم نفهمها ومن الممكن أن يكون هناك ثلاث درجات ولكن ليس هناك من دليل على ذلك». (ساغز 2008: 306).

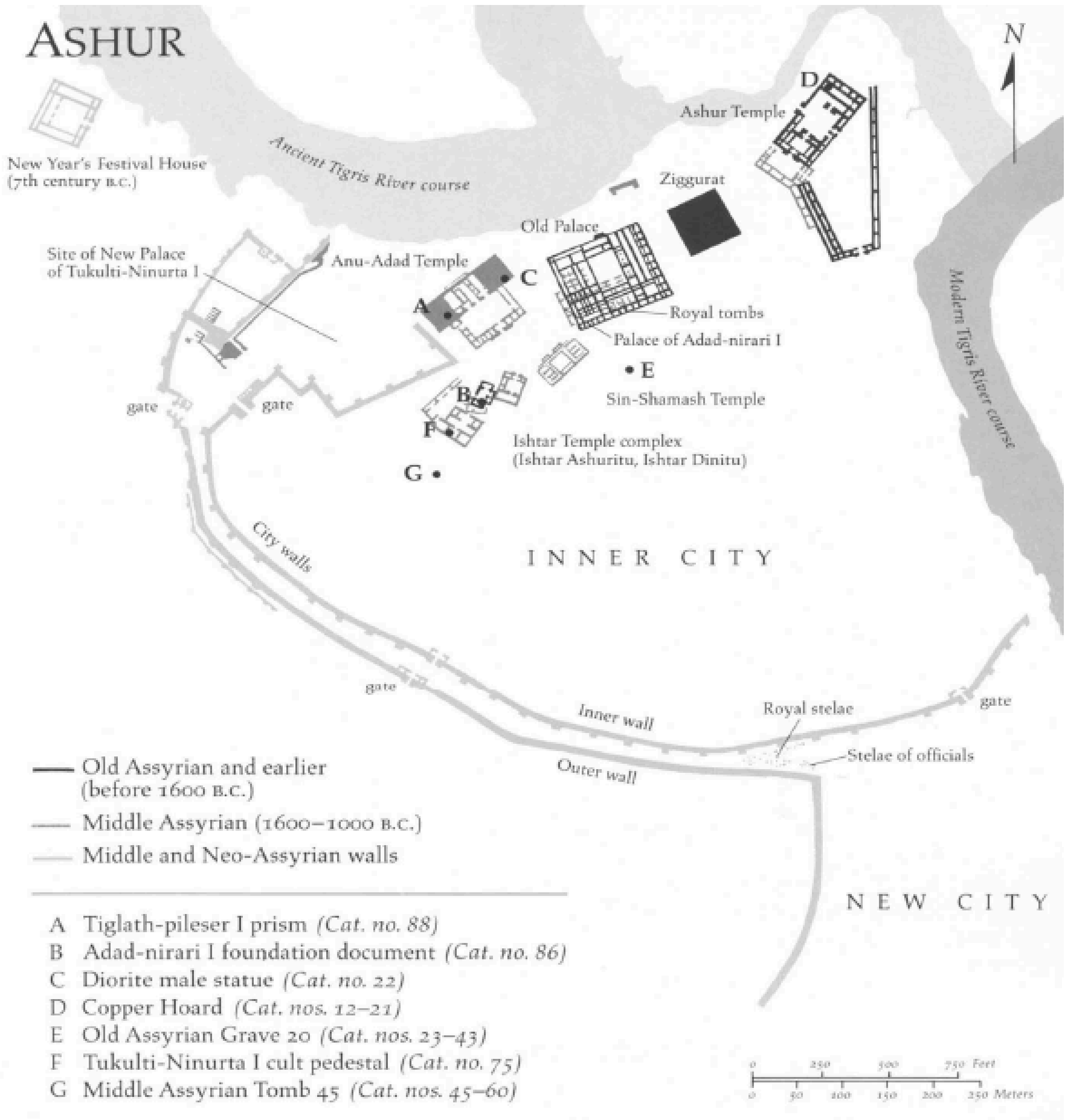
كانت المعابد بمثابة المأوى الأرضي للآلهة، وكان هذا المأوى يحتضن وجودها الروحي وتماثيلها المادية البشرية الملامح، أو برموزها كالصليب أو السيف أو الهلال.. إلخ.

لم يعثر الآثاريون على تمثلات حيوانية للآلهة الآشوري وكانت كلها بأشكال بشرية اختلفت مادة صنعها من الخشب أو الحجر أو الطين أو المعادن كالذهب والفضة والنحاس... إلخ. وكانت ملابسها مختلفة الأشكال تشبه ملابس الملوك ولكن لها ما يميزها، وخصوصاً في شكل ونوع غطاء الرأس. وكان للآلهة طعامها ومراكبها وأعيادها ونذورها.

إيشيرّا: معبد الإله آشور Esharra

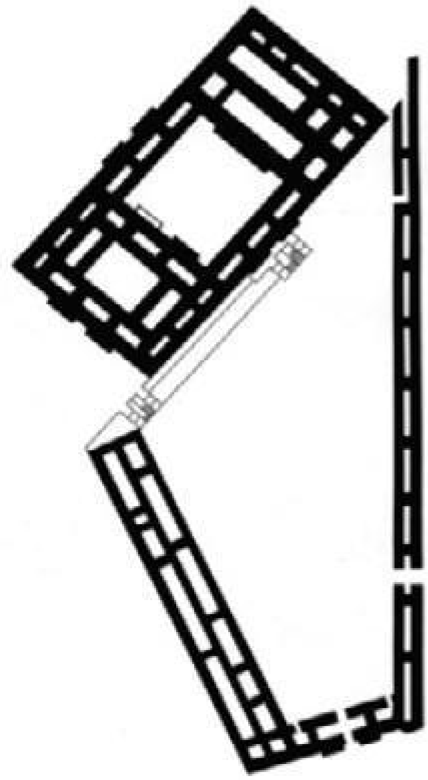
كان الإله آشور إله مدينة آشور. ثم أصبح إله الإمبراطورية الآشورية الحديثة كلّها ورُفع إلى مرتبة الإله الشامل (بانثيزم)، وأول خطوة كانت أن آشور كفل زوجة إنليل (الإلهة نينليل كإلهة آشورية باسم موليسو) واستمر هذا الأمر من حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتى القرن السابع قبل الميلاد حين غزا سرجون الثاني بابل، فبدأ الكتبة الآشوريون في كتابة اسم آشور مع العلامات المسمارية، الأيدوغرامية لكلمة «السماء كلها: آنشار» في السومرية، والتي تم نطقها بمثل نطق كلمة (آشور) في اللغة الأكادية، يبدو أن القصد كان وضع آشور على رأس البانثيون البابلي، حيث كان أنشار ونظيره كيشار («الأرض كلها»). وظهرت النسخة السرجونية الآشورية من أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إليش)، حيث ظهر آشور، مثل أنشار، هو الذي يقتل الإلهة تيامات، بدلاً من مردوخ، ويصنع منها السماء والأرض.

من جهة أخرى كان معبد آشور، في مدينة آشور القديمة، منذ شمشي أدد الأول، لكن الملك أسرحدّون قام ببناء معبد (إيشارّا)، ومعناه بيت الكون، خصيصاً للإله آشور.

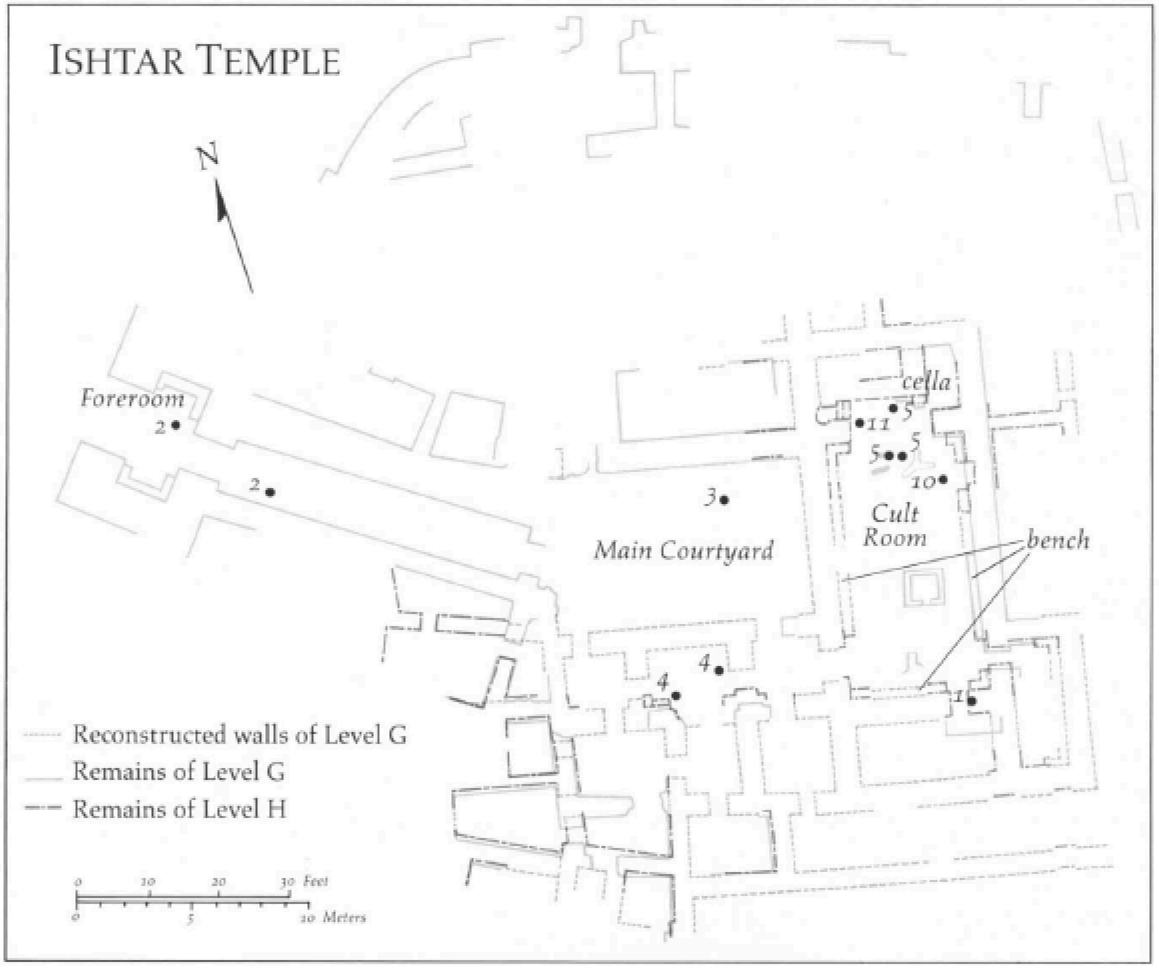


مدينة آشور ومعبد عشتار وآشور، ومعابد الآلهة الأخرى فيها

(Harper et al. 1995: 16)



مسقط معبد آشور، فترة شمشي ـ أدد الأول، 1814-1782 قبل الميلاد.



معبد عشتار في مدينة آشور

(Harper et al. 1995: 25)

طبقات رجال الدين الآشوريين: استقر هرم طبقات رجال الدين الآشوريين على مثيله البابلي مع اختلافات ضئيلة جداً، ولا بد من التنويه أن الملك الآشوري هو رجل الدين الأول والذي لا تندرج مكانته مع بقية رجال الدين لأنه أعلى منهم، وكأنه يقلّد الإله آشور في ترفّعه عن مجلس الآلهة الآشورية (رابوتي). وفيما يلي أسماء رجل الدين حسب طبقتهم ومقاماتهم من الأعلى إلى الأسفل:

1. المرتبة العليا: ويمثلها كاهن الشانكًا وهو رئيس الكهنة أو الرجل المسؤول عن البيت أي المعبد، يتصل بالملك بشكل مباشر، الملك يعينه بشرط أن يقر بوراثته الدينية لولده أو لقريب منه، وأن توافق الآلهة بحفل ديني. بالمقابل فإن هذا يمنح الكاهن سلطة النقض والاعتراض، «تصف عدد من النصوص الخاصة بالأكيتو الشانكًا بأنه (إداري المعبد) وكانت وظيفته معروفة منذ وقت مبكر في بلاد الرافدين، إذ وصف ككاهن أعلى في النصوص الطقسية المتأخرة خاصة في معبد إيساكيلا، ولكن كان الشيشكالو يفوق مدى هذا الأخير. وإن مهمة هذا الكاهن (الشانكًا) في النصوص التعبدية تبدو مشابهة إلى الملك لكن لا وجود لأي إشارة حول امتلاك الشانكًا أي ميزة خاصة، ويذكر أحد النصوص أن الملك وكاهن الشانكًا يحاكيان مردوخ ونابو بواسطة تذوق (الكعك الحلو). وفي العصر الآشوري الوسيط والبابلي الوسيط وخلال عيد أكيتو الخاص بالإلهة عشتار كان كل من الملك وكاهن الشانكًا يتبادلان الفعاليات الطقسية حينما يقفان أمام الإلهة عندما يجلس مردوخ على منصة المصائر ويوضع حمل على نار الأضاحي وينثر الملك الطحين فوق الحمل بدلاً من كاهن الشانكًا ويصب الخمر والبيرة على الأرض، كما تذكر نصوص الوركاء، بأن كاهن الشانكًا كان يقوم بتقديم (ماء اليد) إلى مردوخ والملك». (الأسود 2011: 116).

كل هذا يجري لكي يكون الملك هو المسؤول الديني الأول ويكرّس في يديه السلطة الدينية كلها. وكان للشانكًا نائبان يساعدانه في أعماله.

2. المرتبة الوسطى: ويمثلها الكهنة المختصون وهو (گالو، نارو، أشيبو، بارو، ماشماشو، شائيلو).

الگالو: كاهن التراتيل الدينية الحزينة.

نارو: كاهن التراتيل الدينة الفرحة.

أشيبو: طارد الأرواح الذي كان يساند المرضى بعلاجه النفسي و«الآشوري العادي كان سببه وجود الآشيبو بطقوسه التي كانت مفتاحاً لطرد الآثار المشؤومة لتلك القوى الخارقة

للطبيعة، التي كانت تحيط بالشعب الآشوري سواء كان الملك أو أي رجل عادي من كل الجهات. ولكن بتنشئة نوع من التوازن كان هناك اعتقاد مقابل بوجود الأرواح الخيّرة التي يمكنها أن تسكن في بيت وتحميه، وأن تحمي البناية، أو ترافق وتحمي أي إنسان، ونحن نجد هناك تصريحاً يتناول قضية الرجل الذي يعمل كما يريد ((أن الآلهة سوف تقدم له (شيدو) وهو نوع من الملاك الحارس الذي يعتني به)). أما في بابل فإن المصطلح المستعمل للدلالة على الروح الحامية هو (إيلو) أو (عشتارو) ولما كانت هذه السماء تدل على الإله أو الإلهة، فإنه غالباً ما يقال: إن لكل إنسان إلهاً شخصياً أو آلهته الشخصية، ولكن مع استثناء الملك فإن ما يدعى بالآلهة الشخصية أو الإلهات لم يكونوا أعضاء رسميين في مجتمع الآلهة، وبذلك تصبح كلمة ((الروح الشخصية الحامية)) هي الانعكاس الدقيق والصحيح لذلك المفهوم الكامل». (ساغز 2008: 335).

بارو: العرّاف أو المتنبّئ، وكانت وظيفته ترافق الملوك وتتنبأ له بما سيحصل، وعلى المستوى الشعبي كان العرّافون يتنبؤون بأسباب المرض وبنتائجة ووقت شفائه. يسمون مارباري mar bari: أو بارو، وهم البصّارون المتخصصون بالتنبؤ والفأل.

ماشماشو: وهو الكاهن الماسح بزيت العطر والذي يتولى نوعاً من التطهير الخاص ويمسح أجساد من ينتقلون لمراتب أرقى دينياً.

شائيلو: وهم مفسرو الأحلام الذين كانوا يؤدون وظيفتهم هذه من خلال اتصالهم بالآلهة واستنطاقها فيما يخص الأحلام وتفسيرها.



هرم رجال الدين الآشوريين

3. المرتبة السفلى: وهم الكهنة العاديون المكلفون بوظائف محددة مثل:

أسينو وكوركارو kurgarru/ Assinnu: الموسيقيون الذين يظهرون في الأكيتو، وكان كلا الصنفين مرتبطين تقليدياً بعبادة الإلهة عشتار وكانوا يعزفون على آلة الفلوت ويرقصون

ويغنون أغاني المديح. وكان كهنة الآسينو من الخصيان عادةً.

كوركور Gurgurrai: وهو صنّاع تماثيل الآلهة.

نوخاتيما Nuhatimma: الكاهن المشرف على اختيار الأضاحي.

مارو maru: المشرف على تنظيم الأشياء الحرفية في المعبد وإنجازها.

أريب بيه: وهم خدّام المعبد ومنطفيه.

4.الرجال المساعدون للكهنة من خارج المعبد: مثل حارس المعبد (أباركو)، الصنّاع، موظفون دينيون، موظفون ملكيون.

أباركو: مدير أعمال بيت الإله آشور. ولم يكن شخصية دينية.

(Harper et al. 1995: 28 - 29)

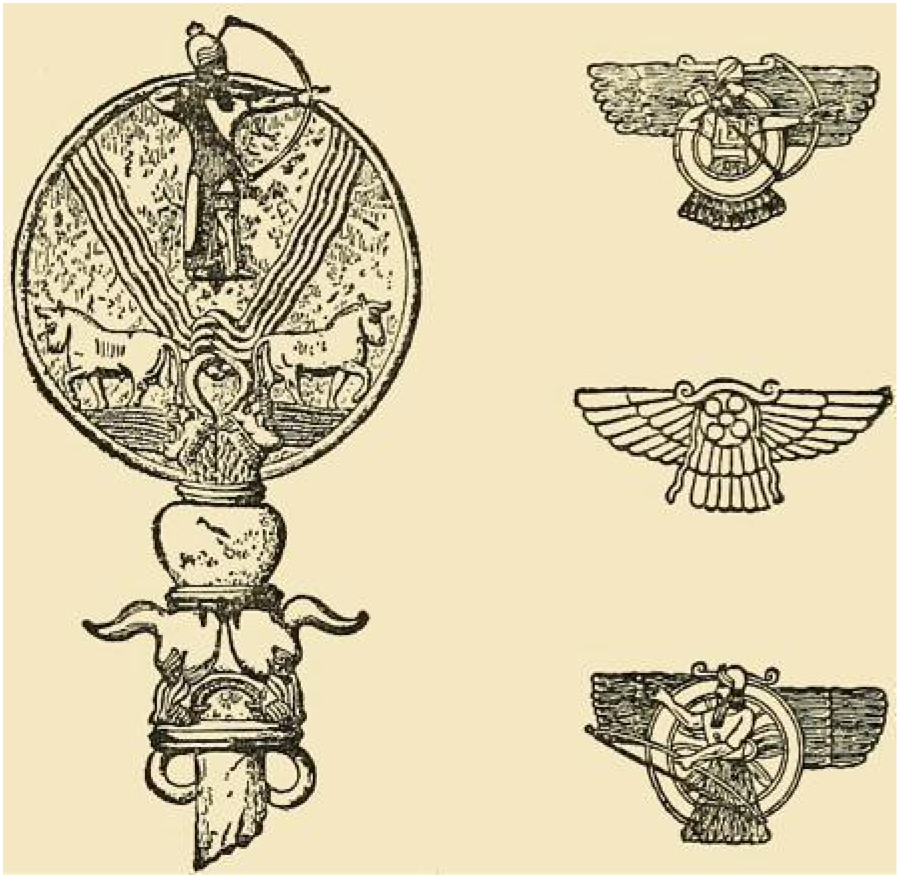
المبحث الثاني: الميثولوجيا الآشورية

أولاً: الرموز الدينية

1.رموز الإله آشور: ثابت آشور

يتكون من عمود محاط بقرص بجناحين، فوقه صورة محارب إلهي ذي قرنين أو أكثر يصوّب بقوس وسهم مثبّت على الوتر، ويرمز هذا إلى الطبيعة العسكرية للأمة الآشورية وإلهها المحارب. ولا بد من تثبيت رأي جديد في هذا المجال، حيث نرى أن هذا الشعار يتوافق تماماً مع المعنى العميق لكلمة (أكَد، أكَاده)، حيث أوضحنا في كتابنا (الحضارات السامية المبكرة) أن معناها هو دائرة النار، وهذا يتفق كثيراً مع الاستنتاجات الحديثة من

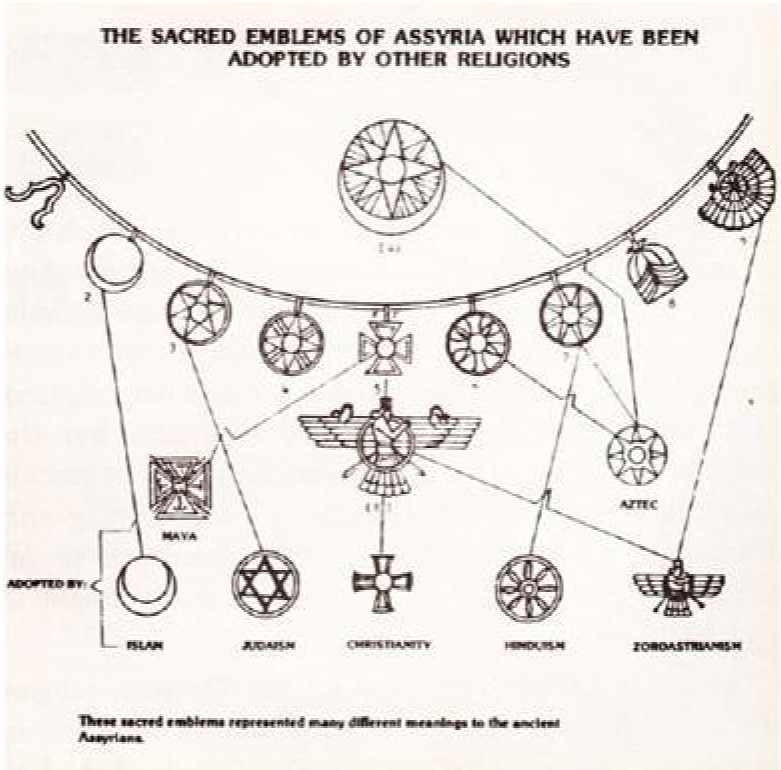
العلاقة النسلية العميقة بين الأكديين والآشوريين من خلال سوبارتو، وسوبارتو هو الاسم القديم والأصل القديم لكلا الشعبين.



رموز الإله أشور

Religious Belief and Practice in Babylonia and Assyria,) by .(Prof. Jastrow (G.P). Putnam's Sons

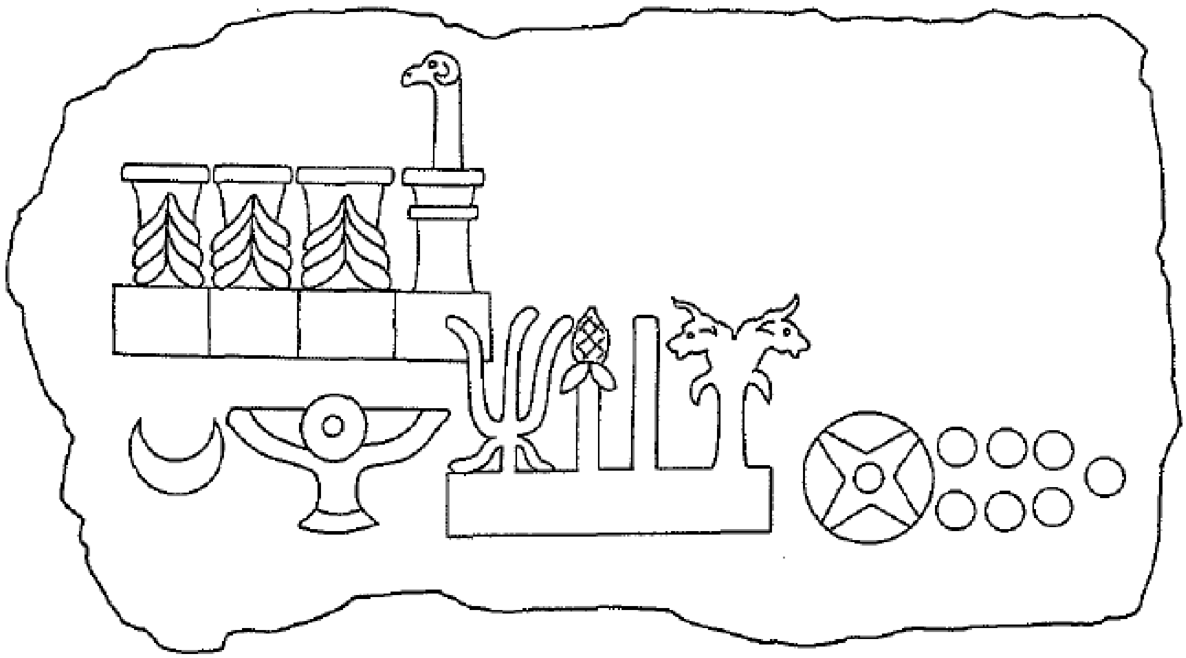
الرموز المتعلقة بالإله آشور



شعارات آشور المقدسة التي اعتمدتها الأديان الأخرى

شعارات آشور المقدسة تُظهر المعاني المختلفة عند الآشوريين

يعطي الشكل أعلاه شعارات آشور المقدسة وتأثيراتها في شعوب أخرى، وفيما يلي تفسير الإشارات بالحروف والأرقام لما جاء في هذا الشكل:



اثنا عشر من رموز الآلهة الآشورية المنقوشة على صخرة في مدينة (خانيس، كانيش) بأمر الملك سنحاريب الذي حكم حوالي (704 ـ 681 ق.م) وهي من اليسار (آنو، آشور، إنليل، إيا، سين، شمش، أدد، مردوخ، نابو، نرجال؟، عشتار، سبيتو أو السبعة)

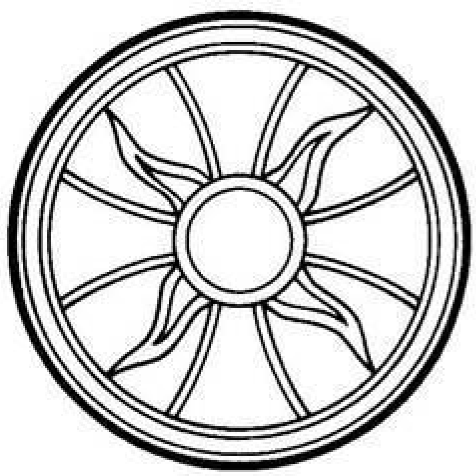
(Black, Jeremy & Green، Anthony 2004: 17)

القرص المجنح وبداخله الصليب المربع: قرص مدعوم بزوج من الأجنحة على الجانبين، مربوطتين بحلقة لولبية من الأعلى، وبذيل نسر من الأسفل.



قرص مجنح مشحون بدائرة صليب مشتعلة

الصليب المربع الآشوري: ظهر في عهد آشور ناصر بال الثاني من آشور (883-859). يرتدي هذا الحاكم هذا الرمز على حجر يصور عليه مع رموز أخرى يمكن تفسيرها على أنها رموز وطنية. ولا يعرف معنى هذا الصليب، ربما كان الشعار الملكي الذي يرمز للحكومة السماوية لملك الجهات الأربع لآشور.



قرص مشحون بلهب صليب مشتعل

2.رموز ننورتا:

«كان آشور ناصور بال الثاني يحمل منجلاً بشكل رأس طير كان يمثل الإله ننورتا، وهو إله الحرب والعبيد عند الآشوريين، وهناك خرافة ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد وهي من سومر ولكنها كانت لا تزال شعبية في آشور في الألف الأول ق.م. وقد أخبرت هذه كيف أن هذا الإله قد تغلب على كائن إلهي بشكل طائر يدعى (إنزو) وسلبه قوته، وكانت هذه إحدى الطرق (طبقاً لبعض الإجراءات الشائعة ضمن القصص الخرافية) التي تعكس كون الشكل القديم لننورتا كان ذلك الكائن الإلهي بشكل طائر». (ساغز 2008: 301).

3.رمز الشجرة المقدسة:

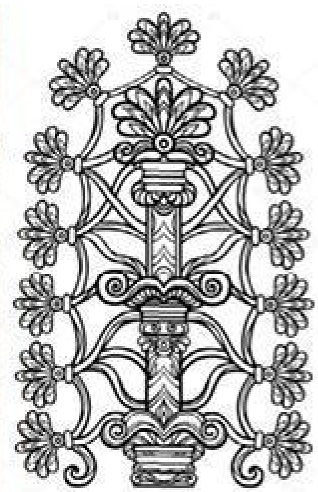
تظهر الشجرة المقدسة بشكلين (شجرة الحياة، شجرة المعرفة) في حقولِ الأساطير والرموز والأديان والحضارات لتصور ترابط أشكال الحياة والفكر والروح، وكان الآشوريون يرسمونها كمجموعة من العقد المتصلة بخطوط متداخلة تنتهي بأشكال مختلفة. يتكون أبسطها من عمود قصير ينبثق من زوج واحد من قرون الكباش، ويعلوه رأس يتكون من زوجين من قرون الكباش مفصولين بواحد أو اثنين أو ثلاثة أشرطة أفقية؛ فوقها، هناك لفافة تشبه تلك التي تتفوق عادة على الدائرة المجنحة، ثم زهرة، وبشكل يرمي الجذع عددًا من أزهار أصغر مماثلة، والتي يتم استبدالها في بعض الأحيان مخاريط التنوب أو الرمان. حيث يتم تصوير الشجرة بشكل أكثر تفصيلاً، نرى، إلى جانب الجذع والأزهار، شبكة معقدة من الفروع، والتي بعد التداخل مع بعضها البعض تشكل نوعاً من القوس المحيط بالشجرة نفسها كما هو الحال مع الإطار.

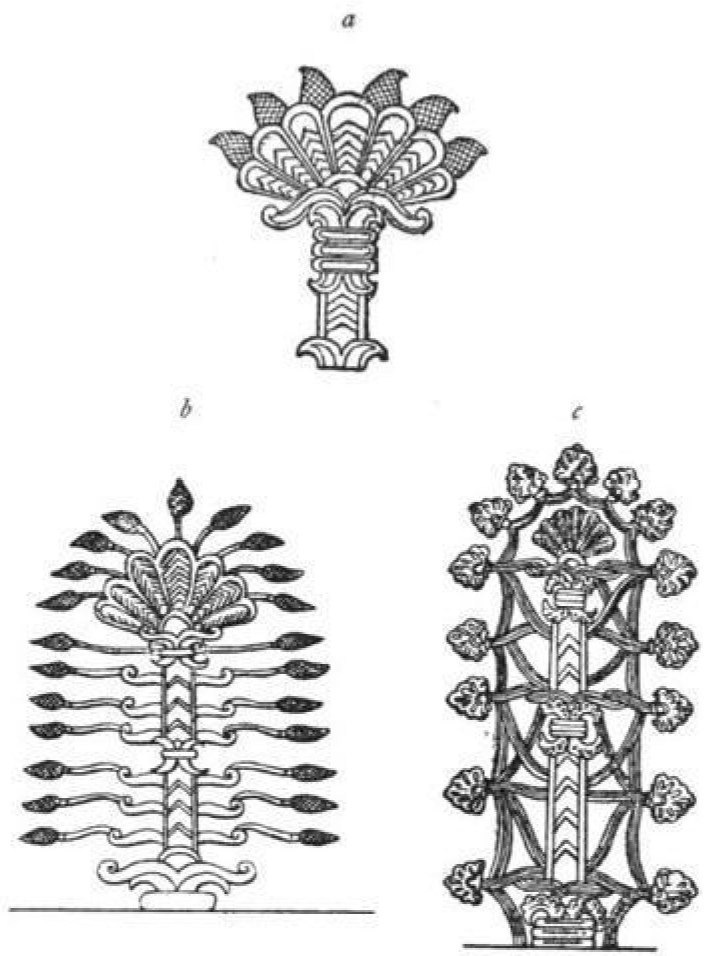
«إن شجرة الحياة الآشورية ذات مضمون ديني تتمثل بحماية العناصر الموجودة في الطبيعة من خلال عملية الإنماء والخصب والتجدد والعطاء وإن وجود الملك أمام أو على جانبي الشجرة يعكس مفهوم ارتباط الملك الوثيق بالحفاظ على الحياة وتجديدها. كما أن الشجرة المقدسة الآشورية كانت تمثل الصورة الأسطورية للملك فهي مباركة ولن تتمكن رموز الشر من قتل عناصر الحياة في الطبيعة؛ لأن ذلك يتناقض مع إرادة الآلهة التي خلقت تلك العناصر من أجل ديمومة الحياة. وفي العصر الآشوري الحديث ظهرت على المنحوتات

الجدارية العائدة إلى الملك آشور ناصر بال الثاني مشاهد مزخرفة لشجرة الحياة، ومن ذلك مشهد يقف فيه الملك على جانبي هذه الشجرة وهو يمارس الشعائر الدينية الخاصة. كما أن الشعار أو الرمز المتمثل بالقرص المجنح للإله آشور كان يظهر في المشاهد مع زخرفة الشجرة المقدسة في معظم الأحيان ويقدس بابتهاج في حفل ديني من قبل الملك أو كهنة الأضاحي فضلاً عن دمج الشجرة مع الشمس كشعار توحيدي، وبهذا الخصوص يلاحظ أيضاً على مشهد نحتي وقوف الملك على جانبي الشجرة المقدسة والقرص المجنح للإله آشور يحوم في الأعلى وتحيط به الأرواح الحامية». (النجاري 2005: 31).

تظهر الشجرة الحياة الآشورية في قاعة العرش الخاصة بالملك آشور ناصر بال الثاني، في كالخو، بوضوح تحت الإله آشور دلالة على أهميتها.







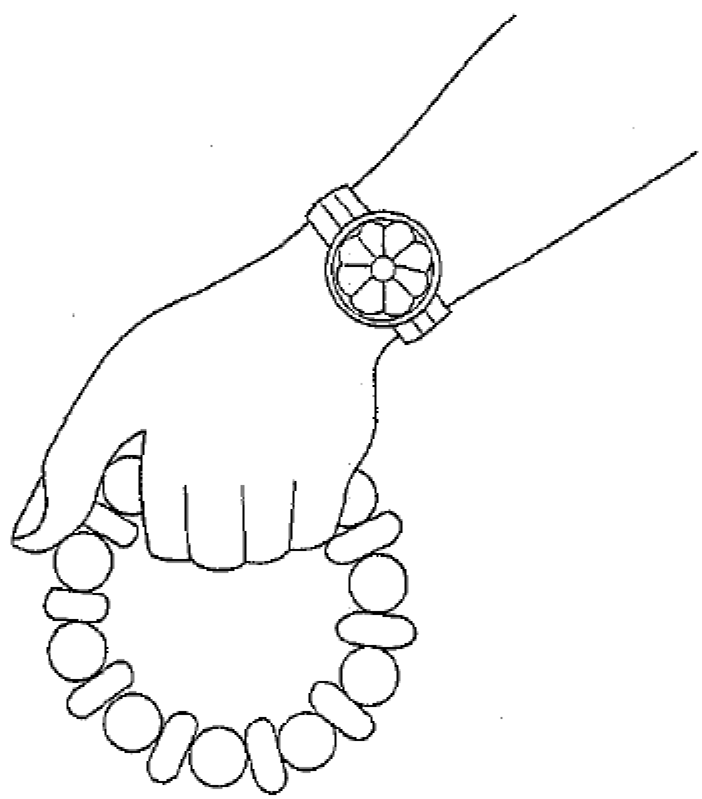
الأنواع الآشورية لشجرة الحياة

كانت الشجرة المقدسة رمزاً من الرموز البابلية ثم الكنعانية وهو يرمز لإلهة الأرض الكنعانية والإلهة الأم والتي تسمى (أشيرا)، وتسمى «خالقة الآلهة» فهي القرينة أو الأم للآلهة، وهي بلا شك من الرموز الآشورية المهمة. وقد استعمل العبريون رمزاً بالاسم ذاته (أشيرا) و(أثيرات). يظهر غطاء صندوق مشهور من العاج من الصنعة الميسينية التي تم العثور عليها في أوغاريت، والتي يرجع تاريخها إلى عام 1300 قبل الميلاد، على أنها تمثل رمزاً للشجرة (أعلاه) التي تغذي زوجاً من الماعز. تظهر شجرة الحياة، المعروفة أيضاً باسم شجرة المعرفة، في أسطورة الكتاب المقدس في جنة عدن، وهي تحمل الفاكهة المحرمة التي تسمح للبشر بالتفكير مثل الآلهة. واشتهرت عن الفينيقيين بهيكل خشبي ثم معدني،

يمكن وضعه في المعبد، ويبدو أن الاسم نفسه يعني شيئاً يقف، بشكل مستقيم والافتراض معقول أن عنصرها الأساسي كان «الجذع المستقيم للشجرة».

اقتراح تشابه بين هذا الشعار الآشوري و«شجرة الحياة» العبرية، يصل بنا إلى الكبالا الذي يضع شجرة السفيروث كشجرة للتصوف والمعرفة. كذلك ربما يوجد في الشجرة نفسها، التي تجمع بين قرون الكبش ـ وهو حيوان مشهور بالقدرة على الإنجاب ـ مع صورة شجرة منتجة للفاكهة أو الزهور، سبباً لافتراض أن بعض تلك الإشارة تهدف إلى الطاقة الغزيرة أو المولدة في الطبيعة.

4.رمز مسبحة (قلادة) الآلهة ومعضدها البيبون:



مسبحة من الخرز، بيد إلهة على ذراعها سوار لزهرة البيبون

تفاصيل الحجر المنحوت من رليف قصر الملك آشوربانيبال.

5. رمز الصليب الآشوري:

رمز شمسي رافق الإله آشور والأباطرة الآشوريين، ويدل على البطولة والقوة.

6.رمز الهلال الآشوري:

ظهر رمز الهلال في فن بلاد ما بين النهرين من عصور ما قبل التاريخ، وهو من الرموز السومرية والأكدية والبابلية المعروفة للإله القمر سين، نانا، سوين، ننار. وكان الهلال في كثير من الأحيان من العصر الكاشي ويُصوّر داخل قرص. وحين يكون مندمجاً مع القرص الشمسي يكون رمزاً للكسوف.

في العصر الآشوري الحديث ظهر رمز الهلال داخل القرص، مرتدياً، في بعض الأحيان جناحاً وغطاءً، وكأنه حرف أوميغا.

7. رمز القرص المجنح:

يظهرالقرص المجنح منذ العصر السومري ويترافق مع حركة رفع يد المصلي أو الكاهن حيث يكون فوقه، واستمر ظهور القرص في كل عصور الحضارات الرافدينية. وكان يترافق مع مشاهد الصيد والشجرة المقدسة أو المنمّقة.

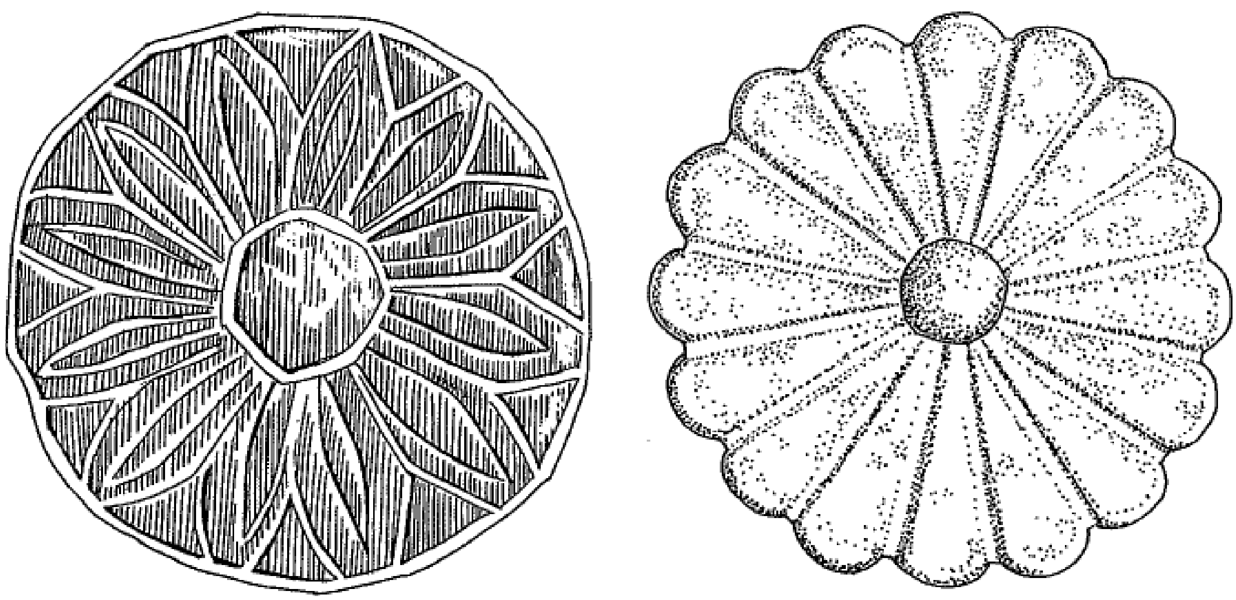
في الفن الآشوري الأوسط والآشوري الحديث، يبدو أنه تم استبدال الصليب بالقرص المجنح في تماثيل الملوك الأشوريين، ومع ذلك، يمكن أن يظهر وهم يرتدون الرموز الإلهية والأقراط والقلائد. وفي بعض الحالات يظهر مع أربعة حزم ضوئية تشكل أشعة الشمس.

في التماثيل نادراً ما يوجد القرص المجنحة إلا في اتصال مباشر مع الملك. ويلبسها الملك مطرزة على أردية، ويحملها محفوراً على أسطوانة، ويمثلها فوق رأسه في المنقوشات الحجرية، ويحارب تحت ظلها ويعود منتصراً، ويضعها بشكل واضح في المشاهد حيث

يتم تمثيله بنفسه على مسلاته. وفي هذه التوضيحات المختلفة، يجعل الشارة إلى حد كبير تتوافق مع الظروف التي انخرط فيها في ذلك الوقت. في المكان الذي يقاتل فيه، يضع آشور أيضاً سهمه على الوتر، ويوجهه إلى خصوم الملك. حيث يعود من الانتصار، مع القوس في اليد اليسرى واليد اليمنى ممدودة ومرتفعة. في المشاهد السلمية، يختفي القوس تماماً. إذا كان الملك يعبد، يمد الله يده للمساعدة؛ إذا كان منخرطاً في الفنون العلمانية، يعتقد الآشوريون أن الحضور الإلهي يكون بشكل كافٍ بالدائرة والأجنحة بدون الشكل البشري.

8. رمز الوردة (روسيتي):

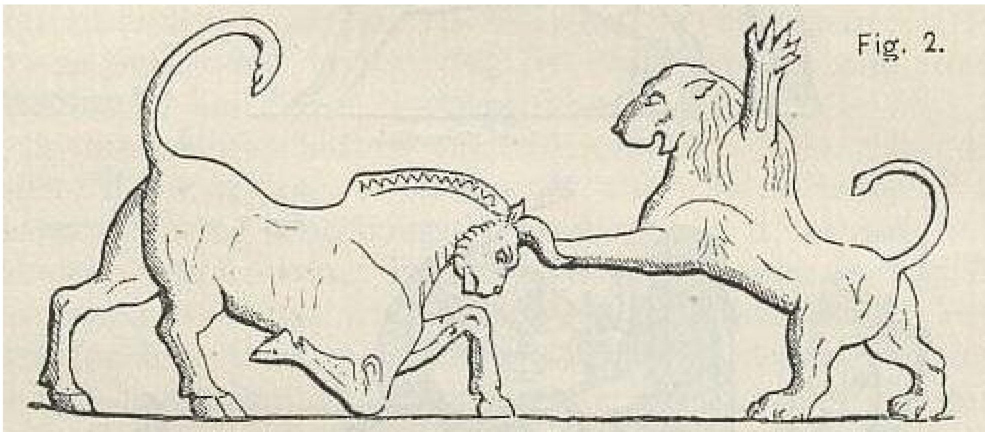
رمز عشتار، ويتكون من 16 وريقة مشتبهة، مدورة النهاية أو مدببة النهاية ويظهر كثيراً في الزخارف الآشورية.



الوريدات الآشورية من العصر الآشوري الوسيط، من معبد الإلهة عشتار في مدينة آشور

9. رمزا الأسد والثور:

يرمز الثور لبقايا العبادة الأمومية وهي تحت الهيمنة الذكورية، ويرمز الأسد لانتصار العبادة الذكورية الشمسية على العبادة الأمومية القمرية.



Fight of Lion and Bull (Nimrud).

الأسد الشمسي يضرب الثور القمري

رموز الهيروغليفات الآشورية

واجه علماء الأشوريون الأوائل أمراً مستعصياً في فحصهم لوثيقة أسرحدون المعروفة لعلماء القرن التاسع عشر باسم (الحجر الأسود) للورد أبردين والتي تحتوي على رموز هيروغليفية منحوتة على أحد وجوهها، وقد ظهرت هناك رموز مماثلة في نهايات العديد من المنشورات الطينية وعلى ألواح الطابوق المزجّج والبرونزيات المزخرفة للملك سرجون الثاني، وقد تفاوتت الآراء بين كونها تمثلات رمزية خاصة بهؤلاء الملوك، ورأى آخرون بأن معنى الرموز لا يكمن ببساطة في دلالاتهم النجمية أو الإلهية أو الزخرفية، بل هي شكل من أشكال الكتابة المشفّرة والتي تتضمن تفصيلات كثيرة متعمدة قد تصل لمحاولة إنتاج ما يعادل الهيروغليفية الآشورية مقابل الهيروغليفيات التي كانت موجودة في المنطقة

كالمصرية والحيثية والأوراراتية (رغم أن الأخيرتين كتبتا بالخط المسماري ولكن كان لها رسومات هيروغليفية على بعض ألواحها).

في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد (حوالي 730 ق.م) بدأ الآشوريون بالاهتمام بالعلامات الهيروغليفية المصرية ويبدو أن غزو مصر خطوة أخرى نحو الهيمنة العالمية تعكس الهيروغليفية الآشورية هذا النوع من الطموح بالجملة، وكان يشير لدمج مصر في عالم بلاد ما بين النهرين. وظهرت أدلة على وجود مصريين في البلاد الآشورية حملوا معهم ثقافتهم المصرية، ويبدو أن سرجون الثاني هو الذي بدأ بوضع بعض هذه الرموز وتطويعها لخصوصية آشورية في بعض منشوراته مع نهايات مزخرفة، وكانت هناك طابوقات ولوحات مصقولة تم وضع خمسة أزواج من ألواح الطابوق المزجج في المعابد في مدينة (دور شروكين) وقاموا بتغطية جوانب وواجهات المنصات المنخفضة التي تم إسقاطها عند قاعدة واجهات الفناء الداخلي، على جانبي المداخل الرئيسية. تم تزيين جميع اللوحات بأشكال مختلفة من تصميم مميز واحد، يضم إما خمسة أو سبعة رموز. رُتبت التصاميم بشكل متناظر، متوازنة مع بعضها البعض، مع توجيه الأشكال داخلها نحو الأبواب. أظهر ثلاثة أزواج، خارج مقامات سين، سماس، ونابو، الملك الآشوري، متبوعاً بأسد، طائر، ثور، تين، محراث مركب، وشخصية بشرية أخرى. وقد بدت هذه الهيروغليفيات آشورية المضمون والشكل.

النحاسيات السرجونية حملت هي الأخرى بعض الهيروغليفيات الآشورية فقد حمل بعضها طائراً قد يدل على الإله ننورتا، وثيرانا مكسية بملابس فاخرة، وعلامة الملك التي كان يرتديها على رأسه. انظر: (Irving & Irving 1996: 251).

يمكننا تصنيف الهيروغليفيات الآشورية، حسب عصر ملوكها، إلى نوعين، هما هيروغليفيات سرجون وهيروغليفيات أسرحدون، وسنجدها بأشكاله وشروحاته في هذين الجدولين المبسطين:

هيروغليفيات سرجون

المعلومات والصور عن: (Irving & Irving 1996: 248 - 250)

هيروغليفيات أسرحدون

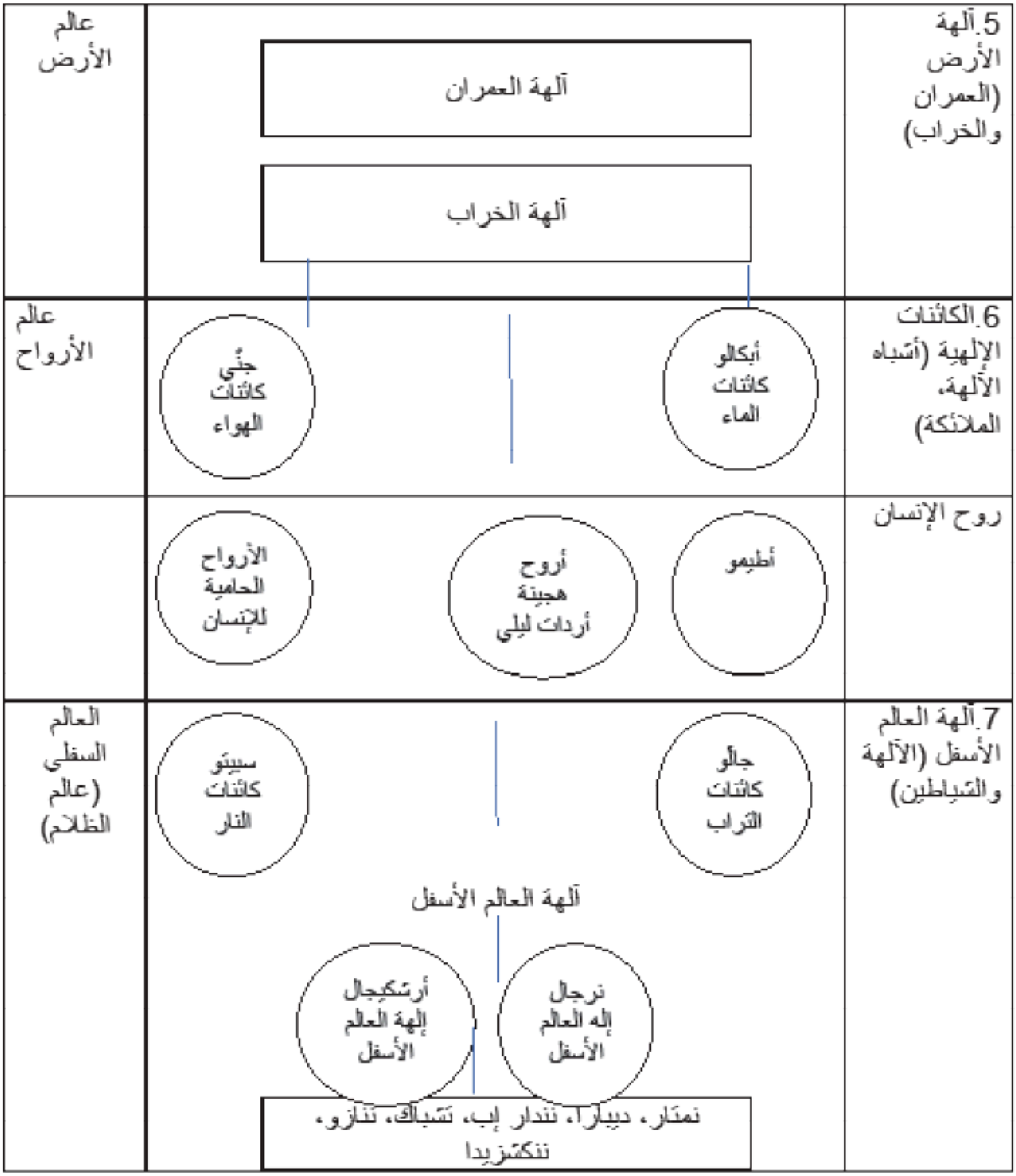
المعلومات والصور عن: (Irving & Irving 1996: 258 - 261)

ثانياً: شجرة الآلهة الآشورية

تتكون شجرة الآلهة الآشورية من ست طبقات، كما هي حال طبقات آلهة كل الشعوب القديمة تقريباً، وتعطينا هذه الطبقات فكرة جيدة عن أساطير وميثولوجيا الآشوريين ومقارنتها مع مقابلها عند البابليين بشكل خاص لوجد مشتركات كثيرة بينهما، وسنركز على الاختلافات الآشورية التي ميزت الميثولوجيا الآشورية:

الشكل العام لشجرة الآلهة الآشورية

طبقات الآلهة	شجرة الآلهة	ملاحظات
1. الآلهة البدئية (العتيقة، الهيولية)	تيامت الأم البدئية أبسو الأب البدئي مومو الضباب	قبل نشوء الكون
2. آلهة الكون الأولى (القديم)	لخمو (الطمي السفلى) لخامو (الطمي الأعلى) كيشار (الأفق الأسفل) **إنشار (الأفق الأعلى) أصل الإله آشور**	طابق الآشوريون بين الإلهين آشور وإنشار لكي يجدوا أصلاً قديماً للإله آشور بجعله أباً للسماء والعناصر الأربعة
3. آلهة العناصر الأربعة	كي التراب إيا الماء إنليل الهواء آن النار	خامات العالم المادي
4. آلهة السماء العظيمة، (الكواكب، النجوم، الطقس)	نرجال (المريخ) مردوخ (المشتري) أدد (زحل، البرق) نتورتا (العاصفة، الحرب) سين (القمر) نبو (عطارد) رامان البرق والعاصفة زبابا الحرب شمش (الشمس) عشتار (الزُّهرة) نينب الحرب شالا الطقس	العالم العلوي (عالم النور)



القسم الأول: الآلهة العليا

أولاً: الآلهة البدئية (العتيقة، الهيولى):

عددها 3 آلهة، الأولى هي تيامت (تياميتو) وهي البحر الهيولي المالح الذي يرمز لمياه البحر الأول والذي كان ساكناً، والثاني هو أبسو الذي هو إله الماء العذب ومياه الأعماق، وحين دبت الحركة باتحادهما نتج عنهما ولدهما وخادمهما (ممّو) الذي هو الضباب الذي يرفّ فوقهما.

ثانياً: آلهة الكون الأول:

عددها 8 آلهة، نتج عن الثالوث السابق جيلان من الآلهة، الأول هو لخمو (الطمية) وهي الطمي الأسفل، وقرينها لخامو (الطمي) الأعلى. أما الجيل الثاني فيتكون من زوج أنثوي وذكري هما كيشار (الأفق الأسفل) وأنشار (الأفق الأعلى).

هنا قام الآشوريون بتأصيل إلههم القومي (آشور) وجعلوه نظيراً لأنشار، أي إله الأفق الأعلى، أي أن أنشار أصبح بمثابة آشور البدئي أو القديم وأصبح اسمه (آن ـ شار) أي (السماء كلّها) (آن ـ شار AN - SHAR)، الذي هو (آشور ASHUR)، وأصبح آشور بذرة تحمل في داخلها العناصر الأربعة التي ستظهر في الجيل القادم.

ثالثاً: آلهة العناصر الأربعة:

عددها أربعة، وهي العناصر الأربعة الموزعة على جيلين من الآلهة، الجيل الأول يتكون من الإلهة (كي) وهي إلهة التراب والأرض، والإله (آن) وهو إله السماء ويمثل النار بسبب بروق السماء. أما الجيل الثاني فيتكون من الإله إيا (إله الماء) والإله (آشور) إله الهواء الذي سيتزعم هذه المجموعة. ويقوم آشور بضم صفات آن وبذلك يتحد الهواء مع النار فيتكون شكل آشور المعروف بدائرة النار المحيطة وسهام النار التي يطلقها من قوسه، والأجنحة والذيل النسريّ الذي يمثل الهواء.

الإله آنو Anu:

«يعني اسمه أيضاً السماء، اللمعان والشرق، ويقع معبده الرئيس في مدينة الوركاء، وقد رقّمه العراقيون القدماء بـ(60) وهو أعلى رقم بين أرقام الآلهة. وقد ورد في نصوص الأساطير أن أبناء الإله آنو هم الإله إنليل (الذي عد الابن البكر له) وكذلك إله الجو (أدد) والإلهة (عشتار) آلهة الحب والجمال. كما ورد ذكر الإله آنو في نصوص حوليات الملك تولكتي ـ ننورتا الثاني ويصفه بأنه الإله آنو ملك الـ(igigi)، كذلك يذكر الملك آشور ـ ناصر ـ ابلي الثاني بأنه كان المفضل لدى الإله آنو، ويصف الملك شلمانو ـ أشاريد الثالث الإله آنو بأنه ملك الآلهة (igigi)، وقد وصف الملك أدد ـ نيراري الثالث الإله آنو بـ القديم، والمخيف، ومفتش القناة للسماء والعالم السفلي». (العبادي 2006: 81 ـ 82).

رابعاً: آلهة الكواكب السبعة والنجوم والطقس (آلهة السماء):

اكتسب البانثيون الآشوري خصوصيته وأهميته بعد العصر الآشوري الحديث، حيث أصبح البانثيون الآشوري انعكاساً لانتظام التكوين السياسي والعسكري الرفيع للآشوريين، فهو أكثر تنظيماً من البانثيون البابلي، فضلاً عن الاختلافات الإثنولوجية بين الشعبين والظروف المناخية، والبيئة السياسية المختلفة ـ كل هذه الاعتبارات الأخرى قد أحدثت تغييرات مهمة في أفكار الآلهة كما تصورها الآشوريون. ولذلك نرى بوجود اختلافات نوعية بين الدينين وبين البانثيون لكلّ منهما.

نجد في الآلهة الآشورية العديد من الآلهة الأجنبية التي ضمها الملوك الأشوريون بين الآلهة الوطنية عن طريق حروبهم. ويذكر آشوربنيبال، كيف أنه قبض على عشرين إلهاً من العيلاميين.

كانت الآلهة العظيمة في آشور أكثر قدرة على استيعاب الطوائف المحلية الصغيرة من قبل الآلهة المرتبطة بالمراكز الكبرى للحياة الآشورية. الدين المبكر حساس للغاية تجاه التغيير السياسي، ومع تطور العرق من الدولة القبلية أو المحلية ويرسخ نفسه في أمة، لذلك تصبح الآلهة المحلية قومية ومركزية، ربما في الإله العظيم للآشوريين وهو (آشور).

الإله آشور

الإله آشور هو الإله القومي للآشوريين ربما يكون اسمه قد جاء من اسم المدينة أو أن اسم المدينة سمّيت على اسمه، تختلف خصائص هذا الإله تماماً عن خصائص الإلهيات الأخرى في الآلهة السومرية والأكدية والبابلية، اختلافه ملحوظ مع آلهة أخرى من آلهة بلاد ما بين النهرين. فهو يفتقر إلى العلاقات الأسرية، ولا يُنسب إليه أي لقب، ولا يُظهر علاقات واضحة مع عالم القوى الطبيعية الكونية. لا يُثنى عليه كثيراً في التراتيل، كما أنه لا يشارك في التعويذات، ولا تُعرف قصيدة أسطورية عنه. صوره ليست مجسمة ولكنها مجرد رموز.

𒀭𒊹 Anshar Aš-šur 𒀭𒀸𒋩 الكتابة المسمارية الآشورية da-šur$_4$

رئيس البانثيون الآشوري في دين بلاد ما بين النهرين، أيقونته الأخيرة شمسية وواضحة من علامة الصليب في كتابة صوت اسمه المسماري، لكن جذوره، من وجهة نظرنا زراعة ولها علاقة بالخصب والتكاثر وعشتار.

كان الاسم الأول لآشور في مدينة آشور هو (بالتيل: بالت ـ إيل) وربما أشار (بالت) لاسم (بيل، بعل) وهنا نلمح (مردوخ) الذي كان يوصف بالبعل أو (بيل)، وقد تمت صياغة اسم آشور أيضاً من مرجع مدهش آخر وهو (أوسار: أو ـ سار) (أو ـ شار) وهو اسم من أسماء الإله ديموزي أو تموز، وهذا يغرينا بوصف صفاته الخصيبة.

هناك أيضاً مرجع آخر تمنحنا إياه تسمية مدينة (جاسور) القريبة من آشور والتي صار اسمها نوزي حين احتلها الحوريون، ثم أصبح اسمها (أرابخا)، والاسم جاسور قريب من آشور. ويمكن إحالته إلى مقطعين هما (كا ـ سور) أو (كي ـ سور) الذي يجمع له الأرض أيضاً.

ونقترب من حل لغز (سوبار) حين نعرف أنه (سو ـ بار) و(بار) هو الشمس أو النار، فهو الشمس أو النار الشمالية. وهذا يجعل التطابق وارداً بين الاسم القديم لمناطق آشور

والاسم الجديد لها وهو آشور، ويؤكد على أصل مترابط أو مشترك بين الآشوريين والسوبارتو (أصل الأكديين)، وهو ما يتم التلميح له غالباً. والمكان الذي كان يعيش في آشور هو منطقة (تاريبو) وهو ممر على النهر شمال نينوى.

2.شيروا زوجة آشور:

يتزوج آشور من زوجته (شيروا) التي تأخذ صفات الإلهة السومرية (ننليل) ويطلق عليها الآشوريون اسم (موليسو)، وكذلك يأخذ آشور صفات الإله السومري (إنليل) إله الهواء والذي هو زوج ننليل. ولأن اسم (إنليل) بقي في منظومة الآلهة الآشورية فسنفترض أن آشور امتص صفاته وأبقى على اسمه فقط.

لا بد من معرفة الرمز الحيواني لآشور وهو الأسد، والأسد رمز شمسي معروف. ويحيلنا هذا إلى العلاقة الخاصة الترابطية بين آشور وعشتار، وكأنهما ذكر وأنثى بالاسم نفسه، فما هو سرّ هذا اللغز التأثيلي والميثولوجي بينهما؟

نرجّح أن عشتار (أشتار: أشت ـ آر) هو الاسم المؤنث لـ (آشور: آش ـ آر)، فهل كان آشور يمثل الصورة الذكرية لكوكب الزهرة؟ أم أنه يمثل كتلة نارية أخرى؟

وإذا عرفنا أن الأسد الجاثي تحت قدمي عشتار هو رمزها، فهل نستطيع تفسير رمزية الأسد لآشور؟ بلا شك أن مثل هذه الأسئلة واحتمالات أجوبتها تعطينا صورة أفضل لحل لغز عشتار وآشور وعلاقتهما.

والآن ما هي هذه الكواكب السبعة وآلهة الطقس التي ظهرت من تزاوج آشور وزوجته الرسمية (شيروا) ويمكننا أن نفصلها مجتمعة هنا كما يلي:

نتج عن تزاوج آشور وشيروا أربعة آلهة هي:

أدد (حدد) (إله البرق والعاصفة) الذي تزوج شالا (إلهة الطقس). واللذان أنجبا الإله (جبيل) إله النار، والإله (أوسار) الذي هو تموز.

زبابا وهو نظير ننورتا وأصله أكدي ويمثل الحرب والقوة. وزوجته الإلهة (بابا) إلهة الطب.

إنانا: وهو الاسم القديم لعشتار والإلهة إنانا هي إلهة الحب والجمال السومرية.

ننورتا: وهو الإله الوريث الابن لآشور، إله العاصفة والحرب والذي يمثل كوكب زحل. ورمزه طائر (إنزو) الذي غلبه واستعاد منه ألواح القدر.

2. الإله إيا يُنجب الإلهين العظيمين مردوخ (إله المشتري) والذي يحتفظ بمكانة جيدة في البانثيون الآشوري أيضاً. والإله الآخر هو نرجال (إله المريخ) والذي سيصبح إله العالم الأسفل ويتزوج أرشكيجال (لاس) أخت إنانا أو عشتار.

3. يُنجب الإله مردوخ ثلاثة آلهة هم:

نبو: وهو إله المعرفة والكتابة والذي يُنسب أحياناً كابن للإله آشور، ويحتل مكانة خاصة في أعياد الأكيتو.

نباك (تاشميم): وهي زوجة الإله نبو.

سين: إله القمر الذي ينجب (شمش (الشمس)، وعشتار (الزُّهرة)، وأرشكيجال (لاس) إله العالم السفلي).

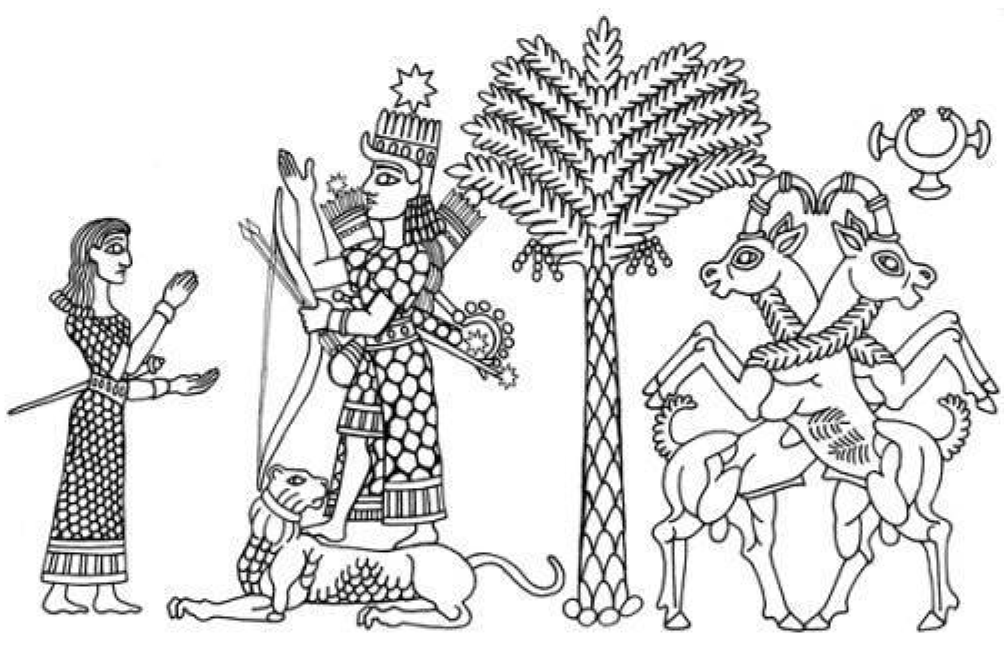
وبذلك نكون قد حصلنا على جميع آلهة الكواكب السبعة وآلهة الطقس والمناخ.

أعطى الآشوريون دوراً مهماً للإله (نبو، نابو) إله العرافة والمعرفة والكتابة، وهو ابن آشور. وكذلك للإله أدد الذي كان إله الصواعق والبروق.

ورغم أن الإله مردوخ كان الإله القومي للبابليين، لكنّ الآشوريين عبدوه وأعطوه المنزلة التي تليق به كإله يدور بين العالمين الأعلى والأسفل، حيث يقول أحد نصوصهم عنه: «العالم السفلي هو الحوض الذي تغتسل فيه، وأعالي السماوات هي الطاسة التي توضع فيها المنجدة التي تستعملها». (ساغز 2008: 296).

عشتار الآشورية:

هي عشتار الأكدية، وليست البابلية، التي امتازت بصفاتها الحربية، وكانت رمزها هي البوة الجاثمة تحت قدميها والقوس والسهم وجعبة السهام وتاجها المقرّن والمميز والذي تعلوه نجمة ثمانية هي نجمة الزُّهرة. ونرى مرافقتها ننشوبر.



عشتار تتلقى العدة الحربية وهي تقف على أسدها، ممسكة القوس مع السهام على ظهرها. ونجمتها الثمانية تعلو رأسها، والظباء الظاهرة مفصولة على الجانب الأيمن، ربما تدل على الإله إيا، وبينهما النخلة كشجرة رمزية مقدسة وهي من رموز عشتار، من الفن الآشوري الحديث.

(Black, Jeremy & Green، Anthony 2004: 55)

ثالوث الشمس والقمر والزُّهرة:

«وتضم هذه المجموعة الثالوث الثاني وهم: ننار (سين SIN) واوتو (شمش UTU) وإنانا (عشتار) INNANA. إن الإله سين تميز عن سائر الآلهة الأخرى بكونه الإله الوحيد من بين الآلهة الذي له ثلاثة أخوة كما اعتقد العراقيون القدماء وعد الإله سين إله الكلمة والتقويم والعدل والخضرة، وذكر هذا الإله في حوليات الملك الآشوري أدد نيراري الثاني (911 ـ 890) ق.م. حيث وصفه بأنه ملك القرص القمري. كما وصفه الملك الآشوري أدد نيراري (الثالث) (810 ـ 783) ق.م. بأنه ضوء السماء والعالم السفلي أما الملك آشور بان ـ إيلي فيصفه بإله الخطابة. إن أهم لقب تميز به الإله سين هو سيد العرش حيث ظهر بشكل هلال القمر المقرن بقرنين وبهذا الشكل يستمد الحكام والملوك سلطتهم منه». (العبادي 2012: 43).

العشتارات الأربعة عند الآشوريين:

كانت أكد هي مصدر عشتار البابلية، وهذه كانت مصدر عشتار الآشورية التي تميزت بقلة نشاطها الجنسي قياساً للبابلية وزيادة نشاطها الحربي. و«إلى جانب آشور كانت هناك الإلهة عشتار التي لم تكن بعيدة عن الاعتبار نظراً لعلاقتها بالأنشطة الجنسية من جهة ومن جهة أخرى لارتباطها بالحرب بالحرب. وقد أظهرت عشتار نفسها في عدة أشكال، مثلاً، عشتار نينوى وعشتار أربيل وعشتار عنجوري على سبيل المثال، وقد ظن بعض الآشوريين أن هؤلاء كانوا آلهة متميزين، ولهم الحق في ذلك نظراً لأن أشغال عشتار المختلفة ربما تكون قد تطورت وذلك بسبب إضعاف صفة الإلهة عشتار لبعض الآلهة المحلية المعروفة». (ساغز 2008: 298).

في ترنيمة مكتوبة لآشوربانيبال يصف الملك كيف تعاونت عشتار من نينوى وعشتار من أربيلا في مساعدته خلال فترة حكمه. تم وصف النص في بيانه بأنه أغنية آشوربانيبال لـ

«سيدة نينوى»، وهو عنوان مخصص لعشتار نينوى. على الرغم من أن هذا يشير إلى أن النص ربما تم نسخه على لوحٍ ليكون بمثابة دليل لأداء النص لعشتار من نينوى، فمن الواضح أن النص نفسه هو ترنيمة لإلهتين مختلفتين. يفتح من خلال حث المستمعين على تمجيد سيدة نينوى وتعظيم سيدة أربيلا «اللتان لا تتشابهان، وتكون لكلّ منهما شخصيّة خاصة مميزة، بين الآلهة» إن اسميهما هما (zi-kir-ši-na) أثمن بين الآلهة، مراكز عبادة هم (ma-ha-za-ši - na) ليس لها نظير، و«الكلمة من شفاههم (zi-kir šap-te-ši-na) تحترق». القواعد تجعل من الواضح بشكل لا لبس فيه أننا نتعامل هنا مع إلهتين منفصلتين ومتميزتين، كل منهما يسمى عشتار.

عشتار الآشوريين:

تطابقت مع عشتار البابلية كثيراً واختلفت عنها قليلاً، وكانت أضرحتها المفضلة في هي نينوى وأربيلا ومعبد كيدمورو Kidmuru في نينوى.

1. عشتار آشور: يبدو أن الآشوريين قد اعترفوا بأصلها البابلي، كان لتجلاث بلاصر (حوالي 1010 ق.م) أول من اهتم بعشتار بطريقة خاصة وكان يسميها (عشتار الآشورية)، فقد كان يؤكد على الظروف التي خصص فيها المعبد الذي أقامه إلى عشتار في عاصمته.

2. عشتار نينوى: تجسد الإلهة الآشورية عشتار الجنس والخصوبة والحرب والعنف والشفاء. فهي إلهة ذات جاذبية جنسية، ولكنها محاربة قوية. يمكن أن يتم فهم هذه الأيديولوجية بشكل أفضل في ضوء الطقوس تمارس في عبادتها التي تضمنت هذه الممارسات الجماع الجنسي بين ارتفاع الكاهنة والملك أو «الزواج المقدس»، وربما بين الكاهنات والمصلين. ويمكن افتراض أن الطقوس الجنسية تحدث بالقرب من منطقة المعبد، حيث تسكن عشتار. لذا، يبدو أن عشتار تظهر كنقطة التقاء بين الفوضى والنظام. على الأقل هذا ما تميل إليه بعض طقوسها التي تصورها بهذا الشكل. يبدو أنها كذلك إلهة غامضة ومعابدها تعكس أيضاً لاهوت نينوى بشكل عميق.

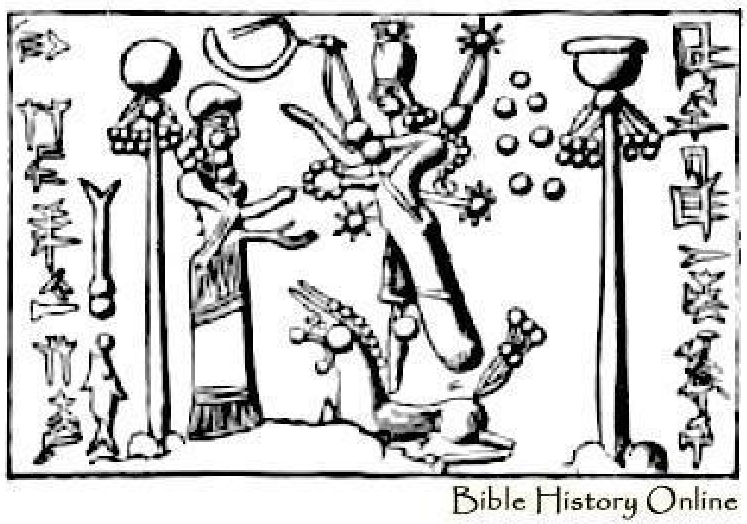
3. عشتار كيدمورو: تظهر في النصوص الآشورية، مع عشتار نينوى، في زمن أسرحدون (681 قبل الميلاد)، وبالتالي كانت عشتار نينوى هي الأكثر احترامًا من بين الثلاثة. من الواضح أن أربيلا كانت مركزًا دينياً ذا أهمية، وقد تقدمت النظرية بأنها أصبحت مقراً لمدرسة الأنبياء المرتبطة بعبادة عشتار، ومن المحتمل أن تكون كل واحدة من العشتارات الثلاثة من أصل مستقل. ونرجّح أن «ملكة كيدمورو» هي عشتار الأصلية في نينوى، وهي ملزمة بالتنازل عن مكانها لما يسمى بـ «عشتار الآشورية: عشتار آشور»، عند نقل عاصمة آشور إلى نينوى، ومن الآن فصاعداً يعرفها إحدى صفات لتمييزها عن منافستها الأكثر رعباً.

4. عشتار أربيل: عبادة عشتار في أربيلا ربما هي أيضاً من التاريخ القديم. لكن الظروف الخاصة التي تفلت منا يبدو أنها أدت إلى إحياء الاهتمام بطوائفهم خلال الفترة التي وصلت فيها آشور إلى ذروة قوتها: النقطة المهمة التي يجب أن نضعها في الاعتبار هي أنه لم يكن هناك تمييزات جوهرية بين هؤلاء العشتارات الثلاثة من قبل الأشوريين. صفاتهم ونقوشهم متشابهة، ولجميع الأغراض العملية لدينا عشتار واحد فقط في الإمبراطورية.



عشتار آشور: رسم على قطعة جبس للإلهة عشتار في معبدها في آشور في منتصف الألف الثالث ق.م

المتحف البريطاني في لندن (Harper et al. 1995 56):



عشتار من نينوى (والتي ربما كانت عشتار كيدمورو)

ننورتا

كان ننورتا بمثابة الوريث للإله آشور، وكأنه الإله الابن الذي يجسّد الإله الصانع (الديموج) في الديانات الغنوصية، ربما كان والده الحقيقي هو إنليل أو مردوخ، ولذلك جاءت صناعة الحرب ميزة رئيسية للآشوريين لأنها وظيفة ننورتا، «ذكر الإله ننورتا في النصوص السومرية بصيغة (MAS) وتقابلها في اللغة الأكدية الصيغة (ninurta). ذكر الإله ننورتا في حوليات الملك أدد: نيراري (الثاني) 911 ـ 891 ق.م، أعمل بدعم من الإله آشور والإله ننورتا، الآلهة العلماء أسيادي، وأسقطت خصومي، لقد عد الإله ننورتا أباً للإلهين أنليل وننليل، من حيث إن هناك آراء تذكر أن الإلهة ننخرساك هي والدته، وعدت الإلهة كولا زوجة له، ويفهم من مدلول اسم الإله ننورتا أن له صلة باختصاصات الإله فقد كان مسؤولاً

عن الاضطرابات الطقسية الشديدة لذا لقّب بـ (الولد) تصغيراً للإله وسمي الإله ننورتا باسم عاصمة إنليل، كان الإله ننورتا في الأصل إلهاً زراعياً (إله الطبيعة)، كذلك اقترنت بالإله ننورتا الصفة الأخرى وهي الصفة الحربية، فضلاً عن صفة الصيد فقد عد إلهاً للصيد، وقد بنى الملك آشور ناصر أبلي (الثاني) في عاصمته التي بناها مدينة كلخو (نمرود) معبداً للإله ننورتا. وقد ذكر الإله ننورتا لأول مرة في زمن سلالة أور الثالثة، وكان مرتبطاً بأخيه الإله ننكرسو، ويحمل الرقم (50) رقم والده نفسه الإله إنليل وكرس له معبد الخمسين (الأي نينو) في مدينة لكش، ويذكره الملك أدد نيراري (الثاني) بأنه محارب الـ (igigi)».
(العبادي 2006: 79 ـ 80).



الإله ننورتا يطارد بالقوس والسهم الوحش الطيري الجسد والأسدي الوجه (أنزو أو أسّاكو) وهو يعتلي حيوانه الخاص (من ختم أسطواني من العصر الآشوري الحديث).

(Black, Jeremy & Green، Anthony 2004: 14).

نشيد ننورتا:

«إن مجمع الآلهة الكبار مجد.....

فيا أيها المحارب «نينورتا»

أنت يا من جمعت في قوتهم....

لقد أخذت جميع طقوسهم وتعهدتها

وأودعت الملكية على الأسياد بين يديد

أيها السيد إن غضبك كالطوفان المدمر

فأنت الأكثر بطولة بين الآلهة، أنت المتكبر أيها السيد

يا سيد، إن وجهك هو الشمس ويعلو رأسك القمر

وعيناك أيها السيد، هما «غولا» و«بعلة ـ ايلي»

..... أيها السيد، هما التوأمان الإلهيان، «سن وشمس»

وجفون عينيك هما بهاء الشمس المشرقة

وشكل فمك، يا سيد «عشتار» والنجوم

إن «آنو» و«أنتو» هما شفتاك وكلامك «نوسكو» الرسول الإلهي

ولسانك الرشيق هو «بابل ساغ» في الأعالي

وسماء فمك، يا سيد هي انحناء الشمس المشرقة

وشكل فمك، يا «عشتار» والنجوم

إن الدنو من وجنتيك هو إشراقة النجوم البراقة

وأذناك يا حكيم الحكمة الإلهية هما «إيا» و«دامكينا»

ورأسك هو «حدد» وكصانع الأسلحة يجعل السماء والأرض تدويان

وجبهتك هي «شالا» الزوجة المحبوبة التي يُرضي قلبها «حدد»

وعنقك هو «مردوخ» قاضي الآلهة والأرض وطوفان «إنليل»

25. وجسدك هو «زربانيتو» خالق البشر...

وصدرك هو «شولان» الذي يراقب....

وكليتاك هما «هانيش»

ويمينك هي....

وشمالك هي....

وأصابعك....» (لابات وجماعته 2012: 105-106).

نتورتا ونسروخ:

نسروخ: Nisroch

اسم آرامي وعبري أطلق على الكائن الإلهي المكوّن من ثور برأس نسر وله جناحان، والتسمية هذه اعتباطية لأنها قائمة على قالب اسم مردوخ الذي لا علاقة له بهذا الكائن الذي كان، وفقاً للكتاب المقدس العبري، الإله الآشوري للملك سنحاريب حيث كان يعبده عندما تم اغتياله من قبل أبنائه أدرملك وشرآصر في معبد نسروخ (2 ملوك 19:37،

إشعياء 37:38). الاسم غير معروف في مصادر بلاد ما بين النهرين، ولكن هناك إشارات توحي بأن له علاقة بالزراعة. وربما كان نسروخ هو رمز من رموز الإله ننورتا، ولننورتا معبد في كالح (نمرود) يُحتمل بأنه المعبد الذي تمت الإشارة إليه عند العبريين كمعبد نسروخ. وهناك من حاول ربط نسروخ بإله النار والنور الآشوري (نسكو) وهذا في غير محلّه.

في أربعينيات القرن التاسع عشر، اكتشف عالم الآثار البريطاني أوستن هنري لايارد العديد من المنحوتات الحجرية لأجناس مجنحة برأس نسر في كالح.

في العربية والعبرية يبدو الاسم مشتقاً من كلمة (نسر) ويؤيد هذا شكل رأس هذا الكائن الذي يشبه رأس النسر، فضلاً عن وجود أجنحة له.

يحلّق التلمود في الخيال عندما يذكر أن اسم نسر هو الاسم الذي أطلق على لوح خشب اكتشفه سنحاريب عند عودته إلى آشور من حملته في يهوذا. وقد كتب الحكماء أن هذا اللوح كان في الأصل جزءًا من فلك نوح، وأن سنحاريب كان يعبده كصنم. وبالتالي، يُستنتج أنه كان هذا الصنم الذي كان يعبده سنحاريب عندما قتل على يد ابنيه.

في القرن السادس عشر، أصبح يُنظر إليه على أنه شيطان أدرج في عالم الشياطين في ملحمة ميلتون (الفردوس المفقود) ونُشر كأحد شياطين الجحيم ويظهر على أنه (الطاهي الرئيسي) هناك. وهو الموصوف بالعبوس والضرب بالدروع المطروقة في القتال بين الملائكة والشياطين.

الآلهة من جيل ننورتا

1.نينب Ninib (إله الحرب):

إله حرب آشوري يقابل الإله السومري إله لجش (ننجرسو)، أشاد به وببراعته كمحاربٍ الملوك الآشوريون ولا سيما تجلاث بلاصر الأول، وآشور ريشيشي، اللذان يصفانه بأنه «الشجاع»، و«الإله الجبار». وصفه القديم كإله الشمس والرياح، والذي كان يعتبره إله

تسوية الأرض حيث لا يقف في طريقه شيء، وهذا ما جعله جديراً بكونه إله المعارك. وهو مرتبط بآشور وولده ننورتا الذي هو بمثابة الأخ والنظير له بهذه الصفة، واحتفى به آشورناصر بال الثاني فمدح نينب وجعل هذا الإجراء من الإله نينب أن يحصل على شعبية هائلة وأعطاه رواجاً اجتماعياً وسياسياً لا يمكن أن يعطيه أي شيء آخر، وكذلك شمسي ـ رامان، حفيد آشور ـ ناصر بال، يوظف هذه الألقاب في تكريمه. وكان نينب إلهاً للصيد أيضاً، فقد كان رفيق الملك آشورناصربال في رحلات صيده ورياضته، وكذلك الملك تجلات بلاصر الأول صائد الأسود، والذي وضع نينب القوس بين يديه.

وكان نينب إله الشمس أيضاً في الشروق وشمس الصباح. وكان حين يصل إله الشمس إلى أوج السموات، تذبح له الآلاف من الأضاحي الحيوانية. كانت غولا إلهة الطب رفيقته (مثلما كانت رفيقة ننورتا).

يرى دانيلي برنس أن نينب ليس إلهاً سومرياً، بل هو إحدى التسميات الآشورية للإله الآموري (أمورو)، وهذا هو ما يعطيه امتيازات القوة والحرب، وما يجعله قريباً من الآشوريين بسبب تقارب الأصول..انظر: (PRINCE 2020)

كان معبد نينب العظيم يقع في كالح، المقر الرسمي لأشور ـ ناصر بال، وداخل أسواره وضع الملك لوحاً يسجل أفعاله، وتمثالاً عظيماً للإله. كما وهب طقوسه حتى يتمتع بالاستمرارية. يمكننا أن نفهم بسهولة كيف نشأت نعمة خاصة لإله مثل نينب بسبب اهتمام ملك آشوري معين به. سيعتبر آشور من قبلهم إلهًا شائعًا جدًّا ووطنياً بسبب اختياره كراعٍ شخصي.

2.زبابا Zababa (إله الحرب):

زبابا أو (زماما) هو إله حرب كان الإله الحارس لمدينة كيش في بلاد ما بين النهرين القديمة. إنه مرتبط بالإله ننورتا، ورمز زبابا هو الرجل برأس النسر، وهو ما يجعله نظيراً قوياً للإله ننورتا، وهو زوج الإلهة السومرية بابا إله الطب، وكان مزاره في (أور ـ زبابا) في

كيش، كان الملك سرجون الأكدي يرعاه، وظهر اسمه في اسم ملك بابلي كاشي (زبابا ـ شوما ـ إدين).

3.**بابا Baba**: **إلهة الطب**

4.أدد Adad: وهو إله رافديني قديم، أصبح عند الآشورريين إلهاً لكوكب زحل البعيد.



الإله أدد فوق حيوانه الرمزي: الثور، يبدو الإله مجسّماً لعنف وقوة إله الريح والعواصف، والمعروف عن هذا الإله أنه إله الزوابع والعواصف وكل الظواهر الجوية المفزعة والمروعة. الشكل مأخوذ من سلسلة مصنوعة من الحجر عُثر عليها في قصر تجلات بلاصر الثالث

ملك الآشوريين في الفترة ما بين (646 ـ 627 ق.م) وهي محفوظة اليوم في متحف اللوفر في باريس. (بوتيرو 1990: 377).

5.شالا Shala: إلهة الطقس.

أوسار Osar: لقب الإله تموز إله الخصب والتكاثر.

جبيل Gebel: إله النار.

داجون، داجان Dagan

داجان، إله السمك، وهو نفسه أوناس أو رسول وكائن من كائنات إيا Oannes أو Ea، ارتفع، في بداية آشور، نهض من مياه الخليج العربي لتنوير شعبه، في البانثيون الآشوري، مرتبط بأنو ولي بإيا، داجان يشرف على الأرض. ومجاله في الأصل البحر، ويرأس المجال الأرضي، وهذا التحول هو الذي كلف داجان شعبيته في آشور على ما يبدو، لأنه في وقت لاحق تم التعرف عليه مع بيل (بعل) واختفى تقريباً كلياً من البانثيون الآشوري. قرينته هي شالا الحورية الأصل والتي تقترن أيضاً بالإله أدد (إله الطقس).

رَمّان، رامان، رحمان Ramman

لا يوجد اتفاق على أصل الإله رامان عند الآشوريين رغم المكانة الكبيرة التي كانت له، ربما كان هذا الإله آرامياً أو آمورياً أو شامياً في أصله، لكنه عُبد مبكراً في بابل وآشور. نعتقد أنه قريب الصلة من آشور وقد يكون من نسله في مقابل ننورتا أو نينب أو زبابا أو أدد الذين يحملون صفاته، ولكنه كان يظهر مدججاً بأسلحة وصفات عنيفة كالبرق والطوفان والجوع والموت، وحين ينال غضبه مكاناً فأنه سيبتلى بالفيضان والمجاعة. فهو إله عاصفة عندما يلعب دور إله الحرب، مثلما يفعل إله الطقس من البرق مثل الرمح أو السهام في القتال، لذلك فإن رامان كإله العاصفة يجلب أهوال العاصفة على رأس الأعداء بقوة. أقرب ذكر لعبادة له هو في مدينة أشور. ربما كان إله العاصفة أو إله الرعد والبرق، لكنه كان مرتبطًا

أيضاً بإله الشمس شمش. وقد كان في آشور بالتأكيد الإله الرعد أولاً وقبل كل شيء. كانوا يشبّهون رامان بالأسد المزمجر، فقد كانت بميوله المدمرة ترشحه ليكون إله حربٍ، بل إن وجوده في الحرب كان ضامناً للنصر.

نابو Nabu:

احتفظ نابو بمكانته كابن للإله بيل ميروداتش (مروخ) وبكونه إله المعرفة والألواح وإله كوكب عطارد، وتم الجمع بين نابو وميروداخ معاً، غالباً باسم بيل ونابو. وتم التذرع بهم بشكل خاص عندما تم التعامل مع شؤون بابل. في القرن السابع قبل الميلاد. وسنجد أن عبادة نابو تحظى بشعبية عالية في آشور، فقد حاول الملك (رامان نيراري الثالث) تقديم نابو بشكل مميّز فأقام معبدًا للإله في كالح، ومنحه العديد من الألقاب المدوية. ولكن على الرغم من ذلك، لا يبدو أن الملك كان ينوي تعزيز نابو على حساب أشور. بل كان من المستحيل عليه أن يفعل ذلك. كان نابو راعي الحكمة وحامي الفنون. ويحمل صفة قلم الكاتب. وفي هذه الصفات، فهو قريب جداً من تحوت المصري، وهو مطابق تقريباً لإله بابلي آخر، نوسكو، لكنه أكثر رفعة منه.

copper or bronze
amuletic plaque of
the Neo-Assyrian
Period.



الإله نابو (نبو) الآشوري يحمل قلم الكتابة وعند قدميه رمزه التنين الأفعواني، تفاصيل من لوحة تميمة من النحاس المصبوب أو البرونز من العصر الآشوري الجديد.

نباك (تاشميم) Nibak ا(Tashmem):

زوجة الإله نابو.

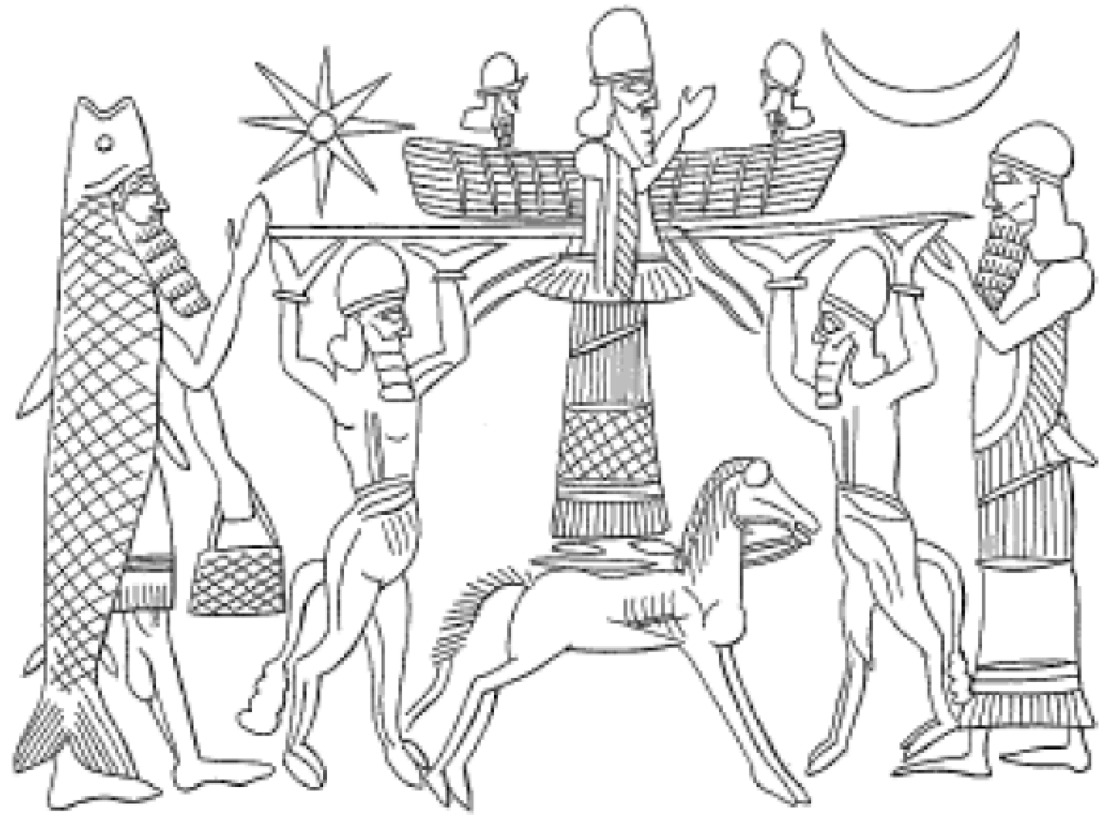
سين (إله القمر) Sin:

لم يُعبد، إله القمر (سين)، على نطاق واسع في آشور. وقد أسس له آشور ناصر معبداً له في كالح، ورفعه سرجون مع عدد من الآلهة الآشورية خارج الحدود الآشورية. وهو بمثابة إله حرب عند الآشوريين فقد عسكروا الآلهة وجعلوهم محاربين، وقد نشأت ما يشبه الميثولوجيا العسكرية التي احتلت أغلب المشهد الميثولوجي الآشوري، فأغلب الآلهة تحمل الصفات التي تبعث على الخوف، ولكن سببها الرئيسي هو الطريقة التي يُنظر بها إلى القمر في كل الأديان وعند كلّ الشعوب بعد الانقلاب الذكوري واعتباره تابعاً للديانة الأمومية التي تحمل الشر والخطيئة، حتى أن كلمة (سين) في اللغات الأوروبية أصبحت تعني الخطيئة. يعتبر القمر ابن مردوخ (بعل) عند الآشوريين، كما هو عند البابليين، وعند السومريين هو ابن إنليل. وفي آشور انحسرت الدلالات الفلكية والتنجيمية للقمر وإلهه. وأصبح يشير، أيضاً، إلى الحكمة وشكل للقرارات والأحكام، وهو ما يشبه مكانة تحوت في الميثولوجيا المصرية رغم الفارق النوعي بينهما.

شمش Shamash

تعود عبادة شمش في آشور إلى ما لا يقل عن 1340 قبل الميلاد، عندما بنى بوديلو معبداً لهذا الإله في مدينة أشور. بعنوان شمش «الإله الحامي»، أي إله العدل الحامي من الجريمة، الذي لا يمكن تغييره، وبهذه الطريقة اختلف شمش إلى حد ما عن الفكرة البابلية المتعلقة به حين كان يُنظر إليه بالتأكيد على أنه إله عادل، ولكنه ليس إله العدالة بشكل مطلق. اعترف تجلاث بلاصر الأول بشمش كقاضٍ له، ولأنه رأى فيه إله العدل لأعدائه أيضاً فقد قام بإطلاق سراح الأسرى.

وقد أشاد كل من آشور ناصر بال وشلمنصر الثاني بعبادة شمش، ودفع سرجون عبادة شمش بعيداً إلى الحدود الشمالية لآشور، لأنه بنى ملاذاً للآلهة خارج حدود الإمبراطورية الآشورية ـ حيث يجب أن يكون بين أمة من المحاربين إلهاً مثل شمش يحظى بتقدير كبير، لأنه بدون عقوبته، للأشرار والعابثين، لا يمكن تبرير الأعمال العدائية ضد أي شعبٍ آخر.



تفاصيل من ختم أسطواني من العصر الآشوري الحديث لإله الشمس شمش بجناحين يقف عليهما رأسان ورمزان لعشتار الزُّهرة ولسين القمر أو الهلال، وهو يقف على ظهر حصانٍ ويدعم وقوفه ثوران من الجانبين فيما يحيط به ويدعمه من اليسار كائن يوأنيس أبكالو الماء، ومن اليمين كاهن وربما صاحب الختم.

نوسكو Nusku

ابن الإله سين، وهو إله النور والمصباح، أصله سومري ثم عبده الأكديون والبابليون وكذلك الآشوريون الذين أسبغوا عليه صفة المعرفة والحكم ولقبوه بـ (نوسكو الصولجان اللامع) فالرموز المستخدمة في اسمه هي الصولجان والقلم، وأطلق عليه شلمنصر الأول «حامل الصولجان اللامع» وهذا يجعله قريباً من الإله نابو الذي كانت هذه رموزه. ومع ذلك، لا يمكن مطابقتهما لأن الانحدار السلالي لكلّ منهما مختلف، فبينما يرتبط نبو كابن للإله

مردوخ نجد أن نوسكو هو ابن الإله سين. لكنّ هناك اتصالاً سلالياً بينهما أبعد بقليل لأن نبو وسين هما ابنا الإله مردوخ. في العصور البابلية، اندمج نوسكو بالإله جبيل، إله النار، بسبب النور في كلّ منهما لكن الآشوريين لم يفعلوا ذلك. وفي آشور يبدو كرسول مروخ (كما كان رسول إنليل عند السومريين، وإنليل هو نظير مروخ)، ويخاطبه آشور بنيبال بأنه «رسول الآلهة المُكرّم». لا يبدو أن الآشوريين عرفوه بأي شكل من الأشكال مع جبيل، إله النار.

أدد (إيشكور) الآشوري: Anzû أو Asakku

لقد شاعت اللوحة أدناه كونها صراعاً بين الإله مردوخ والإلهة تيامت، ونحن نرى أن الرموز التي في يد الإله تمثل البرق، وبذلك يكون هذا الإله هو أدد (إيشكور السومري) وربما كان إله العاصفة (ننورتا) بسبب الأجنحة التي يمتلكها، وليس لمردوخ أجنحة كما هو معروف. أما الكائن الذي يهاجمه بحزمتي البرق فهو طائر البرق والريح (زو) في أسطورتهما الشهيرة حول سرقة ألواح القدر واستعادتها من قبل ننورتا.



لوحة اشتهرت على أنها تمثل صراع مردوخ مع تيامت وهذا خطأ متكرر

اللوحة آشورية تمثل مشهداً أسطورياً للإله ننورتا (بعضهم يراه أدد) وهو يهاجم الوحش الطائر آنزو (آساگو) (رأس أسد وجسد نسر) منقوشة على حجر من معبد الإله ننورتا في كالح (نمرود)،

(خلال حكم آشور ناصر بال الثاني 883-859 قبل الميلاد).

d.



ختمان أسطوانيان يوضحان الفرق بين أدد من العصر البابلي القديم (يساراً) وهو يعتلي تنيناً أسدي الشكل ويمسك البرق والعصا. وأدد من العصر الآشوري الحديث (يميناً) وهو يعتلي الثور ويمسك بيديه حزمتي البرق بينما يعلو رأسه قرص شعاعي، وهو من أرسلان طاش.

القسم الثاني: الكائنات أو الملائكة الآشورية

تنقسم الملائكة الآشورية إلى نوعين، بحسب مصدرهما، وهما:

1.الملائكة المائية (أبكالو): وهم رُسل الإله إيا (إله الماء)، وكانوا يمتازون بوجود العباءة السمكية على أجسادهم، وهم يتمثلون الإله (أوانيس)، وهي ليست آلهة حامية بل ملائكة للمعرفة تعلّم الناس الشرائع والقوانين والفلك وغيرها من العلوم.

هذه اللوحة الطينية الملونة من آشور تصور الرجل السمكة، حيث كان الناس مولعين في تلك الفترة بتصوير مخلوقات أسطورية ذات وجوه بشرية. وكان المخلوق المركب من الإنسان موجوداً منذ آلاف السنين، وغالباً ما يمثل مخلوق مؤذٍ. وفي هذه اللوحة، يظهر رافعاً يديه، ربما يحمل قرصاً شمسياً مجنّحاً، رمز الألوهية.

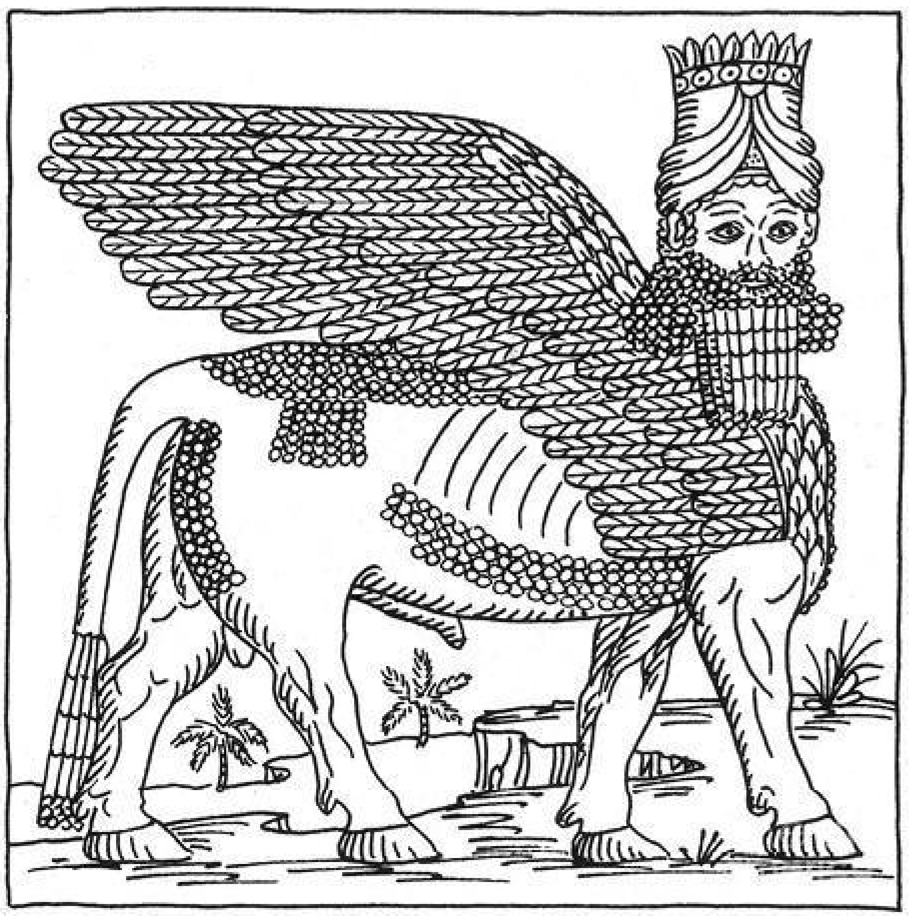
2.الملائكة الهوائية (جنّي): وهي الكائنات التي أنجبها إله الهواء (إنليل)، وهي الكائنات الحارسة للأفراد والمدن والقصور والمعابد والأسوار. والتي تمتاز بوجود أجنحة (جناحان أو أربعة) في جسدها.

«كان الملك آشور ناصربال أول من استخدم هذه المخلوقات الحارسة في قصره، وكانت هذه المخلوقات حسب اعتقادهم تقوم بوظيفة حماية البشر من الأرواح الشريرة فضلاً عن وظيفتها العمارية المتمثلة بإسناد جدران المداخل ودعمها والوظيفية الأخرى التي كانت تؤديها هي الوظيفة الجمالية. إن نحت وزخرفة هذه المخلوقات أو الثيران المجنحة كانت تتم على كتل حجرية ضخمة، وقد تم الكشف عن نماذج من هذه الأشكال المزخرفة في العواصم الآشورية في النمرود (كلخو) وخرسباد و(دور شروكين) ونينوى، ففي مدينة دور شروكين لوحدها كشف أكثر من (40) ثوراً مزيناً ومزخرفاً وقد وضعت على امتداد بعض واجهات القصر ومدخل قاعة العرش وتمت صياغتها بشكل متقن حيث تظهر رؤوسها ملتفة نحو الخارج وتتجه بأنظارها نحو الزائر، ومن دراسة النماذج المكتشفة لهذه المخلوقات المركبة إن الفنان» (النجاري 2005: 77).

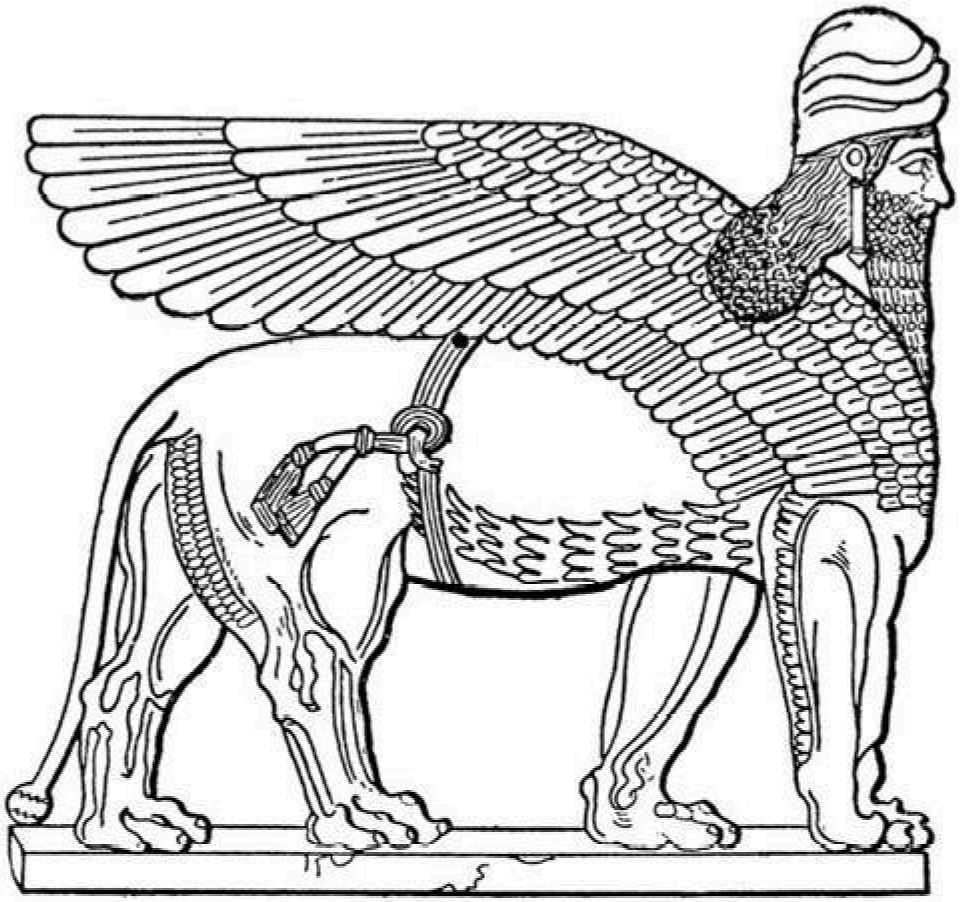
3.الإنسان الحيوان: وهي كائنات ممسوخة وتحمل أشكال الحيوان والإنسان ممزوجة مع بعضها، مثل كائنات الأوجالو، ونسرائيل.. إلخ.

4.الحيوان المجنّح: وهي الكائنات الأكثر أهمية فهي حامية المدن وغيرها، ويمكننا أن نصنفها كما يلي:

أ.لماسو: بقرة برأس رجل وجسد أسد وذات أجنحة.



ب.شيدو: ثور برأس رجل وبجناحين.



شيدو

ج.أبساسو: لماسو أنثى أي برأس امرأة.

د.أرومالولو: أسد برأس رجل وبجناحين وهو الغرفين الآشوري.



أورمالولو (القنطور الآشوري) يضرب الشيطان موكل ـ ريش ـ لماوتي بشكل أسد، من ختم أسطواني من العصر الآشوري الوسيط



قنطور يمسك ظبية. تفاصيل من ختم أسطواني من العصر الآشوري الوسيط، تفاصيل الحجر المنحوت من رليف قصر الملك آشوربانيبال.

القسم الثالث: آلهة العالم الأسفل وشياطينه

1.آلهة العالم الأسفل

معالم العالم الأسفل: هناك درج يصل إلى بوابة العالم الأسفل والتي كانت تسمى (جنزيرواس ganzirwas)؛ ومن الممكن فتح حفرة في الأرض تتيح الوصول إلى العالم السفلي؛ حيث يقع العالم السفلي أسفل أبزو، محيط المياه العذبة تحت الأرض. وكانوا لتحديد موقع «العالم السفلي» يستخدمون اسم «الصحراء» في بعض الأحيان للإشارة إليه، ويسمى نهر العالم السفلي بأسماء الأنهار الفعلية البعيدة، ربما تشير إلى أن عالم الموتى كان يقع في مكان بعيد وغير قابل للوصول المنطقة المرئية لسطح الأرض، ربما في الغرب. على الرغم من أن كلمة كور kur التي تشير إلى العالم السفلي تعني «الأرض»، إلا أنه يبدو أيضاً أن هناك بعض الارتباك مع معنى kur «الجبل (الجبال)». يوصف العالم السفلي دائمًا بأنه في ظلام دامس ومغبر وغير سار.

آلهة العالم الأسفل: هناك عدد من الآلهة، مثل أريشكيجال (لاس، لاز) Eres-kigal، ملكة العالم السفلي، وزوجها نرجال Nergal. الذي كان يُلقّب بـ (مسلامتاي). وهناك إله الطاعون الشرس والشرير (إيرّا).

أرواح الموتى من البشر: جميع الموتى، دون استثناء، يتجولون هناك، متعطشون للمياه وليس معهم سوى الغبار. في بعض الأحيان توصف أجسادهم بأنها عارية، أو مغطاة بأجنحة ذات ريش مثل الطيور. بصرف النظر عن أرواح الموتى التي تسمى كَدم (gidim)، فإن العالم السفلي هو أيضاً موطن للآلهة الميتة أو المنفية، أو لبعض الشياطين الذين يوصفون بأنهم «ذرية أرالي» والذين يخرجون من العالم الأسفل ليزعجوا الأحياء، لم يكن هناك حكم أو تقييم للصفات الأخلاقية للميت ووزنها بالميزان، كما عند المصريين، حيث

كانوا يقفون أمام أريشكيجال، حيث يتم تسجيل أسماء الموتى على لوح بواسطة الإلهة جشتن أنّا، كاتبة العالم السفلي، كما لو كانوا عمالًا يحضرون للعمل. وكان بابل ـ ساج Pabil-sag مديرها، ونمتار Namtar وزيرها أو رسولها، وكان نتي Neti حارس البوابة. يرتبط الإله إنميسارا Enmesarra والآلهة الأخرى أحيانًا بالعالم السفلي، وفي النصوص اللاحقة البابلية تم تخصيص 600 من آلهة Anuna الأنونا للعالم السفلي.

شياطين العالم الأسفل: وهي شياطين نارية الأصل من نسل آنو وهي السبيتو وعددها سبعة، والشياطين من أصل ترابي من نسل الإله ننكي أو كي وهي إلهة الأرض.

ديبّارّا Dibbarra

إله بابلي آخر تم وضعه في صفوف البانثيون الآشوري كان إله الطاعون، وشارك أكثر من شخصية شيطانية، وكان روحاً شريرة، تصور آشور بنيبال أن المدنيين الذين لقوا حتفهم في حملاته ضد بابل تم ذبحها من قبل ديبارّا.



التوأمان الكبيران: إيرّا ومسلامتاي Lugal-irra and Meslamtaea

من قلادة تميمة، من العصر الآشوري الحديث

2. شياطين العالم الأسفل

النوع الأول: الشياطين النارية المنحدرة من الإله آنو

الشياطين السبعة: سبيتو

سبعة من الشياطين(Seven(demons تسمى بالسومرية سبيتو Sebittu (بالأكدية إيمينبي iminbi) وهي تقابل الآلهة السبعة في السماء والتي ذكرناها على أنها الثريا أو ما يعرف بـ (أبجال) أو العفاريت الصالحة. الكائنات الإلهية هي الكائنات فوق الطبيعية وهي مرتبة بين الآلهة والإنسان. أنجبهم (آنو) من إلهة الأرض (إرصتو) أو (أوراش) ويصفهم هذا النص بوضوح:

«هم سبعة! هم سبعة!

في أعماق البحار هم، وعددهم سبعة

ليسوا ذكوراً ولا إناثاً

بل هم الريح الهائمة

لا نسوة لهم ولا يلدون الأولاد

ولا يعرفون للرحمة معنى ولا للشفقة

كلا.. ولا يصغون للصلوات والتوسلات»

وهم كما يلي في هذا الجدول المبسط:



الشياطين السبعة الأشرار Seven assyrian demons

مشهد آشوري بلون بني غامق لحجر ديوريت، من القرنين 8-7 ق. يظهر فيه موكب من سبعة شياطين بأجسام بشرية ورؤوس حيوانات يتحرك من اليسار إلى اليمين. على رأس الخط، يحمل شيطان برأس أسد سكيناً في يده اليمنى المرفوعة، ويقترب من مذبح مع طائر. يمسك قدم الطائر بيده اليسرى، ويوشك على التضحية به. وفي الأعلى رموز مضادة للمشهد يتكون من اليسار إلى اليمين من رمز سبيتو الذي يتكون من سبع دوائر (كوكبة الثريا) وفوقها الهلال رمز القمر سين، ثم النجمة الثمانية رمز عشتار (كوكب الزُّهرة) ثم رمز الإله آشور. (ربما للمشهد علاقة بالشيطانة لامشتو).



الشياطين السبعة في لوحة لامشتو وتعلوهم عشرة رموز سماوية هي من اليسار إلى اليمين (دكة المعبد آنو، إنليل، إيا، نابو القلم، أدد البرق، عشتار النجمة الثمانية، آشور القرص المجنح، الهلال سين، سبيتو الثريا، نسكو المصباح) للتقليل من أثر الشياطين.

النوع الثاني: الشياطين الترابية المنحدرة من الإلهة ننكي (كي)

هي جيوش من آلهة الـ (جالّو) (جالا بالسومرية) وهي جنود العالم الأسفل التي تنفذ إرادة وأوامر إلهي العالم الأسفل (نرجال وإرشكيجال).

النوع الثالث: أرواح الموتى

هي أروح البشر في العالم الأسفل ومعها الأرواح المهجنة بين البشر والشياطين. وتنقسم كما يلي:

1. أرواح الموتى (أطيمو) وتسمى بالسومرية (جديم)، فهي ترحل مع جسد المتوفى للعالم الأسفل وتبقى سجينة هناك على شكل طائر مترب له وجه المتوفى. ولكن في حالة عدم دفن الميت أو عدم تقديم القرابين من أجله، تبقى هذه الروح هائمة فوق الأرض تعبث فساداً بين أهل الميت أو بقية الناس وتسبب لهم الأمراض أو الأذى متخذة هيئة الشيطان الشرير.

2. أرواح مهجنة بين الإنسان والشيطان: وهي الأرواح والكائنات التي تولد من تزاوج الإنسان والشيطان، وأشهر الأمثلة عليها هو الشيطان آلو (علو)، وهناك الشيطان ليلو زوج الشيطانة ليليتو، والشيطانة أردات ليلي. وكلها شياطين مرضية بشكل إنسان تهاجم الأطفال والنساء.

المبحث الثالث: الطقوس والشعائر الآشورية

أولاً: الطقوس اليومية

1. الصلاة: طقس يومي يمارسه الآشوري في المعبد أو البيت أو أي مكان يراه مناسباً. وهناك أنواع كثيرة من الصلوات مثل صلاة تمجيد الآلهة وصلاة التائب وصلاة الخسوف وصلاة الكسوف وصلاة إنجاب الأطفال وصلاة لدرء الأخطار. فمنها طقوس يومية ومنها طقوس مناسبات.

نقرأ الصلاة الآتية لآشور:

«صلاة لآشور، ملك الآلهة، حاكم على السماء والأرض،

الأب الذي خلق الآلهة، المولود الأول للسماء والأرض،

«موتّالو» الأعلى الذي يميل إلى المشورة،

معطي الصولجان والعرش.

إلى ننليل، زوجة أشور، المولودة (عند)، قبة السماء والأرض،

الذي بأمر من فمها...

إلى سين، سيد الأمر، رافع القرون، مشهد السماء،

لإله الشمس، القاضي العظيم للآلهة، الذي يجعل البرق يصدر،

إلى آنو، الرب والأمير، يمتلك حياة آشور، والد الآلهة العظيمة

الى رامون وزير السماء والأرض سيد الريح وبرق السماء

إلى عشتار ملكة السماء والنجوم التي ترتفع مقاعدها

إلى ميروداخ، أمير الآلهة، مترجم أرواح السماء والأرض

إلى آدار، ابن مول ـ ليل، العملاق، البكر...

إلى نيبو رسول الأشور...

إلى نيرغال، سيد القدرة والقوة...

إلى الإله الذي يسير في الأمام، البكر...

للآلهة السبعة، آلهة المحارب...

الآلهة العظيمة، أمراء الأرض والسماء» (SPENCE 1916: 210).

ثانياً: طقوس المناسبات

1. الصيام: كان الصيام معروفاً وممارساً بشكل واضح من قبل بعض الملوك الآشوريين، إذ نقرأ في أحد تلك النصوص على لسان الملك أسرحدون وهو يصف حاله بعد الصيام بالقول:

«أنا في جوع عظيم لكنني هل أنا شبعت بالأكل؟ أنا صائم عن الطعام بسوت واحد، لكنني أستطيع تناول ثلاثة أسوات»*.

*السوت (Sutu): مفردة أكدية تقابل باللغة السومرية (BAN) وهو وحدة كيل يتراوح سعته ما بين 8-10 لتر وفق مكاييل السعة المستخدمة في الوقت الحاضر.

«ومما يلاحظ في النص أعلاه أن المعلومات الواردة فيه تؤكد حالة الصيام والامتناع عن تناول الطعام والشراب دون ذكر الأسباب التي دعت إلى ذلك الصيام أو تحديد مدته، وإن الملك كما يبدو بحسب إشارة النص تناول من الطعام ما مقداره سوت واحد فقط، وكان بإمكانه تناول ثلاثة أسوات من الطعام، أو بالتالي فإنه لم يأخذ كفايته من الطعام وشعر بجوع عظيم خلال مدة الصيام وبدأ يسأل نفسه هل أنا شبعت من الكل حتى أشعر بهكذا جوع، إلى ذلك فإنه لا يوجد لدينا أيضاً ما يشير إلى وجود وجبة طعام كانت تسبق الصيام فيما هو معروف لدينا في الوقت الحاضر، وتحديداً في ديننا».

«في اللغة الأكدية ما عبر عنه المصطلح الأكدي (SA.KA.TAB) ويعني (صام أو صوم). فيما دلت كلمة (SUITU) الأكدية عن الامتناع عن الأكل والشرب وهو ما قد يصب أيضاً في مفهوم ومعنى الصيام، كما ورد ذلك في المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة». (عبد الرحمن والجبوري 2020: 3).

«ومن ذلك اللفظة الأكدية (SUMU) ويعني (ظمأ أو عطش)، (SUMAMITU) التي تحمل ذات المعنى وقد يقترب معناها من الصمت أو السكوت، وهذه الكلمات كما هو ملاحظ مقاربة إلى حد كبير من كلمة صائم التي وردت في اللغة العربية، وتدل أيضاً على العطش والظمأ». (عبد الرحمن 2020: 2).

«ويرد في رسالة من العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612) ق.م، مرسلة من اثنين من الثقات المقربين من الملك الآشوري آشور ـ أخي ـ إدينا، والقائمين على تربية ولده وولي عهده الأمير (آشور ـ باني ـ أبلي)، ينصحان الملك بالتوقف عن الصيام ربما لأسباب صحية أو نفسية ومما جاء في الرسالة: ((نرجو أن يعذرنا الملك، سيدنا، ألا يكفي يوم واحد يصوم فيه الملك، ويكون واهن العزم؟ كم سيصوم؟ ها هو الآن اليوم الثالث الذي لم يأكل فيه

الملك طعاماً.. كلما حل مطلع الشهر، وبدأ القمر جلياً، نأمل أن يقول ملكنا: لا أريد الصوم، ها هو مرة أخرى مطلع الشهر، سآكل الخبز وأشرب الخمر)).

وكما هو واضح من فحوى الرسالة، فإن صيام الملك وامتناعه عن الأكل والشرب لأكثر من يومين متتاليين دون انقطاع ودخوله في اليوم الثالث قد أثار تساؤلات مستشاريه من القائمين على خدمته وتربية ولاة عهده، بأن هكذا صياماً إنما قد يكون له مردودات سلبية على صحة الملك ونفسيته، ولا يكفي للملك بأن يصوم يوماً واحداً كل شهر ويكون فيه أيضاً واهن العزم من ذلك الصيام، ويبدو أن إصرار الملك أسرحدون على الاستمرار في الصيام ربما يعود إلى كونه من أكثر الملوك الآشوريين تديناً وخشية من الآلهة كما تشير إلى ذلك العديد من الرسائل الملكية، ويبدو أن هذا الأمر دفع بأطبائه ومستشاريه من الكهنة إلى ضرورة التدخل للتوقف عن تواصل الأيام في صيام الملك أكثر من ذلك للحيلولة دون الاستمرار في تدهور حالته». (عبد الرحمن 2020: 4).

2. صلاة الخسوف: «هنالك صلاة خاصة عندما تحدث ظاهرة خسوف القمر. وتم العثور على نص يتضرع فيه آشوربانيبال من الآلهة لطرد الأرواح الشريرة. وفي هذه الصلاة كان آشوربانيبال يطلب من الإله أن يمحي خطاياه ويغفر ذنوبه ويصفح عنه. ومن خلال النص يمكننا أن نستنتج أن الشر يرافق خسوف القمر». (بوتيرو 2014: 202).

3. صلاة الكسوف: «كان لدى سكان بلاد الرافدين معاني كثيرة لكسوف الشمس وكان لها أهمية بالغة في نفوسهم. وهذه الظاهرة بالنسبة لهم نذير شؤم وخوف ورعب. وورد أن الملوك كان ينتابهم الخوف عند حدوث ظاهرة الكسوف. وكان لدى الكهنة تنبؤات معينة قبل حدوث ظاهرة كسوف الشمس. وورد في أحد النصوص أن لدى الكهنة علامات يستطيعون من خلالها التكهن بحدوث الكسوف منها شروق الشمس بصورة مبكرة وعدم ظهور القمر وهبوب الرياح الغربية وترافق هذه العلامات ظاهرة كسوف الشمس. أما صلاة الكسوف فكانت توجه إلى الإله (سين) إله الخصوبة وتكاثر الإنسان والحيوان. وكانوا يتضرعون إليه ليبعد عنهم شر هذه الظاهرة». (بوتيرو 2014: 202).

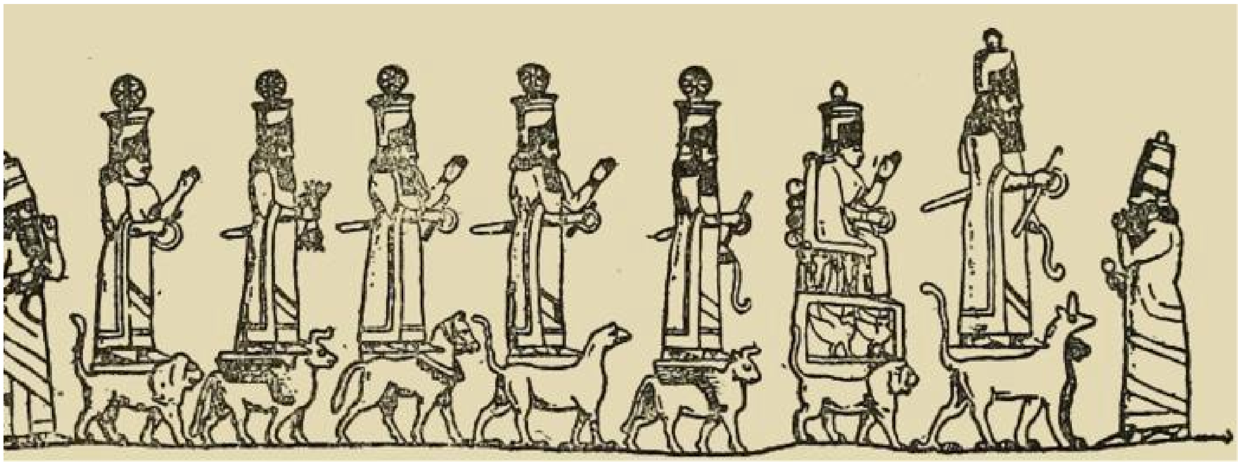
4. صلاة إنجاب الأطفال: «هنالك صلاة معينة تؤدى في اليوم الخامس عشر من الشهر أمام الآلهة لكي يتبارك فيها الرجل ويأتي زوجته في ذلك اليوم ولديهم إحساس أن الزوجة سوف تنجب طفلاً مثلما ورد ذلك في النصوص». (بوتيرو 2014: 203).

5. صلاة لدرء أخطار الأمراض: «تؤدى صلاة خاصة لدرء الأخطار الناجمة عن الأمراض وبصورة خاصة لسعة العقرب وغيرها. فإذا ما استجيبت صلاته فإن الملسوع سوف ينجو من الموت. ويذكر أيضاً وجود صلوات أخرى مثل صلاة إلى ولي العهد وصلاة الوقاية أي وقاية الطفل وأولياء العهود وغير ذلك من الصلوات». (بوتيرو 2014: 203).

ثالثاً: الطقوس الدورية

كانت الأعياد أهم الطقوس الدورية السنوية، وكان الأكيتو أهم هذه الأعياد، و«هناك اختلاف في وجهات النظر فيما إذا كانت بناية الأكيتو التي يقام فيها الاحتفال معبداً أو بيتاً ذا وظيفة دينية. وقد رجح بعضهم أن بيت أكيتو ليس معبداً بالمفهوم المتعارف عليه، إذ لا نجد فيه ما يحتويه المعبد من دكة للقرابين أو محراب يوضع فيه تمثال الإله لذلك يمكن اعتبار بناية الأكيتو بيتاً ذا وظيفة دينية محددة وخاصة بالاحتفال الذي يقام في رأس السنة وأوضح مثال على هذا البيت هو الأنموذج الذي تم اكتشافه من قبل البعثة الألمانية في آشور والذي بناه الملك الآشوري سنحاريب في القرن السابع ق.م، ويقع على بعد 900 م من معبد آشور خارج أسوار المدينة، بينما عدّه الآخرون معبداً حيوياً خاصاً بالاحتفال بعيد السنة السنة الجديدة، وكان أصغر من المعبد ولكن ليس أقل ميزة عنه. وكان موقعه في بابل خارج أسوار المدينة على بعد حوالي 200 م إلى الشمال من بوابة عشتار. وعلى الرغم من أنه لم يتم العثور على بناية بيت أكيتو خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في بابل ولكن وصف هذا البناء يعتمد على حجم البناء وبقاياه، وأيضاً من الحدس، ومن المصادر الآشورية المتأخرة المعروفة جيداً من الكتابات الخاصة بالملك الآشوري سنحاريب والتي كانت مخصصة لبيت أكيتو في أشور». (الأسود 2011: 83-84).

وكان طقس مواكب الآلهة القادمة من المدن أهم هذه الطقوس، والتي تعبر عن مشاركة المدن وآلهتها في احتفال مركزي واحد.



موكب الآلهة في مالاتيا. المرتبة من اليمين إلى اليسار: أشور، عشتار، سين، إنليل، شمش، أدد وعشتار أربيلا.

من كتاب (المعتقد والممارسة الدينية في بابل وآشور)، بواسطة البروفيسور جاسترو

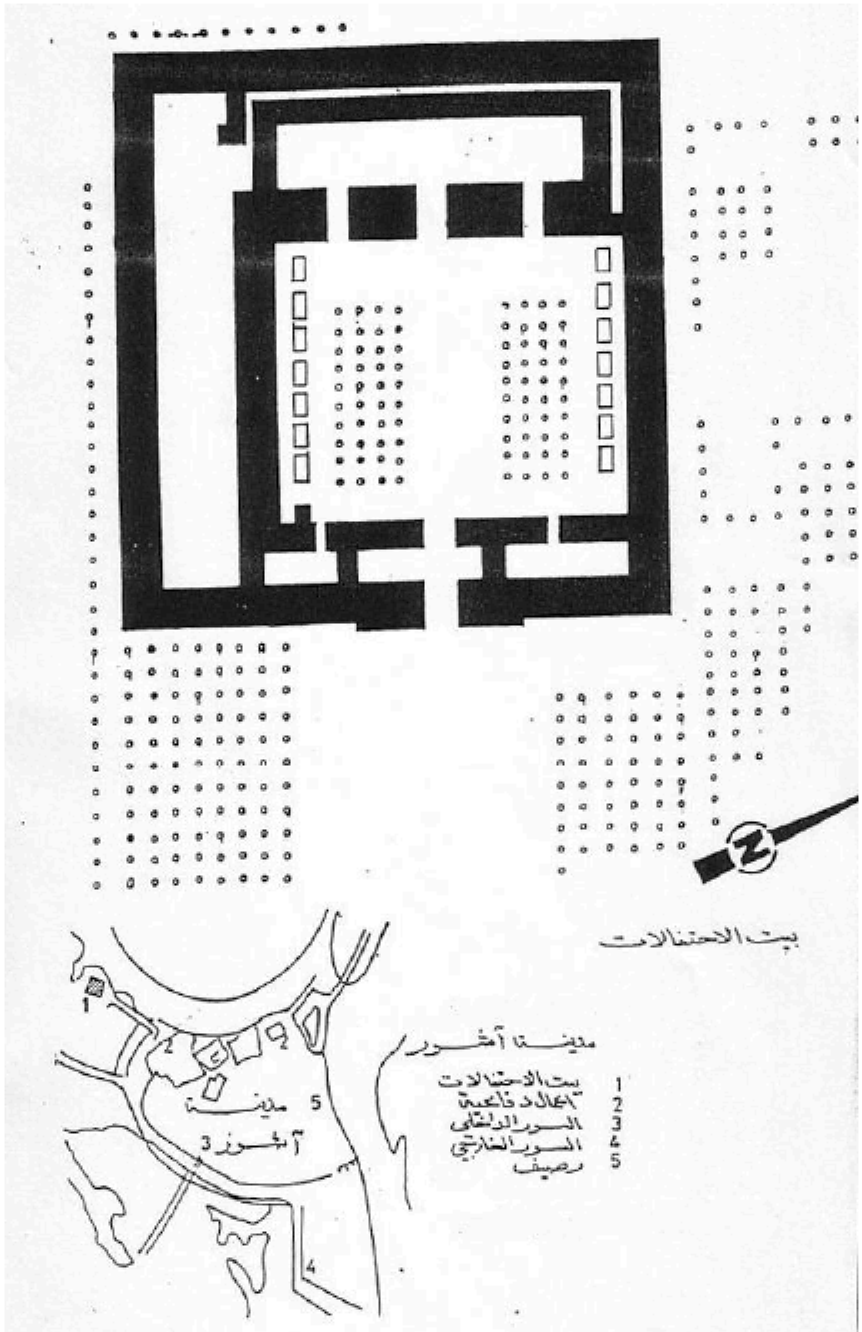


الملك الآشوري آشوربانيبال وهو يظهر كرجل الدين الأعلى في مشهد طقسي يحمل وعاءً طقسياً.

اختلفت تسميات بيوت الأكيتو، لكن وظيفتها بقيت واحدة، وقد «عرفتنا النصوص المسمارية بالتسميات الخاصة التي كانت تحملها بيوت أكيتو المقامة في المدن العراقية القديمة، فبيت أكيتو الموجود في آشور كان يدعى (بيت العيد في السهوب)، والموجود في أربيل كان مقاماً في منطقة تدعى Millkia أي (قصر السهوب) والموجود في بابل كان يدعى (بيت الصلاة) أما نصوص العصر السلوقي في مدينة الوركاء فقد ذكرت لنا بيتين

فقط، الأول بيت أكيتو الإله آنو والثاني بيت أكيتو الإلهة عشتار». (النعيمي 2011: 86 ـ 89).

«الشكل النهائي لبيت أكيتو مدينة آشور كان عبارة عن قاعة طويلة تمتد باتجاه الجنوب الشرقي مضافاً إليها صالة كبيرة في الجهة الشمالية الشرقية وحجم البناء الكلي 67× 60 م. ويضم البناء باحة مساحتها 51× 47 م ويخترق وسط هذه الباحة ممر يوصل بين المدخل الرئيس لبيت أكيتو وبيتة قاعة الطقوس الدينية، وعلى كل جانب من جانبي الممر أربعة صفوف من الأشجار وخلف الصفوف الأربعة من الأشجار توجد قاعات مفتوحة، على كل جانب ثماني قاعات، ومن المحتمل أنها كانت مخصصة لتماثيل الآلهة المرافقة لتمثال الإله مردوخ في احتفالات عيد أكيتو، أما شارع الموكب فكان يبدأ من معبد الإله آشور ويخترق المدينة من بوابة كوركوري باتجاه بيت أكيتو». (الأسود 2011: 87 ـ 88).



تخطيطي لبيت أكيتو في آشور (حبيب 1986: 175).

وما لبث عيد الأكيتو إلّا وانتشر في كلّ أرجاء العالم القديم فأخذ أسماءً أخرى، وقد «تأثرت أقوام أخرى بالأعياد البابلية والآشورية وخاصة عيد رأس السنة الجديدة أو ما يسمى

بالأكيتو فاتخذته عيداً مقدساً مثلما فعلت القبائل الهندية والإيرانية، كما واعتقدت به الزرادشتية فأسمته عيد النوروز (ونوروز) كلمة فارسية مكونة من مقطعين (نو ـ تعني جديد، و- روز ـ وتعني يوم، فيكون معنى عيد نوروز ـ اليوم الجديد ـ وهو عيد رأس السنة لدى الفرس والعديد من الأقوام المجاورة)، وكانت احتفالات الملك الساساني بهذه الأعياد تشبه بعض ما كان يقوم به ملوك بلاد الرافدين القدامى من طقوس ومراسيم ومن الجدير بالذكر يمكن المقارنة بما أوردته النصوص عن الاحتفالات المرتبطة باحتفال عيد أكيتو الذي يوافق فترة الخريف ومنه ما يسمى (عيد سفينة نورو ezen - ma nu - ru) إذ تعني الكلمة البابلية nu - ru ضوء الشمس أو المصباح ومن الفعل يشرق إذ هناك ترابط معين بين كلمة (نوروز ونورو). وقد تأثرت الإيزيدية بالعيد البابلي (أكيتو) إذ كان رأس السنة عندهم يصادف أول أربعاء من شهر نيسان، لذا عدّوا شهر نيسان جميعه أعياداً مقدسة». (الأسود 2011: 118 ـ 119).

المبحث الرابع: الأخرويات الآشورية

رؤيا الأمير الآشوري (كومّا) حول العالم الأسفل:

هذا نص يروي حلماً لأمير آشوري اسمه (كومّا) عثر عليه في مدينة آشور على رقيم طيني بحوالي (75) سطراً ويعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ويوضح النص صورة العالم الأسفل والكائنات التي فيه ويشير إلى الملكين الآشوريين سنحاريب وأسرحدون، ويبدو أن النص موجه إلى الملك أسرحدون لكنه يذكر وجود سنحاريب في العالم الأسفل. وفي القسم الأول من النص يشير إلى شكل العالم الأسفل وإلى كائناته وإلى مليكه نرجال وزوجته إرشيكيجال. وحين يرى (كومّا) هذا العالم وهذه الكائنات يرتعب، ويكاد الإله نرجال أن يفتك بالأمير كومّا لكن مساعد نرجال وهو (إيشوم) مساعده يهدأ الإله ويقولوا له أن مدائح هذا الأمير قد تساهم في تقوية مجدك عندما يرددها إذا ما خرج هذا الأمير من العالم الأسفل. عندها يقول نرجال للأمير لماذا أهنت إرشكيجال ملكة العالم الأسفل؟

ويبدو أن هذه التهمة غير صحيحة فيعفو عنه ويطلب منه أن لا ينساه وأن يقوم بأداء الشعائر والمدائح له:

«وإن أنت لن تنساني ولن تكون مهملاً نحوي، فلن أطلق ضدك القرار الرهيب. (وإلا) فبناء على أمر شمش فلتسلط عليك الآلهة معاً الاضطرابات والعذاب والثورات وليتمكن ضجيج هياج السكان (عند ذلك) حرمانك من لذة النوم!

هذا الشبح الذي رأيته في العالم السفلي هو «روح» الراعي المجيد الذي جعله أبي {آشور} ملك الآلهة، يحقق كل ما كان يرغب به.

والذي من الشرق إلى الغرب، رفع مثل حمل البلاد كلها، وحكم جميعها.

وعملاً بنظام كهنوته {عهد} إليه آشور مراسم الاحتفال بعيد «معبد ـ السنة ـ الجديدة للحقول» {حيث أوجد (؟)} بستاناً زاخر الوفرة كما هو لبنان....

والذي من أجله تم اتخاذ القرار بأن يقوم الآلهة يبرو وهومبا ونافروشو بحماية شخصه والمحافظة على ذريته وإنقاذ جيشه ومعسكره، بحيث لا يتمكن أي عدو على عربة، الاقتراب منه أثناء المعركة.

ولكن هذا الآخر والدك، مع أنه في سن النضج (؟)، عالم بكل الأشياء ويمتاز بإدراك واسع، وهو متفتح على روح المعرفة وهو الذي تفحص خطط تماسك الأرض.

لماذا (؟) لكلمات (شمش) لم يعر أذناً صاغية، لماذا تجاوز الممنوعات وداس على المحرمات؟ ودونما إمهال فإن التألق الرهيب لملكيته، يقضي عليك (محيلاً إياك) إلى العدم.

«لتبق هذه الكلمة في قلبك مثل شوكة. اذهب الآن إلى عالم ما هو فوق وإلى حين أتذكرك من جديد» هذا ما قاله لي. وعند ذلك استيقظت». (الشواف: 2001: 180 ـ 181).

القسم الثاني: المكونات الثانوية للدين الآشوري

المبحث الأول: الشرائع والأخلاق

في الفصل الخاص بالأخلاق الآشورية سنناقش هذه الأخلاق بشكل عام، ومن ضمنها الأخلاق الدينية الآشورية التي كانت محافظة بسبب الهيمنة الاجتماعية والدينية للملك الآشوري على المجتمع وتوجهاته.

وامتازت القوانين الآشورية، التي ناقشناها في فصل خاص، بالقسوة والخشونة قياساً للأخلاق البابلية والسومرية. ومنعاً للتكرار يرجى مراجعة الفصلين الخاصين بالقوانين والأخلاق الآشورية.

المبحث الثاني: السير المقدسة

لا نمتلك سيراً مقدسة لشخصيات آشورية تماهت مع المقدس الآشوري وشكّلت نموذجاً لهذه السير المقدسة، ولا يمكننا أن نعد الملوك الآشوريين كنماذج في هذا الحقل لمجرد أنهم يرأسون المؤسسة الدينية، ولذلك نرى أن هذا العنصر قد غاب من الديانة الآشورية، وربما تكون البحوث، خلال الفترة القادمة، قادرة على تقديم شيء في هذا المجال.

كان الملوك الآشوريون بمثابة رؤساء للمؤسسة الدينية، فالملك الآشوري هو الكاهن الأكبر الذي يمتلك بيديه السلطتين الروحية والمادية للمملكة، لكننا يجب أن ندقّق ونفحص في سيرتهم الروحية لكي نشخّص من فيهم يمتلك سيرة مقدسة تؤهله لكي يكون رمزاً دينياً في هذا المجال.

سيرة الحكيم أحيقار الذي عمل في البلاط الآشوري هي سيرة شخصية آرامية كتب أغلب نصوص حكمته بلغته الآرامية وسنناقشها في كتابنا عن الحضارة الآرامية. ولم نتعرف على

أسماء حكاء آشوريين محددين، ربما ظهروا لكن آثارهم اختفت.

المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب

أولاً: عبادة آشور الشمولية وعبادة الآلهة التقليدية

لا شك أننا أسهبنا في التعريف بالفرق بين عبادة آشور وبقية الآلهة، وهو ما أطلقنا عليه بالعبادة الشمولية التي تفرد مكانة خاصة له تقرّبه من التوحيد وتبقي على الآلهة الأخرى ضعيفة تؤدي واجبات روتينية. ويمكن مراجعة هذه الفقرات في أماكنها المناسبة.

ثانياً: عبادة الملائكة والشياطين

الآلهة والملائكة والشياطين: حين انفرد آشور ببرجه العالي وحين تحوّل مجلس آلهته إلى مجرد مجلسّ تنفيذي لخططه، أصبح دور الآلهة ضعيفاً في الحياة اليومية للناس وحلّ محلها دور الكائنات الإلهية (وهي أنصاف آلهة) بشكليها الإيجابي والسلبي، فظهر الملائكة ككائنات طيبة وخيّرة متمثلة بالأبكالو المائية والجن الهوائية. فيما ظهرت الشياطين ككائنات شريرة ومؤذية متمثلة بكائنات آنو النارية (سبيتو) وكائنات ننكي أو كي الترابية (جالا) ونشط ظهور أرواح الموتى والأرواح التي تلازم الناس في حياتها وأغلبها شرير ويسبب الأذى.

هكذا يمكننا أن نحصي في بلاد آشور كل هذه الكائنات كما يلي:

1. الكائنات الإلهية الطيبة: وتنقسم لأربعة أنواع:

أ. أبكالو: وهي الكائنات المائية السمكية الطابع والتي كانت بمثابة رُسل الإله إيا وتسمى (أمو أبكالو).

ب. جنّي: وهي الكائنات الهوائية المجنّحة (بزوج أو زوجين أو ثلاثة من الأجنحة) وهي على شكل رجل.

ج. الحيوان المجنّح: وهي الثيران والأسود المجنّحة الحامية للمدن والمعابد والقصور الآشورية.

د. الرجل الحيوان: وهي أشكال خليطة بين البشر والأسود والثيران والأغنام والطيور.

وتعتبر هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة بمثابة رُسل إله الهواء إنليل.

2. الكائنات الإلهية الشريرة: وتنقسم لنوعين:

أ. الشياطين المنحدرة من الإله آنو (أبناء آنو الأشرار السبعة) والذين يسكنون العالم الأسفل. وهم كائنات نارية الطابع.

ب. الشياطين المنحدرة من الإلهة ننكي أو كي (أريصتو، أوراش) وهي إله الأرض واسمهم (جالا) أو (ننكي ـ جالا) وطبيعتهم ترابية وهو بمثابة جنود العالم الأسفل والذين يكونون تحت إمرة إلهَي العالم الأسفل الكبيرين نرجال وإريشكيجال (لاز).

المبحث الرابع: الباطنيات والأسرار

المفهوم الباطني للألوهية في العالم القديم:

تم تدوين بعض تفاصيل العلم الباطني، في آشور والشرق الأدنى القديم بشكل عام، من خلال المصوغات والألواح ذات الصلة، ولا تزال الإجراءات الطقسية الخاصة بتركيب التماثيل الإلهية في آشور وبابل تظهر إلى جانب بعض التعويذات التي كانت جزءًا من الطقوس مثل فخذ الكبش، البيرة الممتازة، وجبة ماشاتو، والقصب المقدس، بالإضافة إلى معلومات حول الأبراج النجمية والكواكب التي كان من المقرر الإشارة إليها كجزء من

التثبيت؛ وحول اختيار أدوات الحرفيين التي تم التخلص منها كجزء من الطقوس (المرفقة في فخذ الكبش، وما ترسب في النهر).

قد تكون الشجرة المقدسة مؤيدة للملك. وبعبارة أخرى، تم فهم الفكرتين لتمثيل الشيء نفسه. كان الفهم المعاصر لطبيعة دور الملك في آشور هو أنه كان ممثل الإله آشور على الأرض، وبالتالي فإن الملك يمثل صورة للإله على الأرض.

لكن لماذا الشجرة؟ ربما لأنها يمكن أن تمنح الملك علاقة ماهية مع الشجرة المقدسة. كانت الأشجار المنمقة جزءًا من أيقونة الدين في بلاد ما بين وادي الرافدين في الألف الرابع قبل الميلاد، وبحلول الألفية الثانية قبل الميلاد، كانت صورة الشجرة موجودة في الشرق الأدنى القديم، بما في ذلك مصر واليونان والسند، وعلى الرغم من أن أهميتها الدينية غير واضحة، إلا أن سيمو باربولا يشير إلى رمزيتها وأهميتها الحضارية والسياسية والباطنية.

ظهرت الشجرة في عهد توكولتي نينورتا الأول، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو بداية صعود الإمبراطورية الآشورية الجديدة مع إكليلها وملحقاتها من المخاريط والثمار وتاج الشجرة أو جذعها وتتضح أهمية هذا الرمز من خلال حقيقة أنه يظهر على الملابس الملكية، والمجوهرات، والأختام الرسمية، وكذلك اللوحات الجدارية والمنحوتات الموجودة في القصور الملكية. وفي عصر آشور بانيبال الثاني ظهر الملك في غرفة العرش ومعه شجرة مميزة تقف على قاعدة حجرية وتتكون من جذعٍ مع تاجٍ وتحيطها خطوط أفقية أو متقاطعة تزينها شجيرات النخيل والصنوبر والرمان، ويظهر صندوق في وسطها مزين بدوائر صغيرة يساراً ويميناً، وهناك شخصيات حيوانية وبشرية وخرافية تحيط بجوانحها بينما يظهر قرص مجنح فوق الشجرة، ويرى باربولا أن الشجرة تمثل النظام العالمي الإلهي، وإن الملك الآشوري حافظ عليها باعتباره وصي الإله آشور على الأرض، وأن الملك قد يحلّ محل الشجرة أو هو تجسيد لها محاطاً بالجن المجنحين. إن رمز الشجرة في آشور كان له وظيفة مزدوجة في الفن الإمبراطوري الآشوري حيث يتم تصوير الملك بأنه شجرة إلهية وأنه الرجل المثالي.

1. المسارية: بإهمال الإله تموز في البانثيون الآشوري، تكون المسارية الآشورية قد فقدت عنصراً مهماً من مساريتها، لكن هناك إشارات لوجود المسارية مع الإلهة عشتار والذي يؤدي إلى تمثّل الإله آشور كإله مساري يتم الاتحاد به، ولا يمكن تعميم هذا على كلّ التاريخ الآشوري بل سيكون مقنعاً في مرحلته المتأخرة.

2. الهرمسية: ربما يكون الإله نبو قد شكّل جزءاً من الهرمسية الآشورية، بسبب علاقته بالمعرفة السرية، لكن الوثائق لا تعيننا في تقصي هذا الأمر، ولذلك نقول أن النزعة الهرمسية عند الآشوريين اقتصرت على عبادة متفرقة للكواكب السبعة وهياكلها، والتي انتعشت في مدينة حرّان، حيث سادت عبادة القمر بشكل واضح هناك.

يقول سيمو باربولا أن هناك ما يشير إلى تأثر شجرة السفروت في الكابالا اليهودية بالشجرة الآشورية حيث الطبيعة الباطنية وعقائدها السرية التي تسربت من الآشوريين إلى البابليين ثم إلى المدارس الحاخامية اليهودية في بابل والتي دوّنت التوراة والتلمود بعد السبي وصولاً إلى اكتمال التلمود البابلي في القرن الرابع للميلاد.

3. الغنوصية: تجلت الغنوصية الآشورية في عدة مظاهر باطنية كالسحر والعرافة والتنجيم والخيمياء، وكانت كائنات الأبكالو تقدّم مادة مهمة في هذا المجال، وكذلك الجن المجنّح،. تلك التي مهدت للتمييز بين عالمَي الظلام والنور، ولطقوس الأسرار، وصراع الملائكة والشياطين.

أولاً: السحر والعرافة والخيمياء

1. السحر الآشوري

الشياطين والعفاريت والأرواح الشريرة تملأ الأرض، رغم أن مقرها الحقيقي هو العالم الأسفل لكنها تخرج من هناك وتهاجم الناس، وهناك من تهاجمه لأنه جدّف بالإله أو لأنه ارتكب الخطأ بحق إلهه أو الآخرين، ويقوم السحر الأبيض، الذي ينفّذه الأشيبو، بالتعامل

معها ومعالجة آثارها، عن طريق تشخيصها بالاسم والتعرف عليها، ليستخرجها من جسد المريض، ثم يرش عليها الماء، ويحاط المريض بالطين والنباتات ويمسك الساحر في يده عود الصفصاف المقدس (سلاح آنو القوي) حين يقرأ التعاويذ المضادة لها، وتستعمل الحيوانات لاستخراجها.

«يتطلب إخراج العفريت أحياناً ذبح خروف أو خنزير لتحويل العفريت إلى جسم الضحية التي يتلقونها بعد ذلك. وفي نص طقوسي يأمر الإله أيا مردوخ به لأن يأخذ ضحية عوضاً عن الملك مثل عنزة وحشية ذات قرون وأن يوضع رأسها أمام رأس الملك مع قراءة العبارة (هلّا يكن الملك طاهراً نقياً فالذي لا يعرف اللعنة التي سيشفى بها، هلّا يترك جسمه ويخرج منه). ويأخذون أيضاً سبعة رغفان من العجين النقي إلى البرية حتى يرفعوا القدمين بعد أن يوجه الساحر إلى الضحية الشر الذي نتج عن الذنب المرتكب. وضع الآشوريون من العجين ما يماثل شكل المريض ورشوه بالماء وعملوه بعد ذلك كعوض عن المريض وحملوه بعد قراءة عبارات خاصة الذنب الذي جر على مريضهم المرض. ويضعون على رأس وقدم الرجل المريض خيوطاً من الصوف الأسود والأبيض يلقونها بعد ذلك في البرية كطقس تكفيري». (الأحمد 1977: 61).

كلّ هذه الإجراءات تبدو سحرية في تكوينها وقوانينها الداخلية، أي أن السحر الأبيض الذي يقوم به الأشيبو هو سحر نفسيّ يحاول الإيحاء للمريض بخروج العفاريت والشياطين من جسده أو بيته، وهو ما يساعده على الشفاء.

«ونسمع عن إخراج أشيبو لشبح أطيمو (إذا مسك أطيمو بإنسان وصرخ قلبه فيجب أن تهيّئ نفسك في يوم محظوظ طيب واغسل جسمك بالماء من الحوض واذهب إلى البرية واكنس الأرض بسعفة نخل ثم اعمل شكلاً من الطين تمثل الرجل المريض كعوض وألبسها الملابس اليومية الخاصة به، واصنع سبع مرات سبعة رغفان لأكله اليومي ومغزل وستار ومسمار وأربطها إلى رأسه. وضع مذبح أمام الإله شماش مع وجبة طيبة ثم رشها ومبخرة مع عطر من عشب الأرز فيه مع جرة صغيرة من البخور عليه ثم صنع تمثال شماش)

وبعدها يتلو التعويذة التالية: (أب أيا، الشرق، الرب أيا الذي يعطي التأثير والقوة إلى تعويذة مردوخ، ابن أريدو. مردوخ قد رآه. المسيطر على السموات والأرض الذي أعطى الحياة لكل الأشياء، رش الرجل المريض). وتقرأ التعويذة ثلاث مرات. ثم قطع عقدة ثوبه ويعطي المريض رغيفاً مطبوخاً في رماد وكأسين من رغوة البيرة. ثم يؤخذ الشكل ويربط مع غصني صفصاف وتقرأ عليه التعويذة ويوضع في محل. وتلحقها تعويذة طويلة يستنجد بها بكل أرباب العالم الأسعد الذي يمثل لقوتها الرجل المريض صاحب الشكل الطيني. ثم ينتهي الرقيم بالعبارة (أنت مقبور، ربما تبدل هيئتك، ربما تغير نفسك، أي ارجع إلى الحياة ثانية)». (الأحمد 1977: 61 ـ 62).

كان السحر الأسود مؤذياً وضاراً ويحاول النيل من الإنسان وكسره عضوياً أو نفسياً، وكان يقوم به سحرة لا علاقة لهم بالدين بل هم مجرد أشرارٍ يمتلكون قوة استثنائية في التأثير والإيحاء، وكان على الأشيبو أيضاً التعامل مع السحر الأسود بسحرٍ أبيض لطرد الشياطين الشريرة التي هاجمت الإنسان وحياته مثل بازوزو أو لماشتو (لماشتي).

«وقد امدتنا رقية بصورة مخلوق ربما يمثل الشيطان كما تصوره العراقي القديم حيث ترينا مخلوق مجنح بعضلات قوية وسواعد مفتولة وذيل ملتو وهو يحمل في يده سلاح الصاعقة واسمه يازوزو ابن الإله هايني ملك عفاريت الريح الشريرة كما تنص الكتابة التي في ظهر الرقيم وكانت مثل هذه الرقية تستعمل من قبل النساء عن الولادة لتسهيلها عليهنَّ، مثلهنَّ في ذلك مثل رقي اللاماشتي طاردة الشياطين التي تهدد النساء الحبالى منهن والمرضعات. واللاماشتي هذه تحمل بالعادة صورة وحش غريب الشكل ذي رأس أسد وجسم امرأة. ويلبس الناس وحتى الأرباب التمائم، وكان مردوخ عند حربه لتيامات لابساً تميمة من الطين الأحمر وممسكاً في يده نبتاً يبطل السم ويوقفه. وعلى إحدى التمائم التي وصلتنا نقرأ (ذاك الذي وصل البيت قد أرعبني من فراشي ومزقني وحملني أرى الكابوس، فإلى الإله بابن، حارس باب العالم الأسفل، هلا يقدرون له، بأمر الإله ننورتا، أمير العالم السلفي، بأمر مردوخ الساكن في إيساكيلا ببابل. ليعلم القفل والباب باني تحت حماية الربين). وشكل التميمة، والتي كانت بالأصل للحماية من الرياح الغربية صيفاً والقلق عامة،

تكون عادة على شكل رأس عفريت من الصخر أو البرونز بصدر طير وأذرع أدنان ماسكاً بيده سلاح الصاعقة. وعلى إحدى التمائم نقرأ (أنا الإله يازوزو ابن الإله هايني ملك عفاريت الأشرار. الذي يغضب بقوة في الجبل (جبل العالم السفلي) حتى يأتون)». (الأحمد 1977: 62 ـ 63).

كان الشياطين يهجمون بأسلحتهم التي يحملوها من جهة وبالرياح والنار التي ترافقهم، ولذلك استوجب استدعاء آلهة الرياح والنار لكي تعالج الموقف وتزيل خطر هؤلاء.

«أما تلك الرياح التي ترافقهم، فالرياح الغربية في مقدمتهم وأجنحتهم مكسورة. والنار والأرباب الأخرى تأثيرات هذه السحر الأسود. وهذه الأرباب هي تلك الخاصة بالنار أمثال كيرا وكيبيل ونوسكو الذين تقرأ أسماءهم في تعاويذ الأشيبو ضد العفاريت والسحر. (كيرا الغضب، ابن آنو، أنت أكثر إخوانك عنفاً، أنت الذي تحكم بالقضايا مثل الأرباب سن وشماش، احكم بقضيتي، توصل إلى حكم يتعلق بي. احرق ساحرتي وساحري. يا كيرا استهلك (جسم) ساحرتي وساحري، يا كيرا احرقهم، يا كيرا استهلك أجسامهم، يا كيرا قيدهم، يا كيرا أهلكهم أطردهم)». (الأحمد 1977: 63).

2. العرافة الآشورية

احتلت العرافة المقام الأكبر في حياة الناس والملوك في الباطنيات الآشورية، فقد كانت السبيل إلى كشف الطالع والتنبؤ بالأحداث القادمة والمستقبل، ويكشف هذا الاهتمام مدى القلق الذي كان ينتاب الجميع من المستقبل الغامض الذي ينتظرهم بسب تسارع الأحداث وكثرة الحروب والتهديدات.

«وكان أحد الملوك الجدد ولا سيما (أسرحدون) كانت تنتابه الكوابيس والخرافات حول سوء الطالع، وكان الخبراء في قضايا سوء الطالع يتلاعبون كالأطفال بالملك، إذ نجد الملك ـ مثلاً ـ قلقاً لأن حيواناً يدعى النمس قد جرى تحت عربته إذ إنه كان يعرف سوء الطالع الذي حدث عندما مد النمس يده بين رجليه، وهل هذا ينطبق على الوضع إذا كان هذا

الرجل راكباً عربته؟ والحقيقة هذا ينطبق. وفي حالة أخرى نرى الملك (أسرحدون) خائفاً جزعاً وذلك عند حدوث هزة أرضية ولم يكن خائفاً من الحادث نفسه بل من الشرور التي كان ينبئ بها الحادث. فقد كان أحد الكهنة يقول له: «إن الدي صنع الهزة الأرضية قد صنع أيضاً الطقوس المضادة للحيلولة دون وقوع الشر الذي تنذر به الهزة» وقد كان «أسرحدون» يعبر عن قلقه ومخاوفه مما جعل من الضروري مواساته ولا سيما حول الخسوف والكسوف». (ساغز 2008: 211).

عشتار والعرافون:

احتلت شخصية الإلهة عشتار مكانة عرافية مميّزة بسبب مكانتها الحربية التي تعنى بمصائر الناس والملوك والبلاد، ويبقى وضع شخصية عشتار ناقصاً إن لم يبرز دور حامية عرش آشور المسجلة في الحوليات الملكية كما في الإيحاءات في زمن السرجونيين، فبلسان العرافات كانت تتكلم عشتار مباشرة مع الملك مسدية إليه النصائح المشجعة مؤكدة له مساعدتها وحمايتها له والانتصار.

«يا أسرحدون ملك البلاد، لا تخش شيئاً

ألم أكسر الريح التي كانت تعصف بك

ألم أكسر جناحيها

وأعداؤك حيثما كانوا يتمرغون عند قدميك

وكأنهم التفاح الناضج في شهر «سيوان»

أنا البعلة الكبرى أنا عشتار «أربيل»

التي تدمر أعداءك عند قدميك

فلماذا قلت لك ولم تركن إلى ما قلت

أنا عشتار «أربيل»

سأمشي أمامك وخلفك

فلا تخش أمراً

وستكون في فرح

أما أنا فسأكون في قلق

سأسير في المقدمة، فابق هنا

(بفم العرافة «عشتار لا تاشيات» أربيل)

أنا عشتار «أربيل»

أي أسرحدون ملك أشور

في مدن آشور ونينوى وكالاه وأربيل

سأعطي أسرحدون مليكي

أياماً طويلة وسنين عديدة

أنا القابلة الكبرى

أنا المرضعة الجيدة

لأيام طويلة وسنين دائمة

وطدت أركان عرشك

تحت قبة السموات الواسعة

وسهرت من أجله في وسط السموات

فوق بساط من ذهب

وسوف أجعل نور العنبر في لمعان

وسأسهر عليه أمام «أسرحدون» ملك أشور

كما أسهر على تاج رأسي

لقد قلت لك: لا تخش شيئاً أيها الملك

نعم لن أتخلى عنك

ولقد أكدت لك مساعدتي

ولن أدعك تذل

ولسوف أجعلك تقطع النهر دون أذى

أسرحدون أيها الوريث الشرعي ابن ننليل

أنا بيدي سأقضي على أعدائك

أي أسرحدون ملك أشور

سأعطيك في أشور

أياماً طويلة وسنين عديدة

ويا أسرحدون في الأرابيل

أنا ترسك المفضل

يا أسرحدون الوريث الشرعي وابن ننليل». (لابات وجماعته 2012: 303-304).

كانت طرق التنبؤ بالغيب مختلفة، فقد تتضمن مراقبة مسار طيرٍ أو حيوان أو مراقبة شجرةٍ أو نهرٍ، أي أن الطبيعة كانت ترسل إشارات للمستقبل، في نظر المتنبئين، وما عليهم إلا تفسيرها والكشف عن مكنونها الرمزي. وكانت أهم تلك الإشارات تأتي عن طريق كبد الخروف، فهو يحتوي على هذه الإشارات. ولذلك «اعتبروا الكبد مركز الحياة والتي فيها يرى العراف إرادات الأرباب كالمرآة. ويجب أن تكون الضحية لهذا الغرض ودونما ثمة عيب. ففي الفجر يقبل الإله نصيحة ويضع الموقد وعلى المنضدة خلف الموقد أربعة أواعي من زيت السمسم و36 رغيفاً وخليط من العسل والزبد والملح. وبعد رش الموقد يمسك الكاهن بالشخص المضحي من يده ويقرأ الدعاء التالي: (فلان هلا يقدم لك الأضحية في الصباح، هلا يقدم نفسه أمام عظمتك الملكية، هلا يكن مسراً لعظمتك بفضل النعجة المتألفة من جلد أمل وأقسام تامة). ثم يأخذ الكاهن حصة الإله وهي الساق اليمنى والكلى وقطعة من اللحم. وفي المتحف البريطاني كبد من الطين مقسم إلى خمسين قسماً توازي العلامات المختلفة. فبمطابقة الأرباب مع الحيوانات يجعل الحيوان المضحي له قدسية ويكتب الصفات المرتبطة بالرب فتصبح روحي الاثنين متطابقة. فبملاحظة الحيوان من المحتمل أن نلاحظ خطط الأرباب للمستقبل على الأرض. وهنا يمسح البارو جسمه بالدهن ويلبس الأردية الخاصة ويرتل الأدعية إلى شماش وأداد. فإذا كانت جميع العلامات طيبة ففي هذا الكفاية وإذا كانت العلامات مشكوك فيها فيضمن خروف آخر. وإذا استمرت العلامات النحسة فيذبح آنذاك خروف ثالث. وإن انتفاخ الجانب الأيمن من الكبد علامة طيبة، وإذا كانت المرارة ممسكة بالكبد فمعناه (أن العدو قد أمسك به) وإذا كان الأنبوب الكبدي طويل فمعناه حياة طويلة أو عهد طويل. حيث عرف البارو العراقية القديم أقسام الكبد أمثال

قصبه الأعلى والأسفل وأنبوب المثانة والمرارة وأنبوب الكبد وباب الكبد. أجزاء الكبد بأسماء مبتدعة لمشابهاتها الأشياء التي سميت بها مثل الأصبع والطريق والفم والقصر والباب والعرش.. إلخ. فالعلامات على الجانب الأيمن طيبة وعلى الأيسر نحسة، بينما المثانة المنتفخة معناه زيادة القوة وانخفاض أنبوب الكبد وهبوط في القوة. وتنص التعليمات بأن (إذا كانت العلامات الطيبة كثيرة والنحسة قليلة فإن النتيجة طيبة). وقد وصلتنا واحدة لأسرحدون يسأل فيها عن صلاحية زواج أبنته من بار تاتوا ملك السيثيين وكانت نتيجة الفحص الأول غير طيبة ولكن الثانية كانت طيبة وبذلك زوج ابنته».
(الأحمد 1977: 75-76).

3. التنجيم الآشوري

كان التنجيم الآشوري مطابقاً للتنجيم البابلي، مع اختلافات طفيفة، تخص المكان والآلهة الخاصة بالآشوريين. ويعد التنجيم أبرز وسائل العرافة التي اعتمدتها الإمبراطورية الآشورية الجديدة في حياتها السياسية، وكان هناك عدد من الخبراء المؤهلين تأهيلاً عالياً من الذين يقدمون تقارير منتظمة إلى الملك، والتي كانت تشير إلى ملاحظاتهم عن تشكيلات القمر والكواكب. ولم يكن التنجيم الآشوري شعبياً، بل كان حصرياً للملك وعائلته، حيث يحاول معرفة الغيب من خلاله ليطمئن على مستقبله ومستقبل عائلته، وليأخذ فكرة مسبقة عن بعض حملاته العسكرية قبل وأثناء حصولها، فقد كان المنجمون ملازمين له دائماً وكانوا لا يفارقون بلاطه. ولذلك لا بد من الإشارة إلى أن علم التنجيم في آشور اختلف بشكل ملحوظ عما يعرف بهذا الاسم اليوم، فهو لم يستخدم لأغراض التسلية أو كشف الطالع الشخصيّ، بل كان يتعلق بشؤون الدولة فقط ولأفراد العائلة المالكة.

كانت أهم الظواهر التنجيمية التي اعتمد عليها المنجمون لكشف طالع الملك: الحلقات التي تظهر حول القمر، أماكن الكواكب وتغيرها، خسوف القمر وكسوف الشمس، الرعد والبرق، الهزات الأرضية.

وأهم مصدر في التنجيم الآشوري هو سلسلة (حينما أنو إنليل) و(هيميرو لوجيز) من مكتبة أشوربانيبال، ولكن هناك ثروة من المراسلات بين الراصدين الآشوريين والبابليين والملكين أسرحدون وآشوربانيبال. وتوفر المراسلات فرصة فريدة ليس فقط لرؤية طبيعة بلاد ما بين النهرين في تطبيقاتها العملية، ولكن أيضاً لفهم بعض الأسس المنطقية في هذا العلم، وطريقة تفكير العلماء في كثير من الأحيان في محاولة لشرح حرفيتهم إلى شخص مهم كالملك.

ومن المسلم به أن هذه التفسيرات يجب أن تكون مختلفة نوعاً، فيما بينها، مهما كانت المناقشات التي قد تكون بين العلماء فيما بينهم، ويمكن تقسيم المراسلات إلى فئتين هما: الرسائل والتقارير.

كتبت الرسائل على شكل مستطيلات عمودية، والتقارير على مستطيلات أفقية وأقراص سميكة في كثير من الأحيان وهي، في معظمها، قصيرة.

نصوص حينما أنو إنليل الآشورية Enuma Anu Enlil

نصوص آشورية تنجيمية تعني «في أيام الإلهين أنو وإنليل» وهي مجموعة من 68 ـ 70 لوحاً طينياً وهي عبارة عن الطوالع التنجيمية التي قدرت قدرت برقم أركيولوجي يتراوح من 6500-7000 والتي تؤول مجموعة واسعة من الحوادث السماوية والجوية بمصطلحات ترتبط بالملك والدولة. فهي مجموعة من التقارير الفلكية والتنجيمية العادية أرسلها مجموعة من علماء الفلك والتنجيم، نشرت في أكثر من ثماني مجلدات (500 تقرير) تصف أفضل الطوالع وحالات الفأل للملك.

يُظهر تقرير نموذجي منها التعامل مع الظهور الأول للقمر في اليوم الأول من الشهر كما يلي: «الأرض ستكون سعيدة إذا وصل اليوم طوله الطبيعي: ستكون عهد أيام طويلة إذا ظهر القمر مرتدياً تاجاً: سيصل الملك أعالي الرتب من أيسار سومو أيريس».

وبالرغم من أنها جمعت في العصر الكاشي ولكن بعض النماذج في (حينما أنو إنليل) كان من المؤكد أنها تعود إلى الفترة البابلية القديمة 1950-1595 قبل الميلاد واستمرت بالاستخدام حتى الألفية الأولى قبل الميلاد، حيث إن آخر كتابات تعود إلى العام 194 قبل الميلاد. ويعتقد أن الألواح التسعة والأربعين الأولى أرسلت إلى الهند في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد إضافة إلى اللوح الأخير الذي كان يناقش النجوم والذي وصل إلى الهند قبل الفترة المسيحية، ولا يعرف كيف أصبح مصيرها هناك، رغم أن ذلك يشير إلى شهرة وتطور التنجيم البابلي.

ثمرة رب الشهر Lord of the Month Fruit

نصوص علم التنجيم الملكي الآشوري، تشبه (إيقور إبوش: هو بنى.. هو دمّر) البابلية وفيه مجموعة من التمائم، ولكن الرجل يحل محله ملك والمنزل يحل محله القصر.

تمائم الهالة القمرية

تم التوصل إلى التنبؤات التنجيمية من خلال تطبيق التفسيرات التقليدية للأحداث الجارية في السماوات، مثل الكسوف والنظر في الحلقات على سطح القمر، أو مواقف الكواكب، وكذلك الرعد والزلازل، ويمكن أن نضرب أمثلة على ذلك:

1.عندما يُنظر إلى القمر في اليوم الثلاثين، فسيكون هناك الصقيع، (أو) سيكون هناك صوت العدو.

2. عندما يظهر القمر عالياً، فإن العدو يأخذ الأرض عنوةً.

3. عندما يُنظر القمر واضحاً أكثر من وقت سابق وبصورة غير متوقعة، فإن الشهر يجلب المتاعب.

4. هالة تحيط القمر هالةٌ، والمشتري كوكبة العقرب كانت داخله، وهذا يعني أن ملك أكد سيحاصر.

5. عندما تحيط هالة القمر والمشتري (نيبيرو) يقف داخله، فهذا يعني أن هناك أوبئة ستنال من القطعان والحيوانات البرية ستحصل.

6. نجم الإله مردوخ في ملاحظته (الأولى) عندما ارتفع لـ [؟] ساعة مزدوجة فإنه، عندما وقف في وسط السماء، فهو نيبيرو.

7. عندما تحيط هالة القمر والعقرب يقف داخله، (وهذا يعني إما) الكاهن سوف يتواصل؟؟ مع الرجال، (أو) قبل ذلك، فالأسود سوف تشيع الخراب وتسد الطرق في الأرض.

هذه (وصفات التميمة) تأتي متسلسلة عندما تحيط هالة القمر وجوبيتر يقف داخله، فإن ملك الأراضي الرطبة سيمارس السلطة ويدمر أرض عدوه هذا هو سوء المرض.

(/https://classicalastrologer.me/assyrian-astrology-2)

«في هذه الليلة أحاطت هالة بالقمر ويظهر كوكب المشتري وتكون كوكبة العقرب في داخلها، وعندما تحيط بالقمر هالة ويصبح كوكب المشتري في داخلها فإن ملك أكاد سوف يُحاصر ويطلق عليه.

وعندما تحيط بالقمر هالة ويتوضع المشتري داخل هذه الهالة فسوف تحدث جائحة تسبب موت قطعان المواشي والحيوانات البرية.

هذا وإن نجمة الإله مردوخ عند رؤيتها لأول مرة هي:

S U L-PA.E وعندما يشرق مدة ساعة مزدوجة يكون في حالة:

SAG.M E-NIG وعندما يتوضع في منتصف السماء فهو نيبيرو.

وعندما تحيط هالة القمر ويتوضع العقرب في داخلها فإن الكاهنات سوف يتصلن اتصالاً جنسياً مع الرجال، أو أن الأسود كما تقدم شرحه سوف تخرب وتقفل الطرق في البلاد.

وتأتي التنبؤات الفلكية من السلسلة التالية:

عندما تحيط هالة بالقمر ويوضع المشتري (SUL.PA.E) داخلها، فإن ملك الأراضي الغربية سوف يمارس القوة ويخرب بلا عدوه، وهي نذير شؤم.

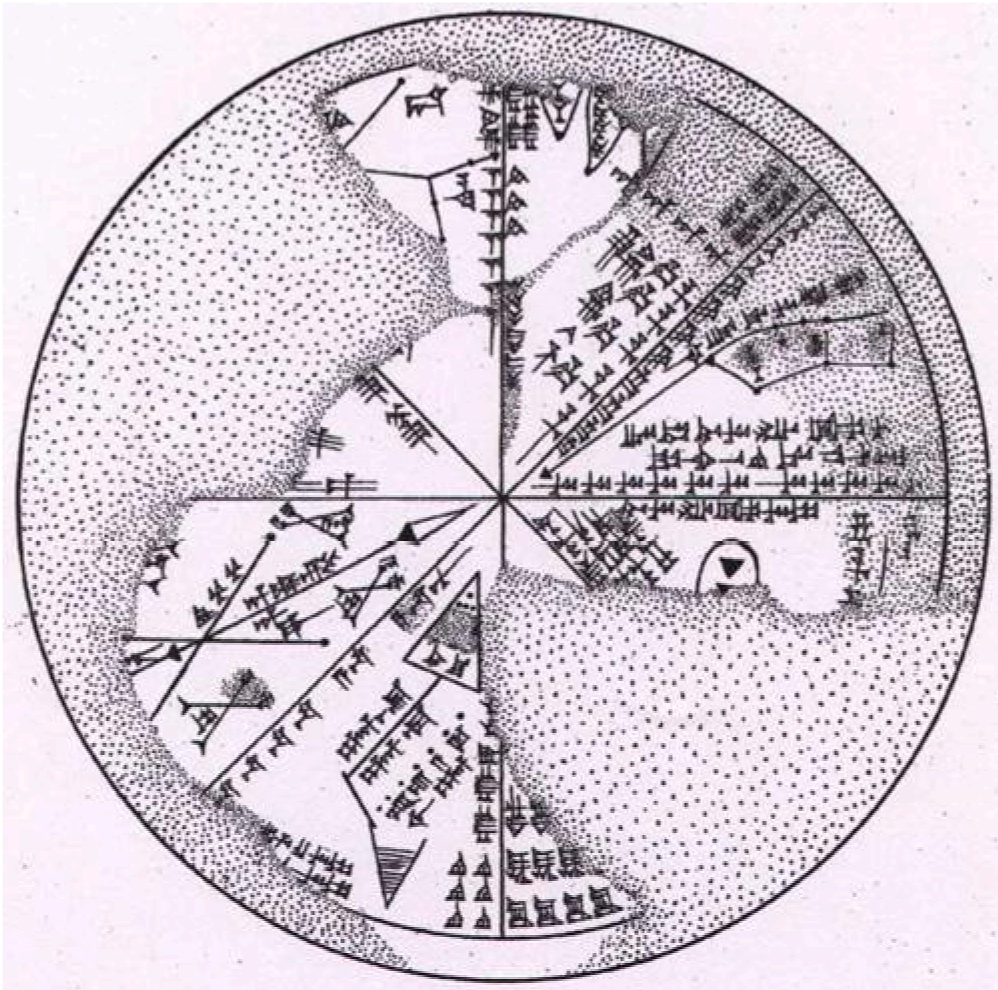
إن ما ذكر أعلاه يتطلب بعض التفاسير، فالظاهرة الأساسية التي لوحظت واضحة قد كانت هناك حلقة حول القمر تتضمن أجراماً سماوية مضيئة، ويظهر أن المنجم قد فتش عن معاني تلك العلائم في السلسلة (أي: في كتاب النصوص) الذي يرجع إليه في النهاية، وشأنها شأن النصوص المسمارية القديمة فقد سميت هذه السلسلة باسم السطر الأول. وهو يفسر المسألة وهي: إن ومن وجهة نظر علم التنجيم فإن الكوكب نفسه وهو المشتري تطلق عليه عدة أسماء طبقاً لعلوه في الأبراج، وهو يفوق ذلك بإعطاء تفاسير مناسبة لوضعين مختلفين». (ساغز 2008: 329).

«وكان هناك بعض التقارير الأكثر إيجازاً وأكثر وضوحاً، مثلاً: عندما تحيط بالقمر هالة ويتوضع قلب الأسد Reguius في داخلها فإن النساء سوف تلد في تلك السنة مواليد من الذكور.

((عندما يصل القمر إلى الشمس ويسير جنباً إلى جنب معها، أي: إن القرن سوف يعانق القرن فسوف تتحسن أحوال البلاد السلوكية، فالابن سوف يصدق مع والده)).

أو عندما يسمع الرعد في شهر شباط فسوف تمر على البلاد نقمة الجراد.

((وعندما نسمع صوت الرعد في شهر شباط فسوف ينزل البرد))». (ساغز 2008: 330).



خريطة النجوم الآشورية من نينوى K8538

عكس اتجاه عقارب الساعة من الأسفل: سيريوس (السهم)، بيغاسوس + أندروميدا (حقل + المحراث)، [الحمل]، الثريا، الجوزاء، هيدرا + غراب + برج العذراء، الميزان. رسم من قبل ل. و. كنج وصحح من قبل جي. كوخ، كتاب:

Koch. J.: Neue Untersuchungen zur Topographie des Babilonischen .Fixsternhimmels (Wiesbaden 1989), p. 56ff

بعض الفلكيين الآشوريين، مثل رمّانو ـ سوماوسار ونابو ـ موسيسي، كانوا بارعين في رصد الحركات اليومية للكواكب التي أظهرت انتظاماً في ظهورها، جاء ذلك في التقارير التي كانوا يرفعونها للملوك ويتركون للمنجمين حرية تفسيرها.

كانت أقدم مجموعة من المراسلين لمجموعة كبيرة من التقارير الفلكية والتفسيرية الأخرى للملوك الآشوريين سرجون الثاني، سنحاريب، أسرحدون. وأقرب تقرير قابل للتحصيل من هذه المجموعة هو من 709 قبل الميلاد. وآخر (ربما) من 649 قبل الميلاد. مع تركيزات ملحوظة في السنوات الأخيرة من الملك أسرحدون والسنوات الأولى من الملك آشوربانيبال. وقد تم تحرير جميع هذه التقارير تقريباً في مدينتَي أراك ولابس.

في تقرير فلكي للملك أسرحدون بشأن كسوف القمر في كانون الثاني / يناير 673 قبل الميلاد يبين كيف أن استخدام طقوس الملوك البديل، أو الأحداث البديلة، كانت تؤكد الجمع بين الاعتقاد السحري مع وجهة نظر علمية بحتة، بحيث إنّ الحدث الفلكي يجب أن يكوّن نوعاً من العلاقة والارتباط داخل العالم الطبيعي. «... في بداية العام ستأتي الفيضانات وكسر السدود. عندما جعل القمر الكسوف، الملك، يا سيدي، يجب أن يكتب لي. كبديل للملك، وسوف قطع من خلال السد، وهنا في بابل، في منتصف الليل. لا أحد يعرف عن ذلك».

كان آشوربانيبال مولعاً بجمع ألواح وادي الرافدين الطينية ليكوّن مكتبة كبيرة من الأقراص المسمارية في نينوى حول مواضيع علم التنجيم والتاريخ والأساطير والعلوم. وكان يتلقى رسائل سريعة فيها تفاصيل الحوادث في السماء والأرض، في جميع أنحاء مملكته ونتائج تجارب وتأويلات المنجمين لها.

«وردتنا الكثير من الفؤول المستندة على القمر في الرسائل الملكية من العصر الآشوري المتأخر. فظهور القمر بأول الشهر عندما يكون النهار طويلاً هو فأل طيب عندما يظهر القمر باليوم الأول فإن قلب البلاد سيكون مسروراً. وعندما يكون اليوم بالنسبة لقياسه طويلاً فسيكون هناك حكم طويل وعندما يكون القمر عند بزوغه كأن يحمل تاجاً فإن الملك سوف

يصل عنفوان مجده. وظهور القمر في نيسان مع الزهرة اعتبر فألاً طيباً أيضاً (عندما تظهر الزهرة في بلاد بابل مع القمر في شهر نيسان أو أي يوم لا يتقرب فيه فإنه بنفس الوقت فأل حسن). وفي رسالة أخرى نقرأ (إذا ظهر القمر وكان العقرب قرب قرنه الأيمن فإن الجراد سوف يعبث طوال السنة ويأكل محصول الحصاد وسوف يقتل ملك علام وينتهي حكمه ويأتي عدوه ضده وينهب بلده وسوف يقع في يد الملك صولجان عظيم ويطول حكمه وإذا اعتدى عليه عدو فسوف يقهر). وترينا الفؤول من الرسائل الآشورية كون التفاؤلات من الشمس كلها معادية فالكسوف شر وخروج ما يشبه الدخان من الشمس عند شروقها بالربيع نذير شر حيث إنّ أدد سوف يغرق البلاد وعندما تصعد الشمس في مدارها فمعناه الحرب. وتقرأ أيضاً في نصوص أخرى مع أن إحاطة الشمس بهالة معناه، سقوط المطر وعندما تقف الشمس في محل القمر فإن الملك سوف يستقر على عرشه». (الأحمد 1977: 85-86).

ثانياً: تفسير الأحلام والخيمياء الآشورية

1. تفسير الأحلام

كتاب الأحلام الآشوري:

قام الباحث الكبير (أي. ليو. أوبنهايم) بترجمة ونشر مجموعة كبيرة من الأحلام التي ظهرت في ما يقرب من (11 ـ 12) لوحاً خاصاً بالأحلام من مكتبة آشوربانيبال تحتوي على 4000 حلم مع تفسيرها وهي مصنفة إلى أربعة أصناف (التنقل والسفر، الأطعمة والأشربة، صناعة البضائع ونقلها، أحلام متنوعة).

يمكن العودة في هذا الموضوع تفصيلياً إلى كتاب أوبنهايم:

Oppenheim, A. Leo: The interpretations of Dreams in Ancient Near Eest with aTranslation (1956).

والخلاصة السريعة التي قدمها الدكتور سامي سعيد الأحمد لكتاب الأحلام الآشوري في بحثه (معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور) مجلة المؤرخ العربي، عدد 2 (1975).

يتكون الكتاب من 12 جزءاً (جمعت من مكتبة آشوربانيبال)، ويضم 80 نصًّا تدور حول تفسير الأحلام، وتبدأ وتنتهي بنصين لطرد الأرواح الشريرة كنوع من الحماية. وقد أعطيت النصوص عناوين مثل: الإله زقيقي رب الأحلام، إذا صنع الرجل باباً، إذا كان الرجل مرتدياً الفضة، إذا رأى الرجل في حلمه إنليل، إذا دخل رجل من البوابة الرئيسية لمدينته، إذا نام رجل على جانبه الأيسر وكان حلمه مشوشاً، إذا كانت أحلام الرجل مرتبكة.

«وصلتنا من العصر الآشوري المتأخر نصوصاً تدون الكثير من الأحلام المهمة. ففي رسالة بكت ماركو رشوم ـ أوصور إلى الملك آشوربانياب ما نصه (في حلم قال الإله آشور إلى سنحاريب جد سيدي الملك، أيها الحكيم، الملك، سيد الملوك، نسل الحكيم واديا. لقد فقت في معرفتك أبسو وجميع المهرة. وعندما ذهب والد سيدي الملك (أسرحدون) إلى مصر. رأى (في الحلم) لمنطقة حرّان معبداً من خشب الأرز وفيه الإله سن متكئاً على عصا بتاجين على رأسه وأمامه الإله نوسكو. فدخل سيدي الملك ووضع (الإله) التاج على رأسه وقال له ستذهب إلى الأقطار، و(ستغزو). وأخبرنا الملك نبو نائيد بأنه قد رأى حلماً ظهر له به الأرباب مردوخ وسن، أخبره الأول أن يهيِّئ الطابوق ليبني معبد حرّان ويعيد سن إلى عرشه السابق)». (الأحمد 1977: 93 ـ 94).

«في القسم الأول من اللوح الثالث نقرأ عن البناء والعمل في الحياة اليومية. فرؤية رجل لنفسه أن يضع باباً ما، كرسياً، سريراً، مصطبة، منضدة أو قارباً فإن تفسيرها أن عفريتاً سيتجه إليه. وإذا رأى في حلمه أنه يعمل بشغل ليلي فإن إلهه الحامي سوف يجرده من ثروته، أو سراحاً فإن ثروته ستتضاءل أو في عمل قامع ختم الكاهن الأعلى الأسطواني فإن ابنه سيموت. ويمكن أن تؤخذ هذه كشكل نموذجي لتفاسير الأحلام الأولية وذلك لوجود التكرار الكثير والنمطية في التنبؤات مع ظهور عبارات متعارف عليها. وهذه جعلت الأستاذ

أوينهايم يستنتج السبب بقلة الاهتمام في تفسير الأحلام عند الناس آنذاك نظراً لاعتمادهم الأكبر على العرافة ونتائجها. ويظهر من النص الفائت أن المؤلف قد رتب الحرف في تسلسل منطقي حيث إنّ تفاسير الأحلام فيها كانت سقيمة وتختلف درجة تعاستها من واحد لآخر من ناحية ولا بد وأن تكون حرفاً ذات منزلة واطئة اجتماعياً». (الأحمد 1977: 96 ـ 97).

اختلفت نصوص ألواح الأحلام في معاجاتها لطبيعة الأحلام وتفسيراتها، وبدت كما لو أنها تفسيرات سايكولوجية عميقة، ونرى أنها نصوص سيميائية مهمة يمكن، من خلالها، دراسة الرموز واستخلاص نتائج مثيرة منها.

«وفي اللوح السابع نقرأ رؤية الرجل لنفسه في الحلم (إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي و(شملت) الحائط والطريق فإنه سوف يرزق بأولاد. أما إذا توسعت بولته أمام عضوه التناسلي وسجد أمامها إجلالاً فإنه سوف يرزق بولد وسيكون هذا الولد ملكاً وإذا تبول على حائط (.... مكسور...) فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا تبول على قصب صغير فسوف لا يكون عنده أولاد. وإذا (.... مكسور...) بولته يقدمه فسوف يموت ابنه الأكبر.. وإذا غسل يديه في بولته فسوف يكون تمتعه قليلاً.. وإذا وجه الرجل بولته نحو السماء فإن هذا الرجل سوف يرزق بولد يكون له شأن كبير ولكن أيامه ستكون معدودات وإذا تبول الرجل في النهر فإن محصوله سيكون كثيراً. إذا تبول الرجل في بئر سوف يخسر ممتلكاته.. إذا تبول رجل في قناة للري فإن الإله أداد سوف يغرق محصوله. وإذا بول الرجل على ربه الحامي أو ربته الحامية فأنه سوف يجد ممتلكاته المفقودة. إذا شرب رجل بول زوجته فإن هذا الرجل سوف يتمتع بالرخاء)». (الأحمد 1977: 96 ـ 97).

2. الخيمياء الآشورية

أسمت العصور القديمة الكيمياء الدينية والسحرية بـ (خيمياء)، أما الفلسفة فقد أسمتها بـ «حجر الفلاسفة» الأسطوري، أما العلم فقد أسماها الكيمياء المزيفة أو الكاذبة، فهي إذن تنتمي للطبقة الباطنية من الأديان كواحدة من العلوم والطرق الدينية للوصول إلى الهدف.

كان من المفترض أن يمنح (حجر الفلاسفة) الثروة الروحية والخلود. سيمكّن هذا الحجر أيضاً الخيميائي من تحويل المعادن الأساسية مثل الرصاص إلى فضة وذهب. من الناحية النظرية، كان هذا مجرد اختبار يستخدم للتحقق مما إذا كان الحجر حقيقياً، ولكنه أصبح عملياً المحرك الرئيسي للتجارب الخيميائية، وشملت الأهداف الأخرى للخيمياء خلق دواء سحري قادر على علاج أي مرض. وصنع مذيب عالمي افتراضي قادر على إذابة بعضها البعض بما في ذلك الذهب.

استمر الخيميائيون القدماء بمحاولة السيطرة على «العناصر الأربعة» الكلاسيكية (التراب، الماء والهواء والنار). كانوا يعتقدون أن المعادن تنمو ببطء وبشكل طبيعي في الأرض، وكانت تنتج من تفاعلاتها المختلفة بقية الفزات والمعادن، وقد حاول الخيميائيون تسريع هذه العمليات المفترضة الطبيعية في المختبر.

«الخيمياء» اليوم، تجعلنا نفكر، دائمًا، في التجارب السرية للمعادن والأحجار التي يتم تسخينها في الأفران والمراجل والقوارير المتلألئة، وربما المحاطة بسحب رائحة الكبريت المتقطعة بقليل من الصيغ السحرية (كلما كان هناك كبار السن كان ذلك فضلاً). هذه الصورة الساحرة هي بلا شك مديونية للممارسين السابقين، لكن الحقيقة كانت أكثر دنيوية. بشكل عام، كان الهدف دائماً هو نفسه عبر القرون: تحويل المادة من أجل تحسين طبيعتها أو الكشف عنها، بدوافع تتراوح من الفلسفية إلى المادية البحتة. ولكن حتى أصل المصطلح اليوناني غير معروف. وهكذا يبدو أن هذا الفن القديم للغاية في العبث بالطبيعة، جنباً إلى جنب مع اسمه ـ سواء كان «كيمياء» أو «خيمياء» أو «الفن المقدس والإلهي» (hēhiera kai theia technē كما كان يطلق عليه اليونانيون القدماء) ـ وقد يكون المصطلح أقدم من الحضارة اليونانية. انظر (Rumor2018).

ولا شك أن المصطلح أقدم بكثير، فالخيمياء مصطلح مشتق من كلمة (كمت، خمت) والذي يعني مصر وهي الأرض السوداء المحيطة بمجرى النيل وفي الدلتا، وهي سوداء بسبب

تشبّعها بالمعادن، ولا شك أن ذكر المعادن في مضمون هذه الكلمة يوحي بقوة بالكيمياء والخيمياء.

الخيمياء الآشورية ظهرت مبكرة في المناطق القريبة من مدن آشور الأولى المهمة مثل تبه ﮔاورا التي وصلنا منها وعاء يدخل في عمليات التقطير يعود لحوالي 3500 ق.م. وهناك جهاز لحرق العطور يعود للآشوريين في حدود القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

http://www.asor.org/anetoday/2018/05/Alchemy-Between-Two-Rivers

الكتابات المسمارية للنصوص الخيميائية نادرة جداً، وأغلبها يختلط مع الكتابات الكيميائية الخاصة بسلسلة من التعليمات حول تصنيع الزجاج الملون والتي يرجع تاريخها جميعاً إلى القرنين الثاني عشر والسابع قبل الميلاد. والفرق بينهما هو أن الكتابات الخيميائية تركز على الأحجار الكريمة والتعامل معها والتي غالباً ما تنطوي على غمس الحصى أو الزجاج الأساسي أو مزيج من المعادن في سائل خاص، لجعلها تشبه الأحجار الكريمة أو المعادن. بينما الكتابات الكيميائية تتعامل مع المعادن والصخور العادية.

«عرف العراقيون القدماء، الأحجار الكريمة وبرعوا في استخدامها في صناعة الحلي (قلائد وخرز)، وقد حضي الحجر باحترام كبير في الحضارات القديمة وصل حد العبادة وخاصة الأحجار ذات الشكل العجيب أو اللون الغريب، وقد تخيل المنجمون وجود صلات بين الكواكب والجواهر أو ألوان الحجر وصفات النجوم والأيام والأشهر، كما وصفت ألوان الأحجار الكريمة بأنها رموز بقواها السحرية وإلى معجزاتها الخارقة أو إيمان بفوائدها الطبية. وفي طقوس الزواج المقدس كان يطوق وسط الآلهة نطاق يمثل حزام أحجار الولادة والفأل الحسن. كما كان لبعض الأحجار الكريمة استعمال في التعويذات». (الأسود 2008: 292).

المبدأ الأساس في الخيمياء الآشورية، وهو مبدأ عام في كل فنون الخيمياء القديمة والوسيطة، هو تزييف المعدن، والادعاء بأصالتها، في حين أن أقصى ما يمكن عمله في الخيمياء هي عمليات طلاء معادن رخيصة بغشاء رقيق من معادن ثمينة. ويكشف هذا المعنى زيف الخيمياء والعلوم السحرية واندراجها ضمن العلوم المزيفة، بينما يُدخلها البعض في الفنون أو العلوم السحرية والدينية وهو مكانها الصحيح.

لم تكن المعرفة الخيميائية متاحة للجميع بالتأكيد. ومن المعروف أنها كانت تجرى بطريقة سريّة ومغلقة بطابع سحري وديني، وهذا جزء من طبيعتها كما قلنا. لكنها، مع كلّ هذا، كانت جذّابة ومغوية للكثيرين، وكانت تنتقلُ بين الشعوب كطقس سريّ يُجرى التكتم عليه.

نماذج من الوصفات الخيميائية الآشورية:

الأمثلة التي توفرت من الوصفات الخيميائية والتي كانت تعمد التزييف هي ما يلي:

1. كيفية الحصول على حجر يُشبه حجر (دوشو)، ودوشو هو حجر ثمين يُذكر مع اللازورد والذهب، حيث تقول الوصفة الخيميائية لذلك كما يلي: «يُغلى الشب و.. في الخلّ، وينقع الحجر في سائل اللازورد الملوّن ويوضع على النار».

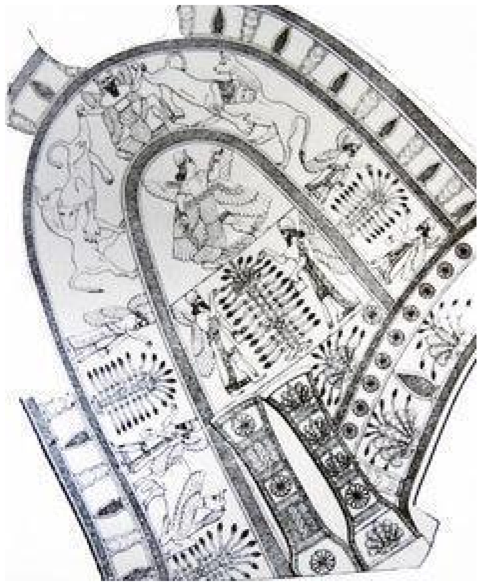
2. كيفية الحصول على معدن يُشبه معدن الفضة (أي مطليّ بالفضة): حيث تقول الوصفة الخيميائية: «في منّيّن من النحاس المكرر (نصف مينا من...) و10 شيقل من الصفيح، 2 شيقل من؟ تذوّب جميعها؛ وتم صبها [وجعلها «تجري»] في الزيت، ويتم إطلاق «الدقيق»؛ ومسحها وتنظيفها (مضاءة وتنقيتها). (هذه الأشياء) فضية؛ هذا (نوع) فضة اسمه زبتو [لا يمكن الكشف عنه]».

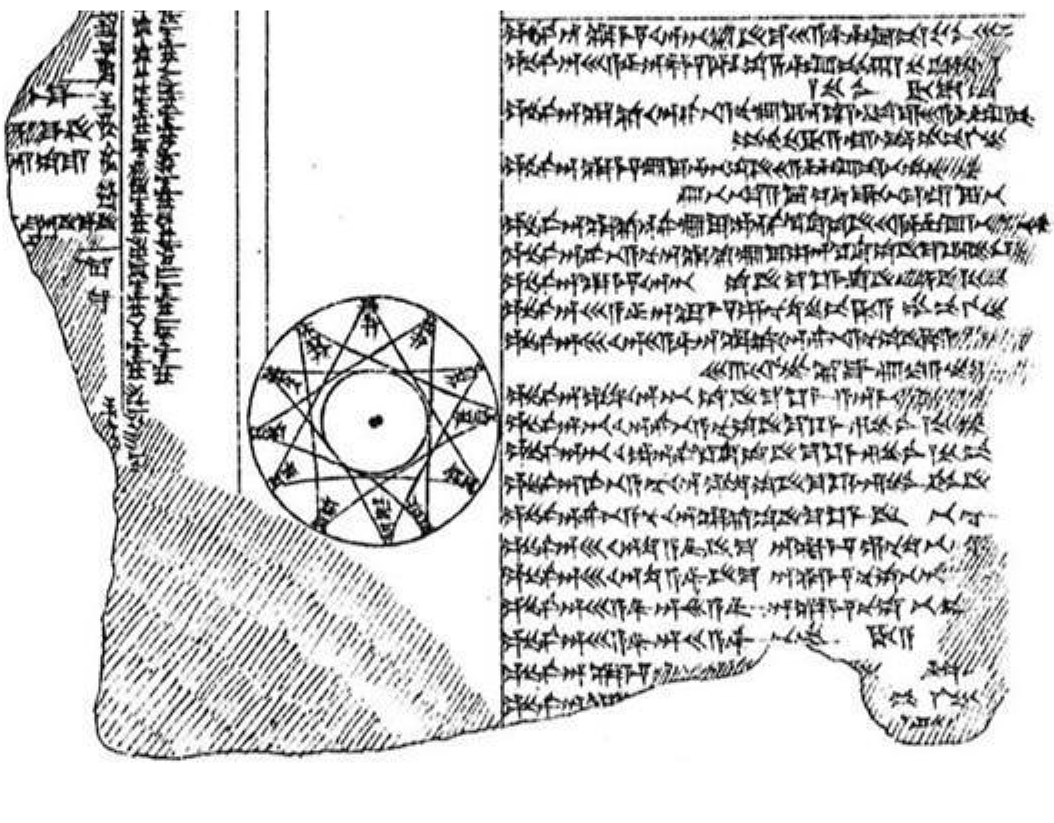
3. صبغ الصوف بلون قريب من الأرجواني: أحد الألواح المسمارية احتوى على تعليمات لصبغ الصوف الأبيض إلى لون مشابه للأرجواني الثمين في العصور القديمة، ولكن

باستخدام ألوان أرخص بكثير (مع العلم أن اللون الأصلي للأرجواني يكون من إفرازات قواقع الموريكس الغالية الثمن):

«تأخذ الصوف الأبيض والشبة، وتنشرهم بالتساوي في الماء، (و) تغلي على الفحم. باوند خاثوريتو (حشرات تشبه الديدان الحمراء التي تسمى كيرمس) مع مياه الينابيع وامتصاص الصوف الأبيض، وتوزع بالتساوي. يُطهى في الماء (العادي) والماء الذي من طين (الخزاف) على الفحم. (سوف نحصل على) صوف أرجواني اللون». انظر: (Rumor2018)

الفصل الثالث عشر علوم الآشوريين





القسم الأول: العلوم الطبيعية

المبحث الأول: الرياضيات

استخدم الآشوريون ما عرفوه من النظامين الستيني والعشري في الرياضيات السومرية والأكدية والبابلية، ويمكن الرجوع لكتبنا السابقة والتعرف بالتفصيل على هذين النظامين.

علم الحساب: وهو علم الأعداد وعملياتها الحسابية الأربعة المألوفة (الجمع والطرح والضرب والقسمة)، وعملياتها الحسابية المعقدة وهي الرفع إلى القوى، وإيجاد الجذور (التربيعية والتكعيبية) وكتابة الكسور.

يسمى العدد بالسومرية (شد، شتا) والأكدية (مَنو، منوتو).

ŠID/ŠITA و manû minȖtu

وهذا جدول بتسلسل كتابة الأعداد الأساسية ولفظها بالسومرية والأكدية:

الطريقة التي تعامل معها أهل العراق القديم مع الصفر لم تكن حاسمة، كانت جزئية وناقصة، فقد وضعوا فراغاً للصفر، على اعتبار أن الصفر يعني اللاشيء أو الفراغ، لكن هذا الفراغ لم يكن مجدياً وواضحاً في كثير من المعادلات. ثم وضعوا بعلامتين وثلاثة كانت معروفة لاستعمال آخر، ولذلك جاءت كل المحاولات غير حاسمة، ولو أنهم ابتكروا علامة خاصة للصفر لكان لهم السبق في التعامل الناجح والصحيح مع هذا الأمر، وهو ما فعله الهنود لاحقاً، «عند منتصف الألف الثاني ق.م، كان للرياضيات نظاماً ستينياً متقدماً في مواضع الأعداد، إلّا أن الافتقار إلى قيمة الصفر والذي تم التعبير عنه بفاصلة بين الأرقام الستينية، وعند مطلع 300 ق.م استعملت علامة مسمارية بشكل مسمارين مائلين للدلالة على مرتبة الصفر وهنالك نص يعود إلى مدينة كيش بتاريخ يقدر (700) ق.م، دون بها الصفر بثلاثة مسامير مائلة بدلاً من مسمارين، لم يكن رمز الموضع المكاني البابلي صفراً

حقيقياً، لأنه لم يكن مستعملاً لوحده، كما لم يكن يستعمل في نهاية العدد، بذلك كانت الأرقام 260، 120, 2 و3. 180 و4، 240، تبدو بنفس الشكل، لأن الأرقام الأكبر كانت تفتقر إلى موضع صفر، ولم يعرف التفريق بينهما إلّا من خلال السياق». (القطان 2018: 51).

هكذا فقد السومريون والبابليون والآشوريون التعامل الدقيق مع رقم الصفر، فالسومريون والبابليون الأوائل جعلوه فراغاً بلا علامة، بينما وضع البابليون الجدد علامة تدل على مرتبة خالية في وسط الأعداد وهكذا..

«قد يتصور أحد بأنه طالما وجد نظام عددي فيه رمز لقيمة الموضع فإن وجود الصفر كرمز لمكان فارغ سيكون فكرة ضرورية، لكن كان لدى رياضيي بلاد الرافدين نظام رقمي فيه رمز لقيمة المكان من دون هذه الصفة لمدة أكثر من ألف سنة، فضلاً عن ذلك ليس هناك أي دليل بأنهم شعروا أن هناك مشكلة تتعلق بالغموض الذي كان موجوداً. لم يكن المسماران هما الرمز الوحيد الذي استعملوه، فقد وجد في كيش رمز من ثلاثة مسامير مائلة ليشير إلى موقع قيمة الفارغة وفي لوح آخر يعتقد أن بنفس التاريخ استعمل فيه رمز معقوف واحد لموقع القيمة الفارغة وهناك صفة واحدة مشتركة بين الرموز المستعملة لهذا الغرض وهي أنها لم تكن تأتي في نهاية المجموعة العددية، بل كانت تأتي دائماً بين الأعداد فمع أننا نجد العدد 6. 12 لكننا لا نجد العدد 216 وعلينا أن نفترض بأن سياق الموضوع الذي كان كافياً ليدل على أيهما هو المقصود كان هو المعول عليه». (القطان 2018: 51 ـ 52).

استعمل الآشوريون ما فعله قبلهم في كل عمليات الأعداد البسيطة والمعقدة من ضرب وجمع وطرح وقسمة وتربيع وتجذير وكسور، والتي تحدثنا عنها في كتبنا عن الحضارتين السومرية والبابلية.

واستعان الآشوريون بجداول التربيع والتجذير الرياضية وكانوا يعودون لها في وقت الحاجة لها. وقد استفادوا من تطور علوم الجبر والمثلثات التي أنجزها البابليون.

في الهندسة النظرية والتطبيقية كان لهم منجز مشهود وكبير في استخدام القياسات الهندسية المعقدة كالقوس والقبة والطوابق المتعددة، ويشهد على ذلك تلك المباني الباذخة في مدنهم وعواصمهم.

المبحث الثاني: المترولوجي الآشوري

أولاً: وحدات الوزن



ميزان من العصر الآشوري القديم

اختلفت وحدات الوزن الآشورية على مدى التاريخ الآشوري، فهناك أوزان العهد الآشوري القديم وأوزان الوسيط والحديث، وهي كما يلي:

1.نظام الأوزان الآشورية العام:

الإيمار: حمل الحمار = 10 سوتو = 5 بوشل

سوتو= 10 كو

كو = 3 باينت

باينت = 1/8 غالون، الغالون = 4.5 لتر. المرجع: (ساغز 2008: 221).

2.النظام الآشوري القديم (الثقيل):

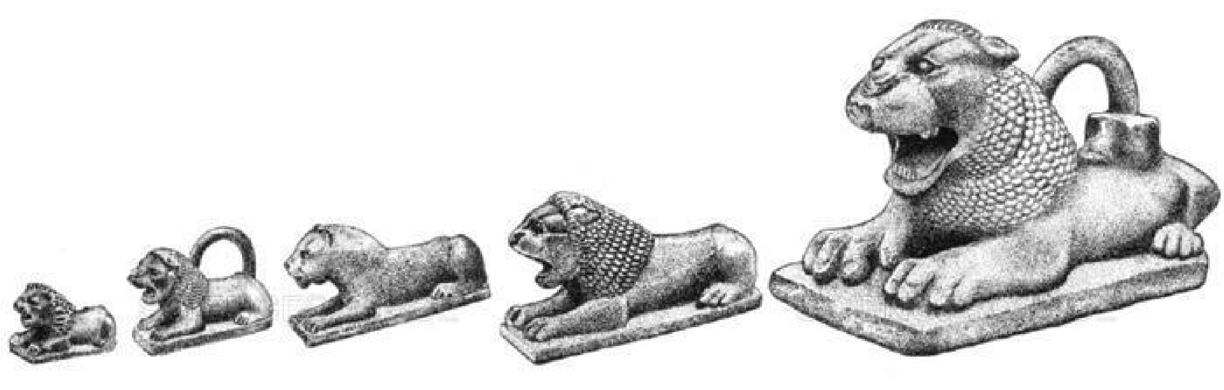
المرجع: (Gyllenbok 2018: 462).

3.النظام الآشوري القديم (الخفيف):

المرجع: (Gyllenbok 2018: 462).

4. أوزان الأسد الأشوري:

هي مجموعة أوزان آشورية تتكون من ستة عشر وزناً من البرونز تعود للقرن الثامن قبل الميلاد، اكتشفت في نمرود في أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر وهي الآن في المتحف البريطاني. مع نقوش ثنائية اللغة في كل من الأحرف المسمارية والفينيقية ذات الشكل الآرامي. تحمل كلمات مثل (ميشا، ستيلل). وهي واحدة من أهم مجموعات القطع الأثرية التي تؤرخ الشكل «الآرامي» للنص الفينيقي. كانوا أقدم نقش على الطراز الفينيقي تم اكتشافه في وقت اكتشافهم لها.





أوزان الأسد الآشورية

ثانياً: وحدات السعة (الحجم)

خلال الفترة الآشورية المتأخرة:

المرجع: (Gyllenbok 2018: 462).

ثالثاً: وحدات الطول

رابعاً: وحدات المساحة

1.نظام آرو

Aru system c. 1000 B.C

(Gyllenbok 2018: 461)

قياس المساحات أيضاً بكمية الذرة المطلوبة لزرعها أو متوسط محصولها، أي بواسطة (جور) و(كا). GUR وKA̤.

خامساً: وحدات الزمن

يمكن الحصول على مزيد من التفاصيل من:

Zimmern’s Das Princip unserer Zeit-und Raumteilung, in the Berichten d. philolog. histor. Classe d. Königl. Sächs. Gesellschaft der Wissenschaften .zu Leipzig. November 14, 1901

المبحث الثالث: الهندسة المعمارية

أظهرت الهندسة المعمارية الآشورية عبقرية الآشوريين في تمثل حضارتهم في العمران، فهي تشكل مرآة الحضارة الآشورية الحقيقية. ولذلك سيكون من المفيد مناقشة ميزات هذه العمارة من خلال عناصر التصميم المعماري لنكشف عن هذا الجانب المشرق من حضارتها وعلمها الهندسي في الوقت نفسه. ويمكننا تقسيم عناصر التصميم الحضاري لخمسة أركان أساسية:

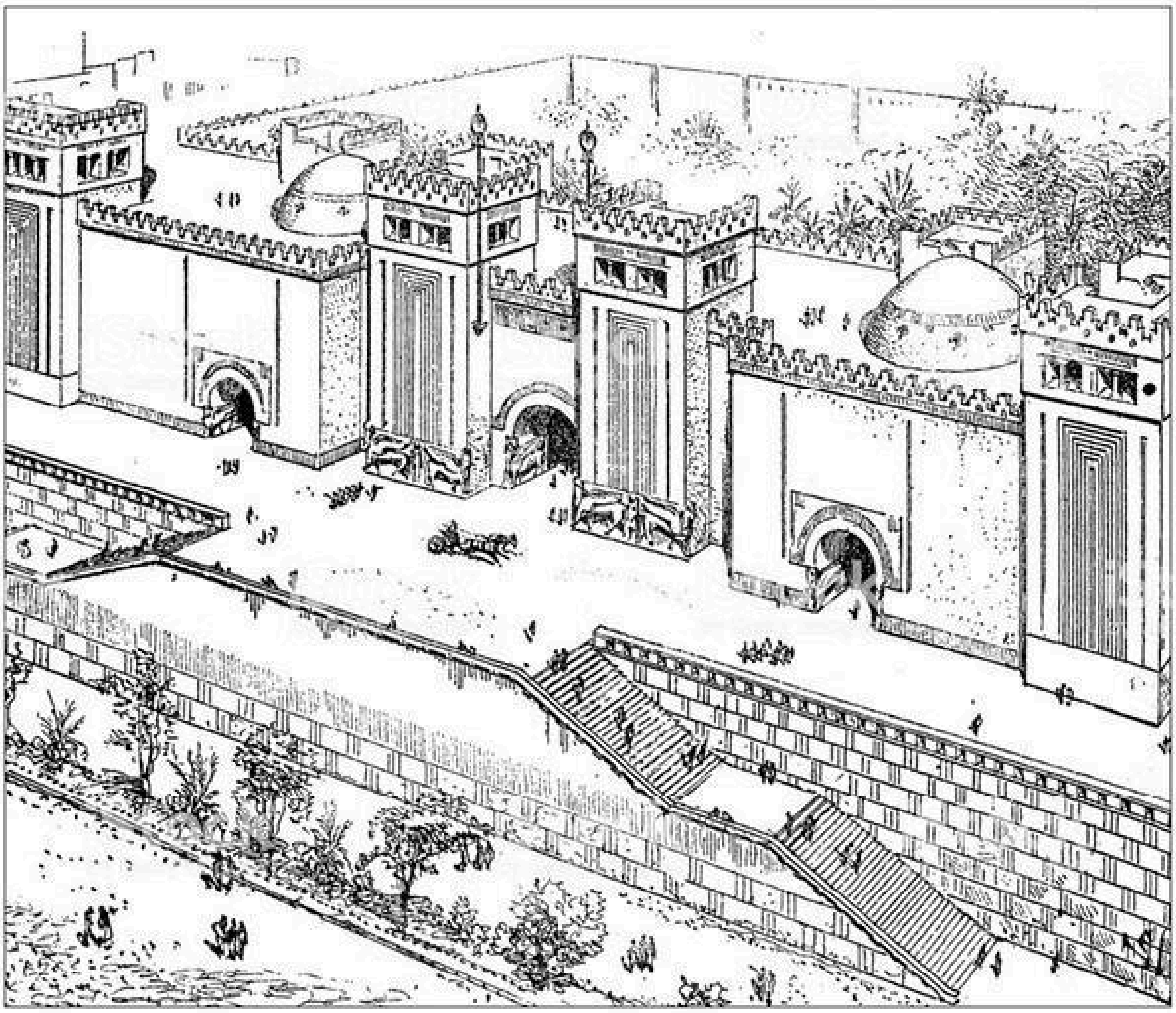
1. التكوين

هو الذي يربط التصميم المعماري بالعوامل السياسية والدينية والثقافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والمناخية المحيطة به، ومن خلال ذلك يمكن التعرف على طبيعة حضارة الآشوريين وجوهرها ومدى علاقتها بمجتمعها ورفاهيته فيها. وقد أثرت في تكوين العمارة الآشورية العوامل السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والتأريخية والمناخية.

2. مواد البناء

3. التوازن

التجانس والانسجام بين مكونات التصميم المعماري (الكتل، الأشكال، والألوان، والأحجام، مقاييس البناء، الفضاء، التصميم الداخلي) المنسجمة بنظامٍ هندسي يطغى عليها ويعطيها توازنها الفريد الخاص بها.



عناصر مهمة من العمارة الآشورية حيث الجزء الأمامي من قصر الملك الآشوري سرجون الثاني (القرن الثامن قبل الميلاد)، المسمى دور شروكين («حصن سرجون» أو «قلعة سرجون») المدخل الرئيسي والأقواس (إحدى البوابات السبع التي دخلت الجدران)، مع

الجدران العظيمة وأربعة أبراج لها قبب من الـ 157 التي كانت تحمي المستوطنة، وفي الداخل حديقة تم تزيين الجدران والقصر بشكل غني بالحجر المنحوت.

4. الطابع

1.الطابع الداخلي: المكونات الداخليّة للبناء.

2.الطابع الخارجي: الذي يعكس طبيعة الطابع الداخلي، ويظهر بمكونات خارجية تعبر عنه.

5. التعبير

إظهار الفكرة الرئيسية (الهدف الأساسيّ) للعمارة أو البناء، بالاعتمادِ على مجموعةٍ من العوامل الجغرافية بشكل خاص مثل الموقع الجغرافيّ، والمناخ، والسكان، والبيئة النباتية والحيوانية غيرها.

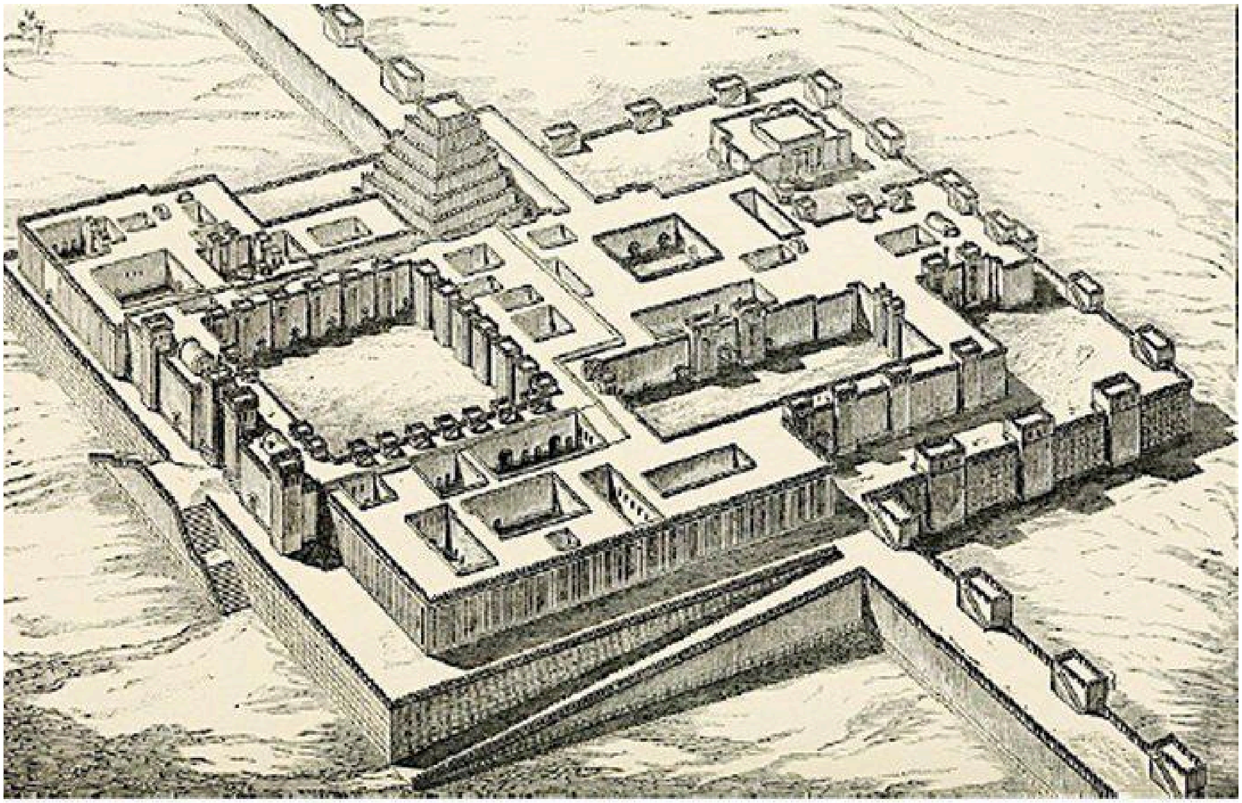
6. أجناس وأنواع المعمارية الآشورية

1. العمارة الدينية: وتشمل المعابد، والزقورات المنفصلة عن المعبد (في آشور، كالح، دور ـ شروكين، والزقورات المتصلة بالمعبد: مدينة كار ـ توكلتي ننورتا، آنو أدد في آشور). المصليات والمزارات والأضرحة.

2. العمارة الدنيوية: القصور والبيوت السكنية والمدارس والمخازن.

3. العمارة العسكرية: المخازن والحصون والقلاع والأسوار.

انظر (عبد الحق 2014) و(العلي 2016).



Palace of Sargon, Khorsabad

قصر سرجون الثاني في خورسباد (دور ـ شروكين)

المبحث الرابع: علم الفلك الآشوري

صورة الكون عند الآشوريين:

لم تختلف كثيراً صورة الكون عند الآشوريين عمّا تصوره البابليون والسومريون «لقد تصور العراقيون القدماء الأرض مسطحة، سابحة على سطح نهر عظيم مياهه عذبة، أو على سطح محيط كوني، تنزّ منه المياه الجوفية في الآبار، وفي مكان ما من نهاية الأرض في هذه الجهة من المحيط يوجد سدّ أو أساس السموات تستقر عليه قبة السماء أو بتعبير أدق يستقر عليه عدد من القباب السماوية، ذلك أن كل نجم أو كوكب سارٍ في واحدة منها ـ الإله سين في قبته، والإله شمش في قبته وكلّ من الإلهة عشتار (الزهرة) وغيره من الكواكب

في قبته وتُعد سماء الإله آنو أعلى قبة بين قباب النجوم الثابتة. وعلى حافة الأرض، هناك الجبلان ـ التوأم، جبل ماشو بابهما التي يمر من خلالها شمش (إله الشمس)، وهو يقطع طريقه كل يوم. واستناداً إلى وجود قوارب أحياناً، في المدافن السومرية القديمة، يمكن القول إن ثمّة اعتقاد في مثل هذه المرحلة التأريخية، الألف الثالث ق.م، مفاده أنه ينبغي على الأموات أن يتوجهوا إلى مدينة إيريشيكال عبر النهر العظيم وعبر مياه الموت، وأغلب الظن أن شمش، إله الشمس كان يقوم بهذه الرحلة وهو يقطع ليلاً هذا الطريق عبر العالم الأسفل من المغيب إلى المشرق، وذلك على الرغم من أن النصوص المسمارية التي تعود إلى تأريخ أحدث لم تحتفظ بما يشير إلى ذلك وأن طريق الشمس قد تم تصوره على نحو آخر. وقام البعض من العلماء المتخصصين برسم صورة لهذا التصور العام للكون، وفيما يأتي نموذج مخطط لأحد تلك التصورات». (الجميلي 2011: 3 ـ 4).

استقرت صورة الكون عند الآشوريين من خلال أسطورة الخليقة والتي كرّست، في نسختها الآشورية، الإله آشور بدلاً من مردوخ وهو يصنع السماء والأرض وما بينهما، خصوصاً أنه أصبح بمثابة الأب بالنسبة لإله السماء (آنو) من خلال تطابقه مع الإله القديم (أنشار). وكان شكل الكون الكروي مكوناً من المكونات الآتية:

1.السماء العليا حيث يسكن الإله آشور وآن.

2.السماء الوسطى: حيث يسكن كبار الآلهة.

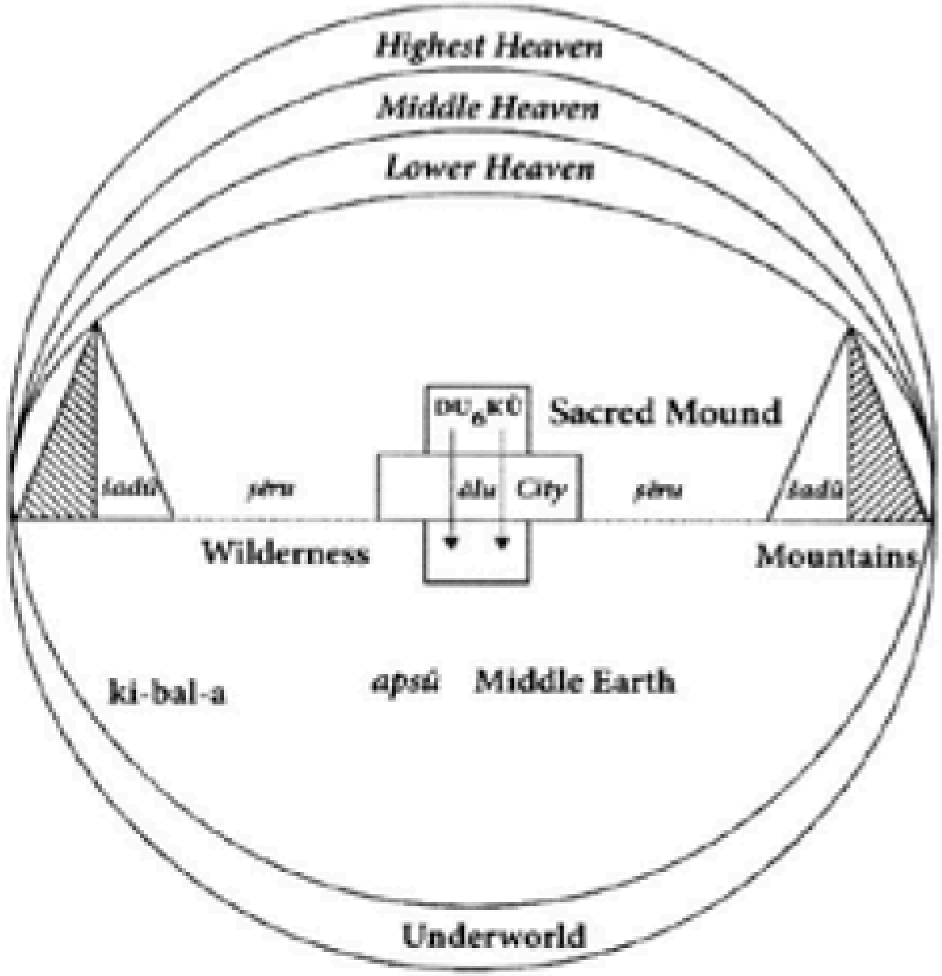
3.السماء السفلى حيث يسكن آلهة الطقس والمناخ والكواكب.

4.الجبلان اللذان يحملان السماء من الشرق ومن الغرب.

5.الأرض العليا التي تتوسطها مدينة آشور، والتي يتوسطها معبد الإله آشور.

6.الأرض الوسطى (كي.بالا) التي يتوسطها أبسو (مياه الأعماق).

7.الأرض السفلى (العالم الأسفل) وهو عالم الموتى والشياطين ويحكمه الإلهان نرجان ولاس (أرشكيجال).



صورة الكون عند الآشوريين

(.Dick, 2006: 244)

التقويم الآشوري القديم:

الآشوريون استخدموا التقويم القمري، ولكنهم كانوا يطابقون بين التقويم القمري والشمسي عن طريق الشهر الكبيس الذي يُضاف كل سنتين أو ثلاث.

الشهر الكبيس في التقويم الآشوري لا يعطى اسماً خاصاً به، بل يوضع له اسم الشهر الذي يُلحق به، وخصوصاً بشهري تشرين وكانون، فكان الشهر الذي يُلحق بتشرين يسمى تشريتوشانو (تشرين الثاني)، والشهر الذي يلحق بكانون يسمى (كينونوشانو) أي (كانون الثاني).

الأشهر والحوليات :

١ - الأشهر الآشورية والبابلية :

أسماء الأشهر باللغة السومرية	أسماء الأشهر باللغة الأكدية	الأشهر على وفق[1] التقويم الآشوري	الاشهر على وفق[2] التقويم البابلي
(^{ITI} BAR (- ZA - GAR))	nisanu	آذار - نيسان	نيسان
(^{ITI} GU$_4$ (- SI - SA/ SU))	aiaru	نيسان - آيار	ايار
(^{ITI} SIG$_4$ (- GA))	simanu	أيار - حزيران	سيمانو
(^{ITI}SU (-NUMUN - NA)	duzu	حزيران - تموز	دوزو - تموز
(^{ITI} NE (-NE - GAR))	abu	تموز - آب	آب
(^{ITI}KIN (-^{d}INNIN- NA))	ululu	آب - ايلول	ايلول
(^{ITI} DU$_6$ (KU))	tasritu	أيلول - تشرين الاول	تشرين
(^{ITI} APIN (-DU$_8$ - A))	arahsamnu	تشرين الاول - تشرين الثاني	ارخسمنا
(^{ITI} GAN (GAN - NA))	kislimu	تشرين الثاني - كانون الاول	كسيلمو
(^{ITI} AB (-BA - E))	tebetu	كانون الاول - كانون الثاني	طيبيتو
(^{ITI} ZIZ (- A - AN))	sabattu	كانون الثاني - شباط	شباط
(^{ITI} SE (- KIN - KU$_5$))	addaru	شباط - آذار	آذار

(العبادي 2006: 25).

التقويم الآشوري الحديث:

هو التقويم الشمسي الذي يستخدمه الشعب الآشوري الحديث. يبدأ العام بمنظر الربيع الأول، فقد قام الآشوريون المعاصرون بتحديد عام 4750 قبل الميلاد باعتباره بداية التاريخ الآشوري، وبداية التقويم عامه الأول في الخمسينيات، بناءً على سلسلة من المقالات المنشورة في مجلات آشورية واعتماداً على قراءة غير دقيقة لمعلومات آثارية مكتوبة افترضت أن بداية تاريخ الآشوريين يبدأ من 4750 ق.م ومعروف أنه لا توجد كتابة مسمارية في هذا الزمن، فكيف فعلوا ذلك؟

وجهة نظرنا أنه كان المقصود من المعلومات الآثارية، التي لم يشيروا إلى مرجعها الدقيق، هو 4750 سنة من الآن (في حينها)، وليس قبل الميلاد، أي في حدود 2750 ق.م.

ويسمّون العام الأول منه (عام تهدئة الفيضان العظيم وبداية الحياة)، وهذا أيضاً كلام غير دقيق لأن الفيضان المقصود منه الفيضان الذي ذكرته الرقم الطينية السومرية ثم المكتوبة بالأكدية، وتقدير العلماء له أنه حدث في حدود 2900 ق.م. أي أن الفيضان أقدم بحوالي قرن كامل من تقديراتهم، كما أنه فيضان لمدينة شروباك وربما أور معها، كما أبت ذلك ماكس مالاوان، وليس لمدنٍ أو أماكن آشورية!!

المهم أنهم افترضوا هذا وأسسوا عليه، ولا يزالون يحتفلون بالعام الآشوري الجديد كل عام مع المهرجانات والتجمعات.

ثم وضعوا إرباكاً آخر وهو أنهم اعتبروا الاحتفال في سنة 2020، مثلاً، يكون اعتباراً من مارس 2020 م، هو العام 6770 من التقويم الآشوري، ويستخدم هذا التقويم بين العديد من المجتمعات الآشورية. يبدأ قبل 4750 سنة من التقويم الميلادي. لحساب السنة الحالية (بعد 1 أبريل) في التقويم الآشوري، أضف 4750 إلى التقويم الجورجي الحالي

(4750 + 2020 = السنة الآشورية 6770). وهذا الأمر يزيد القضية تعقيداً.. وهم لا يحتاجون إلى كل هذه المبالغات لأنها، ببساطة، تتقاطع مع التأريخ الآركيولوجي المعتمد لبلاد الرافدين.

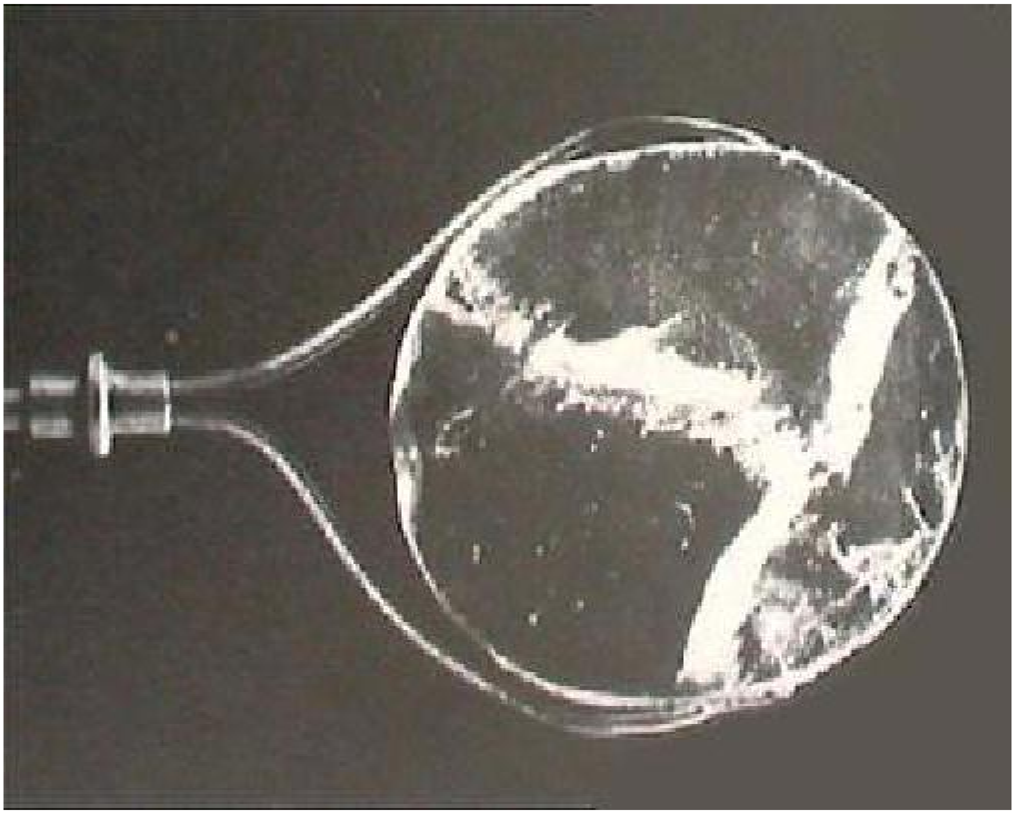
ولنلاحظ أن الكلدانيين الحيثين، أيضاً، يقعون في الخطأ ذاته بأرقام أقدم.. وكل هذه التسابق العاطفي لا أساس له من الصحة ويُضعف مصداقية الشعبين الحديثين!!

فيما يلي جدول التقويم الآشوري الحديث:

التقويم الآشوري الحديث

عدسة نمرود The Nimrud lens

تعتبر عدسة نمرود أقدم عدسة في العالم. وهي قطعة بلورية (كريستالية) من أصلٍ صخري عثر عليها الآثاري المعروف لايارد عام في عام 1853، وجدها في غرفة العرش في قصر نمرود الآشوري للملك سرجون الثاني، ربما تعود للقرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. وهي عدسة مستوية محدبة، لم تكن مهذّبة أو مصقولة كما يجب، ولذا كانت أطرافها تحد من قدرتها على التكبير. ظهرت آراء كثيرة حولها فقد نفى البعض كونها عدسة مكبرة وقد تكون جزءاً من الأثاث أو الديكور، ورأى البعض الآخر أنها جزء من تلسكوب فضائي، فيما أجمع كثيرون على أنها عدسة طبية.



عدسة نمرود (الإطار الذي يمسك بها حديث)

وقد طرحت آراء سابقة حول إمكانية صنع عدسات بابلية لمشاهدة واكتشاف أقمار صغيرة للمشتري وزحل كان العلماء (ومنهم جورج رولينسون) يرون استحالة معرفتها وكشفها وتثبيتها من قبل البابليين دون عدسات مكبرة، ولكنهم لم يعثروا عليها.

العدسة معروضة الآن في المتحف البريطاني، وهي مصنوعة من الكريستال الصخري، الحجم: 38 مم (1.5 بوصة) السمك: 23 مم (0.9 بوصة) تم صنعها حوالي 750-710 قبل الميلاد في القصر الآشوري لنمرود.

وهناك حجرٌ عليه نقش من وادي الرافدين (لم يتم التثبت من تأريخه ودقة وجوده) يُظهر رجلاً يراقب السماء من خلال ما يشبه العدسة.



نقش الرصد التلسكوبي في وادي الرافدين؟

أسماء الكواكب السبعة:

كان علم الفلك، كما هو الحال مع جميع الحضارات المبكرة، فلكياً إلى حد كبير. كان يُعتقد أن حركات الأجسام في السماء مهمة للأفراد، ولا سيما للملوك والإمبراطوريات. لذلك درس الآشوريون حركات الشمس والقمر والكواكب بعناية شديدة، بحثاً عن البشائر، جيدة أو سيئة. لقد اعتبروا الأشياء السماوية آلهة. لذلك اهتم الكهنة أكثر بالسماء. من بين جميع الأجسام السماوية، كانت الكواكب أكثر من غير قابلة للتفسير: اقتصرت حركاتها على نطاق من السماء وكانوا يغيرون اتجاههم ويقتربون ويتراجعون عن بعضهم البعض ويغيرون السطوع. سمّى الآشوريون الأجرام السماوية حسب أسماء آلهتهم وعلى النحو الآتي:

«توضح قصة الخليقة البابلية قيام مردوخ بتنظيم الكون بعد رفعه السماء، فعين الكواكب في أماكنها، وفوض القمر (سين) بقياس الزمن، ومن بزوغ وأفول أبراج النجوم تعين السنة والشهر واليوم، وحدد السنة وعمد تقسيمها على شهور، ثم حدد أيام السنة بوساطة الكواكب التي عيّنها لكل شهر من الأشهر الاثني عشر، إذ وضع لكل شهر ثلاثة كواكب. فذكر أحد ألواح الخليقة البابلية ذلك:

... أنشأ كوماشي... أبراج الكواكب

عين السنة (و) حدد أقسامها،

(لكل) من الاثني عشر شهراً عيّن أبراجاً ثلاثة..

بعد أن عدد أيام السنة بدلالة الأبراج.

ونقرأ من نص آخر يعود للقرن السابع قبل الميلاد:

«عندما آنو وإنليل وآيا الآلهة العظام

ثبتو السماء والأرض، وثبتوا تحديد الإشارات

وثبتت مواقع الكواكب وثبتت سرعة الأجرام

آلهة السماء هي (....) قسمت الممرات

النجوم متشابهة قسموا الأبراج»

وجاء ترتيب الكواكب الخمسة على طبقات السماء السبعة بحسب أبعادها عن الأرض وهي (عطار، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل) يحكم كلّ منا طبقته، وجعلوا في كل طبقة من طبقات السماء أحد النيرين (الشمس ـ القمر)». (برغش والطائي 2018: 274).

«كذلك نقرأ في إحدى القصائد التي تناشد ارتفاع عشتار، من كونها آلهة صغيرة إلى كوكب متلألأ مساوياً مع الكواكب النيرة الأخرى لباقي الآلهة العظام، ما نصه:

الآلهة الذين يمشون في الأمام (أي آنو، وإنليل وأيا، سين، وشمش)

يدلونها على الطريق الحسن

هذا المكان، ارتفعي يا عشتار

إلى الملوكية عليهم جميعاً

... كوني أنت الأكثر تلألؤاً بينهم.

وليسموك (عشتار ـ الكوكب)؛

بجانبهم. لتيغير مكانك

فيرتفع إلى أعلى موضع..

يكن بهاؤك مشعاً

يتقد لهيب مشعلك اللامع

في كبد السماء.

فالزهرة من ألمع كواكب المجموعة الشمسية، وتأتي في المرتبة الثالثة بعد الشمس والقمر من حيث شدة اللمعان بالنسبة إلى كوكب الأرض مقارنة بالأجرام السماوية الأخرى، من ذلك يصفها النص بالبهاء المشع واللامع.» (برغش والطائي 2018: 275 ـ 276).

في حين كان المريخ يرمز إلى الشر، بدليل كثرة الأسماء التي عرف بها، وكل أسماء كوكب المريخ تعود لـ (Nergal) «نرجال» حاكم العالم الأسفل الذي كان من أقوى الآلهة، ومن أبرز أسماء كوكب المريخ هو (Nakru) العدو، (lemmo) الشرير، (Sarru) الكذاب، (SA5) أي الأحمر وهو لون المريخ، (mustatarru mutanu) الذي يشير إلى وباء الطاعون، ومرجع ذلك يعود إلى كون المريخ كوكباً دائم الحركة غير مستقر يغير موقعه على الدوام في السنة، لذا يكون غير قابل للتنبؤ، ولتميز كوكب المريخ باللون الأحمر فإن آلهة الدار (Gibil) كانت مرتبطة به.

«نركال الأقوى بين الآلهة، الذي يملك القوى السامية للإله آنو..

... السفاك العنيف الذي اتخذ مكانته برجولة في أعالي السماء...

النسل اللامع للإله آنو...

النجم الذي يشع في الأفق دون توقف..». (برغش والطائي 2018: 276).

«أما المشتري أو ما يعرف بـ (نيبيرو) NEBERU فغالباً ما ارتبطت حركة كوكب المشتري في السماء على ما يحدث في الأرض من وقائع، التي عادة ما كانت تفسر ظهوره وحركته على أنها (نذير شؤم)، والمشتري يقارب كوكب الزهرة بالإضاءة حتى أنه في بعض الأحيان يكون أكثر وضوحاً من الزهرة، كأن يكون مضيئاً طوال الليل، فسمي (UD.AL.TAR)، والأكديون سموه (الرائع المرعب)، واستعمل بوصفه اسماً لكوكب المشتري والمعنى (متوحش، حربي، بطولي)، وهناك مواصفات للمشتري أكثر شيوعاً كـ (MUL.SUL.PA.E3) ويعني ملك الفجر المضيء (أي معنى المشتري في الشرق) يبين احتمالية تصنيف اسما المشتري في موقعه في القبة الزرقاء». (برغش والطائي 2018: 276).

«وكان الإله مردوخ قد عين موقع كوكب (المشتري) ليحدد واجبات الأيام، وأوقات ظهورها (فلا يخطئ أحد منها موعده أو يتقاعس).

أوجد موضع (نيبيرو) ليحدد به (الكل)

كي لا يتجاوز أحدهم حدوده (أو) يقصر عنها.

وكان زحل أو»ساتورن» (saturn)، قد أطلق عليه العديد من التسميات السومرية منها:

(GIR.TAB,LU.LIM.UDU.IDIM.SAGUS) يقابلها بالأكدية (KAIAMANU)، والتي تعني (الثابت الراسخ)، (المنتظم)، (الطبيعي)، إن حركة كوكب زحل البطيئة وثبات حاله ورسوخه كالشمس أدى إلى أن يطلق عليه (نجمة الشمس)، على الرغم كونه من أعتم

الكواكب، إلا أن اتصاله بالشمس وارتباطه بها جاءت نتيجة حركته في السماء بشكل ثابت، على وفق حركة الشمس». (برغش والطائي 2018: 277).

وبالانتقال إلى القمر نجده قد أوكل إليه قياس الزمن في الفكر العراقي القديم، ففي أسطورة التكوين البابلية ثبت (مردوخ) بوسط السماء خط السمت وأمر القمر بالطلوع، وأوكل الليل إلى القمر الذي جعله يطل كـ(حاكم) لليل، ليعرف من خلاله أيام الشهر.

«أمر القمر أن أطلع، وأوكله بالليل،

وجعله من كائنات الظلام، لقياس الزمن

وراح يزينه كل شهر بتاج

وفي مستهل الشهر، إذ تطلع في السماء

ليقس قرناك أياماً ستة

وليظهر نصف تاجك في اليوم السابع

وحينما تكون بدراً فلتواجه الشمس

(ولكن) حين تسبقك الشمس في كبد السماء.

قلل من ضيائك، وأعكس نموك». (برغش والطائي 2018: 277).

«يرد في قصة الخليقة البابلية (حينما في الأعالي) الهالة والبهاء الذي كان يحيط (أبسو)، حتى أن الملحمة تصف مردوخ وتذكره بكونه إلهاً شمسياً، إله شمس الآلهة، فكان النور يسطع منه كالكواكب المنيرة لشدته.

«نجل إله الشمس،

سليل شمس الآلهة

كان يزدان ببريق عشرة آلهة مجتمعين، خارق القوة كان».

وقد تناهت إلينا أسطورة قصيرة تتناول مسألة خلق الشمس وهي مدونة باللغة البابلية، مشكلة مقدمة ذات أهمية بالغة للعمل التنجيمي، عُثر عليها في لوح كتبه أحد التلاميذ الذي تعود للعصر البابلي الحديث، نقرأ فيها:

«حين آنو وانليل وإيا

الآلهة الكبار، في مشورتهم التي لا تبديل لها،

قرروا أحكام السماء والأرض،

وأوكلوا إلى أيدي الآلهة الكبار

النهار الساطع والقمر الجديد لرؤية

البشر، رأوا الشمس في بوابة مسراه

في وسط السماء والأرض أطلّا مخلصين».

مما يعزز ما ذهب إليه الأدب العراقية القديم، إن العلامة الصورية في الكتابة للإله (شمس) مثلث قرصاً يرتفع بين جبلين، كما أن أحد رموزه في الرسوم هو القرص ذو الأجنحة المفتوحة، وأحياناً أخرى يكون مضافاً إليه ذيل طائر دلالة على تحليقه اليومي فوق الأرض، وأحياناً أخرى يكون بهيئة إنسان، فنراه في مسلة...». (برغش، والطائي 2018: 280 ـ 281).

العواصف الشمسية والشفق القطبي:

وثق علماء الفلك الآشوريون العواصف الشمسية على ألواح طينية تعود لحوالي 700 ق.م مطابقة الآن مع بيانات النظائر المشعة، فقد قام باحثون في جامعة تسكوبا، بدراسة ما يعرف بالشفق القطبي والذي يسمى أحياناً بأضواء الشمال القطبي الذي يظهر عندما تخترق الرياح الشمسية الناتجة عن العواصف الشمسية المجال المغناطيسي حول الأرض والذي يؤدي إلى تغير مسار الأجسام المشحونة في كل من رياح النظام الشمسي والمجال المغناطيسي بحيث تكون هذه الأجسام على شكل إلكترونات وبروتونات ويتم إرسال هذه الأجسام إلى الطبقة العليا من الغلاف الجوي بحيث تفقد طاقتها هناك وتتأين وتطلق ألواناً مختلفة حسب طبيعة تأينها.

درس العلماء في جامعة تسوكوبا السجلات المسمارية القديمة بحثاً عن أدلة على نشاط شمسي غير عادي قبل حوالي 700 ق.م، وحددوا ثلاث عواصف مغناطيسية محتملة من خلال مطابقة التواريخ مع بيانات النظائر المشعة في حلقة الأشجار. وجمعوا الملاحظات من الألواح المسمارية الآشورية التي تشير إلى سماء حمراء غير عادية مع بيانات النظائر المشعة لتحديد العواصف الشمسية التي من المحتمل أن تكون قد حدثت ما بين (679 ـ 655) قبل الميلاد، ونشروا بحثهم في رسائل مجلة الفيزياء الفلكية في 7 أكتوبر 2019.

كان البشر يراقبون السماء وكان المختصون منهم بالفلك يسجلون الملاحظات الغريبة التي تحصل في السماء بما في ذلك المذنبات والنيازك وحركات الكواكب، فهم يعتبرونها إنذارات لأحداث قادمة.

يرجّح أن الشفق القطبي قد حصل في عام 660 ق.م، وأشارت الألواح الآشورية إلى توهج أحمر غير عادي في السماء كدليل على العواصف المغناطيسية الشمسية. حيث يصفها لوح طيني بأن هناك لوناً «أحمر يغطي السماء»، بينما يشير لوح آخر إلى «سحابة حمراء». ربما كانت هذه مظاهر لما نسميه اليوم الأقواس الحمراء الشفقية المستقرة، والتي تتكون من الضوء المنبعث من إلكترونات ذرات الأوكسجين في الغلاف الجوي بعد إثارة المجالات المغناطيسية الشديدة. في حين أننا عادة ما نفكر في الشفق القطبي على خطوط العرض

الشمالية، خلال فترات النشاط المغناطيسي القوي، كما هو الحال مع طرد الكتلة الشمسية، ولكن قد يتم ملاحظتها إلى الجنوب. علاوة على ذلك، وبسبب التغيرات في المجال المغناطيسي للأرض بمرور الوقت، حيث كان الشرق الأوسط أقرب إلى القطب المغنطيسي الأرضي خلال هذه الفترة من التاريخ.

وقد تأكد ذلك من خلال فحص عينات من حلقات الأشجار التي تعود لذلك الوقت والتي عوملت مع الكربون المشع 14 والذي يرتبط بزيادة النشاط الشمسي وظهر أن هناك ارتفاعاً واضحاً له.

«أظهرت السجلات الشفقية الموجودة في المحفوظات التاريخية والنظائر الكونية الموجودة في المحفوظات الطبيعية بمثابة مراصد سليمة لطرد الكتلة الإكليلية والجسيمات النشطة للطاقة الشمسية (SEPs)، على التوالي، وكانت التواريخ التي تسبق بداية رصد نقاط البقع الشمسية في عام 1610. تشكل أحداث الطقس الفضائي هذه تهديداً كبيراً للحضارة الحديثة، بسبب اعتمادها المتزايد على البنية التحتية الإلكترونية. حددت الدراسات الحديثة العديد من الأحداث المناخية المتطرفة المستمدة من SEPs في المحفوظات الطبيعية، مثال ذلك الحدث في 660 قبل الميلاد. حيث مستوى النشاط الشمسي حوالي 660 قبل الميلاد له أهمية كبيرة، إلا أن هذا لم يكن ضمن تغطية السجلات الشفقية المعروفة حتى الآن في الوثائق التاريخية التي تمتد إلى القرن السادس قبل الميلاد. لذلك، قمنا بفحص التقارير الفلكية الآشورية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وحددنا ثلاثة تقارير رصدية للشفق القطبي، وقمنا بتحديد تأريخ هذه التقارير إلى حوالي 680 قبل الميلاد ـ 650 قبل الميلاد. وأتاحت لنا الألواح المسمارية الآشورية تمديد تاريخ السجلات الشفقية والنشاط الشمسي بقرن. وتعتبر هذه التقارير المسمارية من أقدم السجلات القابلة للتأريخ للشفق القطبي وهي تدعم مفهوم النشاط الشمسي المعزز الذي تقترحه النظائر الكونية من الأرشيفات الطبيعية». (Hayakawa et.al 2019: Abstract).

كسوف نينوى

تم ذكرها في قائمة ليمو آشورية (قائمة اسمية)، وهي قائمة تضم كبار المسؤولين المعينين سنوياً، على النحو التالي: تمرد بور ساجالي من غوزانا، في مدينة آشور. في شهر سيمانو، حدث كسوف للشمس.

يفترض أن يشير التقرير إلى كسوف شمسي (إجمالي؟) شوهد من نينوى خلال السنة التاسعة أو العاشرة منحكم آشور دان الثالث. إن تحديد هذا الكسوف مع كسوف 15 يونيو 763 قبل الميلاد يجعل من الممكن إرساء القائمة في الوقت المناسب، وبالتالي توفير خط أساس زمني دقيق للغاية للتاريخ الآشوري الذي يعود إلى 910 قبل الميلاد.

اعتقد الآشوريون أن الكسوف كان إنذاراً مهماً. لقد توقعوا حدوث خسوف للقمر بدقة معقولة، وفي تنبؤاتهم احتساب آثار مثل عدم رؤية خسوف القمر الذي يحدث في وضح النهار.

المبحث الخامس: التقنيات الفيزيائية

لا يمكننا المجازفة والقول بأن الآشوريين اكتشفوا علم الفيزياء، بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح، لكننا يمكن أن نقول أنهم، مثل الكثير من الشعوب القديمة المتحضرة، استعملوا التكنولوجيا (التقنيات) الفيزيائية ضمناً بحس تجريبي عملي أقرب منه للحس الإمبريقي المختبري الذي ظهر بشكل واضح في العصر الحديث. ولذلك حاولنا البحث عن مثل هذه التقنيات في ما صنعوه من وسائل وآلات اعتمدت على خبرة تجريبية في الأمور الفيزيائية وحقولها في الماء والميكانيك والصوت والضوء وغيرها.

أولاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالمياه:

استخدمت نخبة القوة المركزية هندسة النظم المروية الواسعة لنهري دجلة والفرات في بيئة صحراوية جافة، فقد كانت ضرورية لهم للانتفاع من مياه النهرين في الشرب

والزراعة وانعاش البيئة الصحراوية المحيطة بهم، وقد كانت وسيلة لصد ترشيح الملح للقنوات المروية والتي كانت مشكلتهم الكبيرة، فقد كانت الحقول المروية ملوثة، في نهاية المطاف، بواسطة الأملاح المتسربة في البيئة الصحراوية الجافة.

ومع ذلك كانت الجهود حثيثة، على مدى الزمن، للكفاح ضد التصحر واستخدام الطاقة الهايدروليكية بشكل أفضل، ويمكننا رصد مجموعة من هذا التقنيات:

1. نظام القنوات المائية:

اهتم الآشوريون بنظام الريّ وإنشاء القنوات بسبب اهتمامهم بالفلاحة والزراعة المعتمدة على المطر والتي كانت تنتابها أزمات بين فترة وأخرى، ولعل سنحاريب كان مميزاً في بنائه لشبكة ريٍّ واسعةٍ من القنوات في سياق الحدائق والمتنزهات والقصور، فقد نقل العاصمة لنينوى وطوّر إمدادات المياه فيها، وقام ببناء شبكة ريّ واسعة غطت الحاجات الزراعية وتوفير مياه الشرب والضرورات الأخرى، فكانت قنواته المهمة التي بناها أربعة هي: قناة كسيري 55 كم بُنيت عام 702 ق.م، قناة جبل مسري 694 ق.م، القناة الشمالية 46.4 كم (690 ق.م)، قناة الخنيسي 55 كم (حوالي 690 ـ 688 ق.م).

2. الدالية والناعور

استعمل الفلاحون الآشوريون وسائل فيزيائية بسيط للتعامل مع نقل المياه وتوزيعها، منها الدالية (زريكو بالأكدية) التي هي عبارة عن استثمار لقانون العتلات على ضفاف الأنهار، تتكون من ذراع خشبية أو حديدية طويلة مثبتة على بناء من الطابوق قويّ، ويمكن التحكم بأبعاد استنادها على البناء، ويتم تغطيس نهايتها المزودة بوعاء كبير لحمل الماء، ثم تغيير مركز استنادها، وهناك شخص آخر في الطرف الثاني أو ثقل كبير من العمود الخشبيّ، يعمل على رفع الطرف الأول والوعاء ويسكبه في مجرى يؤدي إلى الحقول.

واستخدم الناعور الذي هو عبارة عن عجلة خشبية ضخمة (قد يصل قطرها 10 أمتار) تدور على ضفة المياه وتنقل الماء من النهر بمجموعة من الدلاء لترميها الحركة الدائرية للناعور، التي يصنعها تيار الماء، في الضفة التي تؤدي إلى الحقل.

وهناك الكرد أو البكرة والتي يرفع بها الماء وبكميات أكبر، يتكون الكرد من «بكرة كبيرة تستند من جهتيها بعمودين ضخمين، غالباً ما يكونان من جذوع النخل أو الخشب القوي أو بناء وعاء كبير جلديّ نهايته على شكل أنبوب يتفرع الماء بواسطته ماء الوعاء إلى الساقية بواسطة حبلين يربط بأحدهما بأعلى الوعاء وينزله ويرفع الثاني النهاية الشبيهة بالأنبوب عند الصعود فيمنع خروج الماء من الوعاء ويوصله إلى الساقية حيث يفرغ هناك الماء بتوجيه فتحة النهاية الأنبوبية للساقية، وهناك شخص يسوق الحيوان عند الصعود إلى الطريق المنحدر حتى ينزل الوعاء إلى ماء النهر، وعند نزوله يرفع الوعاء إلى الساقية، عند الصعود إلى الطريق المنحدر حتى ينزل الوعاء إلى ماء النهر وعند نزوله يرفع الوعاء إلى الساقية». (انظر الأحمد 1985: 183 ـ 184).

كل هذه الآلات تعمل بطريقة العتلات ودوران الدلاء عن طريق الريح وتيار الماء.

3. القِرب والأكياس المنفوخة للسباحة والتنفس تحت الماء:

استعملت القرب والأكياس، عن طريق استثمار طبيعي لقانون الأجسام الطافية، وقد أعانت الأفراد على الانتقال في الماء، واستخدمت بشكل واسع عند الجنود الآشوريين لمحاولات المباغتة والهرب والتجسس والهجوم على الأداء.

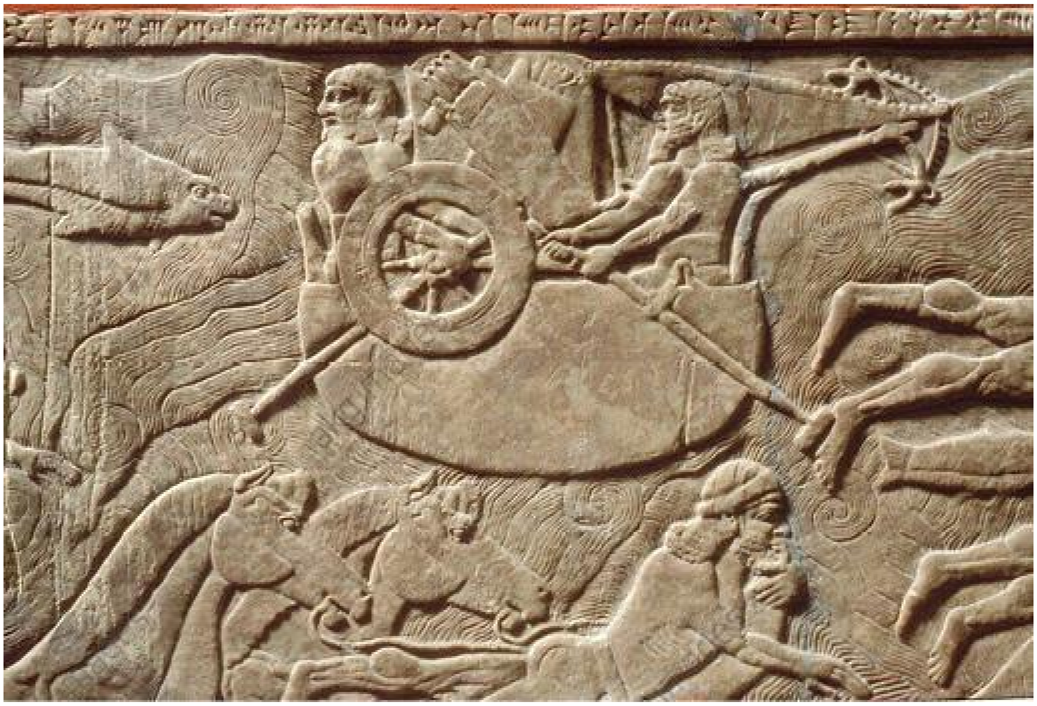
وهناك غوص الرئة المائية (السكوبا) (فوخت) الذي كان يستخدم في حالات الغوص والبحث عن كنوز الأنهار والبحار، أو الصيد الثمين.

هو اسم طريقة الرئة المائية والتنفس تحت الماء حسب الباحث سايمون ألين. Phuket فوخت



محاربون يتنفسون من الأكياس المنتفخة، من نحت آشوري من القرن التاسع قبل الميلاد

يظهر نحت آشوري، حوالي 885 قبل الميلاد، مجموعة رجال مسلحين يستخدمون أكياس التنفس الصغيرة تحت الماء، مما يسمح لهم بالتسلل إلى أعدائهم. وهي وسيلة مبتكرة عند الآشوريين، ويُذكر أن النحات اليوناني (سايليس) في عام 500 قبل الميلاد، استخدم القصب كوسيلة للغطس المتخفي تحت الماء عندما قطع السفن الفارسية المعادية من مراسيها.



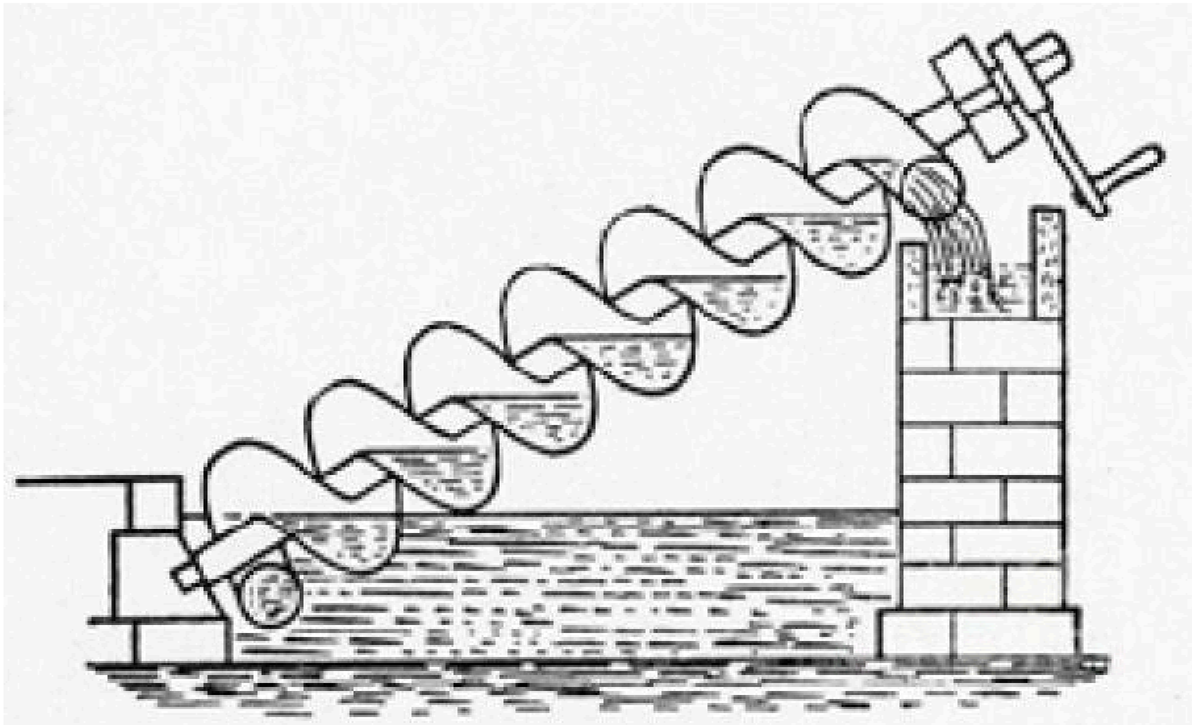
القرب الآشورية

4. استثمار قانون أرخميدس قبل ظهور أرخميدس:

أبدت (ستيفاني دالي) الباحثة في علم الآشوريات دهشتها حين وجدت أن مهندسي الملك سنحاريب الذين بنوا قصره وجنائنه المعلقة في نينوى قاموا بصنع لولبٍ برونزيّ كبير بطريقة مدهشة ووضعوا نهايته السفلية في مجرى مياه النهر، واعتمدوا في ذلك على الظاهرة التي سميت فيما بعد بـ (قانون أرخميدس)، فتحرك اللولب وصعدت المياه نحو الأعلى لتسقي النباتات في الطوابق العليا من جنائنه المعلقة. وتقول السيدة دالي أن الآشوريين استخدموا نظاماً معقداً من القنوات المائية والسدود لجلب المياه المنسابة من الجبال التي تبعد 50 ميلاً وإيصالها إلى قلعة نينوى وجنائنها المعلقة. وفي النص الآشوري جملة تشير إلى أن الماء كان يُنقلُ طيلة اليوم.

وهذا رسم توضيحي لجهاز اخترعه أرخميدس في القرن الثالث قبل الميلاد لنقل المياه من مستوى أدنى إلى قنوات ري أعلى. يؤدي تحريك اللولب داخل الأنبوب المجوف بواسطة

تيار الماء إلى رفع الماء نحو الأعلى.



لولب أو مضخة أرخميدس

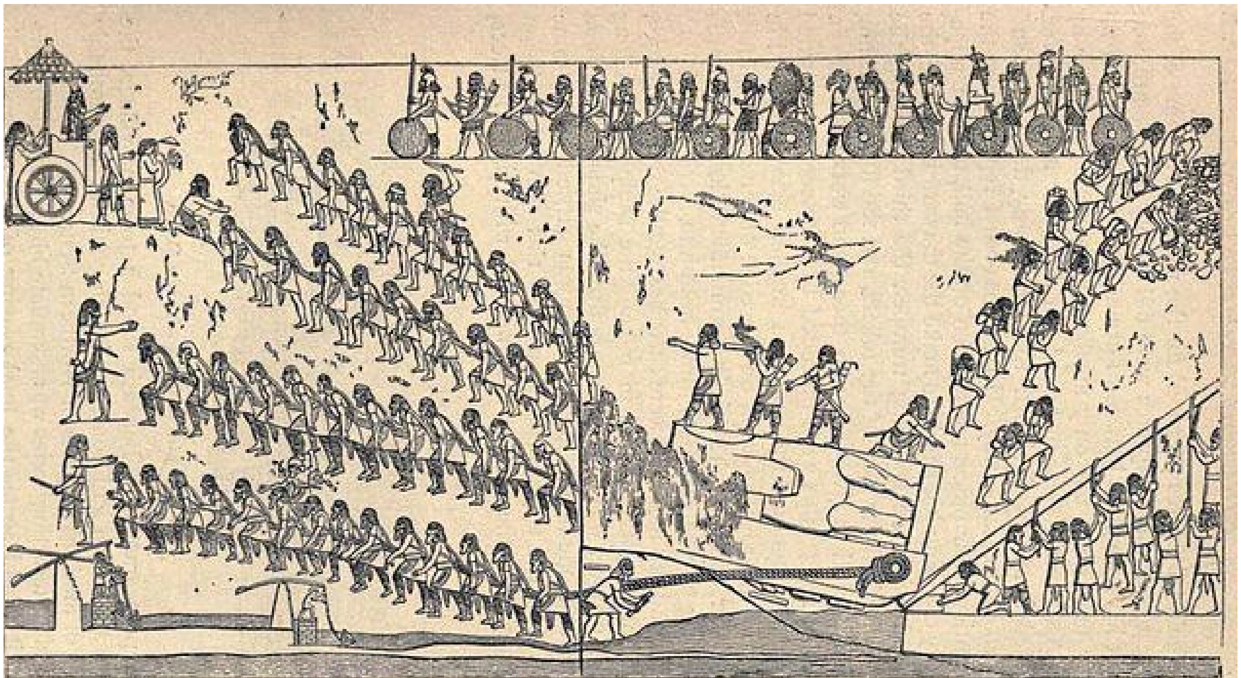
ثانياً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالهواء:

1. السفن والأشرعة:

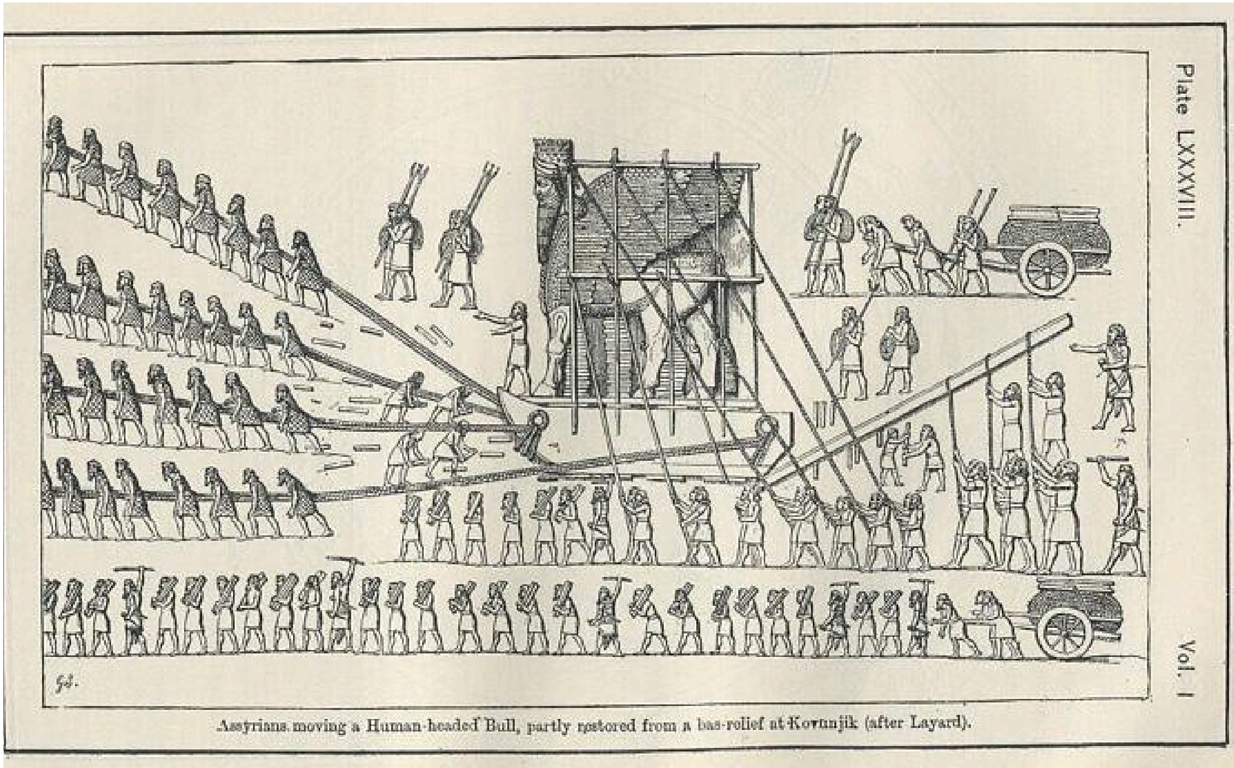
لا شك أن الآشوريين، كما غيرهم من الشعوب التي سبقتهم، استعملوا حركة الرياح في مسيرة السفن في البحار والأنهار عن طريق صناعة الأشرعة، وقد استفادوا من خبرات الفينيقيين في هذا المجال وهم سادة البحار في العالم القديم.

ثالثاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالعتلات والرافعات:

اعتمد الآشوريون على قوانين العتلات في صنع بعض الرافعات في البناء، وفي العمليات العسكرية، وهناك لوحة جدارية من الجبس تظهر آشور ناصر بال الثاني وهو يحاصر مدينة عند نهر. بعض الآشوريين يخترقون الجدران السفلية. تم رفع «برج حصار» خشبي بالقرب من سور المدينة، وتحت حمايتها يطلق الملك سهامه على أعدائه على الجدران. محرك حصارهم الرئيسي يتعرض للهجوم.



King superintending removal of colossal Bull. (Kouyunjik.)



Assyrians moving a Human-headed Bull, partly restored from a bas-relief at Kouyunjik (after Layard).

الآشوريون ينقلون تماثيلهم الضخمة بتقنيات نقل معقدة ينفذها عمال وجنود

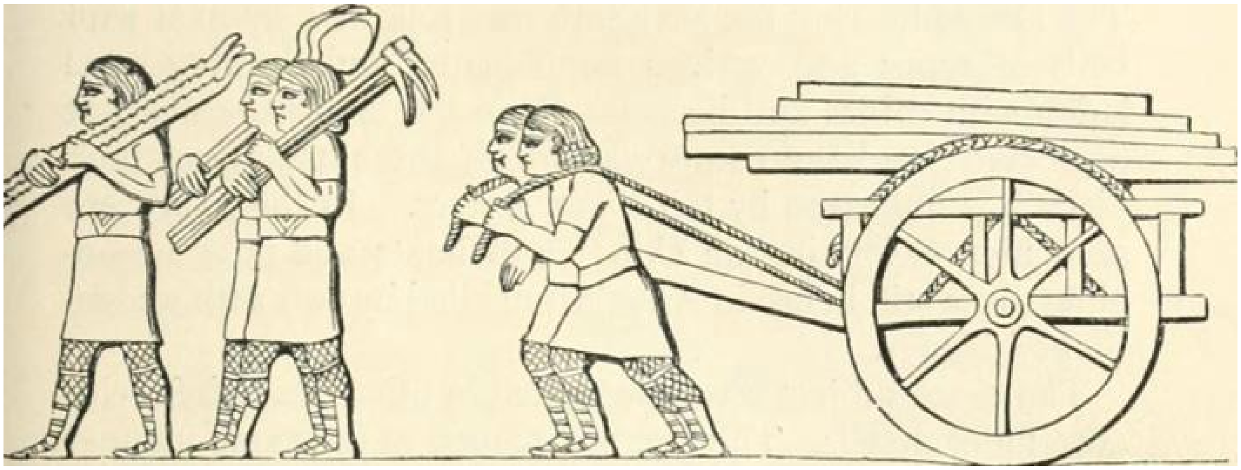
رابعاً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالنار والضوء:

احتاج الآشوريون في عملياتهم العسكرية إلى الكثير من تقنيات استعمال الضوء والنار، فقد كانوا بحاجة لاستعمال السهام النارية وإطلاقها باتجاه أهدافها، وكانوا بحاجة لمشاعل النيران ليلاً ونهاراً لضبط هجومهم وإدامته. وكانت مثل هذه التقنيات التي تستخدم الأخشاب والقار والزيت، وتصنع السهام والراجمات النارية، كل هذه الأمور تعطي انطباعاً بسيطرتهم على مثل هذه التقنيات الفيزيائية.

خامساً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالبناء:

العمران الآشوري واسع ونوعي ولا شك أن عمليات البناء الواسعة احتاجت لتقنيات فيزيائية واسعة في هذا المضمار مثل الضبط الشاقولي للجدران وبناء السقوف والأقواس

وغيرها.



سادساً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالميكانيك:

المركبات والسفن ووسائل النقل الأخرى كانت تجعل من الآشوريين على إتقان جيد لتقنيات الميكانيك، ولا شك أن هناك الكثير من جوانب الحياة حافلة بمثل هذه الأمور.



ورش ميكانيكية آشورية في القرنين الثامن والسابع ق.م

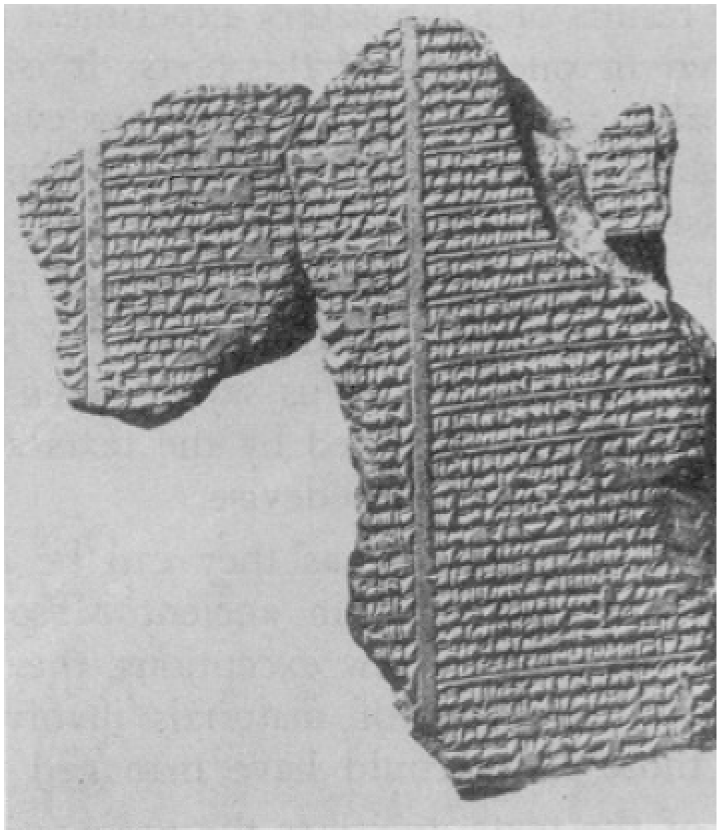
سابعاً: **التقنيات الفيزيائية الخاصة بالصوت في الآلات الموسيقية:**

الأدوات الموسيقية الآشورية كانت في غاية التطور والدقة، وقد أثرت بوضوح على الموسيقى الإغريقية والرومانية، فقد حفلت الآثار بأسماء الآلات الموسيقية والعازفين والمطربين والمصطلحات الموسيقية المتعلقة بالمقياس الموسيقي. هذا بالإضافة إلى توثيق الأغاني الآشورية التي تذكر المفتاح والمدى والأداة الخاصة بالأغنية. وكانت الآلات الموسيقية الوترية تعتمد على تقنيات صوتية دقيقة ومدروسة رياضياً، وتشمل هذه أنواع الأدوات وأشكالها التي تتراوح بين الآلات الوترية والإيقاعية.

ثامناً: التقنيات الفيزيائية الخاصة بالضوء والعدسات:

هناك من يرى أن الآشوريين توصلوا لصناعة عدسات فلكية وطبية، وقد ناقشنا موضوع العدسة الفلكية في موضوع الفلك، لكننا هنا سنلقي الضوء على النظارات الطبية التي يعتقد أنها صنعت من قبلهم.

«قام الأستاذ أ. ليو أوبنهايم، من المعهد الشرقي، مؤخراً بإعداد ترجمة جديدة للنصوص الآشورية المسمارية المشهورة في صناعة الزجاج. ووجد أن هناك احتمالاً بأن المواد الموصوفة في النصوص كانت مرتبطة بصناعة النظارات الطبية ولكنها ليست بالضرورة نظارات حقيقية. نظراً لأن هذه النصوص مهمة جداً لدراسة التاريخ المبكر لصناعة الزجاج، فقد كان من المأمول دائماً أن يتم حل السؤال يوماً ما بشكل قاطع بطريقة أو بأخرى. تتكون النصوص في المقام الأول من بضع عشرات من أجزاء من أقراص. يظهر اللوح في الشكل وهو يعود إلى القرن السابع، ضمن ألواح مكتبة آشوربانيبال، وقد أثبت أوبنهايم أنه نسخ من النماذج الأولى للآشوريين في عصرهم الوسيط والتي تم تأليفها في الأصل في القرون الأخيرة من الألفية الثانية قبل الميلاد، ولذا فهو أكثر أهمية لأنه يعيدنا إلى الوراء حيث ما زالت الأمور أقرب إلى اكتشاف الزجاج. كما ترجم البروفيسور أوبنهايم ثلاثة ألواح إضافية من تاريخ سابق. جاء اثنان منها من بابل وبوغازكوي والثالث إذا لم تثبت صحته، وأكد أوبنهايم أن أحد النصوص بالتأكيد يتعامل مع صنع النظارات الملونة المختلفة. لكن السنوات المتداخلة أدت أيضاً إلى الحصول على أدلة منطقية قديمة جديدة حول نظارات بلاد ما بين النهرين المبكرة وإلى تقدم كبير جداً في فهمنا للكيمياء وتكنولوجيا صناعة الزجاج في وقت مبكر. لذلك، ثم أرفق أوبنهايم كتالوجاً شاملاً للنظارات المبكرة لبلاد الرافدين والتفسير الكيميائي لترجماته. تم إعداد الفهرس من قبل الدكتور دان باراج والدكتور أكسيل فون سئيد إيرن. والتفسيرات الكيميائية لوروبرت برل». انظر . (BRILL1972: 329 - 351)



اللوح المسماري الآشوري لصناعة النظارات الطبية

(BRILL1972: 329 - 351)

المبحث السادس: الطب الآشوري

نرجّح أن الطب، في بلاد وادي الرافدين عموماً، نما وتطور من تقاليد شعبية في الممارسات الصحية كان أغلبها مشبعاً بروح السحر والدين، وقد قادته التجربة العملية لنمو التقليد العلمي القابل للتطبيق والنجاح والمؤدي لنتائج مثمرة في هذا المجال.

كان التقليد الشعبي الأساسي له علاقة بالأعشاب، وربما كان للاسم المعالج بالأعشاب علاقة بها، فقد كان يدعى بـ (أشيبو)، وكان يستخدمها بطريقة مرتبطة بتقاليد شعبية ودينية

كنوع من الأدوية السحرية والروحية، ثم شمل الأمر المعادن والحيوانات ومنتجاتها.

يبدو أن هناك نوعين من المعالجين يتمتعان بشرعية متساوية، هما (الآسو) وهو الطبيب السريري، والأشيبو وهو الطبيب الديني الشعبي (طبيب الأعشاب) ويبدو أن هذين النوعين من العلاج كانا كذلك يستخدمان من قبل كلتا الفئتين من الممارسين، على الأقل في بعض المناسبات.

كانت النسبة الأكبر من النصوص الطبية هي من الفترة الآشورية الحديثة، وقد أتت بشكل رئيسي من مكتبة آشوربانيبال في نينوى ومن موقع مدينة آشور ونمرود (كالخو) وسلطان تبه.

القليل من النصوص الطبية معروفة من بلاد ما بين النهرين نفسها من الألفية الثانية، لكنها كانت موجودة

وخصوصاً النصوص الطبية البابلية في العاصمة الحثية خاتوشا بالقرب بوغازكوي.

طوّر السومريون والأكديون والبابليون الطب الرافديني، لكن الطب الآشوري كان يمثل العصر الذهبي للطب الرافديني، بسبب اتساع وتفرّغ الطب وحقوله وظهور عدد كبير من متخصصيه، وذيوع شهرة الأطباء الآشوريين خارج وادي الرافدين، وطلبهم من قبل ملوك حيثيين ومصريين للتطبيب في هذه البلدان.

من مظاهر ازدهار الطب الآشوري تطور علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وإدراك فكرة العدوى في بعض الأمراض كالجذام والزهري والطاعون واتساع جداول الأدوية والمواد الصيدلانية والكيماوية.

والجدير بالذكر أن الألواح الآشورية تذكر الأدعية والوصفات ذات الأصل السومري ربما لأنها مكتوبة بلغه لا تشبه اللغتين البابلية والآشورية اللتين هما من أصل أكدي.

إن التلازم المتين بين الطب العلمي والطب السحري/الديني، الذى لمحناه في الطب البابلي سيظهر في الطب الآشوري بصوره مختلفة.. وسنلمح الأثر الديني والسحري كشيء ملطّف للوصفات والتشخيصات العلمية والطبية. وهذا يعني انحساراً واضحاً لأدوار الأشيبو والبارو ورسوخاً واضحاً لدور الآسو، ولكن هذا لا يعني اختفاءهما، فغالباً ما تزين الوصفات الطبية وصفات دينية وسحرية ويبدو أن استخدامها هنا قد أصبح لغايات نفسية أكثر منه لاعتقادات دينية وسحرية طبية راسخة، ومن أجل ذلك سنتناول في مبحثنا هذا المظهرين العلمي والديني للطب الآشوري معتمدين على الوفرة الهائلة من الوصفات الطبية التي جمعها كتاب (من الطب الآشوري) الذي ترجمه الدكتور عبد اللطيف البدري واعتمد فيه على ما حرره الكثير من المختصين بجمع وترجمة الألواح الطبية الموجودة في مكتبة آشور بانيبال التي عثر عليها المنقب الإنكليزي أوستن هنري لايارد أثناء تنقيبه في تلال (كويونجيك) في نينوى ويعود تأريخها إلى 668 ـ 626 ق.م، والتي احتوت حوالي 660 لوحة طبية قام بترجمة أكثرها العالم ريجنالد كامبل ثومبسون إلى الإنكليزية *.

*انظر أبحاثه ومؤلفاته:

1. Thompson، R. campell: Ababylonian explanatory text، Medical J. of the Royal Asociatic Society، 1924.

2. Assyrian prescription of ulcers J of Society of oriental research 1931

3. Assyrian prescription for diseases of the head.AM.J. OF Sematic languages 1937

4. Assyrian Medical text (Head and Eye) proceeding of the Royal Society of medicine 1925_1926

5. Assyrian prescription of urine. Babylonica XIV، 1934.

6. Fevr sickeness and headache the devil and evill spirit of Babylonia ,L. S.
1904 ،I

7. A Dictionary of Assyrian chemistry and geolgy 1936

8. A Dictionary of Assyrian 1949

9. Assyrian Herbals

10. Asmall book to history and Antiqulties of Mesopotamia 1923

11. Evil spirits of Babylonia 1903

12. Assyrian medical texts ,1923-1924

13. Assyrian prescription for diseases of urine 1934

1. المظاهر العلمية في الطب الآشوري:

1) تطور العلوم الطبية الأساسية والمختصة:

انتقلت العلوم الطبية الأساسية مثل علم التشريح والجراحة إلى مستوى أفضل بحكم تراكم الخبرة، ورغم أن معلومتنا قليلة وغير مؤكدة عن تشريح الإنسان، إلا أن تشريح الحيوان ومقارنته بالإنسان كان من أهم مصادر معرفة الآشوريين بأعضاء الجسد البشري فقد كان على كاهن (البارو) أي العراف القيام بهذا الدور عند فحصه القرابين وقد حملت الرقم الطينية أوصافاً دقيقة لأحشاء الجسم ومنها ما ذكر من أن «هناك القلب الأيمن والأيسر وأن قمه القلب والقلب الأيسر تقعان أمام القلب الأيمن وجاء ذكر الكبد وأقنية الصفراء بتفاصيل دقيقة ما زالت صحيحة بوصفها معلومات تشريحية وكذلك ذكر الوريد البابي والأجوف السفلي (الرابض) وأوردة الكبد وأبواب المعدة (باب الأكل) والبنكرياس

والطحال والكلية والحالب والمثانة والرحم، وقد عرفت البروستات وكذلك الشرايين والأوردة والكثير من العضلات والأوتار». (البدري 1976: المقدمة ج).

وأطلقت أسماء مفصلة على الأعضاء وأجزائها التشريحية وتبع ذلك تطور واضح في الجراحة ذكرت الخطوات السليمة للعلاج الجراحي من تنظيف وتعقيم. ولكننا لا نعرف ما إذا كانت الجروح تُخاط أم لا. وتعدّت أعمال الجراحة إلى ربط الخراجات واستئصال ظفر العين ودفع حصاة المثانة وفتح انسداد الأذن وحشو الأنف في الرعاف وتوسيع وتضييق الإحليل وزرق الأدوية فيه بأنبوب نحاسي مجوف وتصريف الدبيلة وخراجة الكبد. وكانت الأعمال الجراحية الشائعة هي تجبير الكسور والتداخلات الجراحية في الولادة والأمراض النسائية مثل التقاط الجنين بملقط وسحبه وهناك ما يدل على الولاده القيصرية بـ (بقر البطن). (البدري 1993: 34).

ومن العلوم الطبية الأساسية معرفة معقولة بعلم وظائف الأعضاء كالكبد، وقياس النبض ودور الكلية في التبول وعمليات التنفس والرئة والقصبات ووظائف المعدة وبقية الأعضاء.

وامتلك الآشوريون فكرة معقولة عن العدوى وقد تحسنت، إلى حدٍّ ما، الصورة السحرية عن الأمراض المعدية، التي كانت ترى الأشباح والشياطين سبباً في العدوى حيث رأى الطبيب الآشوري «أن سبب الأمراض أجسام غير منظورة تدخل الجسم مع الهواء عن طريق التنفس أو مع الأكل والشرب عن طريق الجهاز الهضمي أو مع الأوساخ عن طريق الجلد، وهذا هو التعليل السليم لما نصفه اليوم بالعدوى الجرثومية وذكر أن أسباب الأمراض الجسمية هي النجاسة يعني أنه تصور أن الأمراض تتسبب في العدوى، أما قوله بأن الأرواح تسبب المرض وتلحق ضرراً في الجسم فأغلب الظن أنه قصد ما يعنيه الطبيب العصري بالأمراض النفسية والعقلية». (البدري 1976: المقدمة ج).

وتطورت العلوم الطبية المتخصصة فظهرت القبالة والتشخيصات العلمية للأمراض الزهرية الشائعة وأمراض الأطفال، وذكرت التشخيصات والعلاجات الطبية والوصفات لكلٍّ من الأمراض الآتية:

1. أمراض الرأس: الحكّة، الجرب، القشرة، تساقط الشعر، ابيضاض الشعر، الحمّى، ماء الرأس، النتانة، التهابات قحف الرأس، ضربة الشمس، ضعف شعر اللحية، التعرّق، الوجع، التورم، تورم الجبهة، التهابات الصدغ.

«إذا أصاب قحف الرأس التهاب في الصدغين وأصيبت العينان بالبروز والغشاوة والاحمرار وكانت الأوردة ملتهبة وكثيرة الارتشاح فخذ من 1-3 قا من الشيلم و1-3 قا من الحنطة واطحنها وانخلها جيداً وخذ من 1-3 من المنخول واعجنه بماء الورد. احلق رأسه ولفّ العجين عليه ثلاثة أيام، امزج الشب والشب الأسود بالدهن وضعها على عينيه وسوف يشفى». (البدري 1976: 1 ـ 17).

2. أمراض العين: الالتهابات، الاحتقان، الجفاف، القذى، عمى الليل، سيلان الدمع، بروز العين، انبهار الضوء، حرّ النهار، تعدد الرؤيا، سدر العين والغثيان، ومن أمثلة الوصفات: «إذا مرضت عين الرجل ولم يقدر على فتحها لعدة أيام وكانت النار برأسه وعيونه مقنّعه بالصديد فضع على رأسه العجين ثلاث مرات يومياً لتبريده واحرق بذر Bellis ودقه مع إبر الإثمد في زيت Puru واستعمله لعينه». (البدري 1976: 2).

3. طب الأسنان: ألم الأسنان، تخلخل الأسنان، اصفرار الأسنان، ومن أمثلة الوصفات: «إذا تألم الرجل من أسنانه فخذ Musdimgumna ولفّ داخله الأبيض بقطنه وانثر عليها زيتاً وضعه على السنّ وعرق الطرفة الذكرى وعرق الخلة والصبر وصمغ الكلخ والخل والطحين...، وتلفها حول فمه (أسنانه) وسوف يشفى». (البدري 1976: 1-3).

4. أمراض الفم: تشقّق الشفاه، نتن الأنف والفم، جفاف اللعاب، اعوجاج الفم، سيلان اللعاب عند التكلم، ومن أمثلة الوصفات:

«إذا كان في الرجل نتانة فخذ وزن قمحة من تربنتين الصنوبر وقمحة من الشيلم وقمحة حبة سودة من الحلتيت واختزلها واسحنها وامزجها في الزيت ودعه يشربها وسوف يشفى». (البدري 1976: 3-8).

5. أمراض الأذن: صديد الأذن، يبوسة الإفرازات في الأذن، ثقل السمع، طنين الأذن، وشوشه الأذن. ويؤكد الطبيب الآشوري على إزالة الأوساخ من الأذن قبل وأثناء معالجتها واستنباط طريقة لإدخال الأدوية إلى فجوة الأذن الخارجية باستعمال أنبوب نحاسي مجوّف ينفخ بواسطة المساحيق من الأدوية إلى الداخل. ومن أمثلة الوصفات: «إذا ثقل سمع أذن رجل فخذ شقلة من ماء الرمان وشقلة من ماء السنط وضعها على قطنة وادخلها في أذنه وكرر ذلك ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع نظّف أذنه واسحق الشبّ وأدخله في الأذن». (البدري 1976: 4-9).

6. أمراض البطن: حرقة الشرسوف، اختناق الأمعاء، المغص الكلوي، سقوط الرحم، آلام الشرج آلام البطن والرأس والصدر والكلى المشتركة. ومن أمثلة الوصفات: «إذا أحسّ الرجل بحرارةٍ في بطنه فامزج براعم الـ Seherz وبراعم السوس والزيت.. وبعدها بيّتها تحت النجوم وليشربها صباحاً على الريق وسوف يشفى». (البدري 1976: 2 ـ 57).

7. أمراض الصدر والرئة: ربط السعال بالحمى، السعال وضيق الصدر، السعال ونفث القيح، ألم الأكتاف، ألم الصدر والخواصر، إصابة الرئة، إصابة الرئة والمعدة، نتانة بخار الفم، اللهاث، الذبحة الصدرية. ومن أمثلة الوصفات: «إذا أصيب الرجل بالسعال الجاف.. الزيت النقي، وقشر العنجاص والحلتيت والدبس، هذه الأدوية الثلاثة تسحن جميعاً وتمزج مع العسل والخاثر ودعه يأكلها بلا طعام وسوف يشفى». (البدري 1976: 6-8).

8. أمراض الجهاز البولي والتناسلي: السيلان، القذف المبكر، القرحة على القضيب، انحباس البول وتقطيره، خروج الدم والقيح والحصى، سقوط الشرج، أمراض الجماع، وكان علاجها بالوصفات المناسبة أو بإدخال الأدوية إلى الإحليل بأنابيب نحاسية أو برونزية أو بالمراهم. ومن أمثلة الوصفات: «إذا انسدت مجاري الرجل عند ذهابه للتبول والتغوط فخذ الخشخاش واسحنه بالبيرة ليشربها» (البدري 1976: 7-9).

9. الأمراض النسائية وأمراض الولادة: التهابات الحامل، تمزق الرحم، سقوط الرحم، النزف، الولادة العسرة، الولادة القيصرية.

10. أمراض القدم: الانحناء، الالتهاب، التشقق، الورم، الغنغزين، التقيح، سقوط الأظفر.

11. الأمراض الجلدية: الاحمرار، الحبيبات.

12. القروح وأنواعها: البثور.

13. الحساسية من الغبار.

14. الكدمات: في الوجه، القفا، الفم، الرقبة، الجنب، القدم، السكتة، توقف الحياة.

15. علاج السموم الحيوانية كالحية والعقرب، والسموم الجرثومية بلغتنا المعاصرة.

16. الحالات النفسية والصحة العامة:

ب. ظهور ما يشبه الأبحاث الطبية وكتب الجيب الصحية:

بالإضافة إلى الوصفات والتشخيصات ظهر هناك ما يشبه بالأبحاث الطبية في آشور فقد عثر على لوحه تعود إلى 650 - 600 ق.م موجودة الآن في متحف جامعة بنسلفانيا تتحدث عن بحث في الجهاز البولي والتناسلي. (البدري 1976: 7-18).

ويذكر هذا البحث ثمانية أعراض لأمراض بولية وتناسلية ويذكر الوصفات المناسبة لها. وتبدو طريقة العرض للأعراض والوصفات كما لو أنها مترابطة.

وهناك بحث آخر يعود للعهد الآشوري الأوسط يتابع معالجه مرضاً نسائياً بالأيام ويقترح له العلاج المناسب مع مرور كل يوم. (البدري 1976: 2 ـ 8).

وهناك ما يشير إلى أن الآشوريين صنعوا ألواحاً صغيرة بحجم (كتاب الجيب) تصف الحالات المرضية وتشخيصها واللوح المعروف لدينا عن الحالات الخطرة التي تؤدي للوفاة. (البدري 1976: 1 ـ 13).

ويرجّح أن الآشوريين استعملوا النظارات الطبية فقد وجد في مدينه كالح القديمة (نمرود) عدسة من البلور من النوع المستوي المحدب. (باقر 1986: 374).

ج. تطور الكيمياء والصيدلة وتحضير الأدوية:

مع اتساع الإمبراطورية الآشورية كثرت مصادر المعادن والأحجار الكيماوية والمركبات العضوية، وازدهر علم الكيمياء والصناعات الكيميائية مثل التقطير والاستخلاص والتصعيد (التسامي) وازدهرت صناعات الأغذية والدباغة والجلود والزيوت والشمع والنسيج والصباغة والألوان والمطهرات والصابون، وانعكس هذا كله على صناعة الأدوية التي كان يقوم بها الطبيب (الآسو) وكان يستخدم لها الكثير من الأجهزة الكيميائية مثل المدق والهاون والمطاحن وأنواع الأوعية والدوارق والأفران وغير ذلك.

وقد أحصى (ريتشالد كامبل ثومبسون) في كتابه عن الأعشاب الطبيعية المواد التي وردت في الوصفات الطبية الآشورية فجاءت كما يلي: (البدري 1976: المقدمة ص).

1. أنواع النباتات (الأعشاب والأشجار والجذور) 250 نوعاً وردت 4600 مرة.

2. المواد المعدنية 120 مادة وردت 650 مرة.

3. المواد المتفرقة 180 وردت 630 مرة.

4. المواد الكحولية: البيرة القوية 300 مرة. بيرة السمسم 100 مرة والنبيذ 90 مرة.

5. الشحوم 170 مرة.

6. الزيوت 340 مرة.

7. العسل 80 مرة.

8. الشمع 30 مرة.

9. الحليب 40 مرة.

وأخذت هيئات الأدوية أشكالاً عديدة كالمحاليل والعصارات والمنقوعات والمعلقات، وكان الطبيب الآشوري يوصي باستخدامها بعده طرق حسب الحاجة لذلك، كأن تكون عن طريق الفم أو الحقن الشرجية أو اللبوسات الشرجية أو زرقها داخل الإحليل والمهبل بأنابيب مجوفة، أو النشوقات أو الغسول أو المراهم والقطرات للعين والأذن.

وكانت أدوية الجلد توضع كمراهم ولبائخ ومساحيق ومضادات.

هـ. شهرة الأطباء الآشوريين في العالم القديم:

ارتفعت منزلة الطبيب اجتماعياً في العهد الآشوري واشتهر الكثير من الأطباء لارتباطه بالبلاط الآشوري مثل الأطباء (آرام شوم) و(آراد نانا) و(مردوخ أبال أدينا) الذين عاصروا الملك أسرحدون وولده آشوربانيبال، واشتهر كذلك أطباء من آشور: سن أشاريد وولده مردوخ ماككور، وكان بعض هؤلاء الأطباء لا يسمح لهم بالعمل إلا في القصر الآشوري، وكان من مفاخر البلاط الآشوري أن يكون فيه طبيب مشهور ويزداد هذا الفخر عندما يقوم الملك بإرسال طبيبه الخاص إلى ملك آخر كما حصل عندما أرسل الملك البابلي طبيبه إلى الملك الحثيي (موطاليش) أملاً منه في التحالف ضد دولة آشور القوية آنذاك. وأخيراً لا بد من الإشاره إلى الأثر الكبير الذي تركه الطب الآشوري في الطب اليوناني عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر أو عن طريق الحيثيين أو عن طريق الكلدانيين أو عن الفرس الأخميين، ويحتاج هذا الأمر إلى دراسة مفصلة مقارنة تبين مواقع الاتصال والتأثير بحقول الطب الآشوري الكثيرة.

2. المظاهر الدينية في الطب الآشوري:

لا يمكننا إغفال ما ظل مرتبطاً بالطب الآشوري من أثر ديني وسحري، ولكنه لم يكن غالباً ومؤثراً كما لاحظناه في الطب الأكدي.. أو حتى في الطب البابلي ويمكننا تلخيص هذه المظاهر بالأمور الآتية:

أ) الأدعية والتعاويذ في الوصفات الطبية الآشورية:

حفلت بعض الوصفات الطبية الآشورية رغم توخّيها التركيب الكيميائي المناسب آنذاك بالأدعية لآلهة الشفاء والتعاويذ من آلهة المرض والشياطين والأشباح وكانت هذه الأدعية والتعاويذ تتلى مع العلاج وظهرت كذلك أسماء القليل من الآلهة والشياطين في التشخيصات والوصفات والعلاجات الطبية ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

«إذا كان شعر اللحية ضعيفاً فإن إله وإلهة ذلك الرجل غاضبان عليه، والوصفة العملية لذلك هي: قبل أن... كوكب الـ Mah قدم النذر المكون من التمر وطعام الـ A.TIR، ثم اصنع عصيدة من العسل والدهن الساخن. انحر شاة وقدم لحم الخاصرة اليمنى ولحم sume اليمنى وصبّ البيرة. امزج نبات Kumalah في الزيت وضعهم تحت النجوم واقرأ عليها التعويذة هي: أنتِ أيتها النجمة التي تعطيني الضياء من وسط السماء لتتفحصي العالم، أنا فلان ابن فلان كذا وكذا أنحني هذه الليلة أمامك لتقضي في أمري ولا تحجبي عني قرارك، عسى أن تزيل هذه النباتات شكواي وعندما يُصبح يدلك خدّيه بذلك» (البدري 1976: 1-24).

وهذا دعاء يُقرأ على العين المريضة المملوءة بالدم بعد أن تعطى العلاج المناسب: «أيتها العين الصافية، أيتها العين ذات الصفاء المضاعف، يا عين البصر الصافي، أيتها العين المعتمة ذات العتمة المضاعفة، يا عين البصر المعتم أيتها العين النائمة ذات العيب، أيتها العين المؤلمة... مثل جزار الغنم.. مثل التبن الذي يرمى، مثل النبيذ الحامض الذي يرمى.. من بين هذا الزوج نرجال بين الحدين قد صار.. هذا الدعاء ليس.. إنه دعاء (إيا) و(مردوخ).. دعاء (نين أحاكدو) سيدة السحر. كَولا عجلي بالشفاء الذي هو هديتك». (البدري 1976: 2 ـ 25).

ب) العلاقة بين الطب والفلك والتنجيم:

يبدو أن الكاهن والعراف (الأشيبو والبارو) في العصر الآشوري قد استنفذا أدواتهما السابقة وقد حاولا، جهد الإمكان، التكيّف مع ما كان (الآسو) يبتكره من علاجات عملية نافعة أو إتيانه بأمور جديدة ومؤثرة في العلاج النفسي.

ويبدو أن لجوءه إلى مختلف الأمور التي كانت في جدول العرافة والكهانة كان أمراً طبيعياً، ولذلك أُدخل الفلك والتنجيم لمساعدته في العلاج «فصاغ من المعلومات الفلكية فناً استعمله في الطب. كان في البداية للتنبؤ بشفاء المريض أو موته ثم واسطة للتشخيص والمعالجة ومن بعد ذلك ابتكر لكلّ برجٍ من الأبراج الاثني عشر علاقة بجزء من أجزاء الجسم وبنوعٍ أو أكثر من الأمراض» (البدري 1976: المقدمة خ).

أمر بديهي أنه عندما تدخل المعلومات الفلكية في علاقة مع الأمراض والعلاج فإن الفلك يتحول إلى تنجيم كما أن ارتباط النجوم بالولادة والموت والشفاء والسعادة كان له عمق شعبي أو صدى في نفوس الناس بعامة. وربما ما زال هذا الأثر يظهر في علاقه الناس بالأبراج واعتقادهم بها.

ج. تخصصات الآلهة والشياطين الطبية:

ربما أصبح الأمر أكثر وضوحاً مما كان عليه في التراث الآشوري فيما يخص الآلهة والشياطين فقد بات من الواضح أن أمر الآلهة المسؤولة عن الشفاء لم يعد بيد (إيا) إله الطب، بل أصبح بيد مردوخ وزوجته ثم أصبح بيد (ننورتا) وزوجته (كَولا)، وكان لإله الحكمة الآشوري (نبو) الدور العظيم في تحرير وكتابة الرقى والتعاويذ وتفسير الأحلام كما أصبحت الأمراض الزهرية من اختصاص الإلهة عشتار، والمعدية من اختصاص الإله سين إله القمر والأمراض العصبية والعقلية والنفسية من اختصاص شياطين العالم الأسفل وعلى رأسها ليليتو (ليليث)، أما (الأشباح) ويقصد بها أشباح الموتى فمسؤولة عن الأمراض التي تعرف بأعراضها وتفتقر للعلامات.

السحر والطب:

كان خلط السحر والطب في البلاد الآشورية أمراً مألوفاً، وقد يكون ضرورياً، حيث يبدو أن الأطباء، في عموم بلاد ما بين النهرين، كان عليهم أن يحاربوا الشياطين كحقيقة واقعة يؤمن بها المريض والمعالج معاً. ويبدو أن الطبيب السريري (آسو) كان عليه فسح المجال للطبيب الروحي (آشيبو، بارو) ليتعامل مع الكثير من الأمراض كونها أكثر من مجرد أمراض جسدية. وكان من المتوقع أن يقوم المعالج السحري بإخراج الشياطين، ودرء السحر الأسود، واسترضاء الآلهة، كل ذلك مع البقاء على اطلاع على أحدث المستجدات في العلاج الطبي السريري.

أقدم النصوص الآشورية السحرية طبياً كتبها الطبيب آشوري اسمه كيسير ـ آشور Kisir-Ashur.

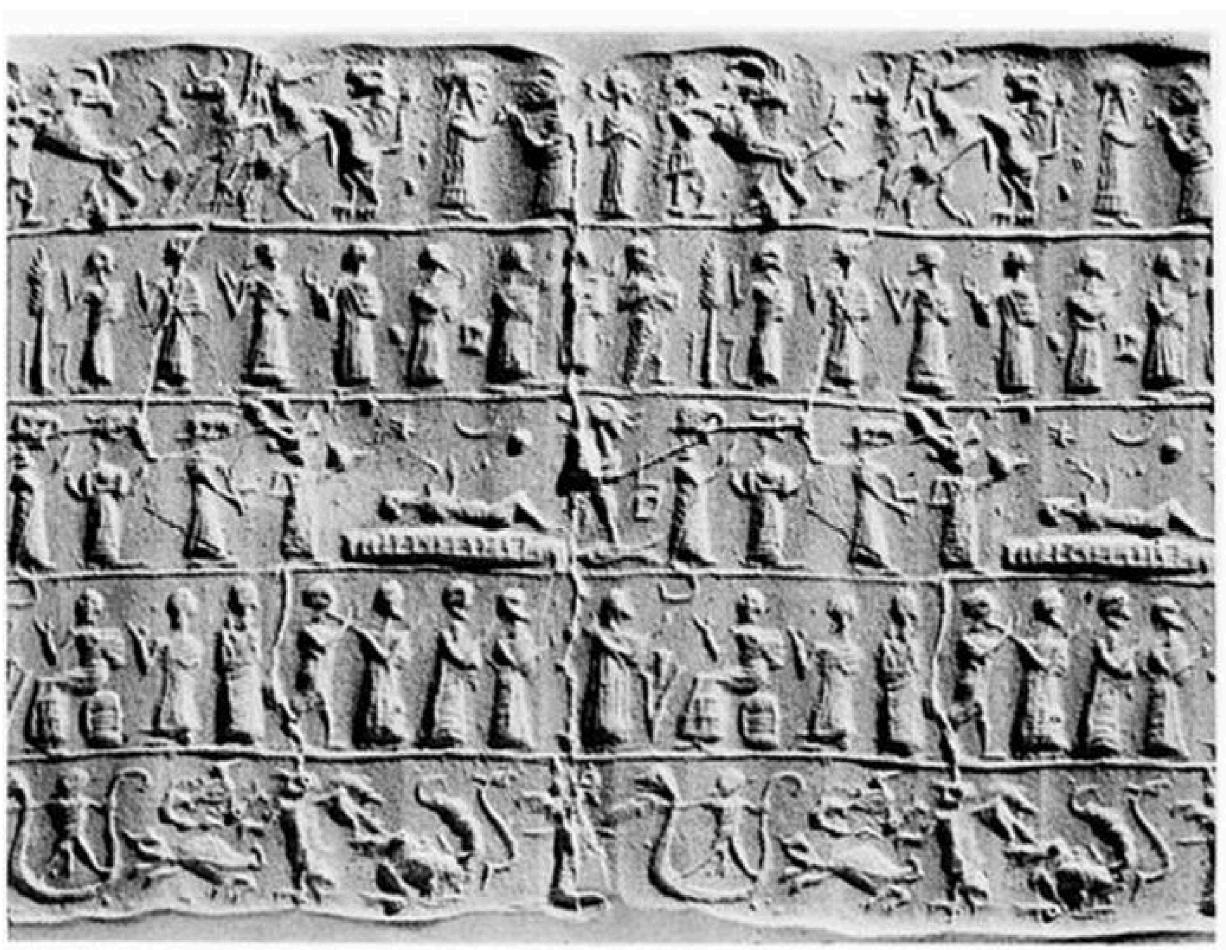
تعطي المصادر نظرة ثاقبة فريدة حول كيفية تدريب الطبيب الآشوري على فن تشخيص وعلاج الأمراض وأسبابها. ومعالجة أشباح بلاد ما بين النهرين والأفعال الشريرة للأشباح وكيف هُزِموا.

وهناك علم التنجيم الطبي الذي ينظر في حمى القمر والأمراض المرسلة من السماء، وفي علاج الحيوانات ثم الأطفال.

يعتقد الآشوريون أن الآلهة والشياطين والأشباح كانت السبب الجذري للأمراض البشرية والمشكلات النفسية والاجتماعية، وكان من المتوقع أن يشفي الأطباء مثل كيسير عاشور كل هذه القضايا. لقد اعتبر المرض نتيجة للعقاب على الخطايا أو السلوك غير اللائق أو السحر. وهذا يعني أنه كان على المعالجين القديرين القيام بمجموعة متنوعة من الأدوات والطقوس، مثل طرد الأرواح الشريرة، في علاجاتهم.

كان الطبيب يقوم بتنفيذ عمليات طرد الأرواح لتخليص المرضى من مشاكلهم. وكانت الخطوة الأولى الطلب من المرضى أن يكونوا صادقين بشأن أي مخالفات ارتكبوها ضد الأشباح أو الآلهة.

وتضمنت عمليات طرد الأرواح الآشورية شعائر سحرية، وتعويذات، واستحضار للآلهة مثل الإله شمش. كان شمش إله الشمس في بلاد ما بين النهرين وإله العدالة. وكان يعتقد أنه يزورالعالم السفلي كل ليلة بعد غروب الشمس ليحكم الموتى. ونظراً لكونه إله العدالة وإلهاً مرتبطاً بالموتى، فإن أولئك الذين يعانون من مطاردة الأرواح والأشباح غالباً ما يستدعونه في الصلوات أو الطقوس السحرية على أمل أن يتمكن من مساعدتهم عن طريق تهدئة أو طرد الروح التي تطاردهم.



لوحة ختم أسطواني آشوري تصور طرد الأرواح الشريرة

لم تكن عملية طرد الأرواح الشريرة الأداة الوحيدة للأطباء مثل (كيسير ـ أشور)، فهو لا يتعامل مع الطقوس الدينية فقط، بل مع العلاجات الطبية النباتية، فهناك مرضى يعانون من لدغات أو لسعات. وربما فعل ذلك ليكتشف ما فعلته السموم بالجسم ومن ذلك حاول فهم وظيفة السم.

توصل الأطباء الآشوريون إلى أن الصفراء مادة سامة. وهذه الفكرة تذكرنا بالطبيب اليوناني أبقراط، نظرية الأخلاط، حيث يمكن أن يكون اختلال العناصر الأربعة في الجسم هو سبب المرض.

الأحلام والطب: حلم الأمير الآشوري كومايا

يرجع عهد هذا الحلم إلى القرن السابع ق.م حيث كان الأمير توافقاً لرؤية العالم الأسفل، ولهذه الغاية كان يقدم القرابين لأريشكيكال وزوجها نرجال، ويرفع لهما الصلوات لتحقيق مراده، وأخيراً تحققت أمانيه، لكنه رأى في الحلم وهو نائم أنه قد هبط إلى العالم الأسفل ورأى معالمه واصفاً الشياطين التي فيه وهي (نمتار، نمرتو، شيدو، موكيل وش ليموتى، حمو طابال، أوتوكو، شولاع (شولاك)، ماميتو، نيدو، فيمالير، نركال وولده ننكشزيدا) ويصف أوضاعهم وأشكالهم:

«عندما رفعت رأسي رأيت نرجال القوى الباسل جالساً على عرشه وعلى رأسه تاج، ممسكاً بيديه صولجانا كان رأسه، لمع برق عندئذ فانحنى الآلهة الأنوناكي شمالاً ويميناً، إن العالم الأسفل رهيب، فأما ابن الأمير فيخيم عليه سكون رهيب. عندما أبصرته ارتجفت قدماي، طرحني نوره الباهر أرضاً فقبلت قدميه ثم جثوت على ركبتي وانتصبت واقفاً، أما هو فتأملني وهز رأسه، أرسل صيحة قوية كالعاصفة هوجاء، صرخ غاضباً علي، أما العصا التي ترمز إلى ألوهيته فكانت كلها ذعر، وهي مثل الحية السامة، وجهها نحوي كأنه يريد قتلي، ولكن إشون مستشاره المتشفع المحب للعدل ومنقذ الحياة». (سعيد 1984: 160).

المشتغلون في الطب الآشوري

لا يمكن نسيان الجزء السحري والديني أو إنكاره. كان مجتمع بلاد ما بين النهرين متدينًا للغاية ولعب هذا الدين دوراً في كل جانب من جوانب الحياة. يتم عرض الجانب الديني والسحري في الغالب باستخدام المواد السحرية، إذا مرض المريض وكان متديناً، فسوف يصلي لإلهه أو لإلهة الطب جولا ويطلب الشفاء وربما للمغفرة. سيطلب بعضهم المساعدة الطبية فإذا لم يفعلوا له شيئاً فسوف يذهب للمعالج الطبيب (آسو)، الذي سيصف له مجموعة من الأعشاب أو الأدوية المناسبة.

لا بد من الاعتراف بوجود طريقين هما النهج الديني والسحري للطب، والنهج العلمي للطب، الذي كان يمارس في آشور، لا يختلف كثيراً عمّا كان يجري في وادي الرافدين فالأشياء التي هي ينظر إليها الآن على أنها طقسية أو سحرية في العصور القديمة ربما اقتربت من وسائل مختلفة ذات طبيعة علمية. ومثل بقية الشعوب الرافدينية عملت في الطب الآشوري مجموعة مختلفة الاهتمامات، كان كل نمط منها يؤدي دوراً، فالطبيب السريري هو (آسو) الذي كان يتعامل بطريقة إكلينيكية سريرية ويتعامل مع الأدوية والأعشاب الطبية بإتقان وتجربة، أما الـ (أشيبو) فهو الكاهن الذي كان يقوم بدور سايكولوجي ويطرد الأرواح ويعمل على تقوية الحصانة النفسية ضد المرض، أما كاهن الـ(بارو) فهو الذي يقوم بالتنبؤ بالمرض ويحذر من بعض الأمور التي تؤدي له وهي أمور غير دقيقة عادة، أما كاهن الـ (مشماشو) فهو الذي يتولى مهمة مسح الجسد المعافى والمريض بالزيوت العطرية النافعة.

1.الآسو: asû

«وهكذا نجد أحياناً أن الآسو يصف سدادة تحشى في الأنف لوقف النزيف كعلاج لنزيف الأنف ولكنه في الوقت نفسه ينصح بتلاوة بعض الابتهالات. وإذا كان المريض يعاني من انتفاخ في البطن فإن الآسو يجعله يشرب دواءً معيناً كي يرتاح، ولكنه يقرن ذلك بتلاوة تعويذة. وعندما يعالج الآسور أحد الملوك فإنه يصف له بعض الضمادات التي تُشد بطريقة

خاصة، ولكنه وفي نفس الوقت يقدم حجاباً يعلقه الملك حول عنقه. قد كتب أحد كبار الأطباء (راب آسي) إلى الملك يصف له فاعلية بعض العقاقير التي يستعملها ويقول: إن العقاقير التي أرسلتها إلى الملك نوعان يختلف الواحد عن الآخر.. وربما قال سيدي الملك: ما فائدة هذه العقاقير؟ والجواب: ((إنها مفيدة في طرد السحر، وهي مفيدة للمرأة حين الولادة)) ومن الواضح أنهم كانوا يعتقدون أن المواد الطبية تستطيع العمل ضد القوى الشريرة فيما وراء الطبيعة، والحقيقة أنه كان هناك ادعاءات محددة تذكر أن عقاقير (الآسو) يمكن استعمالها ضد التأثيرات الشيطانية التي فشلت أساليب الآشيبو في القضاء عليها، وهكذا يقال: إذا ظل نشاط الأرواح مستمراً وشديداً بحيث لم يعد بمقدور (الآشيبو) أن يزيلها، ولذلك لكي تزيله فإن عليك (أي: على الآسو) أن تحصل على ثمانية عقاقير وتمزجها معاً». (ساغز 2008: 340).

«وهكذا نجد بعض الوصفات التي كان الطبيب ينفخ الدواء المطلوب بواسطة نوع من القصب حيث يدخل الدواء إلى أنف المريض أو أذنه أو بواسطة أنبوب من البرونز أو الرصاص حيث يدخل إلى قضيب الرجل. وكانت فاعلية المواد الطبية تختلف تبعاً لطبيعة الدواء اختلافاً معتبراً، مع أنه ليس من الممكن أن نقول أقوالاً مسهبة حول هذه القضية، نظراً لأن كثيراً من المواد المذكورة في النصوص القديمة لم نعرف أسماءها أو هويتها بشكل أكيد دون أي مجال للشك، فقد كان الكبريت الممزوج مع زيت شجر الأرز مستعملاً لعلاج حكة الرأس وكان هذا الدواء فعالاً جداً تبعاً للحكة، وهناك أدوية أخرى مثل تقديم الحليب الذي وضعت فيه سحلية وعليت فيه، ويقدم هذا الحليب للمريض ليشربه وقد بدا بأنه نوع من العلاج بالسحر أكثر منه علاجاً عقلانياً». (ساغز 2008: 345 ـ 346).

2.الأشيبو āšipu (Ashipu)

هناك سلسة من النصائح الآشورية جاءت في لوح بعنوان: عندما يذهب الأشيبو إلى بيت رجلٍ مريض جاء في بعض منها ما يلي:

«إذا شكا المريض باستمرار قائلاً: يا رأسي يا رأسي فإن هذا من فعل الإله (فلان الفلاني).

إذا شعر المريض بدوار في الرأس وكانت بطتا رجليه باردتين فإن هذا من فعل الإله (فلان الفلاني).

إذا استمر رأسه في الوجع وظلت الحمى تهاجمه فإن هذا من فعل الإلهة عشتار.

إذا كان صدغه يؤلمه ويستمر بالصراخ: ((يا بطني، يا بطني)) فإن هذا من فعل إحدى الأرواح، وهناك إمكانات أخرى أن يكون ذلك من فعل الإلهة عشتار، وهو سوف يموت، وأما إذا كان من فعل الأرواح سوف يبقى حياً مدة قصيرة ثم يموت.

إذا تغير كلامه وظلت الحمى تهاجمه فإن هذا من فعل الإلهة نينوترا.

إذا سال الدم من قضيبه فإن هذا من فعل الإله شمش.

والتنبؤ هو إلى أرض لا عودة بعدها وهي العالم السفلي.

إذا التهب قضيبه وخصيتاه فإن يدي الإلهة ديلبات قد أدركته في الفراش (أي: إن الإلهة ديلبات قد سببت له المرض)». (ساغز 2008: 238 ـ 239).

3.البارو Baru



لوحة رسمها H.M. Herget

لمشهد يجمع بين أطراف الطب الآشوري الثلاثة، قد يكون قد حدث في القرن السابع قبل الميلاد في آشور أو بابل لطبيب (آسو) يميل إلى رجل مريض، بينما هناك كاهنان يلبسان عباءة سمكية (من الأشيبو)، وهناك في الجانب الأيمن عرّاف (بارو) يتنبأ بحالة ومستقبل المريض من خلال فحصه لكبد خروف.

4.المشماشو Mašmaššu (Mashmashu)

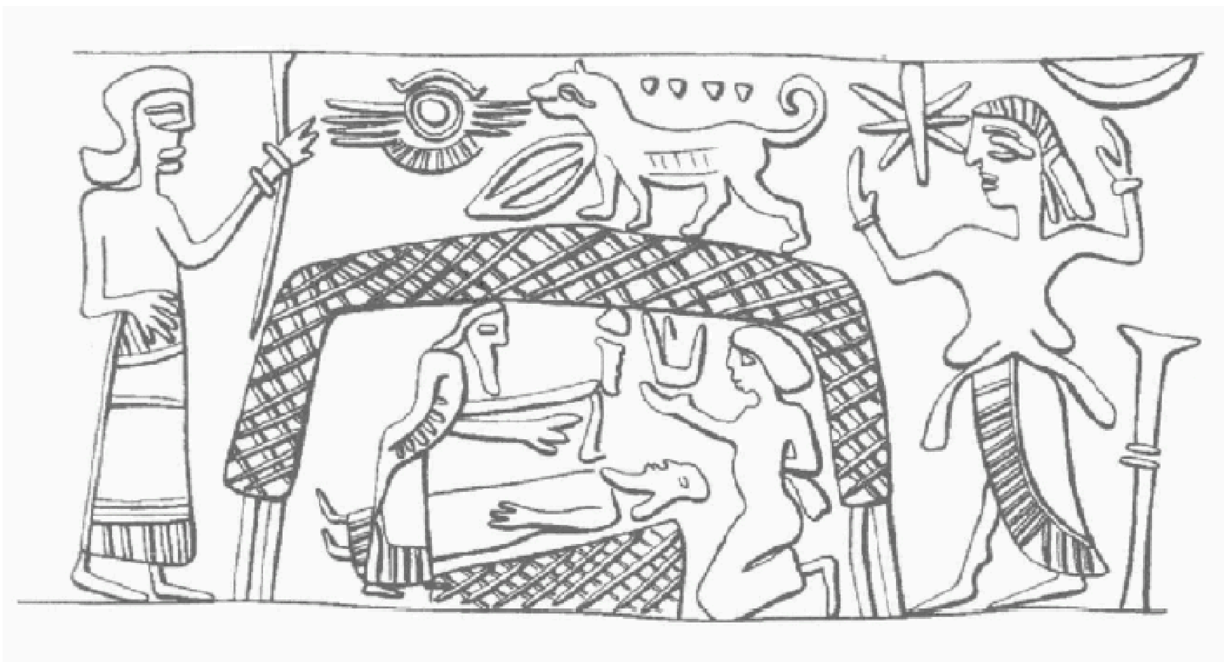
وهم الكهنة الماسحون بالزيت العطري لأجساد وأعضاء المرضى، والذين يحضرون حفلات تتويج الملوك.

جولا: إلهة الطب في آشور

هي ابنة أنو وزوجة التجسدات المختلفة للإله المحارب بابلساج (في إيسين)، ننورتا (في نيبور) ونينجرسو (في لجش).

وأم لثلاثة آلهة شفاء أخرى: دامو ونينازو وجونورا. تم تحديد الآلهة الصغيرة نسبياً مثل: ننتنوجا، ميمي، وبابا، جولا / ننكراك في العصر البابلي القديم، تمت مزامنة العديد من الآلهة مع غولا، وبالتالي أصبحت آلهة شفاء (انظر بابا ونينسينا).

معبدها في مدينة آشور. حيوانها هو الكلب.



جولا إلهة الطب مع كلبها

شخص مريض في كوخ وكلب وامرأة على ختم أسطواني من العصر الآشوري الجديد (بعد ب. تيسيير، 1984. أختام أسطوانة الشرق الأدنى القديمة من مجموعة ماركوبولي، بيركلي، رقم 231).

في تاريخ الأبراج في بلاد ما بين النهرين ظهرت غولا مرتبطة بما يعرف بكوكبة الماعز مع كلبها (مولوز 3)، والموجودة في كوكبة هرقل.

ظهرت مرتبطة بالأبراج بعلاقات معقدة كانت تتغير مع مرور الوقت. كانت غولا إلهة كوكبة الماعز، وكان الكلب حيواناً مقدساً لغولا. في العصر الآشوري الجديد، اعتبرت صورة جولا مجسمة شكلاً من كوكبة مولوز 3، في حين أن أرقام الأبراج الأخرى ذات أسماء الحيوانات تتطابق دائماً مع أسمائها. يظهر في المقالة أنه في الأصل (في نهاية الألفية الثالثة وبداية الألفية الثانية قبل الميلاد) لم يكن هناك سوى كوكبين فقط من أصل ثلاثة المذكورة أعلاه تم تمييزها في سماء بلاد ما بين النهرين. أصبحت الإلهة غولا مرتبطة بكوكبة مولوز 3 فقط في النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد.

ظواهر طبية آشورية

1.التدليك العلاجي:

ظهر العلاج التدليكي (مساج) لأول مرة في قصر الملك سنحاريب في حدود 650 ق.م، وربما تكون قد ظهرت الحاجة لهذا النوع من العلاج لتأمين الراحة والاسترخاء ومرونة الحركة للمصابين، وقد ظهر ما يشبه حمام الساونا والبخار لهذا الغرض.

2. الحقنة الشرجية:

أما نصوص الوصفات الطبية من العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612) ق.م، فهناك سلسلة من النقائش التي تصف الدواء استناداً إلى أجزاء الجسم المصاب، نقرأ منها:

«إذا كانت معدة رجل حارة (ملتهبة)، ولا تقبل طعاماً ولا شراباً، فأنه يأخذ بذر الطرفاء وتمزجها مع العسل وخثرة اللبن (الرائب)، ويأكلها المريض ويشفى».

ولعل ما يثير الاستغراب والتأمل في نقائش الوصفات الطبية الأخيرة هذه أنه من المرجح استخدام ما يعرف بـ«الحقنة الشرجية»، حيث نقرأ في أحد النصوص:

«للتخلص من حرارة المعدة (التهابها)، اسحق الأدوية (المدونة في النص) وبعد أن تصفى تنقّع بالجعة وتسخّن، ثم تصفى بعد أن تبرد وتضيف عليها قشور الشعير وتصب عليها ماء الورد (الزهر) وتضع ذلك في شرجه (أي المريض) فيشفى». (عبد الكريم 2014: 21).

3.قاموس الأعشاب الطبية:

كان كامبل طومسون أحد علماء الآشوريين الرائدين في عصره، ومهارته في نسخ الكتابة المسمارية في بدايات القرن العشرين، والذي شارك في رسم الخرائط الشاملة الأولى لنينوى، وشارك في تأليف ليونارد ويليام كينغ عن مجموعة من «نقش الصخر ثلاثي اللغات العظيم لداريوس في بهستون»، توفي طومسون في عام 1941 أثناء خدمته مع الحرس المنزلي، وكان قد أكمل تحرير العمل الحالي (قاموس النباتات الآشورية) من أوراقه بواسطة سي جى جاد، ورحب علماء الكتاب وعلماء النبات وغيرهم بهذا الكتاب باعتباره مرجعاً قيماً. وقد نشر في 1949، ذكر فيه جميع النباتات المذكورة في الآثار الآشورية وفوائدها الطبية آنذاك، مع مقارنة الأسماء المقابلة لها في اللغات الشرقية.

اهتم الآشوريون بالأعشاب والنباتات الطبية فقد تم الكشف في مكتبة آشور بانيبال عن نصوص مسمارية تحتوي على أكثر من 250 نوعاً من الأعشاب المستعملة طبياً.

انظر: (شيت وعلي 2011: 123 - 126).

4.علاجات تقنية:

استعمل الآشوريون الكثير من التقنيات الطبية المبتكرة في العلاج مثل استعمال القصب ونفخ الدواء فيه في العين أو الأنف أو الأذن، ثم استخدام أنابيب نحيفة من البرونز أو

الرصاص لإدخالها في قضيب الرجل ومعالجته.

وكانت المواد التي تستعمل لمثل هذه الأغراض حساسة لم يتم التعرف عليها كلها ومنها الكبريت الممزوج مع زيت شجر الأرز وغيرها.

5.علاج مرض المرأة أثناء الحمل

إذا تعرضت المرأة لأي مرض، خلال حملها، أو تعسّرت ولادتها فإنها تعالج بطريقتين، الأولى علمية والثانية دينية. والعلاج العلمي يتضمن خلط عدد من الأعشاب والمواد الطبية في الزيت والبيرة، وتسخينها فوق نار. ثم تنقع بالمزيج الساخن أنسجة صوفية توضع في فرج المرأة لكي تسد عنق الرحم. وكانت المنطقة تدهن بالزيت وتُضمّد، وتجرى هذه العملية مرتين في اليوم.

أما العلاج الديني فيقوم على أساس التعاويذ التي تقدم لها والتي يقوم المعوّذ ثم المرأة بقراءتها كما يلي:

«المرأة التي ولادتها صعبة، واقعة في كرب عظيم، فالطفل قد علق وهي التي خلقت هذا الطفل يحيط بها غبار الموت، فقد خبت عيناها فهي لا تستطيع الرؤية، وشفتاها مطبقتان ولا تستطيع فتح شفتيها، وهي لا تضع أي حجاب، وهي لا تخجل. وهنا تتكلم المرأة: قف بجانبي يا مردوخ الرحيم، والآن هل أنا محاطة بالكرب العظيم، تقدم إلي، وأنزل ذلك المخلوق المستعصي، خليفة الآلهة، يأتي كمخلوق بشري، دعه ينزل، دعه يرى النور.

وبعد ذلك تأتي تلاوة أقوال حول (خادمة الإله القمر، وهي زوجة الإله القمر تتمثل بشكل بقرة، ولادتها صعبة وعسيرة وظلت في كرب عظيم حتى نزلت من السماء ابنتا الإله (آنو) ليدهنوها بالزيت وماء آلام الولادة). وتنتهي التعويذة بالشكل التالي: وكما تيسرت ولادة خادمة الإله القمر، لذلك فلتتيسر ولادة كل السيدات اللواتي هن على وشك الوضع». (ساغز 2008: 193).

«وكانت القابلات يحضرن الولادة، وكانت تلك القابلات تقدمن بعض المعونات العملية والمشورات الصاعدة عن حكمة وتجربة، من خلال الحدود التي تفرضها طبيعة الشبح السحري. وكان الموت أثناء الولادة من الأخطار الحاضرة المتوقعة دوماً، وهناك إشارات كثيرة لهذا الأمر، وكان الخطر الذي تشكله (لاماتشو الرهيبة) تسمية أخرى لابنة (آمو) على الأم جاثماً بالنسبة للأم والطفل في عبارة يذكر فيها وهي: ((إنها تلامس أحشاء المرأة التي سوف تلد)). وهناك اسم آخر يطلق على (لاماتشو) وهو (الواحدة التي تشعل النيران). وتلك إشارة إلى رفع حرارة المرأة الذي يحدث في حالات مميتة حقيقية بسبب حمى النفاس. وحتى عندما يصل الطفل سالماً إلى هذا العالم ربما يظل هذا الطفل معرضاً للخطر إذا فشلت الأم في إرضاعه». (ساغز 2008: 194).

المبحث السابع: الكيمياء الآشورية

أولاً: كيمياء المعادن في آشور

لم تكن بلاد وادي الرافدين خصبة بالمعادن المتنوعة وخاماتها، ولذلك كانت دولها وشعوبها تعتمد على الدول الأجنبية كمصادر لها. وكان ذلك دافعاً للحرص على اقتنائها وتصنيعها ومعاملتها كيميائياً، وهو ما طوّر الكيمياء في وادي الرافدين وجعلها متقدمة جداً قياساً إلى الحضارات القديمة التي حولها.

ومثّلت آشور القمة في حسن تعاملها مع الكيمياء المعدنية وتصنيعها، فقد تطورت فيها أدوات ووسائل تنقيتها وتفاعلها واستخلاصها واستخلاص مواد جديدة منها.

ولنلاحظ أن آشور رغم احتفائها بالمعادن الثمينة كالذهب والفضة، ولكنها اهتمت بالمعادن القوية كالحديد وصار عنوان حضارتها، وقللت من هوس الشرق بالمعادن المترفة التي تشير للخمول والزينة وليس للعمل والكفاح البطولي. وهي، في ذلك، تكون قد سبقت الأمم الحديثة التي جعلت من الحديد والفولاذ رمزاً لحضاراتها.

1.الذهب والفضة والقصدير والبرونز

صناعة وكيمياء الذهب والفضة:

ذكرت الألواح الطينية أنواعاً كثيرة من الذهب هي (الذهب، الذهب الأخضر، الذهب الأبيض، الذهب الأحمر.. إلخ) وكان ذلك يعتمد على نوع خامات الذهب.

وكانت الفضة تستخدم لأغراض الزينة، ولكن استخدامها كان أساسياً في صناعة النقود الآشورية التي كانت تشكل الوحدة الأساسية فيها. وكان مصدرها الرئيسي من جبال طوروس في بلاد الأناضول وخصوصاً ما كان يعرف بـ (جبل الفضة).

«أما بالنسبة لصياغة الذهب والأدوات التي استخدمت من قبل صاغة الذهب القدماء فأهمها: البوتقة والمنفاخ. فقد جاء ذكر عمل الصاغة في مناسبات عديدة ضمن النصوص الأثرية القديمة. ومن الأعمال المعروفة ضمن مراحل إنجاز صياغة الذهب هو عملية النفخ الذي يتم بواسطة قصبة خاصة وذلك لرفع درجة حرارة النار وتليين المعدن قبل تقطيعه وشغله. ويرد في أحد نصوص البابليين إن الملك حمورابي قد أصدر أوامره لأحد حكامه ليرسل وبسرعة الأخشاب اللازمة لتمكين الصاغة من إنجاز أعمالهم وذلك لعدم وجود ما يكفيهم منه. ومن الجدير بالذكر بأن الآشوريين كانوا يميزون بدقة أنواع الذهب المستخدم. وذلك لتخصصهم في صناعته بشكل يحمل على الإعجاب. ففي موضوع الأنواع المستخدمة لزينة الملابس يرد ذكر الذهب المصقول والمنقى وهو عكس الذهب الخام. وذكر أن الذهب الصافي كان يحفظ في مخازن خاصة يشرف عليها مدير أو رئيس الصاغة، وتأتي الأوامر من الملك بإخراج الكميات اللازمة للشغل». (حبة 1969: 40 ـ 41).

صناعة وكيمياء البرونز:

«لقد أثبتت التحليلات المختبرية والدراسات الكيميائية والتعدينية على بعض النماذج من الفؤوس التي تم اكتشافها أثناء التنقيبات الآثارية بأنها مصنوعة من البرونز وأن الإضافات القصديرية كانت تستخدم لأجل تسهيل عملية الصب والحصول على انسيابية أفضل لسبيكة البرونز أثناء العمل وكانت نسبة القصدير تتراوح بين 10 ـ 12%. ويمكن الاستنتاج أيضاً بأن الدور الهام للإضافة القصديرية كان لتسهيل عملية الصب، وإن التحسين في الخصائص الميكانيكية وزيادة خاصية القوة والصلابة كانت غير مهمة نسبياً. كما اتضح أيضاً أن السومريين بخبرتهم التعدينية الرفيعة، لم يستعملوا الخامات المعدنية بمزجها مع بعض ومن ثم تعدينها للحصول على السبائك المطلوبة، بل كانوا يمزجون المعادن المصفاة مع بعضها لغرض سباكتها مع استخدام الكاربون كمختزل للشوائب المتبقية في تلك المعادن. وهكذا ينهض الدليل على أن البرونز برز إلى الوجود نتيجة للبحوث والمساعي التجريبية». (حبة 1969: 36).

2. النحاس والرصاص والحديد

صناعة وكيمياء النحاس: احتفظ النحاس بأهميته في الكثير من الصناعات المعدنية بعد أن انسحب من الصناعات العسكرية، فبقي مهما في صناعات الأواني والقدور وأدوات الزراعة وغيرها.

صناعة وكيمياء الحديد: اجتاحت صناعة الحديد حقل الأسلحة والمركبات الآشورية، وكان الحديد يحتاج حرارة صهر عالية تصل لـ 1535 درجة مؤية، ولم يكن بالإمكان توفيرها من خلال المواد المحروقة التقليدية ولذلك احتاج الأمر للمنفاخ الذي يولد درجات حرارة عالية في كور صهر الحديد. وكان الحديد يجلب من بلاد الأناضول في بداية الألف الثاني قبل الميلاد عن طريق المستعمرات الآشورية هناك وكان ذلك عن طريق المقايضة بالسلع والأقمشة والملابس الآشورية.

ثانياً: كيمياء الأحجار والأحجار الكريمة في آشور

يمكن العودة إلى الفصل الخاص بالاقتصاد الآشوري، وتحديداً للمبحث الذي يتحدث عن المهن والصناعات الآشورية، ففيها الكثير مما يخص الكيمياء الآشورية. وسنخصص هذه المبحث لكيمياء الأحجار الخاصة بالبناء أو الزينة أو الأمور الطبية.

«كانت النصوص المسمارية ذات العلاقة بالكيمياء تكتب بأسلوب غامض شأنها في ذلك شأن النصوص الطبية فقد كان الكاتب يحرص على أسرار مهنته فكان يخفي معاني بعض الكلمات والمصطلحات ويستخدم أساليب بارعة في سبيل تحقيق ذلك فكان الكاتب يستخدم أسلوب أشبه ما يكون بالشفرة، وهذا الأسلوب لا يمكن اختراقه حتى من قبل سكان تلك العصور، وقد كان لهذا الأسلوب أثرهُ في صعوبة فهم النصوص الكيميائية من قبل الباحثين في الوقت الحاضر. إن الصعوبات في تحديد هوية المواد الكيميائية التي استعملها سكان بلاد الرافدين كثيرة ومن هذه الصعوبات دراسة الجداول الخاصة بالمفردات اللغوية، هذه الجداول تذكر في طياتها بعض المواد الكيميائية حيث تذكر اسم

المادة في اللغة السومرية وبجانبها الكلمة المرادفة باللغة الأكدية وفي كثير من الحالات فإن المصطلح أو العبارة المرادفة ليست كافية في تحديد ماهية المصطلح السومري الأصلي وهذهِ تعد من الصعوبات التي يوجهها الباحثون في حقل الكيمياء في بلاد الرافدين القديمة». (المعماري 2006: 150).

الدراسة النوعية والمهمة والمبكرة التي قدمها الدكتور كامبل تومسون عن الكيمياء الآشورية القديمة كانت فاتحة مهمة ودراسة علمية متأنية لعالم يجيد معرفة علم الكيمياء وعلم الآشوريات معاً، ولذلك جاءت نتائجه واستنتاجاته ذات أهمية كبيرة، ودوّن الكثير من المعرفة الكيميائية لدولة مهمة من دول الشرق الأدنى القديم.

Thompson, R. Campbell: On the Chemistry of the Ancient Assyrians. .(London: Luzac and Co. 1925)

ثم قام الأستاذ أ. ليو أوبنهايم، من المعهد الشرقي، مؤخراً بإعداد ترجمة جديدة للنصوص الآشورية المسمارية المشهورة في صناعة الزجاج. تشكل ترجمته أساس الكتاب الذي سيظهر بعد وقت. تكمن أهمية هذه النصوص في حقيقة أنها كانت «وصفات» لصنع النظارات. ولكن لطالما بقيت في أذهان أخصائيي الزجاج، وظلت هناك احتمال أن المواد الموصوفة في النصوص تتعلق بالنظارات ولكنها ليست بالضرورة نظارات حقيقية.

«استخدم السومريون المقطع (NA4) كعلامة دالة تسبق أسماء الأحجار أينما وردت، وفي العصور جميعها، وتقرأ هذهِ العلامة أيضاً (ZA) واستخدم الأكديون المقطع (abnu) كعلامة دالة على الحجر وتقابل (NA4) و(ZA) في اللغة السومرية.

Sumerian Akkabian

NA - A NA4 = ab - nu، a - ba - an

nu ـ ZA - A ZA = uqnum، ab

IA4 NA4 = ab - nu،

كذلك فإن الكلمة التي تعني حجر (aban) كتبت بثلاثة مقاطع (a - ba - an) غير أن التكنولوجيين القدماء كتبوا الكلمة بالمقطع الثلاثي (ha - bar - an) غير الدال على معنى محدد، كان معروفاً لديهم سراً ((a - ba (r) - an (h»‏. (المعماري 2006: 7 ـ 8).

الحجر الأوبسيدي (Obsidian) الزجاج البركاني إذ كشفت التنقيبات عن عدد من الآلات الصغيرة المصنوعة من هذا الحجر في مواقع العصر الحجري المتوسط (زاوي جمي) وفي إيران والأناضول، أما الأحجار الأخرى فمستوردة من خارج العراق مثل اللازورد والفيروز والعقيق والأصداف. وأهم مصادرها بلاد الأناضول عيلام وأفغانستان ودلمون وملوخا ومجان.

«في العصور الآشورية فقد استخدم الآشوريون العديد من الأحجار في صناعة صنارات الأبواب وخاصة حجر الكلس والبازلت كما تنوعت أشكالها وأساليب التدوين عليه. لقد عمد المهندس الآشوري إلى استغلال استخدام الأحجار في كل المجالات فقد استخدمها في بناء العقود والأقواس والبوابات الضخمة والأقواس التي شيدت لتدعم جدران البوابات كما في قصر آشور بانيبال، كذلك وظفت الأحجار في عمل الأعمدة الضخمة في القصور الملكية، كما استخدمت الأحجار غير المهندمة في بناء بعض القصور والتي غلفت فيما بعد بالحجارة المهندمة، كما استخدمت الأحجار في بناء أسس الأسوار المشيدة باللبن وتغليف واجهاتها الخارجية، كذلك استخدمت في تبليط الشوارع والممرات الداخلية في القصور الملكية». (المعماري 2006: 24).

يمكننا أن نصنّف الأحجار في وادي الرافدين حسب استعمالها وحسب ألوانها معاً، فأحجار البناء يغلب عليها الطابع العام في الاستعمال الواسع بأعمال البناء.

أما الأحجار الأخرى فيغلب عليها الاستعمال الخاص في الزينة والصناعات المختلفة والأمور الطبية والسحرية، وهي الأحجار الملونة والتي تُصنّف حسب ألوانها.

1.أحجار البناء:

(المعماري 2006).

2. الأحجار الملونة: وهي الأحجار السوداء، والزرقاء والحمراء والبيضاء والخضراء.

3. الأحجار المتنوعة:

(المعماري: 2006).

المبحث الثامن: الأحياء (الحيوان والنبات)

الحيوانات في آشور

1. حيوانات الزراعة والحراسة: الأغنام، الماعز، الثيران، الأبقار، جاموس الماء، الكلب، الخنزير.

2. الطيور: مالك الحزين، طائر بنيّ اللون، الأوز الرمادي، الأوز الأصفر الشاحب، بط البيوت، البط الرمحي، الدجاج، حمام البيوت، قنبر (القبرّة)، سنونو رمادي، عصفور البيت، العقعق، النعام، القطا، البجع الأبيض.

3. الحيوانات البريّة: الأسد، الفيل، الغزال، الأرنب البريّ، الأيّل، الغنم البري، الدب، النمر، القط البريّ، الثعلب، النمس، الذئب.

http://www.heritageinstitute.com/zoroastrianism/rawlinson/2assyria/r2d.htm#2HCH00

النباتات في آشور

كانت الشجرة المقدسة في آشور تمثل «شجرة الحياة» وهي نخلة التمر المنمق، وهي مدخل صحيح لمعرفة أهمية النباتات في حياة شعب فلاحيّ كالشعب الآشوري، وكانت الفلاحة عندهم راسخة الجذور ومشحونة بالخبرة والتعاليم التي نضحت من تجاربهم وتجارب الشعوب الرافدينية التي سبقتهم، فقد ورثوا استعمال كلمة (براديسو) الأكدية كتسمية للبستان والحديقة، وكلمة (إكّارو) و(نوكار إبّو) للفلاح والبستاني.

وقد حظيت جميع أنواع النباتات بعناية الآشوريين، وكان لكل نوعٍ فوائده الخاصة، ويمكننا إحصاء النباتات الآشورية بشكل عام إلى:

1. النباتات الكبيرة: لم تظهر رسومات وكتابات كثير عن الأشجار في العصرين الآشوري القديم والوسيط، ويبدأ ذكرها واضحاً، ومن بين هذه الأشجار النخيل والكروم. وبالإضافة للرسوم الواقعية يتم تمثيل النباتات المقدسة بشكل مجازي، وبعد النصف الثاني من القرن الثامن، بدأ الملوك الأشوريون الشباب ليس فقط في التفاخر، في نقوش مواقع متنزهاتهم، ولكن لتمثيلها في النقوش على جدران القصر والمناظر الطبيعية كخلفية. في المشاهد المعتادة عن الصيد والحرب والقصور والمآدب. ثم تظهر مع سرجون الآشوري أوصاف أشجار في الأمانوس والصنوبر والسرو وغيرها.

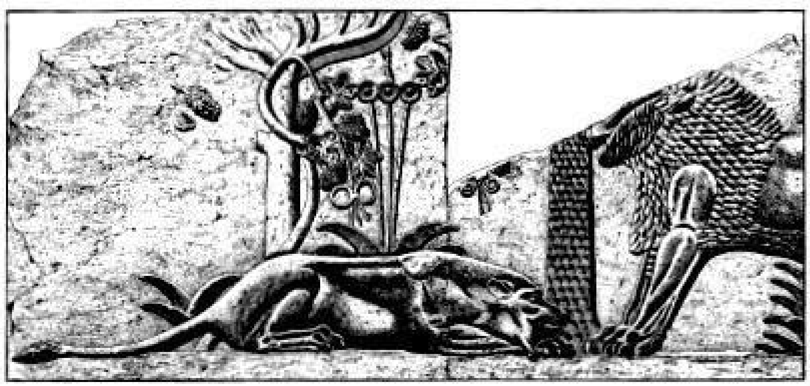
2. نباتات الغذاء والطعام اليومي: كانت نباتات الحنطة والشعير والسمسم والدخن والكتان أساس الطعام الأشوري، وكانت هناك التمور، والتفاح، والكمثرى، والمشمش، والخوخ، والفستق، وربما الموز.

3. نباتات الصناعات: كالشعير والذرة.

4. الزهور في آشور: كانت الزهور زينة البساتين والقصور الآشورية، وقد ملأت الزهور وزخارفها الرسومات والمنحوتات الآشورية، وكذلك الزخرفة القديمة للعملات المعدنية بتصاميم نباتية تشير إلى زراعة معينة للزهور. وهناك تظهر النقوش المتأخرة لمواكب طويلة لأشخاص يحملون جميع الأشياء اللازمة في وليمة أو تضحية؛ وهم يحملون في

أيديهم أباريق أو مزهريات، حيث تم وضع باقات من الزهور. وكانت الحدائق المغطاة ضرورية، وتكون بالقرب من المنزل، أو داخله، كما هو الحال في قصر الحرملك لسنحاريب. واهتم الملوك بحدائق النساء. وبنفس الطريقة، يجب أن تتطلب حدائق الصيد الكبيرة النباتات والحيوانات المناسبة. حيث يظهر (من كوينجق) رسم الزهور، وتشير الأشجار إلى أن الحديقة بجانب الأزهار وتحت الأشجار يوجد أسدان.

أظهر آشوربانيبال اهتماماً بالزهور وحدائقها، وهناك نقش من القصر الشمالي يصور الزنابق الجذابة في بستان من أشجار الصنوبر والنخيل، توضع بين جذوع الأشجار التي تزرع في تناوب منتظم.



حديقة صيد آشورية مع فروع كروم وزنبق وتين من كوينجق

وفي مشهد باذخ ومؤلم يظهر الملك وهو يتناول وجبة في العراء مع زوجته (بمناسبة هزيمة الملك العيلامي). يرتكز على أريكة. وعلى مقعد، مزين بشكل رائع مثل مقعده، تجلس زوجته عند قدميه؛ كلاهما يمسكان كؤوساً في أيديهم اليمنى، ورفعهما إلى شفاههما، بينما في أيديهما اليسرى يحملان أزهاراً، بين نخيل التمر في الفاكهة وشجرة التنوب مع شجيرات أقل بينهما. يأتي موكب من الخدم يليهم الموسيقيون حاملين الأطباق، وفي طيور الأشجار تقفز الطيور.

أكمل آشوربانيبال المنزل الذي صنعه للنساء، وزينه بجميع أنواع الألوان، أضاف «بستاناً كبيراً يحتوي على أنواع عديدة من الأشجار». هناك صورة صغيرة على أسطوانة من اليشب. والتي تظهر حديقة نسائية، حيث تقوم النساء بقطف الثمار الناضجة، وبجانب الأشجار العالية ترى نباتات منخفضة النمو، واحدة منها تبدو وكأنها نخيل قزم، والوسطى ربما يعني الزهرة.

القسم الثاني: العلوم الإنسانية

المبحث الأول: التاريخ والحضارة

أولاً: التأريخ عند الآشوريين

التاريخ ذاكرة الجماعة الاجتماعية، وكما أن الفرد لا يمكنه أن يتوازن في حياته دون ذاكرة، كذلك الجماعة لا يمكن لها أن تتوازن أو تكون طبيعية دون ذاكرتها الجمعية المتمثلة بتاريخها.. ستبدو الجماعة كما لو أنها مجنونة أو مختلة العقل بلا تاريخها الذي لا بد من تذكّره. التاريخ يطول ويقصر حسب عراقة الجماعة التاريخية، وليس شرطاً أن تكون الأمم صاحبة التاريخ العريق هي الأفضل حضارياً، بل ربما العكس هو الصحيح، فهذه الأمم بسبب ثقل تاريخها وجسامته ستكون بطيئة المشي والتطور، والشيء الوحيد الذي سيُنقذها هو أن تهضم وتتمثل هذا التاريخ ولا تدعه على ظهرها بل تهضمه وتستوعبه ويتحول إلى حياة مستمرة يمدها بالقوة والعناصر النادرة التي احتواها ماضيها.

«ومن الخطأ أن نعد هذه النظرة السريعة إلى الثروات التي كدسها علماء الآشوريات خلال قرنهم الأول كنوع من شهادة إرضاء الذات. فهؤلاء الناس مؤرخون، وللمؤرخين النزيهين وعي عميق بما يوجد من التباين الكبير بين القليل الذي بقي لنا من الماضي - في أية حال - وبين كثافة هذا الماضي اللامتناهية في حد ذاته، لذا فإنهم لا يشعرون بالشبع أبداً. فما

قيمة مليونين أو ثلاثة ملايين من الأنقاض والهنات الآثارية ومن القطع المكتوبة لإعادة تأريخ دام ثلاثة آلاف سنة، وفترة ما قبل التأريخ التي تمتد على مدى أوسع بكثير من مئات الألوف من البشر؟ إن حصيلة ما ذكرناه ههنا إنما هي إحدى «الحالات» التي يجب الوصول إليها بين فترة وأخرى في محاسبة جيدة، لكي نعرف الوضع الذي نحن فيه، قبل انطلاقة جديدة وفضلى». (بوتيرو 1990: 73).

المدونات التاريخية الآشورية كنزٌ من كنوز البشرية، فيما يخصّ، التاريخ القديم، فقد فصّلت تاريخ الشرق الأدنى القديم بشكل غزيرٍ وواضح ودقيق لأنها لعبت الدور المركزي في هذا التاريخ كأعظم إمبراطورية أنجبها ذلك التاريخ، وكان ملوكها وحكامها مهووسين بتدوين أخبارهم على ألواح الطين، هذه الكتابات موسوعة إخبارية وجغرافية وأنثروبولوجية لا نظير لها.

كانت أخبار إمبراطوريتهم دافعاً لتدوين تأريخ وأخبار شعوبٍ أخرى مثل الحيثيين والحوريين ـ الميتانيين والآراميين والعبريين والكويين والسكيثيين والأوراراتو والميديين والفرس والعرب والبابليين ومدن وشعوب بلاد الشام وغيرهم.

المدونات الآشورية كمصادر للتدوين التأريخي

لا شك أن مكتبة نينوى التي أسسها آشور بانيبال كانت أكبر مصادرنا عن التاريخ الآشوري والرافديني بشكل عام، فقد جاءت منها مئات الألواح المتعلقة بتدوين الأحداث الرسمية وغير الرسمية والتي أصبحت المادة الرئيسية للبحوث في هذا المجال. وهناك ألوح أخرى جاءت من مواقع الحفريات الأخرى في أصقاع الإمبراطورية الآشورية. ويمكننا أن نصنّف تلك المدونات إلى المجموعات الآتية:

أولاً: نصوص الحوليات (Annals) الملكية:

Annals of the Kings of Assyria

نستخدم عبارة السجلات البابلية Babylonian Chronicles أكثر من السجلات الآشورية، وقد حددنا الفرق في الفقرات السابقة. ومع ذلك هناك سجلات آشورية قليلة لبعض الملوك لم تكتب تحت إشرافهم وتمتعت بنوع من المصداقية وعدم المبالغة.

الفرق بين الحوليات Annals والسجلات Chronicles يكمن في أن الحوليات هي سجلات أخبار الملوك والبلاطات الملكية والحاكمة التي يكتبونها بأنفسهم أو تحت إشرافهم، وتكون عادة مليئة بالمبالغات والدعاية لأنفسهم وهذه هي الصفة الغالبة على الحوليات الآشورية Assyrian Annals.

أما السجلات فهي أخبار الملوك والبلاطات الملكية والحاكمة التي تُكتب من قبل كتّاب أو جهات أخرى غير الملك والحاكم، وكانت السجلات البابلية في هذا المجال هي الغالبة ولذلك نقول السجلات البابلية ولا نقول الحوليات البابلية Babylonian Chronicles.

ظهرت الحوليات الآشورية بصيغتها الكاملة الدقيقة في العصر الآشوري الحديث، وكانت مميزة قياساً للشعوب الأخرى بما يعرف بالمناشير والإسطوانات الفخارية. هذه الحوليات عبارة عن نشرات ملكية مكتوبة بنسخ متعدد وفي أوقات متتابعة، وتتحدث كل قائمة عن الحملات العسكرية والمنجزات المدنية للملوك الآشوريين.

أول ملك آشوري أصدرها هو الملك الرابع من ملوك العصر الآشوري الحديث وهو شلمنصر الثالث (858 ـ 824 ق.م)، والذي كانت إنجازاته كثيرة ومميزة جعلته يبتكر طريقة الحوليات ليضعها فيها. بدأ بذلك بعد أن قام بحملته العسكرية السادسة، ثم عاد ودوّن حملاته السابقة وواصل تدوين الحملات لغاية الحملة العشرين. وكان أول من قام بتعميم الأخبار على أرجاء الإمبراطورية ونشر حولياته فيها.

وبعد هذا الملك قام ملوك آشور بإصدار حولياتهم وكان أشهرها (حوليات سنحاريب) وتسمى أيضاً أو (موشورا سنحاريب Prisms of Sennacherib) هما موشوران من الطين المشوي مكتوبان باللغة الأكدية الآشورية، يعود تاريخهما إلى عهد الملك الآشوري

سنحاريب فيهما أخبار عن أحداث من 701 إلى 681 قبل الميلاد. ويمثلان وثيقتَي «حجر الأساس» لتوثيق أعمال سنحاريب أمام الآلهة والأجيال القادمة. ووصف فيهما حصار أورشليم في عهد الملك حزقيا (701 قبل الميلاد). ويسمى كل منهما حسب اسم الشخص الذي كان يملكه والآخر حسب المكان الذي فيه الآن، وهما:

موشور تايلور: عثر عليه في العاصمة الآشورية نينوى. حصل عليها القنصل البريطاني العام في بغداد، العقيد جون جورج تايلور في عام 1830. باعته أرملته إلى المتحف البريطاني في لندن في عام 1855. منذ ذلك الحين، يتواجد موشور تايلور هناك، كواحد من أولى الوثائق النصية الآشورية الكبيرة، لعب أيضاً دوراً مهماً في فك رموز الكتابة المسمارية.

موشور شيكاغو: عثر عليه في أنقاض نينوى. تم بيعه لتجار الفن في بغداد في شتاء 1919-1920 وهو الآن في المعهد الشرقي في شيكاغو.

موشور أورشليم: لا نملك معلومات عنه.

.(Luckenbill, Daniel David 1924)

ثانياً: قوائم وإثباتات الملوك الآشوريين

هناك قوائم للملوك الآشوريين قبل وبعد اكتشاف وفك رموز الكتابة المسمارية وهي:

1.قوائم الملوك الآشوريين قبل اكتشاف وفك رموز الكتابة المسمارية ـ وهي أربع قوائم:

القائمة الأولى موجودة في تأريخ يوسبيوس من قيصرية المسمى خرونيكون (حوالي 325 م)، ويوجد منها نسختان.

القائمة الثانية موجودة في Excerpta Latina Barbari.

القائمة الثالثة غير كاملة تذكر 16 ملكاً آشورياً في أدبيات سكستوس يوليوس أفريكانوس.

القائمة الرابعة عبارة عن شظايا قوائم للملوك الآشوريين كتبها يونانيون ورومان، مثل قطسياس من كنيدوس (ح. 400 ق.م.) المؤلف الروماني كاستور من رودس (القرن الأول ق.م.) والمؤرخ الروماني كفاليون (القرن الأول الميلادي).

2.قوائم الملوك الآشوريين بعد اكتشاف وفك رموز الكتابة المسمارية ـ توجد ثلاث نسخ من ألواح مسمارية لقائمة الملوك الآشوريين، وشظيتان:

3.شظايا قوائم يونانية ورومانية وعربية ناقصة:

قائمة قطسياس Ctesias:

زعم قطسياس كطبيب بلاط للملك الفارسي أحشويرش الثاني، إنه يمكنه الوصول إلى السجلات التاريخية الملكية الآشورية. وتم إدراج قائمة قطسياس من الملوك الآشوريين في كتابه (برسيكا) Persica، وهو عمل يغطي تاريخ بلاد فارس، ولكن تم تخصيص الكتب الثلاثة الأولى لآشور ما قبل الفارسية بعنوان «تاريخ الآشوريين». ناقش العلماء قائمته وتوصلوا إلى أنها مجرد كلام تدولته التقاليد الشفاهية ولم يستند إلى حقائق دقيقة. ورأى العالم الكلاسيكي روبرت دروز بأن قائمة قطسياس تحتوي على معلومات من الألواح البابلية. وفيها حديث وهمي عن نينوس في بداية القائمة وأغلب تواريخه خاطئة.

قائمة كاستور من رودس Castor of Rhodes

في القرن الأول ق.م.، جمع كاستور قائمة الملوك الآشوريين، على غرار قائمة قطسياس. ومع ذلك لم يبق منها سوى بعض الشظايا في شكل مشوه، وتبدأ أيضاً بزوج سميراميس نينوس كثاني مؤسس لبداية، الدولة الآشورية، وهذه نظرة إغريقية خاطئة عند أغلب

مؤرخي الإغريق والرومان. وهناك سفاليون الذي عرف بشظيته عن ملوك الآشوريين..A fragment from Cephalion Sextus Julius Africanus قائمة أفريكانوس

تم العثور على قائمة غير مكتملة من 16 ملكاً آشورياً في كرونوغرافيا (أوائل القرن الثالث الميلادي).

قائمة يوسبيوس

يوسبيوس من تاريخ الحوليات القيصرية (ح 325 م)، يحتوي على قائمة كاملة من 36 ملكاً آشورياً. قائمة ملوك يوسبيوس.

القائمة اللاتينية Excerpta Latina Barbari

قائمة التواريخ التي عثر عليها في الكتاب المسمى (المكنز المؤقت) في (1606)، وهي تدون أول ملك آشوري حوالي 2206 ق.م.

القائمة بالعربية:

وضع المؤرخ العربي اليعقوبي ضمّن في كتاب التاريخ الذي كتبه في 873 م قائمة ملوك «الموصل ونينوى» والتي تشمل أربعة ملوك آشوريين يمكن التعرف على أسمائهم.

4.قوائم الملوك المحققة والمقارنة والموحّدة، من مجموع القوائم والأحداث، لوضع قائمة موحدة مترابط منذ بداية أول ملك آشوري (توديا) حتى آخر ملك آشوري (آشور أوبلط الثاني)، وهي القائمة التي وضعناها في كتابنا هذا في الفصل الخاص بالمظهر التأريخي للحضارة الآشورية.

ثالثاً: السجلات الآشورية (Chronicles Assyrian):

هي سجلات الآشوريين التاريخية التي فيها نوع من الحياد والمصداقية وعدم المبالغة، ورغم أنها تحتوي على إشارات إلى الأزمنة الأولى، إلا أنها تتعامل بشكل خاص مع النصف الثاني من الألفية الأولى والألفية الأولى بأكملها وصولاً إلى القرن الأول قبل الميلاد. وفيما يلي أسماء قوائم أخبار الملوك الآشوريين:

1. قائمة الملوك الآشوريين.

2. قائمة إنليل - نيراي.

3. قائمة أريك دن إيلي.

4. قائمة توكولتي - ننورتا.

5. قائمة آشور - ريشا - إيشي.

6. قائمة تجلات بلاصر الأول.

7. قائمة الأسماء الآشورية (الألفية الأولى).

8. الأحجار والجدران وما كتب عليها من مواثيق وأحداث.

خامساً: نصوص التنجيم والعرافة والفلك والتي تتضمن تواريخ مهمة كانت عوناً لتضبيط الأحداث وتكريس الملوك والأمراء.

سادساً: الرسائل الملكية وخصوصاً تلك التي تتحدث عن المعارك والحروب وحركة الجيوش والانتصارات والهزائم.

ثالثاً: مراسلات الملوك الآشوريين في العصر الآشوري الحديث

The correspondence of the Neo-Assyrian kings

تعتبر مراسلات الملوك الآشوريين أعلى قمم التراث المسماري، فهي تقدم معلومات دقيقة ومفصلة للغاية حول إدارة الإمبراطورية الآشورية، وتتكون المراسلات الملكية الباقية من:

1.قصور كالخو: ما يقرب من 3000 رسالة (2200 بالآشورية و800 بالبابلية و230 نصّاً في كالخو).

2.خورسباد (دور ـ شروكين) نصان فقط.

3.نينوى (2800 نص).

تم تنظيمها الإمبراطورية الآشورية في محافظات أو ولايات أو مقاطعات، بلغ عددها أكثر من سبعين محافظة أو ولاية في عهد سرجون الثاني، وعيّن، في كل منها، حكم يعرف بالآشورية بـ (بابيتو، بيل بابتي) وهم بمثابة ممثلين للملك، كان الحكام أقوياء على (päbutu or bel päbete) المستوى المحلي واستقرار الدولة يعتمد على ولائهم. ومعظم الولايات المجاورة للمناطق تحت الإدارة الآشورية المباشرة كانوا حلفاء آشوريين، ملزمة بموجب المعاهدة واليمين. إذا كانت الدول المتحالفة مستقلة تماماً، كان عليها أن تأخذ السياسة الآشورية في الاعتبار، فقد كانت الدولة الآشورية تعمل على إرسال مبعوثين يسمّون (كيبو). لإسداء المشورة لحكام هذه الدول والإبلاغ وكان هؤلاء يسمون بالعظماء (رابوتي) يعملون على تقديم المشورة لهم وصيانة دولهم. وقد اختار الملك هذه المجموعة التي تضم حوالي 120 مسؤولاً من مجموعة من الإداريين المحترفين والمتعلمين مركزياً. وقد تم منح الوظائف لهم على أساس الجدارة بدلاً من الروابط الأسرية، رغم أن بعضهم كان من أفراد العشيرة الملكية أو العائلات النبيلة القديمة؛ وكان العديد منهم من الخصيان الذي يسمى كل منهم (سا ريشي: أبو رأس) دلالة على ثقافته وتعليمه.

كيفية تدوين الأحداث تأريخياً

لم تكن فكرة (تأريخ سنوات الملوك) آشورية، بل هي فكرة سومرية الأصل بدأت منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ثم قام البابليون والآشوريون بذلك، حيث وضع الآشوريون ما يعرف بتأريخ السنة الأولى التي ثبتوا فيها أحداث سنته الأولى، ثم الثانية.. وهكذا.

لكنّ الآشوريين في فترة معينة وضعوا فكرة رائعة مبتكرة أسموها بـ (ليمو) وهي تسمية كل سنة من سنوات الملك باسم مسؤولها الحكومي عن عيد رأس السنة (أكيتو)، وتسمى باسمه وتُدوّن فيها أهم أحداث تلك السنة. وهكذا ظهرات لنا قوائم الليمو كمصدر جديد مهم لمعرفة أحداث السنوات فكانت طريقة رائعة لوضع تاريخ دقيقي للأحداث قياساً لذلك الزمن.

وكان يجري توثيق العقود التجارية وفق حالة شبيهة بالليمو وهي أن يقوم التجار بتدوين أن هذا العقد، مثلاً، تم في السنة كذا من حكم سرجون الثاني حين قاد حملته على المكان كذا.. لكي يضمنوا دقة أكبر في تحديد زمن التوقيع على العقد.

المؤرخون الآشوريون

يمكن اعتبار قوائم الحوليات التي تسمى ليمو Limmu أهم مؤرخ آشوري، ويبدو أن سبب وجود هذه القائم هو الذي حال دون ظهور مؤرخين آشوريين مستقلين، فقد هيمن البلاط الملكي على إصدار قائمه الرسمية المسماة (ليمو)، وبذلك تكون هذه الخطوة أول خطوة لاحتكار كتابة التاريخ الخاص يشعب أو دولة، وهو ما يؤشر المركزية السياسية الآشورية بقوة. ولنتذكر أن البابليين كانوا أكثر مرونة في هذا الصدد فلا توجد قوائم ليمو رسمية في بابل، والدولة البابلية كان لها من يؤرخ أحداثها رسمياً لكنها لم تكن مركزية في هذا المجال وتركت الآخرين يعملون كما يشاؤون.

ليمو هو اسم العام الجديد عند الآشوريين، ويطلق على اسم الملك الذي يترأس مهرجان رأس السنة الآشورية (أكيتو)، ومن المرجح وجود مجموعة محدودة، مثل رجال الأسر

البارزة أو ربما أعضاء في مجلس المدينة، وكان يطلق اسم ليموس على الوثائق الرسمية لاحتفالات رأس السنة، وقد عثر على مثل هذه الوثائق التي تخص الأعوام بين (892 ـ 648) ق.م. ويطلق اسم ليمو على العام الجاري «وكانت أسماء الرموز الهامة تطلق على السنة في بداية عهد أي حاكمٍ أو ملكٍ جديدٍ. وبدء السنة يطلق عليها اسم الملك الذي يحكم في حينه أما بقية الشهور فتطلق عليها أسماء الشخصيات الهامة. ولعل هذه القائمة يتم تغييرها كل ثلاثين عاماً». (دي شاي وبلوش 2013: 232).

في هذه الصورة نلمح موظفين يعملان في تدوين التأريخ الآشوري، الذي على اليمين يمسك قصبة الكتابة (ذات الرأس الإسفيني المثلث) واللوح الطيني ويدون بالكتابة المسمارية الأحداث التاريخية، والشخص الثاني الذي على اليسار يمسك ورقة البردي والقصبة المدببة (القلم) ليدوّن بالكتابة الآرامية الأحداث التاريخية.

هذه الصورة تحمل دلالة مهمة كونها تشير بوضوح إلى التنافس القوي الذي بدأت تشكله الكتابة الآرامية بالنسبة للكتابة المسمارية الآشورية، وهو ما يدلّ على بدايات أفول المسمارية وبدايات صعود الكتبة الأبجدية الآرامية في وادي الرافدين، وهو ما سيتجلى بوضوح في العصور القادمة.

«ويتوضح من أحد الرسوم الجدارية المكتشفة في قصر الملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث (745 ـ 727 ق.م) في (تل بارسب)، إذ يُشاهد أحد القادة العسكريين متقلداً سيفاً ويقوم بإصدار أوامره ويدونها كاتبان يقفان خلفه، فالكاتب الأول ملتح وهو كاتب آشوري يمسك بيده اليسرى لوحاً من الطين وباليد اليمنى يمسك قلماً للكتابة المسمارية ولباس هذا الكاتب مكون من بدلة طويلة، أما الردن فهو إلى النصف يكشف عن نصف الساعد ويرتدي فوق البدلة شالاً معمولاً من شريط من القماش ينتهي بصفين من الشراشيب الطويلة أما الكاتب الثاني فيبدو حليق الذقن وهو كاتب آرامي ويُشاهد وهو يمسك بيده اليمنى قلماً من القصب أو البوص وباليسرى قطعة متهدلة إلى الأسفل لعلها من الرق (الجلد) أو من ورق البردي، والكاتبان قد تحليا بقرطين في آذانهما ومعضدين في معصميهما. انظر شكل

(37). إن الكتبة الملتحين والطواشين (المخصيين) يظهرون بشكل منتظم في فترة حكم تجلاتبليزر الثالث وما بعد ذلك. ولباس هذا الكاتب مكون على ما يبدو من بدلة طويلة أردانها إلى النصف وحزام عريض فوقها يرتدي شالاً ذا طبقتين». (الجميلي 2001: 146).



كاتبان يسجلان الأحداث التأريخية: الذي على اليمين يسجّل بالآشورية المسمارية والذي على اليسار بالأبجدية الآرامية، الاثنان يسجلان أحداث حملة الملك، الصورة من جدارية ضخمة في غرفة استقبال قصر محافظة عاصمة كار ـ شلمانوشاريد (تل بارسيب) على الفرات الأوسط، خلال فترة حكم الملك تجلات بلاصر الثالث، حوالي (744 ـ 727 ق.م) أو بعد ذلك بقليل.

.(Black, Jeremy & Green، Anthony 2004: 12)

ثانياً: الحضارة عند الآشوريين

استعمل الآشوريون المصطلح الأكدي لنواميس الحضارة (مي بالسومرية) هو (بارسو، فرضو) كلمة برسو أو فرضو Parsu التي تعني في المعجم اللغوي الأكدي» (1) الشعيرة، الطقس الديني (2) الدائرة، المعبد، الوقف الديني، الوارد من الوقف (3) السلطة الإلهية، القوة، الدائرة (4) الشعار، الرمز، الشارة، شارة السلطة أو الشرف (5) القرار السلطوي، الأمر، المرسوم (6) العادة، العرف، الممارسة (7) معنى غير أكيد» وهي «الموظف الإداري، المشارك في الطقوس الدينية، المعبد، مركز الطقس الديني». (الجبوري 2010: 439).

ولذلك يحقّ لنا، من خلال هذه المعاني، أن نقول أن اللغة الأكدية قد نحتت مصطلحاً واضحاً وصريحاً يعبّر عن (الحضارة)، أي أننا يمكن أن نقول أن الحضارة الآشورية هي (برسو آشوريا .(Parsu Assuru)

إن كلمة برسو التي يقربها العلماء من (فرضو) وتعني في العربية (الفرض) أي الفروض، ولكن أية فروض؟

نرى أن الفروض الآشورية الحضارية توزعت بين نوعين أساسيين هما:

1. الفروض الإلهية لآشور: من الناحية الدينية يعتبر الإله آشور مؤسس الدولة والحضارة الآشورية، وهو راعي الشعب الآشوري، وكل من ينضوي تحت تسمية (آشوريايا)، أي أنه يرعى كل الشعوب التي تحتلها وتهجرها آشور طالما هي تحت السماء الآشورية التي يفرش الإله آشور أجنحته عليها.

لقد اخترع الآشوريون نوعاً من الشمولية السياسية الدينية التي يرعاها الآله آشور، فهو ليس الإله القومي للآشوريين بل هو إله كل من يكون تحت الراية الآشورية، وبذلك يكون قد اختلف عن الآلهة الرافدينية السابقة (إنليل، شمش، مردوخ) الذين يرعون شعوبهم فقط

(السومريون، الأكديون، البابليون)، وهم يختلفون عن ما ستخترعه الأديان الشمولية القادمة (اليهودية، المسيحية الإسلام) حين يرعى يهوا شعبه اليهودي، ويرعى إيلو والله الناس أجمعين (رغم كونهما يرعيان شعبهما أولاً ثم الناس أجمعين)، لقد كان آشور يشترط الولاء السياسي لدولة آشور في البداية، لكنه أصبح يعبد مع آلهة الشعوب التي احتلتها الدولة الآشورية.

2. الفروض الملكية للملك الآشوري: باعتباره نائب الإله آشور على الأرض ومجسّد إرادته، والملك الآشوري يمسك بالسلطتين الدينية والدنيوية، ولذلك تنقسم فروضه الحضارية إلى قسمين:

أ. الفروض الدينية (الشارة الطقسية): فهو المشرف على الطقوس الدينية الدورية مثل عيد الأكيتو، وعلى طقوس الإله آشور وغيره من الآلهة المقربة وخصوصاً ننورتا الذي يمثل وريث آشور وإله الحرب الذي ينصر الملوك في ميدان المعارك.

ب. الفروض الدنيوية (شارة السلطة): هو الحاكم المطلق الذي يدير من القصر شؤون الدولة ويقرر ولاية العهد وأسماء الحكام ويرعى العلاقات الخارجية مع دول وملوك العالم أي أن الملك كان يرعى ويغذي جميع مظهر الحضارة الآشورية.

هذه الفروض بمجملها كانت من شأن العروة التي لا تنفصم بين الرعاية الإلهية والملكية التي كانت تُنظم مظاهر الحضارة الآشورية في كل جيل وزمان.

في الشكل الآتي نرى الملك شلمنصر الثالث وهو يؤدي الفروض الدينية (كرئيس للكهنة) في مدينة آشور وهي العاصمة الدينية للآشوريين، ثم وهو يؤدي الفروض الدنيوية كملك في مدينة نمرود وهي العاصمة السياسية للآشوريين.



يساراً: تمثال آشور لشلمنصر الثالث كـ (ملك وكاهن تطهير). تمثال في حجر (حوالي 190 سم بدون قاعدة) من بوابة تابيرا لمدينة آشور، والآن في متحف إسطنبول.

يميناً: تمثال نمرود لشلمنصر الثالث (كملك). تمثال من الحجر (140×35 سم). وجد في الجزء الجنوبي الشرقي من منطقة قلعة نمرود، الآن في متحف العراق، بغداد.

المبحث الثاني: الجغرافيا

أولاً: الرحلات الجغرافية الآشورية

اشتهرت المدونات الآشورية الملكية في هذا المجال، فهناك مدونة مهمة لآشور ناصربال الثاني، وهي جزء من حولياته، تعطي وصفاً جغرافياً مهماً للمناطق التي سيطر عليها حيث «يذكر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (884 ـ 859 ق.م) في إحدى حولياته بعد أن يستهلها بتمجيد الآلهة آشور وشمش وأدد وإيراد بعض الألقاب الملكية ومنها:... الملك الذي أخضع عند قدميه (الأراضي الممتدة) من الضفة الأخرى من دجلة وحتى جبل لبنان والبحر العظيم ـ البحر المتوسط ـ (وفي نص مماثل آخر ـ حتى مدينة كركميش ـ جرابلس حالياً ـ في بلاد خاتي (وآخر) حتى بلاد خاتي وبلاد لاقو ـ غرب الرقّة ـ بأكملها وبلاد سوخو ـ عنه وأطرافها ـ وبضمنها رابِقُ ـ الرمادي حالياً ـ. الذي غزا [البلاد] من منبع نهر سونباط وحتى قلب بلاد نيريب، (وفي نص موازٍ «حتى بلاد أورارتو ـ أرمينيا وأذربيجان ـ» وآخر «حتى مضيق جبل كِرورو كويسنجق ورانيا أو حرير حالياً» وآخر «حتى بلاد أورومو مترامية الأطراف» وآخر «بلاد شوبرو وقلب بلاد نيربو» وآخر «حتى بلاد شوبرو») وضممتُ إلى حدود بلادي (الأراضي الممتدة) من مضيق جبل كِرورو وحتى بلاد كيلزانو، ومن الضفة الأخرى لنهر الزاب الأسفل حتى مدينة تل ـ باري الواقعة في أعالي بلاد زابان وحتى مدينتي تل ـ شَ زبداني، وتل ـ شَ ـ أبتاتي ومدينتي خيريمو وخاروت، اللتين هما قلعتان من قلاع كاردونياش ـ بلاد بابل ـ واعتبرت الناس من وادي مدينة [أو جبل] بابيتو وحتى بلاد خاشمر (جبل دربندخان أو أزمر في السليمانية شمال شرق العراق حالياً) من الشعوب التابعة لي». (الجميلي 2011: 45).

قام الملك سرجون الآشوري برحلات كثيرة سجّل وصفه للأماكن التي مرّ بها ووفر لنا الأسماء التي كانت تطلق عليها، وكان يبدو مندهشاً بمناظر السلاسل الجبلية شمال شرقي آشور في زاجروس. ثم كتب وصفه لرحلته إلى أورارتو والتي فاضت بوصف طوبوغرافية وطبيعة (بلاد أرمينيا وأذربيجان)،

أما سنحاريب وهو ابن سرجون وخليفته فقد سار على نهج والده في وصف رحلاته الجبلية، فكان يقود مجموعة من جنوده وضباطه ويقوم برحلات طويلة هناك، فقد كتب يصف قيادته للرحلة مثل ثور وحشي هائج وكيف عبر الوديان والسهول والممرات والمنحدرات الخطرة بهودجه، أو على قدميه. وقدمت لنا رحلة أسرحدون وصفاً للصحراء وبوادي العرب في بلاد الشام وسيناء، إلى جانب العديد من الحملات الأخرى.

أما آشور بانيبال فقد كتب على لوح ما يعرف بـ (الطريق إلى زاموا) التي تمثل حالياً منطقة السليمانية وسهل شهرزور إلى بحيرة زيريبور داخل الحدود الإيرانية، وهو أشبه بدليل السفر لمن يسافر في هذا الاتجاه، حيث ترد أسماء العديد من المدن والقرى والمحطات الواقعة على طريق الرحلة.

ثانياً: رصد الزلازل

الزلازل هي الحركات التكتونية أو الباطنية التي تمثل حركات جوف الأرض وأعماقها التي تظهر على قشرتها وهي على نوعين، حركات بطيئة بموجات مرتفعة ومنخفضة، تظهر على السواحل والشواطئ، وحركات فجائية، والتي تمثلها الزلازل والبراكين، ينشأ عنها تغيرات واضحة على التضاريس. وقد ظهرت مثل هذه الأوصاف في بعض التقارير والرسائل الآشورية.

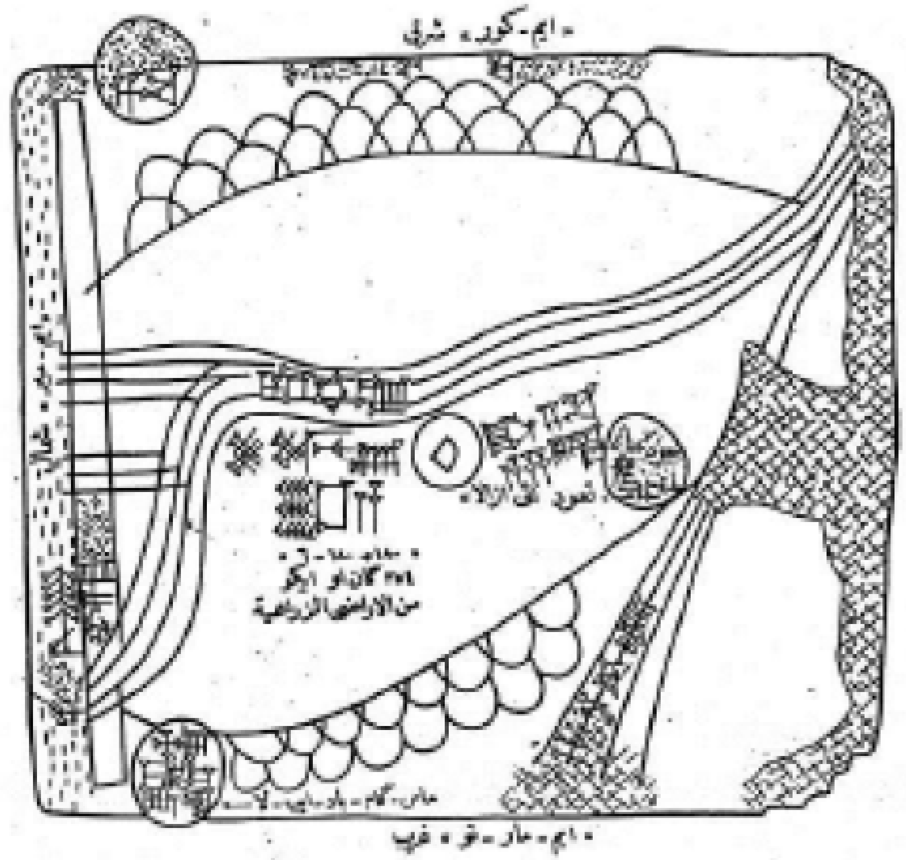
كان العراقيون القدماء يعتقدون أن الزلازل هي من أفعال الإله أدد أو إنكي. وقد «وصف الزلزال (في) اللغة الأكدية (ريب rîbu) كأنموذج لتلك الحركات على ضوء شدتها إلا أنها لم تتطرق إلى طول المدة الزمنية التي استغرقتها تلك الحركات الزلزالية، كما ذكرت النصوص

ما سببته تلك الزلازل من أضرار كهدم بعض البنايات ولدينا في هذا الصدد نص مسماري يتحدث عن زلزال ضرب نينوى والنص عبارة عن تقرير أو رسالة موجهة من كاتب يدعى نابو ـ شوما ـ أوكين إلى الملك الذي حدث في عهده الزلزال وهو الملك شُلمن أشرد (شلمنصر) الأول» ويستهل الكاتب الرسالة بـ: «إلى الملك، سيدي، عبدك نابو ـ شوما ـ أوكين الكاتب، سلام إلى مولاي الملك، ليحفظ الإلهين نابو ومَردُك سيدي الملك، مولاي: في الحادي والعشرين من شهر أيلول حدث زلزال، وإن الجزء الخلفي من المدينة بكامله انهار (حرفياً ملقى على الأرض)، أما سور الجزء الخلفي من المدينة فباقٍ (باستثناء) 2/1 30 ذراعاً من ذلك السور والذي تناثر وسقط في الجانب المجاور للمدينة. وإن المعبد مهدم إلا أني مسرور (أن) الآلهة كلهم سالمون. وأما إطار (؟) نافذة المعبد ... من رواق المعبد، ومن ذراع واحد (؟) من ... انهار. انهار أحد... من هذا المعبد، بالنسبة للجدار الخارجي من البوابة العظيمة المجاورة، ومن البوابة العظيمة ... انهار». (الجميلي2011: 54).

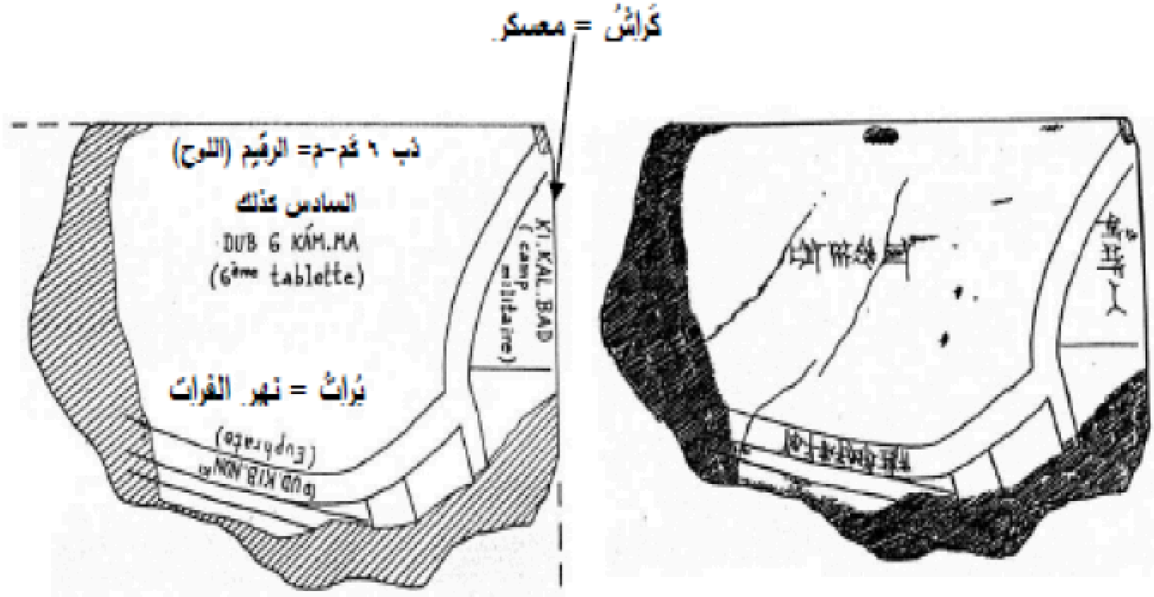
ثالثاً: الخرائط الآشورية

لم تكن هناك وفرة من الخرائط الآشورية، فقد كان هذا الفن الجغرافيّ ضعيفاً عندهم قياساً إلى البابليين والسومريين، وكانوا يصنعون أحياناً ما يشبه الخرائط العسكرية التي تخص إقامة المعسكرات أو خطط القتال.

1. خريطة نوزي: خريطة بسيطة تقدم وصفاً للطبيعة التي تحيط بنوزي ولموناتها الطبيعية والمدنية في وسطها، ورسمها يشير لتضاريس مدينة نوزي حيث شمالاً ما يشبه النهر (إيم ـ مير)، وشرقاً جبال (إيم ـ كور)، وغرباً جبال (إيم ـ مار ـ تو) وفي الجهة الغربية كتابة مسمارية تشير لمدينة (دور إبلا).



2. خريطة منطقة الفرات: رسمت في العصر الآشوري الوسيط وجاءت من مكتبة الملك تجلات بلاصر الأول (1115 ـ 1077 ق.م) في مدينة آشور لمنطقة الفرات ممثلة تعرجاً لنهر الفرات (بوراتو)، ومكان المعسكر (كراشو).

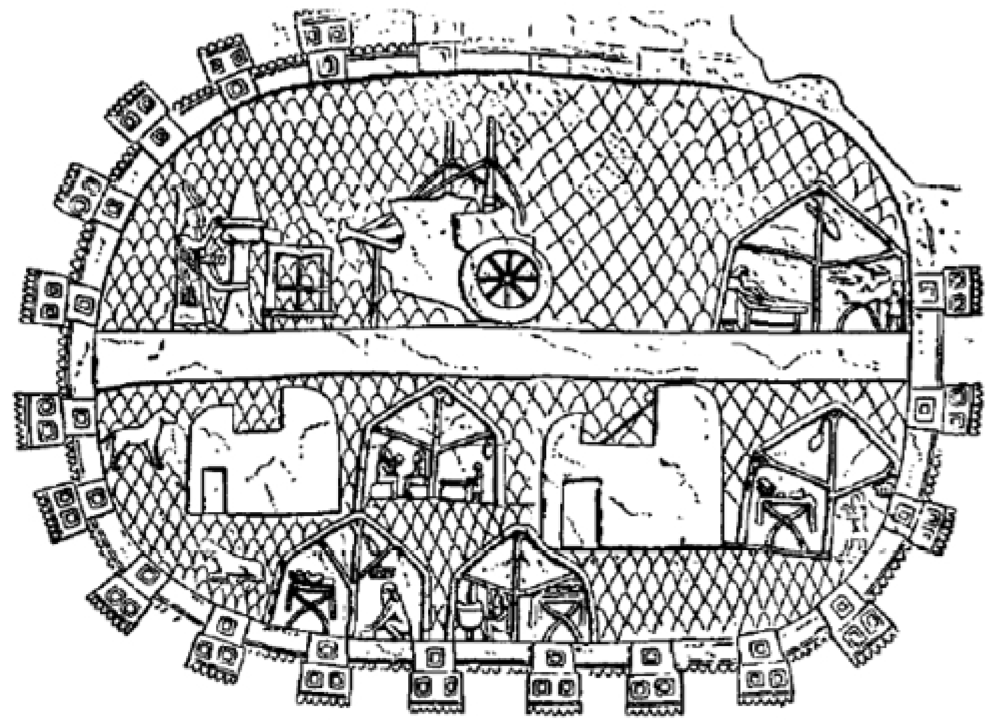


خريطة منطقة الفرات من العصر الآشوري الوسيط

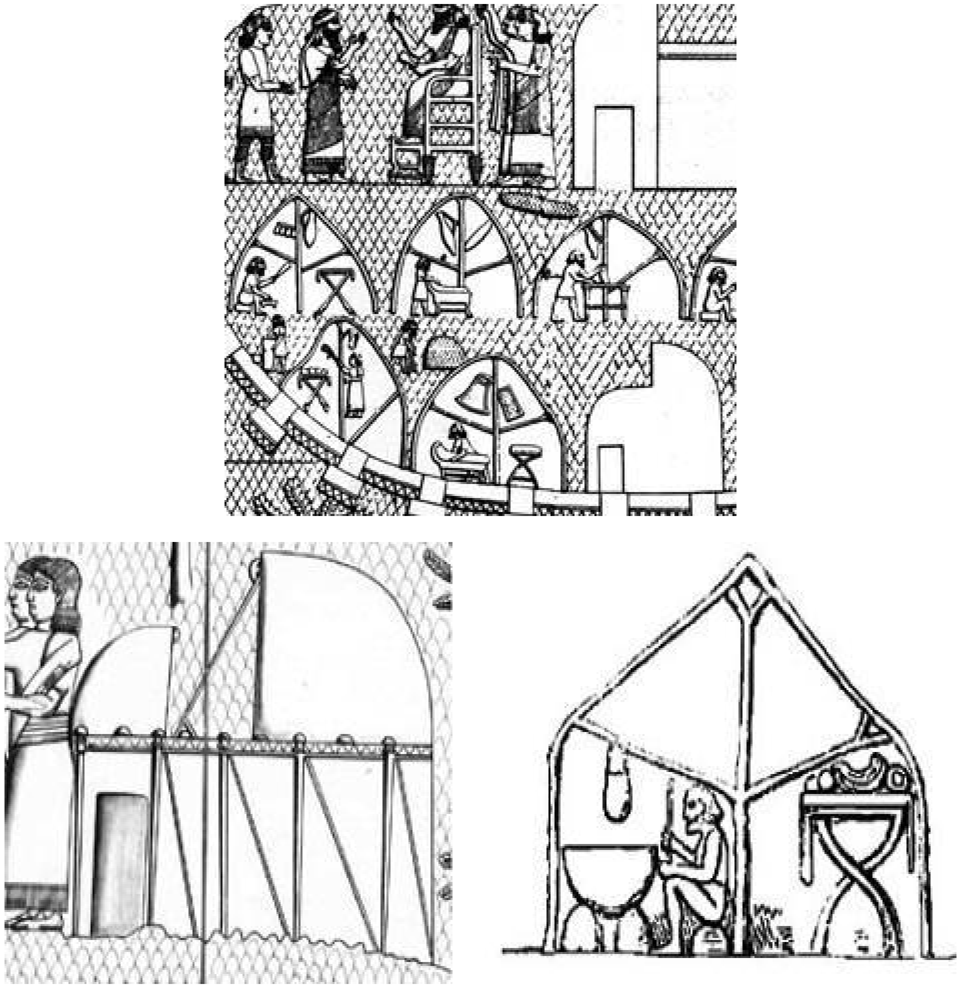
3. خرائط ميادين القتال الآشورية: فهناك مشاهدات لها «وصلتنا على المنحوتات من العصر الآشوري الحديث والتي تشتمل في بعضها على إظهار أشكال معسكرات الحاميات الآشورية داخل العواصم الآشورية وفي الأصقاع والثغور التابعة لنفوذ الدولة الآشورية، نوع من **الخرائط الأساس** لتلك المعسكرات أو الحصون أو بمثابة **خرائط لميادين القتال** إذ عالج النحات الآشوري وبأسلوب خاص انفرد به الفن الآشوري إبراز التفاصيل كتقسيم أجنحة المعسكر وثكناته وأقسامه الرئيسة كإسطبل الخيول والمطبخ وميدان الاستعراضات والأبراج والشرفات والمنصّة وغيرها ولم يكن متردداً عن جرّنا إلى داخل الخيام ليرينا ما في داخلها إذا ما واجهته مشكلة إظهار الجنود أثناء العمل والملاحظ أن جميع أشكال هذه المعسكرات. حملت الشكل البيضوي والدائري كما لم يفت النحات أن يُبرّز المظاهر (التضاريس) الطبيعية للمكان الذي يقع فيه المعسكر فَمَثّل لنا المرتفعات والمناطق الجبلية بالأقواس المتداخلة التي تكون كقشور السمك» (الجميلي 2011: 202).

ثالثاً: القائمة المعجمية الجغرافية للمقاطعات الآشورية

ضمت مكتبة آشوربانيبال قوائم بأسماء جغرافية كثيرة للمدن والأنهار والمناطق وغيرها، وقد عكست مدى اتساع جغرافيا الإمبراطورية الآشورية في عصرها الحديث، وصلت غرباً إلى مصر والحبشة والنوبة، وشرقاً إلى بلاد فارس وميديا وعيلام. وهي قائمة مهمة في علم الجغرافيا التاريخية بمنطقة الشرق الأدنى القديم، وبذلك تكون غزارة المدن والمواقع التي تذكرها مفتاحاً لحل الكثير من المشكلات التي ما زالت تثير جدلاً واسعاً بين المهتمين حول مواقع المدن والشعوب القديمة ودولها.



خرائط ميادين القتال الآشورية



مخيمات المقاطعات الآشورية

المبحث الثالث: التخطيط الحضري

أولاً: التخطيط الحضري الآشوري القديم

ورث الآشوريون الطريقة التي سبق أن عمل بها شعوب وادي الرافدين في تصميم المدن والتخطيط الحضري والتي كانت تقوم على أساس تقسيم المدينة لثلاثة أقسام أساسية وهي:

كان التخطيط الحضري متأثراً بنظيره في الحضارات الرافدينية الجنوبية كالسومرية والأكدية والبابلية ويتجلى في مدينة آشور: يمكن اعتبار مدينة آشور نموذجاً لهذا التخطيط الذي جاء عفوياً وتكون على إثره مدينة آشور بكل إضافاتها التاريخية في العصور اللاحقة. فقد كانت هذه المدينة بمثابة العاصمة الدينية لبلاد آشور في كل العصور.



مدينة آشور العريقة

ثانياً: التخطيط الحضري الآشوري الوسيط

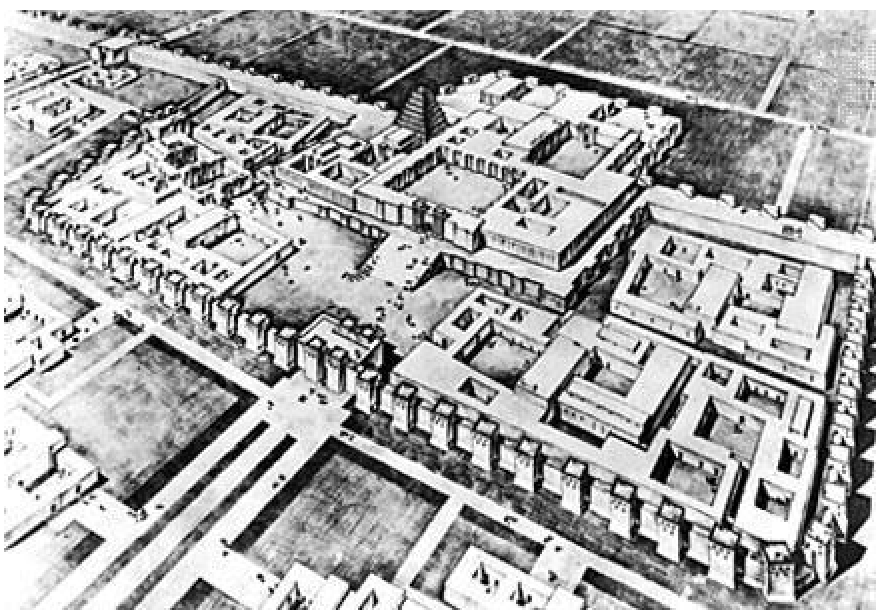
تأثر التخطيط الحضر الآشوري الوسيط بنظيره الميتاني والحوري، ولم يتحرر من هذا النمط إلّا مع بناء مدينة كالح التي عكست بداية نمو الأسلوب الآشوري الوسيط رغم قلة الآثار والتنقيبات التي قام بها البريطانيون لسنوات في خرائب مدينة كالح حيث لم تنكشف الطبقات الآشورية الوسيطة. ولكن يمكن اعتبار هذا النمط الحضري بدء ولادة التخطيط الحضري الآشوري من (القرن الرابع عشر ق.م) أي منذ استقلال الدولة الآشورية الذي مهّد لتطوره وأخذه سمات مميزة في العصر الآشوري الحديث.

ثالثاً: التخطيط الحضري الآشوري الحديث

ارتقى التخطيط الحضري الآشوري لأعلى قممه في العصر الآشوري الحديث، وكانت كلّ مدنه وعواصمة الحديثة تنعم بدقة ورهافة التخطيط، لكننا يجب أن نتوقف عند التخطيط الحضري لمدينة (دور شروكين، خورسباد) لأنها، موجهة نظرنا واحدة من أعرق وأعظم نماذج التخطيط الحضري القديم النموذجي، لسبب بسيط وهو أنها مدينة بُنيت على أساس تخطيط حضري مسبق ومتقن، ولم يكن يسكن المدينة ناس، بل أرادها سرجون الآشوري أن تكون نموذجاً لأرقى ما توصل له الآشوريون من حرفية ومهرة وتخطيط، فصممها المهندسون الآشوريون العظام وجعلوا منها أجمل مدينة في العالم بقصورها وحدائقها ومعابدها ومنحوتاتها وشوارعها ومرافقها لتكون عاصمة الإمبراطورية الآشورية لفترة قصيرة، وكان القدر الأعمى بالمرصاد فقتل سرجون الثاني في واحدة من غزواته الثانوية 705 ق.م وباعتباط شديد، ولم تجلب جثته وتكفن و...، فكان ذلك مثار شؤمٍ عند من جاء بعده من الملوك معتبرين أن مدينته (دورشروكين) تحمل فألاً شريراً، وتخلى ابنه وخلفه سنحاريب عن المشروع ونقل العاصمة مع إدارتها إلى مدينة نينوى. وهكذا هجروها وهي في عز جمالها، ولم يسكن بها أحد حتى تراكمت الأتربة والرمال عليها وغطتها، واختفت هذه المدينة العظيمة حتى جاء الآثاريون العظام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحفروا تلال أتربتها وعثروا عليها بكل ما تحويه من آثارها العظيمة.

لا يسعنا شرح كل تفاصيل المخطط الحضري لهذه المدينة ولكننا سنذكرها بخلاصة شديدة هنا. فقد بُنيت على مخطط مستطيل. كانت جدرانها ضخمة، وفيها 157 برجًا تحمي جوانبها. وهناك سبع بوابات للمدينة من جميع الاتجاهات. وتحتوي الشرفة المسورة على المعابد والزقورة وتم تخصيص المعابد الرئيسية للآلهة نابو وشماش وسين، في حين كان لدى أدد وننجال وننورتا مقامات أصغر.

أما القصر الملكي فقد تم تزيينه بمنحوتات ونقوش جدارية، مع بواباته المحاطة بتماثيل الشيدو المجنحة التي يصل وزنها إلى 40 طنًا. وعلى القناة المركزية لحديقة سرجون، كان هناك جناح بهو بأعمدة وفناء طوبوغرافي وحديقة عالية على تلٍّ من صنع الإنسان. كان هذا التل مزروعًا بأرز وخشب السرو.

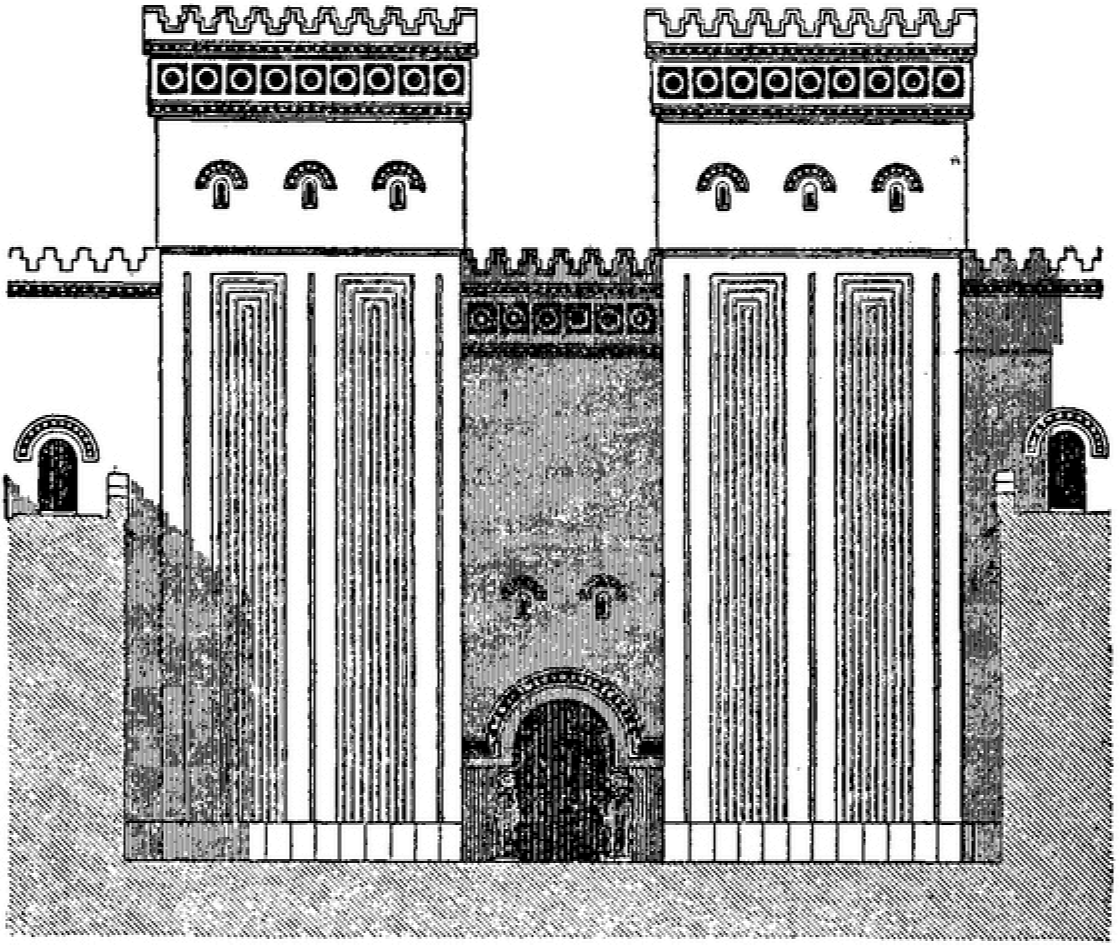


إعادة بناء قصر سرجون الثاني في دور شروكين

تُظهر الصورة الخطة المستطيلة النموذجية والجدران المحصنة الضخمة لمعمار القصر الآشوري.



مدينة نينوى (Hunt 2009: 78)



واجهة قصر سرجون الثاني في دور شروكين

ونعمت مدينة نينوى بمخططات حضرية متراكمة منذ أصبحت عاصمة الإمبراطورية الآشورية، فصبت العبقرية العمرانية الآشورية جذوتها فيها على مدى قرنين ونصف من العمل المتواصل فيها.

تأسس النموذج الإمبراطوري الحقيقي للمملكة الآشورية الحديثة، بل وتأسست معه نموذجية الإمبراطورية بإدارتها وتخطيطها الحضري كأول حالةٍ من نوعها منذ تأسيس سلفها القديم وهو الإمبراطورية الأكدية كأول نظام إمبراطوري غير محكم البناء، فقد

نضجت ثقافة البلاط الملكي وصارت نموذجاً للإمبراطوريات التي جاءت في أعقابها. كانت الأيديولوجية الملكية محكمة البناء، وتوسع التواصل الداخلي داخل الدولة.

ازدهر التخطيط الحضري الآشوري في مرحلته الحديثة، حيث ظهر واضحاً في مدنه وعواصمه التي تميزت بضخامة أبنيتها ومرافقها، وعكست توسع النظرة الحضارية للمدينة ووظيفتها المتنوعة والواسعة، فقد ظهر طراز آشوري مميز في العمران. وقد تميزت بشكل عام بالمواصفات الآتية:

1. المواد البناء الأساسية في العمران فقد كانت البيئة الآشورية غنية بالأحجار والصخور بالإضافة إلى الطين الأكثر شيوعاً في بناء البيوت، وكان الحجر يستخدم لتغليف الجدران الداخلية والخارجية في القصور والمعابد والأسوار في العصر الآشوري الحديث،
وسيتخدم في بناء الأسس بالدرجة الأساس أهم المواد البنائية المستخدمة في العمارة الآشورية وهو ما جعل المدن وبنايتها تنبني بالأجدار بالإضافة للطين واللبن الذي ساد في عمران جنوب وادي الرافدين.

2. مواد البناء الثانوية مثل الجص والحصى في الإكساءات الداخلية والحديد والقير، كمادة بينية وعازلة، في الأرضيات والأخشاب في التسقيف والطابوق الزجاجي والأصباغ.

3. مواقع المدن القريبة من الأنهار لتوفير الماء.

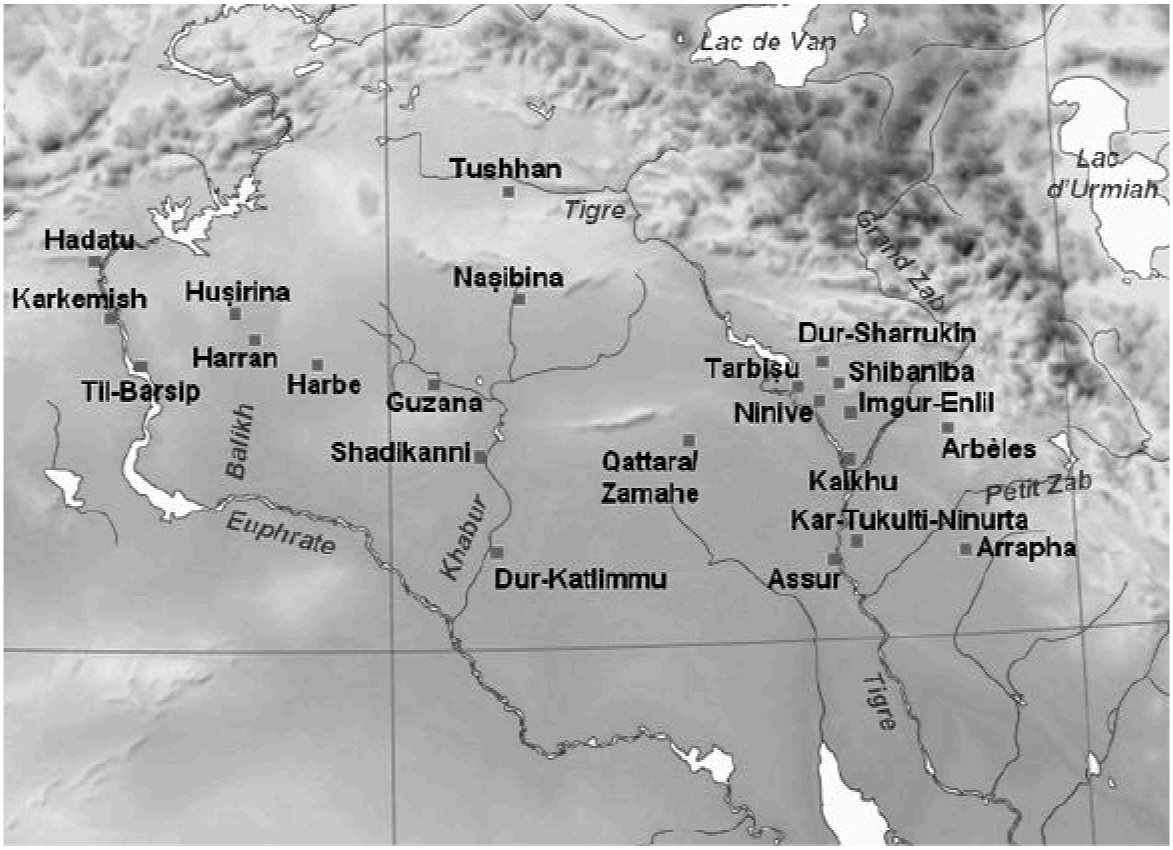
4. يعمل البلاط الآشوري مع مكان القصر في تخطيطه الحضري بصورة وثيقة، ومن خلال الجمع بين الأدلة المكانية والنصية، يلعب الفضاء دوراً حاسمًا في تشكيل واحدة من أقدم الثقافات المحكمة في العالم، وأن التنظيم المكاني للقصور الملكية تم تحديده من خلال كيفية تنظيم وتنظيم أسرة الملك الآشوري.

«غالبًا ما توصف قصورها بأنها مواقع منعزلة يتعذر الوصول إليها، مما يؤدي إلى الإيحاء البسيط بأنه تم تقسيمها إلى مناطق عامة وخاصة. لكن الدراسة التي قدمها الباحثان

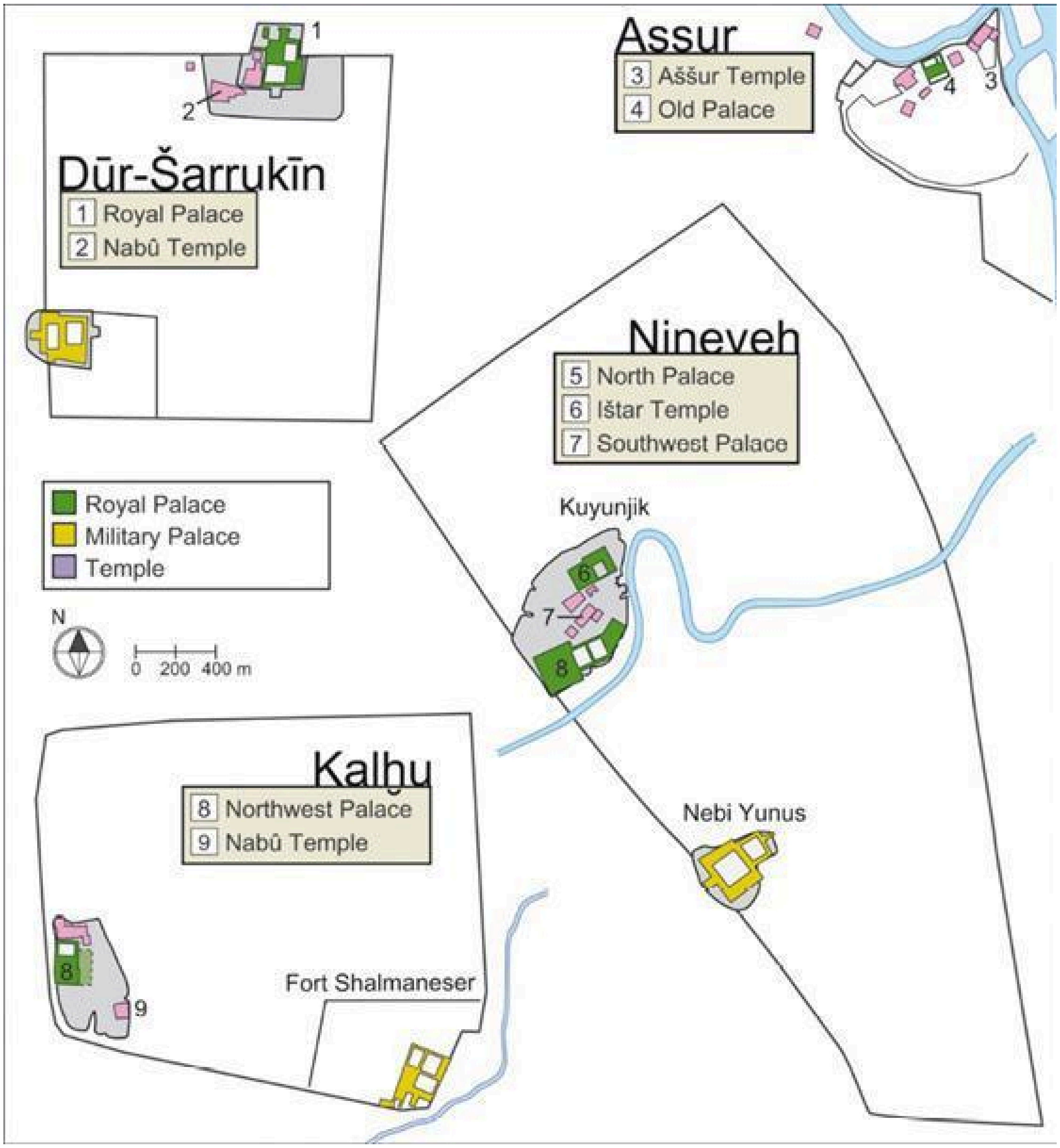
ميلاني جروب وديفيد كرتاي قدمت نموذجًا أكثر دقة يسلط الضوء على كيفية تنظيم البلاط والتدفق الهائل للمعلومات والأشخاص والبضائع التي تدخل القصر كان نتيجة لزيادة حجم الإمبراطورية وتعقيدها. ويجادل بأن الوصول إلى الملك لم يتم التحكم فيه من خلال الانقسام الصارم إلى الأماكن العامة والخاصة، ولكن بالأحرى من خلال ثلاث بوابات تحكّم كانت تديرها شخصيات معينة من الأفراد وبتنظيم أكثر حيوية تتنقل داخل المساحات المادية للقصر، الأمر الذي كان متوقفاً على نشاط الملك. فهي تقدم عملية إعادة البناء هذه النموذج المكاني الأول للبلاط الآشوري في سياق قصوره الفعلية. إن فهم كيفية عمل هذا البلاط الإمبراطوري المبكر يوفر نظرة ثاقبة حول إنشاء ثقافات البلاط القديمة الأخرى، التي كانت آشور.(Groß & Kertai 2019)سلفها».

5. تلازمت القصور مع المعابد بسبب القبضة الواحد للملك على المعبد والقصر، فهو رئيس الهيكل الديني ورئيس الهيكل المدني، وكانت المعابد أحياناً جزءاً من القصر أو متداخلة معها.

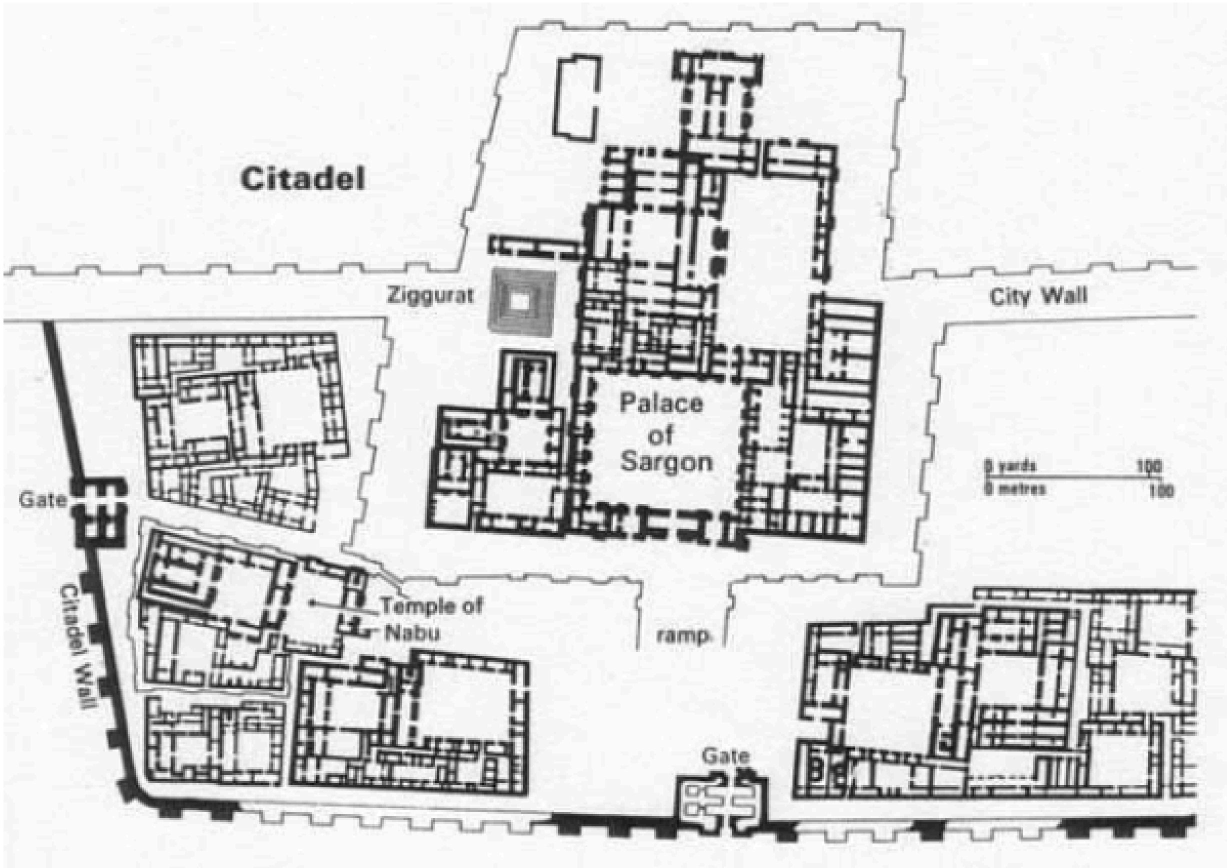
6. المعسكرات والمؤسسات المدنية كانت في ما يعرف بالضواحي البعيدة، نسبياً، عن القصر والمعبد وهي مسيطر عليها من قبل قائد الجيش.



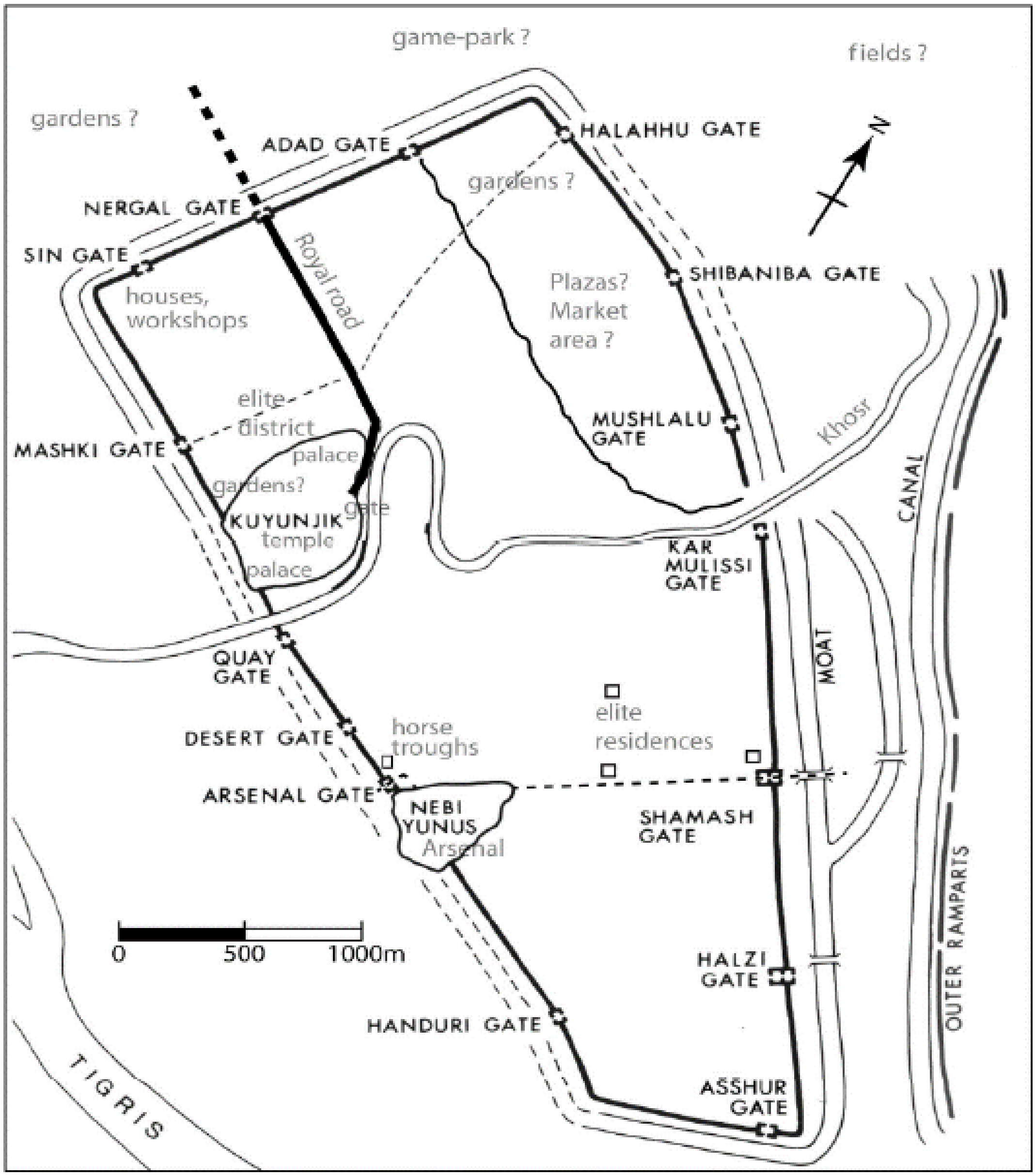
المدن الرئيسية في العصر الآشوري الحديث (Deligiannis 2014: 4)



تجاور المدن والمعابد وابتعادها عن القصوروالمواقع العسكرية في العواصم الرئيسة للدولة الآشورية (Groß & Kertai 2019)



مدينة دور ـ شروكين (خورسباد)



مدينة نينوى

المبحث الرابع: التربية والتعليم

لم تكن التربية الآشورية إسبارطية الطابع كما نتوقع، بل كانت تربية قريبة في ملامحها لنظيرتها البابلية وربما أقل من مستواها بقليل، أما النزعة العسكرية فلم تكن متسربة

لمدارس وتعاليم الحياة الاجتماعية الآشورية، بل كانت مكرّسة عبر قانون التجنيد الإلزامي الذي كان يقضي بتجنيد لمدة عام يليه راحة لمدة عام ثم عودة للتجنيد مرة أخرى.. وهكذا. ولا شك أن قانوناً كهذا لا يمنح الآشوري الاستقرار ويجعله وكأنه في حالة إنذار دائم طيلة حياته.

تم تطبيق التعليم على الطبقات العليا، وخاصة للكهنة والكتبة. وربط المدارس بالمعابد والتي كان يذهب لها الأولاد فقط.

ومن خلال دراسة تلك الرقم المدرسية تمكن الباحثون من تقسيم المدارس في بلاد الرافدين إلى نوعين:

أ. المدارس الابتدائية: وهي المدارس التي كان يتلقى فيها التلميذ اللغة والقراءة والكتابة والحساب ومعرفة المفردات اللغوية والموسيقى، ويطلق عليها بالمصطلح السومري (أ دبا E.BAA.DUP) أما في اللغة الأكدية فسميت (بيت طبّ Bit - tuppi) والتي تعني بيت الألواح.

ب. المدارس المتقدمة: تشمل المدارس التي كانت تعلم العلوم على اختلافها كالرياضيات والفلك والطب والسحر والأدب وغيرها، وسميت هذه المدارس بـ (بيت الحكمة) (بيت مُمُ Bit - mumme) إذ كانت هذه المدارس بمثابة المعاهد العالية، وقد أطلق علي الملتحقين بها بالقول (الدخول في بيت الحكمة) {أريب (بيت)مُمُ Arib(bit) mumme}. (الجميلي 2001: 41-42).

كان التعليم الرسمي في بلاد آشور مقتصراً، أولاً، على الطبقات العليا، كما يذكر (لوكاس، 1980) وكانت تديره مؤسسات البلاط، والمدارس كانت مؤسسات خاصة يديرها المعبد أو من يمتلك القدرة على ذلك، أما التعليم العالي فمن نصيب الإداريين النساخين والنبلاء، بينما بعض الأمراء كان من نصيبهم أن يتلقوا تعليماً متكاملاً.

«ترد إشارة واحدة حول وجود المدارس في بلاد آشور من العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612 ق.م) كان يتم تدريب الكتبة فيها، فقد ذكر عن مجموعة تسمى (كتبة كالزِ) إشارة إلى تلاميذ وهم يتعلمون مهنة الكتابة. إلا أنه ليس لدينا أدلة على وجود مدارس أخرى لحقول أخرى من التعليم هناك». (الجميلي 2001: 45).

وقد يعني هذا ضعفاً في التخصصات العلمية، والاقتصار على المدارس الابتدائية التي كانت تعلّم اللغو والقراءة والكتابة والحساب ومعرفة المفردات اللغوية والموسيقى، والتي كانت تسمّى في اللغة السومرية (إي ـ دبّا) وفي اللغة الأكدية (بيت طوبي) وتعني بيت الألواح.

في العصر الآشوري الحديث «ارتفعت مكانة كاتب المعبد الاجتماعية والاقتصادية من خلال اهتمام الملوك الآشوريين بمنح الأوقاف والإقطاعات من الأراضي والحقول إلى معبد الإله آشور فقد وردت في العديد من الرسائل والشكاوى التي تقدم بها كاتب المعبد إلى هؤلاء الملوك عن امتناع حكام المقاطعات أو تأخرهم عن الدفع في الوقت المحدد أو في تقديم جزء من وارداتهم إلى المعبد كالحبوب والطحين والتبن والقرابين. فقد كان على الملوك والحكام في بلاد الرافدين تزويد المعابد بالهدايا والقرابين في مواعيد محددة، إذ مضت أرشيفات المعابد إشارات كثيرة إلى تقديم هذه الهدايا إليها ومن مختلف العصور والمواقع كأرشيفات معبد الإله (نبو) في نمرود (كلخُ) وخرسباد (دور شروكين) ونينوى ومعبد (مامو) في بلوات (أمكر إنليل) ومعبد الإله (شمش) في سبار (أبو حبة) ومعبد الإله (سن) في أور ومعبد الآلهة (عشتار) و(آنو) في الوركاء وغيرها، وكانت هذه الأرشيفات عبارة عن وثائق إدارية أو اقتصادية بعضها بشكل جداول والبعض الآخر رسائل توثق واردات تلك المعابد ولكن من بين أكثر الأمور توثيقاً هو تسليم الحبوب والعسل والسمسم والفواكه من مختلف المناطق إلى المعبد، لقد كان كاتب المعبد عضواً مهماً في مجموعة الكهنة خلال العصر الآشوري الحديث ويبدو أن مكانته في المعبد كانت تأتي مباشرة بعد (الشانكو) محاسب المعبد فقد ورد ذلك في نص بهذا الخصوص من مدينة آشور يدور حول تقديم اللحوم إلى المعبد بمناسبة جنائزية (عملية دفن) وقد جرت هذه المراسيم

بحضور (شانكو رابو) و(شانكو شانيو) و(شانكو إياشار) و(كالوا) أي المنشد و(طبشار بيت إيلِ) كاتب المعبد». (الجميلي 2001: 56 ـ 57).

المبحث الخامس: المكتبات

كانت المكتبة تسمى بالسومرية كَيركَوناكّو Girgainakku وقد انتقلت هذه المفردة كما هي في اللغة الأكدية لتعبر عن المكتبة أيضاً، «وبعد قيام الدولة الأكدية في حدود القرن الرابع والعشرين ق.م، تبنى الأكديون نظام الكتابة المسمارية في تدوين لغتهم من خلال المكاتبات الرسمية والشخصية، فظهر لدينا خلال هذه الفترة مصطلح جديد هو (طبشر tupsarru) للتعبير عن كلمة كاتب. ويبدو واضحاً أنه كان للموروث اللغوي السومري أثره في انتقال هذه الكلمة إلى الأكديين فقد اقتبسوا كلمة (DDUB. SAR) السومرية وتم تحويرها بطابع أكدي كشأن غيرها من الكلمات السومرية التي توارثوها وتصرفوا بها وبما يلائم كتابة لغتهم ولفظها، فقد أبدل الأكديون الحرف النطعي (dental) (الدال) إلى (الطاء) وحرف الباء المجهور (b) إلى حرف الباء المهموس (p) والحرف السني (sibilant) (السين) إلى حرف سنّي آخر وهو (الشين). وهكذا تحولت كلمة (دبسار) إلى (طبشّرٌ). ومن الجدير بالذكر أن هذا المصطلح اقتبسه الكشيون في مدة سيطرتهم على بابل حيث يظهر في قوائم المهن من تلك الفترة. ومن دراسة النصوص القانونية والاقتصادية العائدة إلى بداية العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612 ق.م) يظهر لدينا مصطلح آخر هو (ل ـ آبا La. A. BA). وهو تعبير يعكس باللهجة الآشورية الحديثة عن معنى (كاتب) ويترجم حرفياً بـ (رجل الألف باء)». (الجميلي 2001: 11 ـ 12).

«وفي العصر الآشوري الحديث وردت بعض أسماء كتبة الملوك ومنهم (كاب ـ إيلان ـ ابرش) كاتب الملك (توكلتي ـ ننورتا الثاني) (890 ـ 884 ق.م) وابنه الملك (أشور ناصر بال الثاني) (883-859 ق.م). و(نابو ـ شليمشون)* رئيس كتبة الملك سرجون الآشوري (721 ـ 705 ق.م). وهذا الكاتب هو الذي دون لنا حملة سرجون الآشوري (الثامنة) على

مملكة (أورارتو) عام (714 ق.م). وكذلك الكاتب (مردك ـ شم ـ أفيش) الذي كان هو الآخر يشغل منصب رئيس كتبة الملك سرجون، ويبدو أنه شغل هذا المنصب بعد (نابو ـ شليمشون). ثم خلف (مردك ـ شم ـ افيش) ابنه (نابو ـ زفب ـ أكين)، إذ تأكد من التذييلات التي وجدت على عدد من الألواح المكتشفة من نمرود ونينوى عن دور هذا الكاتب الفعال ومكانته لمدة (23) سنة خلال فترات الملك سرجون الآشوري والملك سنحاريب، وبالرغم من أنه لا يذكر كرئيس كتبة الملك إلّا أنه يبدو أنه ورث هذا المنصب عن أبيه في البلاط الملكي». (الجميلي 2001: 59).

مكتبة آشوربانيبال: أقدم مكتبات العالم

قال عنها هـ.جي ويلز في كتابه (الخطوط العريضة للتاريخ) أنها (أثمن مصدر للمواد التاريخية في العالم)، فإذا ما عرفنا أنها أُنشئت في القرن السابع قبل الميلاد وأنها تضم أكثر من 30 ألف لوح طيني، فستكون (أثمن وأقدم وأكبر مكتبة عرفها التاريخ القديم).

«لم يكن آشور بانيبال (668-627 قبل الميلاد) أعظم أباطرة العالم القديم فقط، بل كان أكثرهم تحضراً ووعياً وثقافة «ويروي آشور بانيبال في القرن السابع كيف أنه درس حكمة نابو وأتقن فن النسخ تماماً، معرفة جميع الخبرات وتعلم فن الرمي بالقوس وركوب الخيل والعربات والإمساك بزمام الخيول وفي مكان آخر يفصل لنا كيف تعلم القراءة والكتابة بقوله: لقد قرأت نصوصاً معقدة، كانت النُّسخ السومرية غامضة والنسخ الأكادية من الصعب فهمها، ولقد بحثت في الكتابة المسمارية على الحجارة من فترة ما قبل الطوفان» ولكن لم يكن هذا أمراً شائعاً، فلقد كان تعلم القراءة والكتابة باللغة المسمارية محصوراً بالكتبة فحسب، وكذلك الإداريين». (ساغز 2008: 206 ـ 207).

«أنا آشور بانيبال، ملك الجميع، ملك آشور الذي وهبني نابو وتاشميتو (زوجة نابو) الذكاء (في الأصل أذناً واعية) ووهبني عيوناً صافية لأرى فيها أثمن أخبار المعرفة، أنا الذي من بين الملوك الذين سبقوني ولم يفهم هذه الأمور غيري، لقد كتبت على الألواح حكمة نابو أو رسم العلامات المسمارية مهما كان عددها وبعدها فقد فحصتها وقارنتها وقد وضعتها في

مكتبة معبد سيدي الإله نابو السيد الأعظم، تلك المكتبة التي هي في نينوى وذلك حفظاً لحياتي وحراسة روحي بحيث لن يصيبني المرض، وكذلك لتأمين وتقوية أسس عرشي: أيها الإله نابو انظر إليذَ نظرة عطف وحبور وبارك مملكتي، وخذ بيدي كلما دعوتك وأرجوك أن تبارك خطواتي وأنا سائر في بيتك ومعبدك، وعندما أضع هذه النصوص في معبدك وأمامك انظر إليها وتذكرني بعطف وحنان». (ساغز 2008: 422).

حين قرر آشور بانيبال أن يُنشئ هذه المكتبة قام، لأجل ذلك، بإرسال كتّاب بلاطه إلى جميع أنحاء بلاد الرافدين وجمع كل ما يعثرون عليه في القصور الملكية، لملوك وحكّام وادي الرافدين القدماء والمعاصرين له، من ألواحٍ طينية مكتوبة باللغتين السومرية والأكدية، وأمرهم بأن يعيدوا كتابة ما تلف منها وأن يترجموا النصوص السومرية للأكدية، وهي اللغة التي كان يتكلم ويكتب بها الآشوريون، وحفظ فيها آلاف الألواح الطينية التي تمثل تراث الرافدين في جميع فروع المعرفة، وقاموا بفهرستها وتبويب موضوعاتها، ووضعها على رفوف متجانسة.

«ومن الأدلة الصريحة على أن الآشوريين قد بذلوا الكثير من الجهود من أجل جمع ماله علاقة بتأريخ الفكر العراقي القديم مضمون الرسالة التالية. التي لا نعرف بالضبط إلى أي ملك تعود، ولكنها على أغلب الظن تعود إلى زمن الملك آشور بانيبال ومفادها ما يأتي: «أننا بخير عسى أن تكونوا سعداء. عند تسلمكم هذه الرسالة استصحبوا معكم الرجال الثلاثة المذكورة أسماؤهم وعلماء مدينة بورسبا، وفتشوا عن جميع رقم الطين وكل ما هو موجود منها في بيوتهم وفي معبد إيزيدا. ابحثوا عن الرقم الطينية الثمينة الموجودة في سجلاتكم والتي في آشور أيضاً وأرسلوها إلينا. لقد كتبت إلى الموظفين والمشرفين فما من أحد يمسك عنكم رقيماً وإذا رأيتم رقيماً علمياً أو نصاً دينياً لم أكتب لكم عنه وترونه مفيداً لقصري فابحثوا عنه والتقطوه وأرسلوا به إلينا». (رشيد 1991: 374).

تتكون المكتبة من قسمين، الأول في قصر سنحاريب، جد آشور بانيبال، وتحتوي أغلب الألواح الطينية التي كانت جاهزة للحفظ. والثاني في قصر آشور حيث أسس فيه مكتبة

ثانية جمع فيها ألواحاً مختلفة عن الأولى، وكان يستخدم القصرين، في وقت واحد، خلال العام.

«وأما بالنسبة لتدريب الكتبة فقد كان هناك مدارس، إذ نجد مثلاً مجموعة تدعى (كتبة كاليزي) ـ وهي بلدة في شرق آشور ـ وهنا يشير إلى طلابهم الذين كانوا يتعلمون مهنة النسخ، ولكن ليس لدينا أي شواهد لوجود مدارس لتعليم مجالات أخرى من المعرفة. وكان نظام الوراثة سائداً في المجتمع الآشوري وكان الابن يتعلم مهنة الأب أو تجارته وذلك بمراقبته ومساعدته حالما يستطيع المشي، وكان يتقن هذه المهن بمرور الزمن وإن من الممكن التتلمذ لدى أحد المهنيين وكان من الممكن العثور على عقود التلمذة بحيث تكون الواجبات ملقاة على الطرفين». (ساغز 2008: 207).

من عثر عليها وكيف وأين ومتى؟

بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية واحتلال وحرق عاصمتها، نينوى في 611 ق.م، اختفت مكتبة آشور بانيبال، بقسميها، تحت وابل من الأحجار والصخور التي سدّت أبوابها فنسيها الغزاة وهجرها الناس وبقيت تحت الأنقاض ثم تلال التراب، وكانت النيران قد مسّت بعض ألواحها التي نال التفتت منها، لكنها لم تنصهر لأنها مصنوعة من الطين المفخور، وتساقط بعضها من مكانه وانكسر. وبقيت على حالها هذا لما يقرب من 2460 عاماً، وحين ظهر رواد علم الآثار والآشوريات بدأوا التنقيب في المواقع الأثرية الدالة على الآشوريين وحضارتهم. وفي تل كوينجق (نينوى القديمة، آخر عواصم الآشوريين) الذي يقع بالقرب من مدينة الموصل بدأت عمليات التنقيب. وعثروا عليها في أكثر من مكان، ووجد معظمها متناثراً ومهشماً، وقام عالم الآثار البريطاني أوستن هنري لايارد بالكشف، أولاً، عن الجزء الأكبر منها في قصر سنحاريب عام 1849. وتم نقل معظم ألوحها إلى إنجلترا ويمكن العثور على أغلبها الآن في المتحف البريطاني، لكنه لم يكن يعرف محتواها وكتابتها.

بعد ثلاث سنوات، اكتشف عالم الآثار الموصلّي الآشوري هرمز رسام، مساعد لايارد، مكتبة قصر الملك آشور بانيبال، وقد وجدت هذه الألواح تحت حطام سلسلة من المخازن القريبة

من مدخل القصر، على الجانب الآخر من تل كوينجق. وكان قد نالها التلف وخُلطت مع بعضها حين وصلت إلى أوروبا.

ويبدو أن نظام المكتبة، في القصرين، كان يقضي بخزنها في غرفٍ خاصةٍ بالألواح، وحين يُراد قراءة هذه الألواح والاطلاع عليها كانت تُجلب من المخازن المصنّفة والمفهرسة، ويتم ذلك في باحة من باحات القصر أو في غرفٍ خاصة للمطالعة والاطلاع.

قام أُوستن هنري لايارد، بنشر كتابه (مكتشفات أطلال نينوى وبابل) وصدر في لندن لأول مرة سنة 1853، وشرح فيه اكتشافه لمكتبة آشور بانيبال، وقد ترجم الكتاب للعربية مؤخراً من قبل شيرين إيبش، وراجع الترجمة الدكتور أحمد أيبش، وصدر ضمن سلسلة (رواد المشرق العربي) والتي تصدرها (هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة)، دار الكتب الوطنية.

أخذت أعمال التنقيب تتكشف عن ما تركه هذا الملك من كنوز، وهي عملية استغرقت أكثر من 60 عاماً من الحفر والعمل وأكثر من ستة أجيال من الآثاريين. والحقيقة أن النصوص لم يعثر عليها في قصر واحد أو غرفة واحدة، بل وُجد معظمها متناثراً ومهشماً، وهو ما يعني أن المكان قد تعرض للتخريب أثناء هجوم تعرضت له نينوى في العام 611 ق. م تقريباً، بعد أن ذوت تلك الحضارة على أيدي خلفاء الملوك المؤسسين العظام ثم سقطت بغزو تحالف خارجي. كانت الألواح ملقاة بين الأنقاض وتحت الركام، وخلال سنوات جرى إعادة تركيبها وقراءتها كلمة كلمة وسطراً سطراً.

كنوز مكتبة آشور بانيبال:

تحتوي قاعدة بيانات مجموعات المتحف البريطاني على 30,943 «لوحاً» في مجموعة مكتبة نينوى بأكملها، واقترح أمناء المتحف إصدار فهرس محدث كجزء من مشروع مكتبة آشور بانيبال. وكان العالم الألماني كارل بيزولد قد قام بتصنيف محتويات المكتبة في خمسة مجلدات، محفوظة في المتحف البريطاني، كما يلي:

1. تأريخ الأدب.

2. المكتبة الخاصة بالملك.

3. مكتبة المعبد.

4. المراسلات الملكية الرسمية.

5. العقود والمواثيق.

كان مضمون ألواح المكتبة متنوعاً يظهر على شكل التشريعات، والمراسلات والتعاقدات الأجنبية، والإعلانات الأرستقراطية، والمسائل المالية. واحتوت النصوص الباقية على نصوص أدبية ودينية وترانيم لمختلف الآلهة، في حين تضمنت أخرى موضوعات خاصة بالطب والفلك والأدب. واحتوت على أعمال أدبية معبرة مثل الملاحم والأساطير ومجموعة أخرى من النصوص الأدبية هي النصوص المعجمية وقوائم العلامات.

ويصنفها البعض لنوعين، الأول هو المؤلفات الأدبية مثل العرافة والنصوص الدينية والمعجمية والطبية والرياضية والتاريخية والملاحم والأساطير. والثاني هو الوثائق القانونية والخطابات والعقود والنصوص الإدارية.

المثير في الأمر أن عدد نصوص العرافة كان كبيراً فقد بلغت حوالي 759 نصاً، ويبدو أن آشور بانيبال كان مهتمّاً بجمع هذه النصوص، وكانت واحدة من بعض دوافعه لتشكيل مكتبته هذه، وهي تتناسب، ربما، مع دافعه الأصلي لاكتساب الطقوس والتعويذات التي كانت حيوية للحفاظ على سلطته الملكية.

ولعلّ من أبرز النصوص والأعمال المهمة في المكتبة الشهيرة ما يلي:

1. ملحمة جلجامش: التي اكتشفت من قبل أوستن هنري لايارد وهرمز رسام، ودبليو. ك. لوفتوس في عام 1853.ثم نُشرت أول ترجمة حديثة لها في أوائل سبعينيات القرن

التاسع عشر قام بها جورج سميث. وقام سميث بعد ذلك باكتشافات أخرى للنصوص في بعثاته الأخيرة، والتي بلغت ذروتها في ترجمته النهائية التي وردت في كتابه «كتاب الكلدان عن سفر التكوين» الصادر عام 1880. وكان سمث قد ألقى محاضرة عام 1862، في الثالث من كانون الأول، أمام جمعية الآثار التوراتية التي كانت حديثة التكوين آنذاك، فصارت استنتاجاته أساس الدراسات التوراتية المقارنة بعدها.

أعلن سميث في محاضرته أنه في أحد الألواح المستخرجة من خزانة الكتب الخاصة بالملك آشور بانيبال رواية الطوفان المشابهة لقصّة الطوفان المذكورة في سفر التكوين من التوراة. وأثار حماس المستمعين له والصحافة فيما بعد، ورسخت استنتاجاته منهجاً جديداً في الأوساط العلمية يستند على الآثار في كشف حقيقة الروايات الدينية والتاريخية. ثم أدرك سميث، بعد دراسات لألواح المكتبة، أن أسطورة الطوفان هي جزء من ملحمة شعرية أسماها البابليون أنفسهم بـ (هو الذي رأى كلّ شيء) وصنّفوها على أنها (مجموعة ألواح جلجامش) المؤلفة من اثني عشر فصلاً (أو لوحاً) يحتوي كل منها على نحو ثلاثمائة سطر. وأن قصة الطوفان تشغل أغلب سطور اللوح الحادي عشر.

2. أسطورة الخلق البابلية (إينوما إليش): وهي أكبر نصوص الخليقة في العالم القديم، استعادها أوستن هنري لايارد في عام 1849 (في شكل مجزإ). نشر جورج سميث لأول مرة شكلاً منها في عام 1876، ثم أدت الأبحاث النشطة وعمليات التنقيب الإضافية إلى قرب الانتهاء من النصوص، وتحسين الترجمة. وتضمنت حوالي ألف سطر مدونة على سبعة ألواح طينية، يحتوي كل منها على ما بين 115 و170 سطراً من الكتابة المسمارية باللغة الأكدية.

3. معاهدة أسرحدّون مع بعل من صور: يضمن فيها الملك ولاء حاكم صور مقابل نفوذه على بعض المستوطنات مثل عكو ودور وجبيل.

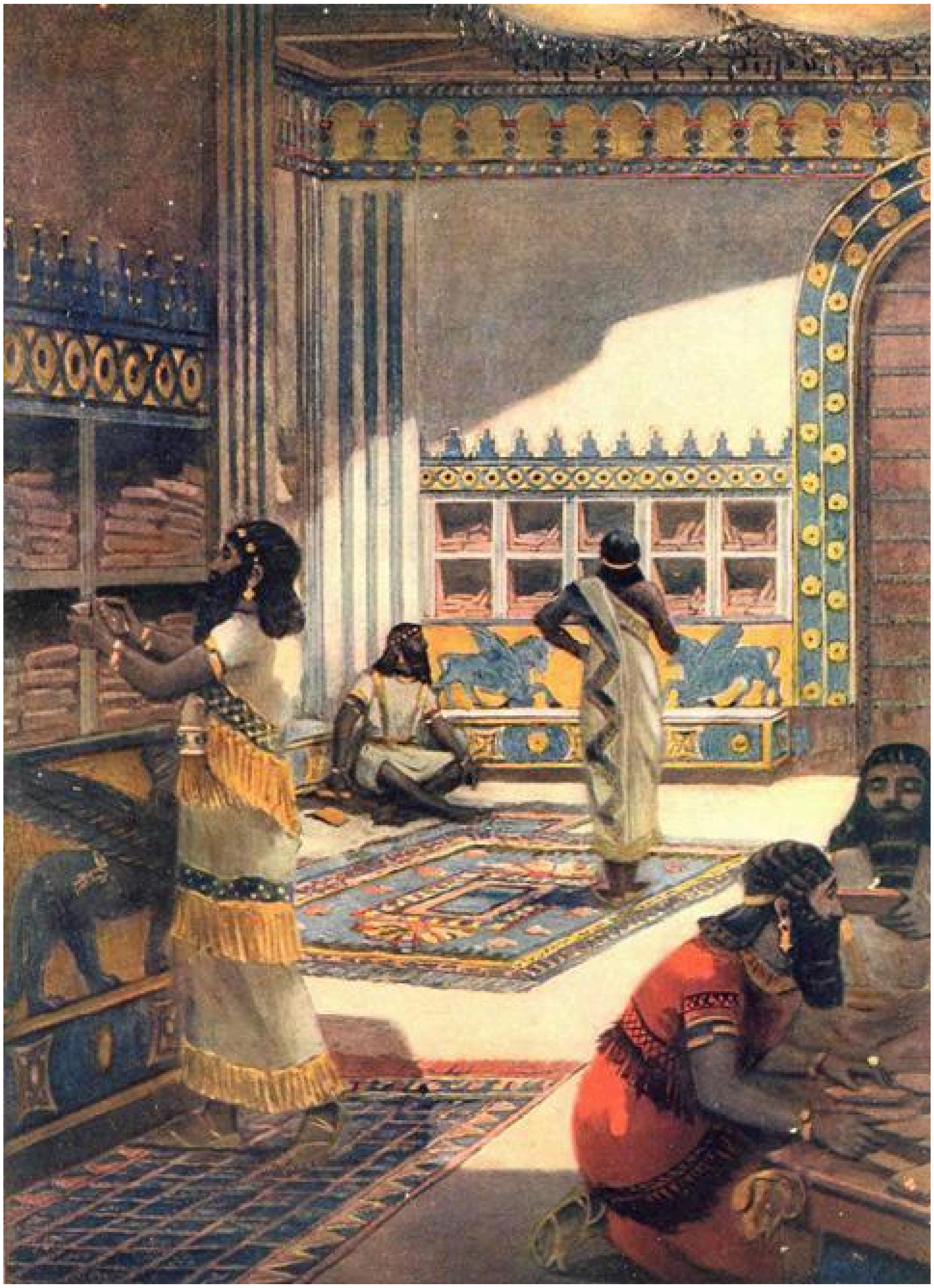
4. موشور سرجون: وهو نص عسكري يصف حملات سرجون الثاني في فلسطين وآدوم ومؤاب وغيرها.

5. **لوح كوكب الزُّهرة لآمي صادوقا** (الحاكم الرابع بعد حمورابي): الذي يعود لمنتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد يرصد فيه أوقات صعود كوكب الزهرة ورؤيته الأولى والأخيرة في الأفق قبل أو بعد شروق الشمس وغروبها (صعود الشمس وإعدادات الزهرة) في شكل تواريخ القمر. يتم تسجيل هذه الملاحظات لمدة 21 عامًا.

6. **نقش أزيكا (حزقيا):** الذي يصف الحملة الآشورية التي قام بها سنحاريب ضد حزقيا، ملك يهوذا، بما في ذلك فتح عزة.

وهناك نصوص وملاحم وقصص كثيرة أخرى منها ملحمة الرجل الفقير من نيبور، وقصة آدابا... وغيرها.

ويبدو أن البروفيسور باتريك هانت كان على حق عندما ذكر في كتابه (الاكتشافات العشر التي أعادت كتابة التاريخ) الصادر عام 2011، وهو المؤرخ والآثاري في جامعة لندن والأستاذ المحاضر في جامعات أوروبية وأميركية، بأن اكتشاف مكتبة آشور بانيبال يعدّ واحداً من أهم عشرة اكتشافات ساهمت في إعادة التاريخ البشري، رغم أن هناك الكثير من ألواح هذه المكتبة لم يكشف عن مضمونه بعد.

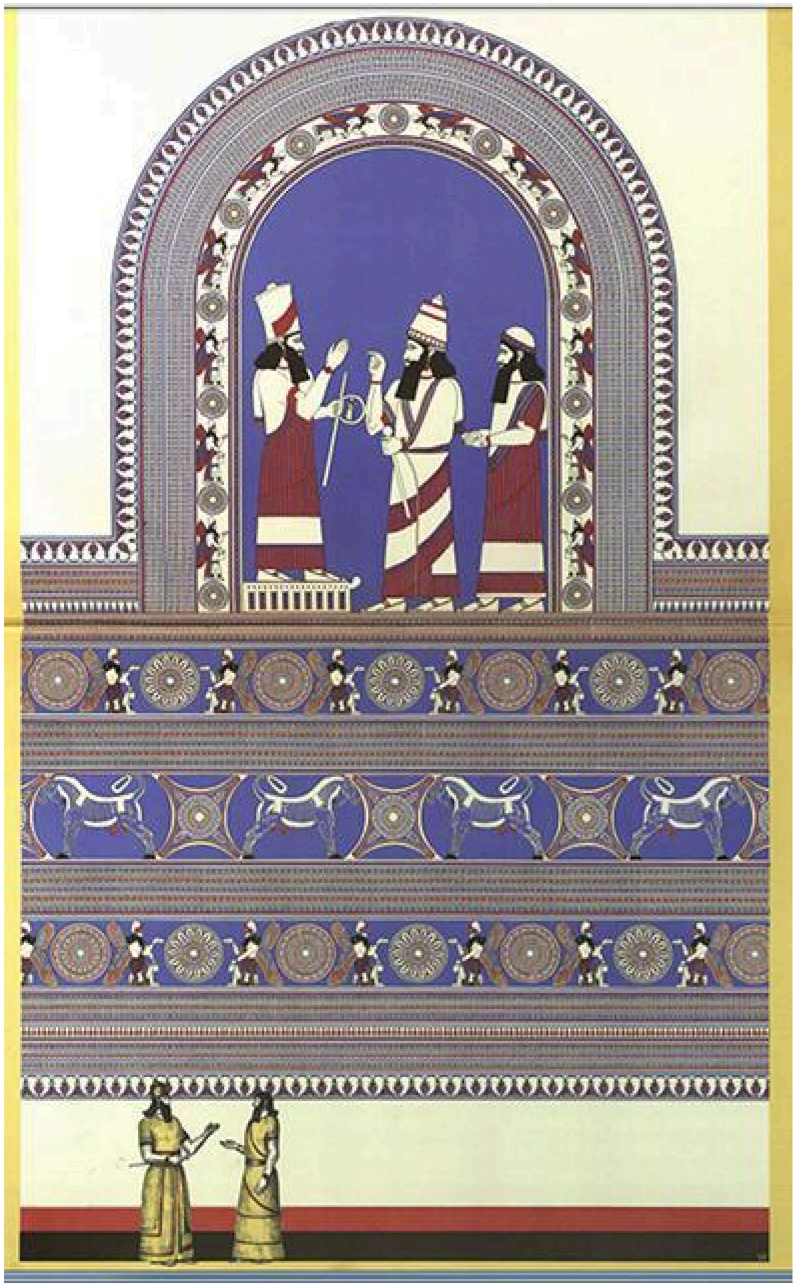


رسم متخيل لمكتبة آشور بانيبال



ألواح مكتبة آشور بانيبال في المتحف البريطاني

الفصل الرابع عشر فنون الآشوريين



رسم ملون مستوحى من خرسباد

المبحث الأول: الفنون التشكيلية

أولاً: مراحل تطور الفن الآشوري

الفن الآشوري، من وجهة نظرنا، هو أعظم فنون العالم القديم فهو الذي مهّد لظهور الفن الكلاسيكي (الإغريقي والروماني) وهو الذي قفز بالفن الشرقي، عموماً، من سكونيته إلى حراكٍ جماليّ وروحي واضح، ربما كان أساس الفن الكلاسيكي كلّه، وقد يكون أقرب إلى الفن الروماني فهو الجذر الشرقي الذي انحدر منه الفن الروماني إضافة إلى الجذر الغربي الإغريقي الذي أثّر بصورة مباشرة في نمو الفن الروماني.

وينقسم الفن الآشوري إلى ثلاث مراحل أو أنواع هي (القديم، الوسيط، الحديث) وقد بلغ الذروة في المرحلة الثالثة (الحديث) فهو الفن الإمبراطوري الآشوري الذي غمر الشرق القديم كله إضافة إلى البحر المتوسط وحضاراته القديمة.

ويمكننا حصر منجزات الفن الآشوري بالظواهر المتميزة الآتية (القصور الآشورية، اللوحات القصصية، النحت الفراغي، العاج المنقوش، الأختام الأسطوانية، النصب، المسلات الآشورية). أما عصوره فتنقسم إلى ثلاثة بموازاة التاريخ الآشوري:

العصر الآشوري القديم (2000 ـ 1521 ق. م):

1. حاول الآشوريون التعبير عن سعيهم للقوة والمثالية وتجسيد القيم العليا النموذجية.

2. أصبحت منحوتاتهم الملكية تجسد قوة وبطولة الملك القوي المنتصر، فبدأت ظهر فيها عضلات الملوك وشعرهم المصفف الغزير وهيبة وجوههم. أما العمارة الآشورية فقد بدأت بالظهور بعد أول بادرة استقلال عن بابل، بعد وفاة حمورابي، مثل معبد الإله سين ـ شمش القديم في آشور (وهي معبد القمر والشمس) والذي يعتقد أن الملك آشور نيراري الأول ـ

(حوالي 1516 ـ 1491 ق.م) قد بناه، وكانت العمارة الآشورية متأثرة بالعمارة الحورية الميتانية.

العصر الآشوري الوسيط (1521 ـ 911 ق.م):

1. في نقوشهم ونحتهم النافر ظهر الميل لتراصف وتماسك الشخصيات، وقلت الفراغات حين امتلأت برسوم ورموزٍ وأشكالٍ إضافية. وبدأت شخصية الفن الآشوري بالتبلور والانفصال عن الفن الحوري، ومقارنة بين ختم للملك الحوري شوشنار مع ختم آشور لنيراري الثاني نجد في «ختم آشور نيراري الثاني قد سيطر عليه مبدأ الفراغ عديم الأهمية الممثل في غياب خطوط القاعدة، وهي سمة حورية مميزة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الصور المفردة (من أمثال كلب الصيد، أو المخلوق المركب ذي المخلب البارز، أو البطل القاتل الذي يرتدي تنورة قصيرة وخوذة ذات شريط طويل) تبين مثل هذه المشابهة الملحوظة بين الختمين، وإن الختم الآشوري، وهو الأخير، لا بد وأن اشتق من ختم أقدم، أي من ختم شوشنار، ومن كل نقوش أختام كركوك. ولم يكن آشور نيراري الثاني تابعاً للمملكة الميتانية حسب، بل إن الفن الآشوري في عهده كان يخضع لنفوذ السيادة الحورية الميتانية أيضاً. ومن جهة أخرى، تبين نقوش الأختام الآشورية منذ عصر أريا أدد وآشور أوبالط أن هذا النفوذ قد تم التخلص منه». (مورتكات 1975: 332).

«أما الأختام الأسطوانية لهذا العصر فإنها لم توفر سوى مجال تصويري من بضع سنتمترات مربعة، وفي ظل هذه الظروف الشاقة كان على نقاش الأختام أن ينحت الأشكال الصغيرة نحتاً معكوساً من حجر صلب، ومع ذلك يبدو على وجه التأكيد، بأن هذه العقبة قد زادت من مهارته التقنية وقدرته الفنية. وعلى غرار طباع النقود الإغريقي كان نقاش الأختام الآشوري في العصر الوسيط مضطراً بسبب ضيق المساحة، إلى أن يمارس في تركيباته التصويرية أعظم تركيز في أشكاله، وأن يقيد نفسه بالشيء الضروري، ومع ذلك فإن صغر المجال لم يقلل من العظمة الداخلية لتلك النقوش». (مورتكات 1975: 364).

العصر الآشوري الحديث (1911 ـ 612 ق.م):

1. الميل لتجسيد قوتهم بطريقة واقعية لا تخلو من نزعة تعبيرية تجسّد رفعة دولتهم وألم أعدائهم وحيوانات صيدهم.

2. تجسيد روح الفن الشرقي في الجداريات والنحت البارز والنقش على القطع الصغيرة من الأختام الأسطوانية والتمائم، حيث تمّ تمثيل الوجه والعين والساقين من الجوانب (جانبياً) والجذع من الأمام (جبهياً).

3. الاهتمام بتزيين جدران قصور الملوك بالنقوش والنحت البارز الذي يجسد منجزاتهم وانتصاراتهم، وهو ما جعلهم يتفوقون في فن الجداريات المنحوتة ويقدمون أرقى نماذجها.

4. الميل للموضوعات الدنيوية والمنجزات المدنية والعسكرية، والتقليل من الموضوعات الدينية.

أهم نماذج الجداريات الآشورية في القصور:

1. جداريات قصر الملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث في (تل بارسيب).

2. مشهد لحملة الملك سرجون الآشوري الثامنة على مملكة أورارتو (أرمينيا الحالية) عام 714 ق.م، في دور شروكين (خرسباد).

3. جداريات قصر الملك الآشوري سنحاريب في نينوى ضد المتمردين عليه مثل مشاهد حملته على جنوب بلاد بابل.

4. جداريات قصر سنحاريب.

5. الجداريات الثلاث في قصر الملك آشور بانيبال وهي غنية بالمواضيع العسكرية الدرامية مثل سهام الصيادين التي تنبت في لبؤة وهي تسحب أرجلها الخلفية والأسد المصاب بسهم في صدره.

وصلت العمارة الدنيوية في بلاد الرافدين ذروتها في القصور الآشورية لملوك السلالة السرجونية (سرجون، سنحاريب، سرجون، آشور بانيبال) التي لا تضاهيها أية عمارة قديمة في تنوعها وفخامتها.

أما اللوحات المجسمة القصصية في جدران قصور مدن نمرود (كالح) وكوينجك (نينوى) وخرسباد (دور ـ شروكين) فتشكل بحق معجزة فنية فهي عبارة عن لوحات متصلة تحكي حملة حربية أو مشاهد صيد متتابعة الأحداث مثل قصة أو رواية أو شريط سينمائي، وفي بعض اللوحات المجسمة يظهر تفاوت مقاييس المضمون في القرب والبعد، وهو ما يشير إلى محاولة الآشوريين في إبراز المنظور في فنهم.

أما النحت الفراغي فقد برعوا فيه حين نحتوا تماثيل للآلهة والملوك بالحجم الطبيعي وتشير نقوشهم على شرائط مسطحة من العاج إما بطريقة التحزيز أو بطريقة اللوحة المجسمة تجسيماً خفيفاً إلى براعة قلّ نظيرها، وكذلك تلك الأختام الأسطوانية الباهضة الثمن والمصنوعة من أحجار كريمة والتي تجسد الموضوعات الأسطورية بشكل خاص.

لكن مأثرة الآشوريين كانت في النصب والمسلات التي تحتل المنـزلة الوسطى بين التمثال والنقش مثل نصب شمشي رمان الثاني حيث يوضع تمثال الملك المنحوت جانباً داخل كابينة حجرية منقوشة أو مكتوبة، وكذلك المسلات الآشورية المتميزة مثل مسلة شلمنصر الثالث وغيرها.

لقد ظُلم الفن الآشوري كثيراً حين قالوا عنه أنه ضخم وساذج وساكن وغير ذلك من الأوصاف، فضخامته كانت مجسّمة وعميقة، ولم يكن ساكناً بل كان تعبيرياً، ومن السخف القول بأنه ساذج بعد كل تلك اللوحات العملاقة في العمارة والنحت والرسم، والحقيقة أن هذه الصفات قد ترافق أي فن من فنون العالم القديم لكنها تتوقف عند الحديث عن الفن الآشوري، ويبدو لنا أن التركيز عليها في الفن الآشوري كانت له أغراض أخرى أهمها لفت الانتباه عن عظمة هذا الفن الذي هو ذروة فنون العراق القديم.

ثانياً: فن العمارة Assyrian Architecture

عكست العمارة الآشورية روح الحضارة الآشورية بشكل لا نظير له في الحضارات القديمة، فقد كانت مرآة هذه الحضارة وشكلها المتجسد على الأرض. وتميزت مظاهره بما يلي:

1. مادة البناء الأساسية: الآجر الرمادي.

2. مادة البناء الثانوية: الأخشاب والستائر التي غطت الجدران من الداخل في المعابد والقصور.

3. واجهات الزينة الخارجية: فن الزخرفة على الآجر المزجج، الذي تؤلف مجموع قطعه زخارف هندسية وحيوانات أسطورية بارزة قليلاً.. ولامعة بالألوان كثيراً، ونموذجها واجهات بعض معابد خورسباد.

4. واجهات الزينة الداخلية: فن التصوير الجداري الذي وصلوا به إلى القمة في تلوين جدران قصورهم في كل المواقع التي مرّ ذكرها؛ منها ما وجد في قصر تل بارسيب على الفرات الأعلى في أقصى المملكة (تل أحمر في سورية اليوم) التي تعد مثالاً للفن الآشوري، وهي بمساحة 130 متراً، تمثل رحلات صيد وتربية خيول وتعكس جمال الملابس التي كانت سائدة آنذاك (بعض تلك القطع موجودة في متحف حلب وكثير منها في متحف اللوفر في باريس).

5. النحت الحجري البارز على المرمر والذي رافق العمارة من الداخل والخارج وكانت أساساتها الحجرية حول الساحات أو داخل القاعات. ظهر هذا الفن في ذروته بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد. وكان إبداعاً آشورياً فريداً جسّد عظمة الحضارة الآشورية وملوكها، وكانت أهم معالمه قد تجسدت في نينوى ونمرود، مثاله النموذجي في مشهد صيد الأسود وهو من المرمر بارتفاع 92 ـ95 سم من عهد آشور ناصر بال الثاني الذي يظهر

لابساً سترة متواضعة وهو يرمي بالقوس السباع من على عربته. (موجود الآن في المتحف البريطاني في لندن) وكان يزين قاعة العرش في قصر الملك في نمرود.

6. العمارة الداخلية والأثاث: فن الترصيع والتنزيل بالمعدن والعاج في الأثاث الخشبي.

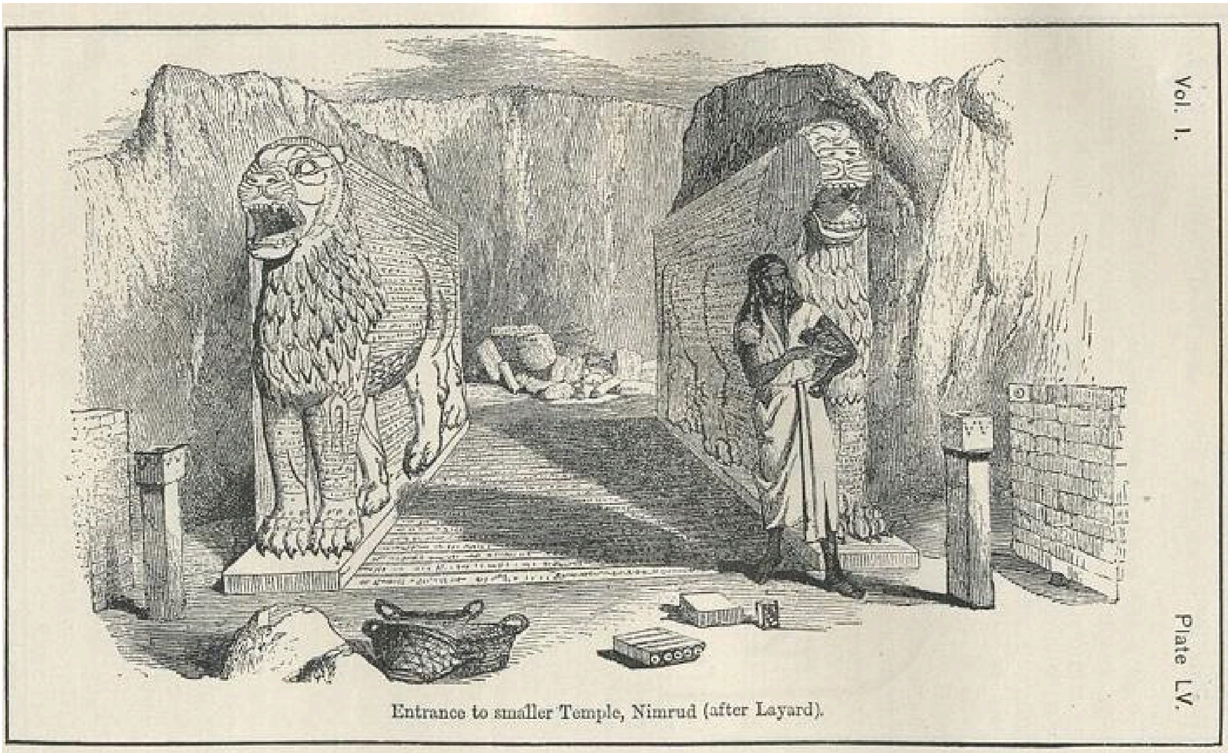
زقورات وأبراج المعابد

المعبد الآشوري ذو البرج أو الزقورة هو نمط آشوري مميز تم بناؤه دائماً على مراحل ومدرجات قد تصل إلى سبعة، وهناك التجاويف المربعة على كلا الجانبين، وهناك مدخل مربّع يوضع تحت جدار مضلع، بين برجين أيضاً.

وقد تم اكتشاف بقايا زقورات مشابهة لهذه في خورساباد ونمرود وآشور القديمة. تم العثور على التل المخروطي الذي استكشفه ليتضمن برجاً في سبع مراحل؛ تلك الخاصة بنمرود، من المفترض أن المراحل العليا شيدت بنفس الطريقة. نظراً لأن الارتفاع الحالي الفعلي للخراب يبلغ 140 قدماً، وقد انهارت المراحل العليا تماماً بعيداً، فمن النادر أن يفترض أن الارتفاع الأصلي كان أقل بكثير من 200 قدم.

إلى جانب الزقورات أو البرج، الذي ربما كان يعلو عادة المصلى أو الضريح، كان للمعبد الآشوري دائماً عدد من غرف الطابق السفلي، كانت إحداها المعبد الرئيسي للإله كان هذا عطلة مربعة أو مستطيلة قليلاً في نهاية شقة مستطيلة، حيث يحتمل أن يحتفظ الكهنة بالثياب الكهنوتية والأواني القربانية. في بعض الأحيان، وكانت زخرفة المعابد، للحكم على العينات القليلة المتبقية، تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في القصور. كانت البوابات العظيمة تحت حراسة الثيران الضخمة أو الأسود ترى مصحوبة بالشخصيات المقدسة المعتادة، وأحياناً مغطاة بالنقوش. تم تزيين المداخل وبعض أجزاء الغرف بالبلاطات المنحوتة، والتي لا تمثل هنا سوى الموضوعات الدينية. ومع ذلك، لم يتم تغطية نسبة كبيرة من المناطق الداخلية بهذه الطريقة، حيث كانت الجدران بشكل عام ملصقة فقط ثم

تم رسمها بأشكال أو أنماط. خارجياً، تم استخدام الطوب المينا كزخرفة حيث لم تخف الألواح المنحوتة الطوب الخام.



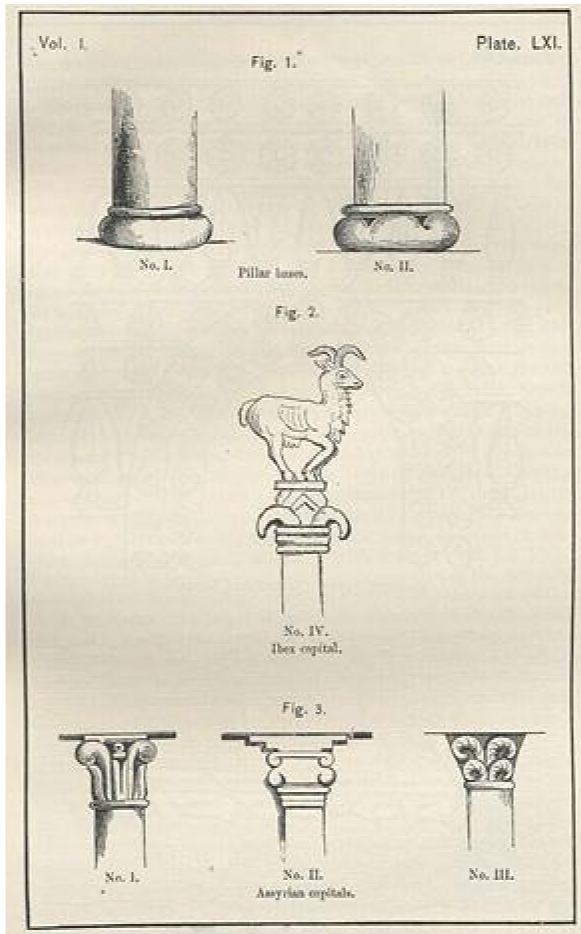
Entrance to smaller Temple, Nimrud (after Layard).

مدخل معبد آشوري محروس بلبوتين

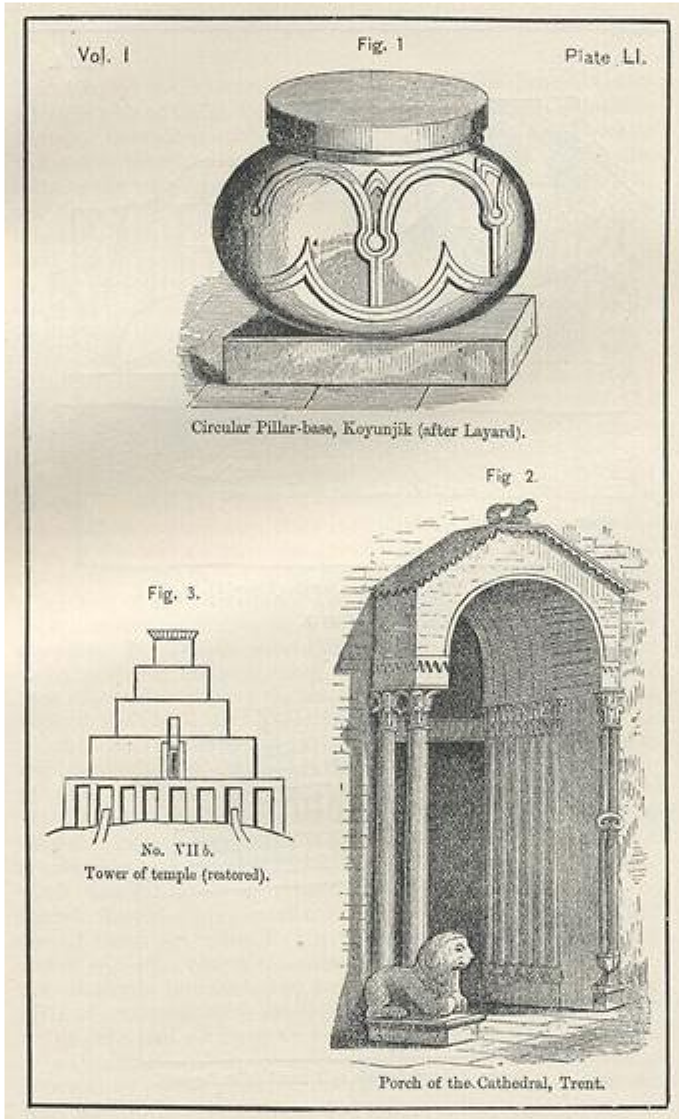
الأعمدة الآشورية

يبدو أن استخدام العمود في العمارة الآشورية كان نادراً جداً، ففي القصور كان بعضها موجوداً في المداخل الداخلية وكانت قواعد هذه الأعمدة من الحجر، وقد تم العثور عليها في الموقع. اختفت أعمدتها وعواصمها، في المعابد كان استخدام العمود أكثر تكراراً.
اختلفت أبعادها بشكل كبير، عادة كان قصيراً جداً وسميكاً للجمال، في حين أنه كان أحياناً يعاني من العيب المعاكس، وهو طويل جداً ونحيل. كانت قاعدته في بعض الأحيان بسيطة تماماً، وأحياناً تنوعت من خلال عدد قليل من القوالب، وأحياناً بشكل غريب. كان العمود في بعض الأحيان منقوشاً، بعضها تتكون من زوجين من قرون الوعل، توضعان فوق

الأخرى. حيث لدينا أولاً زوج واحد من قرون الوعل، ومن ثم، في القمة، تم تصوير شكل كامل من الوعل الذكري بيانياً للغاية.



نماذج من الأعمدة الآشورية



قاعدة عمود دائرية، وبرج معبد آشوري، ومقارنة مع مدخل كاتدرائية مسيحية في مدينة ترنت. (Rawlinson 2016)

1. عمود وتاج الثورين الآشوري: كان هذا العمود هو الأكثر شهرة في الأعمدة الآشورية التي كانت تزين القصور الآشورية، وقد نسخ الفرس الأخمينيون هذا العمود ونسبوه لهم. ويظهر في الشكل هذا العمود بطرازين أحدهما مع الحلقات الحلزونية تحت منحوتة التاج، والثاني مع زهرة البيبون الآشورية الواضحة، وهي من الرموز الآشورية.

2. العمود المتموّج التاج: وهو عمود مميز التاج يبدو مثل موجة زخرفية في شكله.

3. عمود التاج النباتي الأوراق: وهي أوراق نباتية لها علاقة بشجرة الحياة الآشورية وزخرفة أوراقها.

3. تاج لولبي وقاعدة بثلاثة فصوص.

4. تاج أقحواني وقاعدة حلقية.

5. تاج برعمي مزدوج وقاعدة بثلاثة فصوص.

ثلاثة أنواع من الأعمدة الآشورية الملساء الساق

رسم لينا الناصري

6. تاج الغزالة وساق محزز وقاعدة الحلقية.

7. تاج ثمرة الصنوبر وساق محزز وقاعدة بثلاثة فصوص.

8. تاج برعمي مزدوج وساق لولبي وقاعدة بثلاثة فصوص.

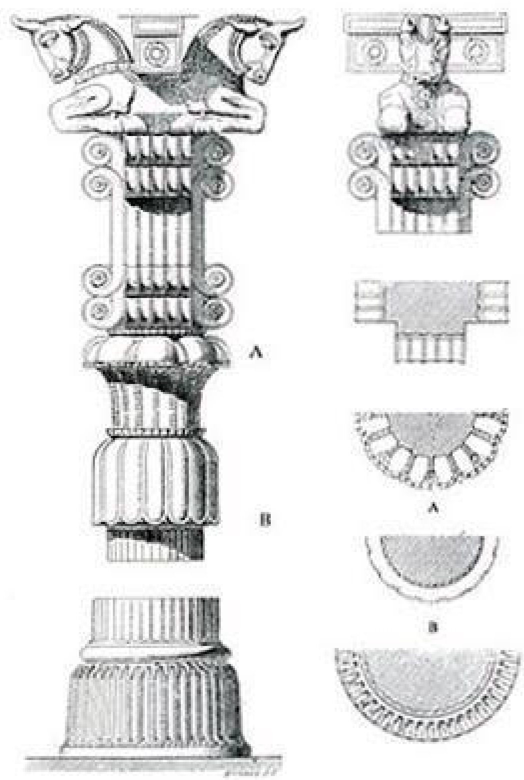
ثلاثة أعمدة آشورية مطرزة الساق

رسم: لينا الناصري

الجذور الآشورية للأعمدة الإغريقية:

1. العمود الأيوني: يشير تاج العمود الأيوني إلى أن بداياته الأولى كانت كتلاً مغطية تهدف إلى الامتداد ودعم العوارض والأعتاب، وهي تقنية بناء واضحة أكثر تفصيلاً في العمارة

الآشورية. هناك عناصر مستمدة من اللوتس المصري كانت آشور قد أخذتها من مصر عند احتلالها لها، والتي استخدمت أيضاً في برسيبوليس أيضاً بعد أن سقطت آشور بيد الميديين والبابليين، يشير إلى أن الإلهام النهائي للينابيع الأيونية كان من آشور. (على الرغم من أن برسيبوليس بدأ بعد قرن من ظهور الأيونية، إلا أن هندستها تعرض مستوى عالياً للغاية من التحسين، مما يشير إلى تقليد سابق طويل يرتبط بآشور).

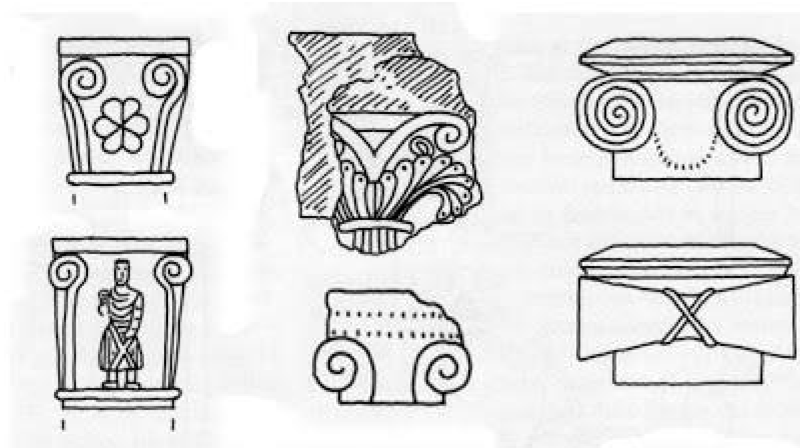


العمود الآشوري الذي طوره الفرس في عمارتهم

يمكن العثور على دليل مباشر على التأثير والتبادل في بقايا معبد هيرا في ساموس، حيث يجد المرء أحجاراً منحوتة تحمل نفس الحجم المضاعف كما هو الحال في برسيبوليس.

من الواضح أن التيجان الآشورية تحمل مجموعة كبيرة من المعاني ـ تلك الموجودة في برسيبوليس لها ثلاثة مستويات من الرموز: الثيران والحجوم واللوتس. تصور الأسلاف

الآشورية الأخرى الزهور والبشر ورق البردي أو لفائف البرشمان. وتظهر اللوحات المنحوتة في أنقاض قصر نينوى بعض التفاصيل المعمارية التي بناها الآشوريون من بين هذه التفاصيل كانت العواصم المطوية (العواصم ذات الزخارف الحلزونية الشبيهة بالتمرير في الأعلى)، وبدا أنها مشابهة للتيجان اليونانية الأيونية والكورنثية، والتي كانت لها أيضاً حلية حلزونية.



«من قصور خورسآباد تم الحفاظ على وظيفة العمود المربع، من جميع النواحي الأثريّة في اليونان، وكانت النتيجة هي تكرار الأشكال النخيلية باستمرار على المزهريات اليونانية والمعابد اليونانية المبكرة. مع التطور الأرقى لهذه الأشكال، من خلال ارتباطها بالتاج الوظيفي، الذي نهتم به في الوقت الحاضر. باعتماد شكل نخيلي (بالميتو) كزخرفة وسيطة بين الدعامة والكتلة المفروضة، كان انتشار الأوراق مقيداً بالضرورة. وبالتالي تم تعيين أهمية متزايدة للإسقاطات المجاورة للعمود. كان من الطبيعي أن يتم ذلك على شكل مجسم. وكان اللولب، في كل شيء، الشكل الأكثر إرضاء لديكور بلاد ما بين النهرين المبكر. لم يقتصر الأمر على نهايات الأقواس والسيوف وزخارف الأثاث المنحوتة والتطريزة الزركشية التصويرية للمخطط التفصيلي». (Clarke 1886: 1-20).

يقوم فن الأعمدة الأيونية بتلخيص جميع هذه الرموز وخلطها، وكان هذا عبقريتها. الثور ذو القرنين الآشوري؛ اللوتس المصري. مخطوطة البردي، رمز العقل البشري؛ تسلسل فيبوناتشي، الهندسة المقدسة التي ترمز إلى نمو الطبيعة ـ كل هذه المعاني تجتمع معاً في مجسمات العاصمة الأيونية ـ مزيج كبير من المعرفة القديمة ورمزاً فوق كل مجد أيونيا القديمة. انظر: (Architectural Watercolors: 2011.)

http://architecturalwatercolors.blogspot.com/2011/12/ionic-order.html

2. **العمود الكورنثي:** يقال أن النحات الكورنثي والمهندس المعماري كاليماخوس هو من اخترع هذا العمود، حيث تروي قصة أسطورية استلهمها من علامة لفتاة ولدت طفلة وماتت طفلتها فوضعت سلة على قبرها مع بلاطة سقف عليها لحماية القرابين داخل السلّة. وفي الربيع، نمت الأكنثوس حول السلة، وضغطت سيقانها الصغيرة على شكل قطع بواسطة البلاط المتدلي. اشتهر كاليماخوس بتقنيته النحتية الشجرية ويعود الفضل إليه في كونه النحات الأول الذي يقوض ويحفر الرخام لخلق جمال جديد لها.

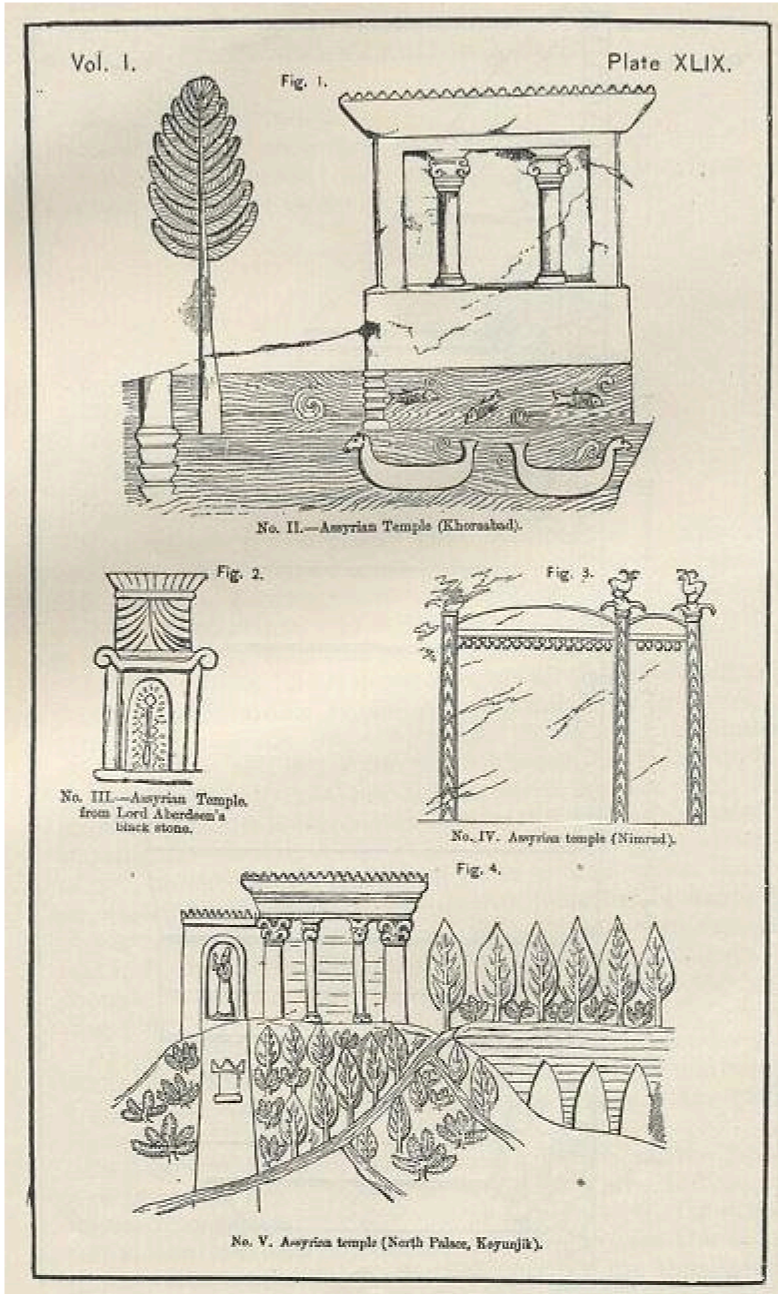
العمارة الآشورية صنعت أعمدة بتيجان أوراق نباتية تشبه الأكنثوس، ولكن التعقيد الزخرفي الشديد للنظام الكورنثي واعتماده على زخرفة أوراق الأكنثوس الطبيعية هي علامات أكيدة على أننا لا ينبغي أن نتعب أنفسنا البحث بعمق عن المعاني الخفية فهي ترتيب زخرفي، وهو انفجار زخرفي معقد ومبتكر ـ خلق واعٍ ذاتياً. ويظهر كنوع من التاج الحزامي في النقوش البارزة الآشورية في بعض الأعمدة الآشورية قد تكون مع التيجان المصرية المقاربة لها جذراً للتاج الكورنثي.

3. **العمود الدوري:** البارثينون في أثينا، الذي بني في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، هو المثال الأيقوني لعمود يمتاز بساطته ومظهره المهيب معاً. له جذع سميك وبلا قاعدة مميزة. ينقص قطره كلما ارتفع عالياً. لينتهي بتاجٍ غير مزخرفٍ وقاعدة عليا مربعة. كانت بدايات صنعه من الخشب، ثم صنع من الحجر ثم المرمر، وهو العمود الأقدم الذي ظهر في بلاد الإغريق.

الآشوريون ابتكروا العمود المربع والمجرد البسيط الخالي من القاعدة السفلية والذي كان يستخدم في الأثاث وكعمود داخلي، وقد يكون هذا مصدر إلهام مبكر للإغريق في تطوير العمود الدوري وابتكاره.

أولاً: العمارة الدينية

المعابد الأرضية: هي البيوت الأرضية للآلهة والتي يتواصل كهنتها مباشرة مع الناس، وتظهر فيها تماثيل الآلهة كرموز لها.



واجهات المعابد الآشورية (Rawlinson 2016)

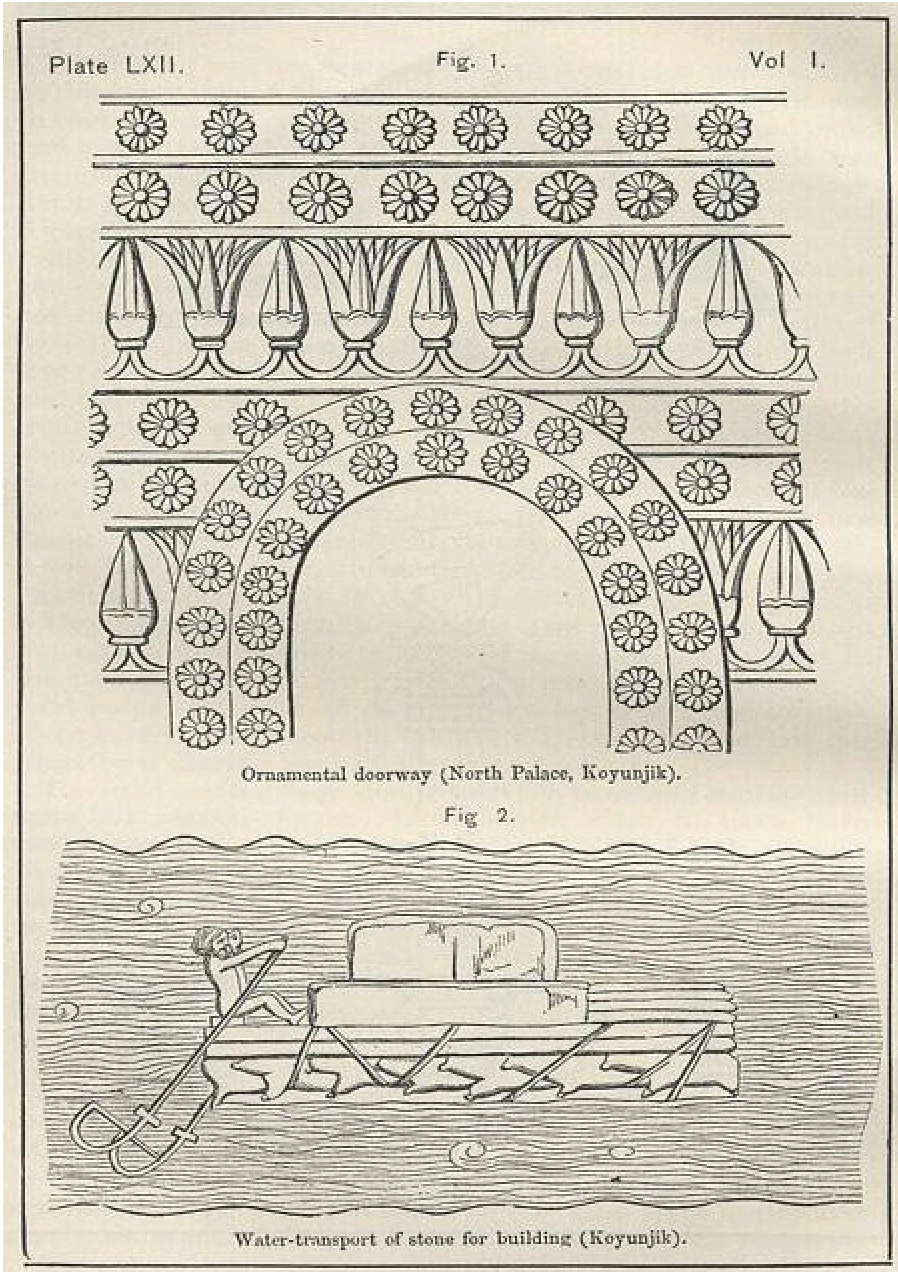
1. معبد الإلهة عشتار والإله آشور في مدينة آشور: هي البيوت السماوية للآلهة، والتي تتكون من عدة طبقات تمثل نقطة التقاء الأرض بالسماء وتكون الطبقة العليا لها مقراً للإله.

المعابد العالية (الزقورات): كانت الزقورات الآشورية هياكل قائمة بذاتها تماماً، وتم ربطها بمباني المعبد السفلية، وقاعدتها عبارة عن وسادة في قلب الزقورة، في المعابد الآشورية في الألفية الأولى، تم ضم هذه الزقورات الصغيرة نسبياً إلى معظم المعابد الرئيسية كما في معبد أدد في آشور.

«ربما تكون الزقورة العظيمة قد نشأت في زمن شمشي أداد الأول، لكنها كانت مخصصة خلال الفترة الآشورية الوسطى (القرنان الرابع والثالث عشر قبل الميلاد) واستعادها شلمنصر الثالث (858-824 ق.م). وقياسها 61 م × 62 م عند القاعدة؛ الارتفاع الأصلي وطريقة الوصول غير معروفة. تم تزيين الواجهة بفتحات متدرجة (بعمق 76 سم بين الأعمدة بعرض 1.80 م). شرق الزقورة، التي وقفت بمفردها في محيطها الخاص، هو موقع القصر القديم الآشوري القديم بمخططه شبه مربع تقريباً (110.5 م × 112 م × 98.30 م × 98 م). كان يتألف من فناء كبير واحد والعديد من الأفنية الصغيرة، محاطة بغرف ضحلة مستعرضة». (LEICK 2003: 23).

النقوش المعمارية

حفلت العمارة الآشورية بكثير من أشكال النقوش المعمارية التي كانت تزين الواجهات الخارجية أو الداخلية للمباني.



النقوش المعمارية وكيفية نقل الحجر للبناء (كوينجق)

ثانياً: العمارة الدنيوية

القصور الآشورية: تشكل القصور الآشورية مأثرة عظيمة في فن العمارة العراقية القديمة، فقد تبارى الملوك الآشوريون في العصور الآشورية المتتابعة بتشييد القصور التي وصلت

إلى درجة كبيرة من الحجم والفخامة لم يسبق لها مثيل في بلاد النهرين.

وتتشابه القصور الآشورية في التخطيط العام فيقام القصر على أرض مستطيلة يحيط بها أسوار عالية فيها عدة أبراج للحراسة وعرف الآشوريون استعمال الأعمدة والعقود في مشيداتهم وكان جسم العمود الأسطواني أملس ويعتليه تاج.

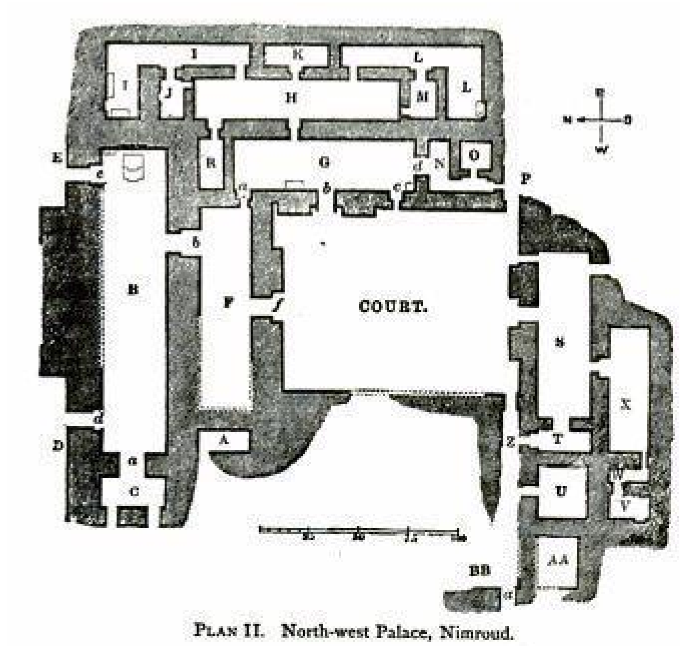
وتنقسم إلى أنواعٍ هي القصور المركزية للملك أو الحاكم، والقصور الملكية الترفيهية، وهناك القصور الثانوية للأمراء والأثرياء. ولعلّ أهم القصور الكبرى الآشورية هي:

1.قصر آشور ناصربال الثاني في كالح

اشتهرت قصور الملوك الآشوريين بفخامتها المعمارية «ومع ذلك فإن آشور ناصربال الثاني لم يكن يحتل منزلة خاصة في التأريخ السياسي لمملكة آشور حسب، بل وفي الفن الآشوري أيضاً، ويعود الفضل إليه ـ بقدر ما نستطيع أن نتحدث عنه اليوم ـ في أن القصر الآشوري الملكي أصبح، عن طريق اندماج العمارة والفن التصويري، وحدة فنية بدلاً من أن يكون مجرد بناء ليس إلّا. فهو لم يبدل الرسوم الجدارية إلى نحوت جدارية ناتئة في الزخرفة الداخلية للقصر الشمالي الغربي في نمرود حسب بل إنه جعل الفن التصويري الذي كان يزين غرفة العرش ممثلاً بكليته وموحداً للمفهوم الآشوري للملكية في كلا مظهريها نصف الأسطوريين الخارقين للطبيعة ونصف الحقيقيين والتاريخيين. وبعمله هذا أوجد نقطة انطلاق لتقدم الفن الآشوري خلال القرنين التاليين». (مورتكات 1975: 373).

كانت فخامة القصر تأتي من طرازه ونمط تكويناته الداخلية وعدد غرفه فنراه «مؤلفاً من عدة مجاميع من الغرف وضعت كل مجموعة منها بزوايا قائمة حول ساحة مربعة أو مستطيلة، وإن المجاميع ذاتها كانت بزوايا قائمة تشبه إحداها الأخرى. وقد تم الاستغناء عن سور خارجي موحد ومنتظم يحيط بالقصر كله. فهذا الترتيب للمخطط الأرضي يجعل أول قصر آشوري حديث في الواقع آشورياً حقاً ورمزاً للمفهوم الآشوري للملكية. ولكن ينبغي علينا أن لا نتغاضى عن المظاهر الأخرى التي تميزه عن بناء أدد نيراري الأول من

العصر الآشوري الوسيط، ولا تظهر هذه المظاهر في ترتيب الغرف، أو في العلاقة العامة للغرف والساحات، وإنما تظهر بالأحرى في الناحية الجنوبية من الغرفة (ب)، وموازية لها، توجد غرفة مستطيلة أصغر، هي الغرفة (ف) لها باب في جدارها الجنوبي يؤدي إلى الساحة الداخلية للقصر ويربط الجانب الغربي من غرفة العرش بمبنى صغير السلم يمكن الاستدلال عليه بالمقارنة مع جملة قصور ملكية آشورية أخرى من العصور الحديثة». (مورتكات 1975: 366 ـ 367).



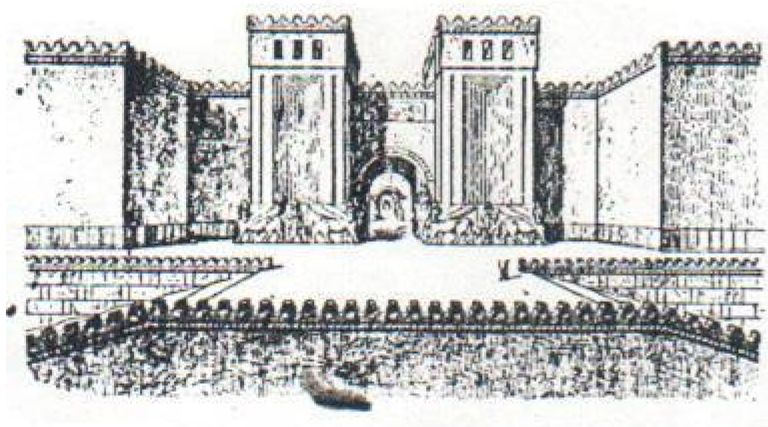
المسقط الأرضي لقصر آشور ناصربال الثاني في كالح

(Bertman 2003).

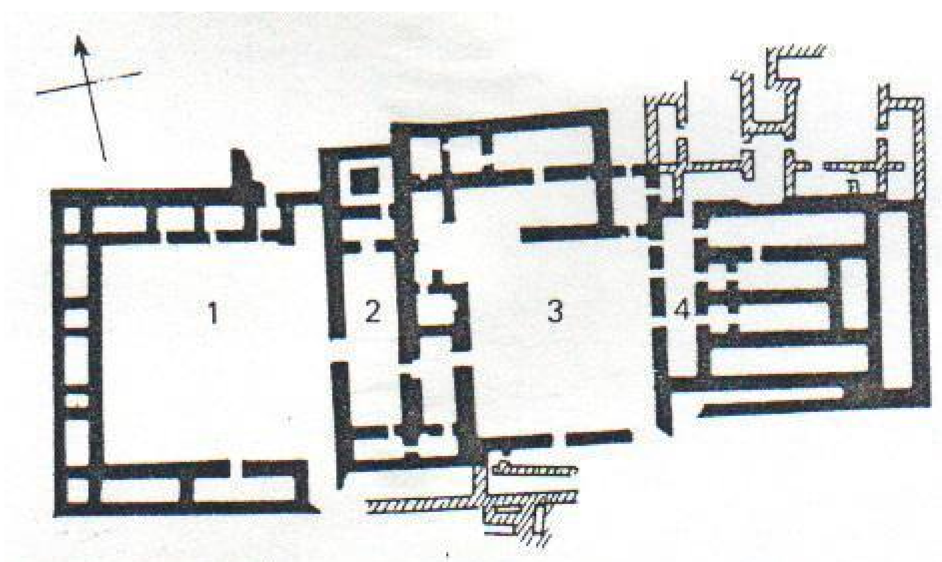
2. قصر سرجون الثاني في (دورشروكين):

يعتبر قصر الملك (سرجون الآشوري) في مدينة شاروكين (خرسباد حالياً) أهم النماذج، فقد شيد على مساحة 25 فداناً، وحجب القصر عن المدينة سورٌ عالٍ تعلوه أبراج عالية،

وقد تميز مدخل هذا القصر بثلاث بوابات ذات عقود مستديرة يحيط بها أبراج شامخة للحراسة، وفي مداخله تماثيل فخمة جداً لـ (الثيران المجنحة) وهي بمثابة حارسة القصور والمدن.



الواجهة الغربية الشرقية لقصر سرجون



مخطط أساس لقصر آشوري في أرسلان تاش (شمال سوريا) يتكون من أربعة مكونات رئيسية هي:

القاعة الأمامية، 2. غرفة العرش، 3.البلاط الداخلي، 4. المعبد

أما داخل القصر فهناك نقوش بارزة على ألواح مرمر تغطي الجزء الأسفل من الجدار وتوضّح الغزوات الحربية التي انتصر فيها الآشوريون، وكانت هذه الغزوات مسجلة بترتيب تاريخي وبالتفصيل حيث الجيوش الآشورية تتقدم لملاقاة الأعداء وإلحاق الهزيمة بهم مع الغنائم والأسرى وتوضّح تاريخ الحملات كتابات أعلى الصورة. وإذا كثرت الغزوات توضّح المناظر المنقوشة في إفريزين أحدهما فوق الآخر تفصلهما كتابة.

3. قصر سنحاريب في نينوى:

«وأكثر من هذا فلم يتم التعبير الإغناء بأعمال آشور بانيبال الغنية وحدها حسب، فلأول مرة في الشرق القديم نجد في هذه الأعمال صفاء وانسجاماً للصيغة على غرار تلك الصيغة التي كان حمورابي ملك بابل العظيم يود أن يبلغها إلى الإنسانية عندما (كما كتب ذلك) جعل الناس يستريحون في مروج آمنة، وجعل ظله الجميل يخيم على مدينته. ففي عبارات مماثلة تماماً كان آشور بانيبال يتحدث عن عهد حكمه كما لو أن مملكته لم تخض معركة ضارية تماماً في سبيل بلاد آشور، وكما لو أنه أعاد مرة أخرى تقديم السعادة التي سادت في عصر فجر التاريخ، أي صورة من عصر ذهبي. لقد كانت أقاليم العالم الأربعة منظمة بلطف أشبه بالزيت الصافي (206). وكانت الأسود تتمشى في بساتين الكروم والنخيل في قصره في أعقاب المغنين المسحورين بالأنغام للموسيقى الدينية المبعثة من السناطير والقيثارات». (مورتكات 1975: 422).

«تمثل عمارة ومنحوتات القصرين في نينوى الفن الآشوري الحديث في ذروة تطوره النهائي التي سبقت مباشرة انهياره المفاجئ. فهذان القصران بعيدان جداً أحدهما عن الآخر من الناحية التاريخية، فأحدهما من عمل سنحاريب والثاني من عمل حفيده آشور بانيبال. ويمكن أن يؤرخ الأول منهما بكل دقة حسب المدونات الموجودة فيه بالسنوات العشر الأولى من حدود عام 700 ق.م. لكن القصر الشمالي شيد في سني الأربعينات بعد المعركة

الأخوية التي نشبت بين حفيدي سنحاريب وانتهت لصالح آشور بانيبال عن طريق استيلائه على بابل. ومجمل القصر كله في الزاوية الجنوبية الغربية من قوينجق يرقى تاريخه إلى عهد سنحاريب كما أن ألواح جدرانه يرقى تاريخها إلى ذلك العهد أيضاً. لأنها تحمل كتابة على ظهرها. ومع ذلك فإن من العسير جداً أن نوزع المنحوتات على الألواح الجدارية والتي عثر عليها أثناء التنقيبات. بين سنحاريب وحفيده آشور بانيبال، ذلك لأن قسماً كبيراً من المنحوتات في القصر الجنوبي الغربي في نينوى تعود في الأصل إلى عهد آشور بانيبال. ولقد عرفنا هذا الأمر منذ سنين عديدة من الكتابات على منحوتة كبيرة. من بين منحوتات أخرى، في الغرفة الثالثة والثلاثين وهي تصور معركة آشور بانيبال الحاسمة المدمرة ضد تيومان Toemman ملك العيلاميين في سنة 653 ق.م.». (مورتكات 1975: 426).

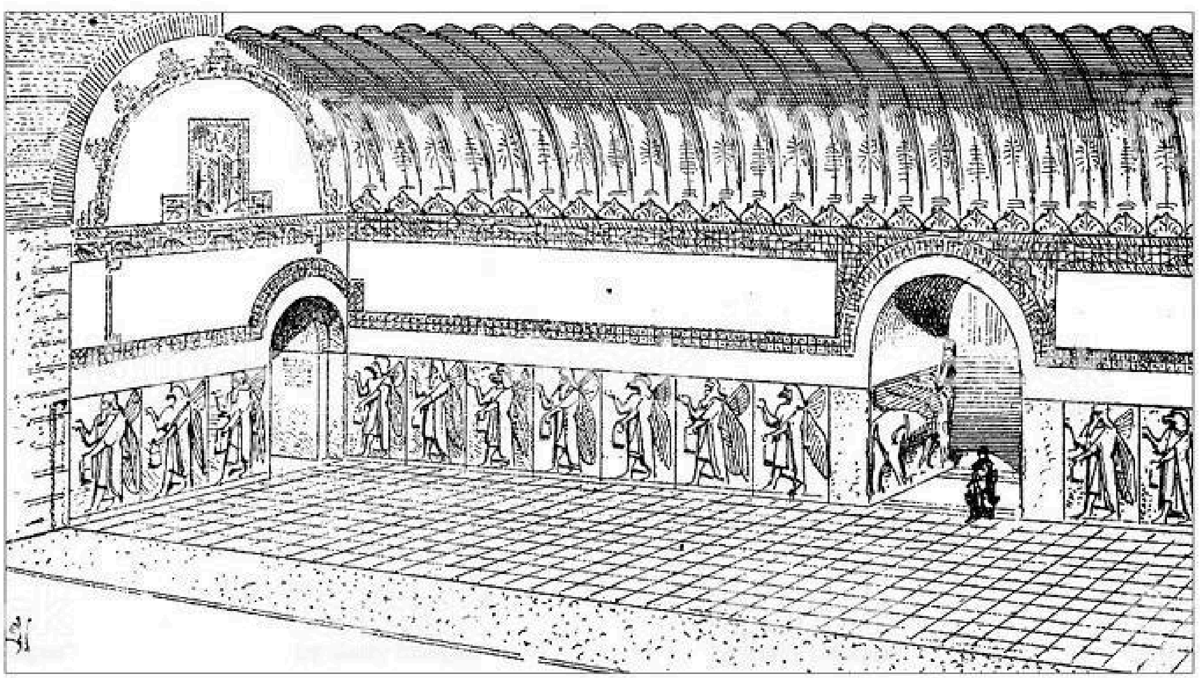
4. قصر آشوربانيبال في نينوى:

الآخر هو قصر في نمرود، الذي تم ترميمه أيضاً كمتحف للموقع. الغرف الأربعة المستعادة من جناح، غرفة العرش، المعينة H وI وIV وV by Layardتحتوي على حوالي 100 لوح منحوت في مختلف حالات الحفظ. في اثنتين من هذه الغرف، الرابعة والخامسة، نجد أجزاء من كل لوح تقريباً، مما يجعلها أكثر دورات الزخرفة المحفوظة بالكامل في القصر. لم يتم نشر معظم هذه النقوش. يظهر البعض مواضيع غير عادية ويقدمون معلومات قيمة عن تكوين السرد البصري في زخرفة القصر الآشوري. يجب توثيق هذه النقوش في حالة فقد النسخ الأصلية أو تلفها وتوجيه جهود الحفظ المستقبلية.

«البلاطات الملكية الآشورية جمعت العالم، على نطاق غير مسبوق، وأدخلت قصورها طريقتين مختلفتين جوهرياً لتنظيم البلاط الملكي، يمكن وصفهما بـ «العتبات»
و«التجوال». كانت هذه المنظمة العامة موجودة بالفعل في عمارة القصور الملكية في كالح خلال القرن التاسع ويبدو أنها بقيت في مكانها حتى نهاية الإمبراطورية. كان بلاط العتبات ذات طابع إداري في الغالب ونظمت تدفق السلع والأشخاص والمعلومات إلى ثلاثة عوالم

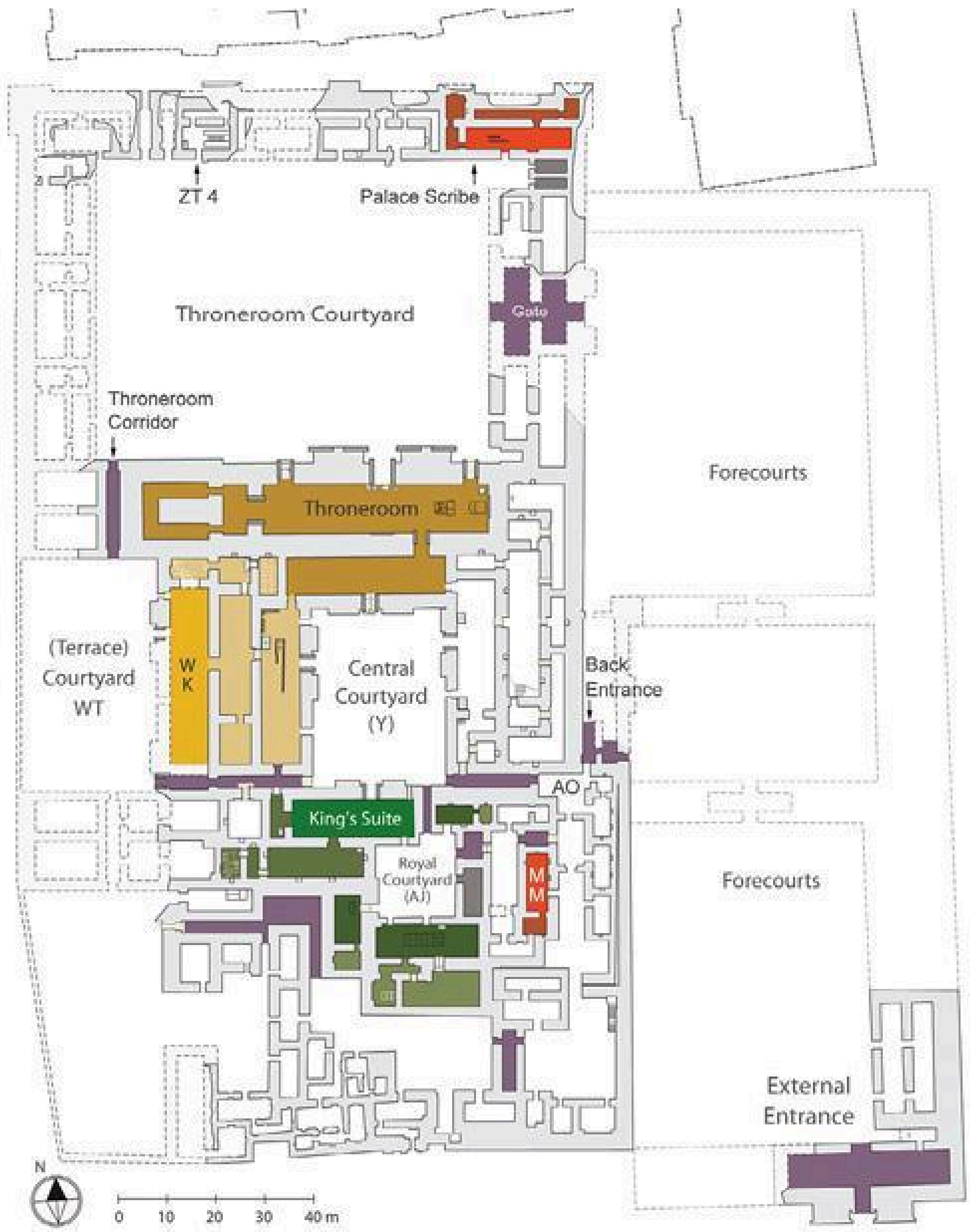
إدارية تتمحور حول عتبات كل منها. وكان بلاط التجوال حول النشاطات السياقية والسياسية. من خلال التحكم في التدفقات إلى القصر عند ثلاث عتبات وبالتركيز على التحكم في النشاط داخل بقية القصر، يبدو أن البلاط الآشوري قادر على التكيف مع التعقيد والحجم المتزايد للإمبراطورية، دون الحاجة إلى تغيير الهيكل المعماري الأساسي النموذج».(Groß& Kertai 2019: degruyter.com) .

لم يكن من السهل الوصول إلى الملك في قصره في العصر الآشوري الجديد. ومع ذلك، لا بد أنه كان أسهل على أحد أعضاء البلاط الملكي أن يقوم بزيارات منتظمة للملك أكثر مما كان عليه من أجل الحداد المعبد المنخفض الذي يسعى إلى تقديم التماس إلى ملكه والمرور من المدخل الرئيسي للقصر، مما يؤدي إلى الفناء الأمامي ومن هناك إلى بوابة فناء قاعة العرض، وقد تم التحكم في الوصول إلى الملك من خلال سلسلة من الضوابط، والضوابط يديرها أنواع مختلفة من موظفي القصر، من أفراد الأمن البسيط إلى مختلف المسؤولين رفيعي المستوى. وقف مسؤولو المحكمة هؤلاء عند العتبات الأكثر أهمية بين العالم الخارجي.



توضيح قديم لقصر نمرود (كالح) (Kalhu)

صورة أثرية لجزء من قصر مدينة نمرود الآشورية القديمة، مع زخارفها مثل لاماسو (تماثيل برأس إنسان ذكر، وجسد أسد أو ثور، وأجنحة)، ونماذج ألواح منحوتة، في رسم من القرن التاسع عشر.



القصر الشمالي الغربي في كالح (نمرود) كنموذج للتنظيم المكاني لقصر ملكي آشوري

https://www.degruyter.com/view/journals/jah/7/1/article-p1.xml

الجنائن المعلّقة بين بابل وآشور:

لم يُعثر في بابل على الجنائن المعلقة التي نُسبت للملك نبوخذ نصّر، وجرت تخمينات كثيرة في هذا المجال عن موقعها هناك بدأها المؤرخون والكتّاب الإغريق والرومان الذين لم يكن يميّزون بين بابل وآشور حين يذكرون وادي الرافدين.

وسبق أن ذكرنا أن الآثار لم تعطِ ما يؤيد وجود الجنائن المعلقة في بابل، وبقينا رهن المرويات التاريخية لبعض المؤرخين الإغريق القدماء والذين كان تعجّ كتاباتهم بالمبالغات أو التقزيمات للكثير من الآثار والأحداث التاريخية، ولذلك كانت تعتبر نصوصاً بحاجة لدعم آثاري لقبولها وهي بذلك تشبه المرويات الدينية وغيرها.

قامت الدكتورة ستيفاني دالي، وهي باحثة مرموقة في علم الآشوريات، بإجراء أبحاث نظرية وميدانية على مدى 18 عاماً واستنتجت أن الجنائن المعلقة موجودة في مدينة نينوى وليس في بابل، وقد قام ببنائها الملك سنحاريب وليس الملك البابلي نبوخذ نصّر، وقد تحدثنا عن تفاصيل الموضوع في مكانه.

ثانياً: النحت الآشوري

«أطلق على النحات في اللغة السومرية (LUBUR-GUL) تقابله في اللغة الأكدية المفردة (Palurkullu)، كذلك أطلق على النحات في اللغة السومرية مصطلح ثانٍ (ZA. DIM) تقابله في اللغة الأكدية المفردة (zadimmu) وهذان الاسمان أطلقا على الذين يعملون في مجال النحت». (المعماري 2006: 19).

يعتبر النحت الآشوري أعظم أشكال النحت العراقي القديم بل والنحت في العالم القديم بأكمله، فقد حقق الفنان الآشوري تنوعاً كبيراً في مواده، فقد استخدم الحجر بأنواعه المختلفة والبرونز والعاج، وكان موضوعه الأساسي هو تمثيل ملوك آشور العظام. وقد مثل النحت المجسم تماثيل الملوك الآشوريين بأجسام ممتلئة وبوقفات جامدة خالية من الحركة يمسكون بأيديهم كقادة عسكريين أدوات الحرب. ويرتدون لباساً طويلاً يغطي الجسم ويترك أصابع القدمين ظاهرة فقط، وقد حزم وسط الجسم بحزام عريض فتحول الجسم إلى كتلةٍ هامدة لا حركة فيها.

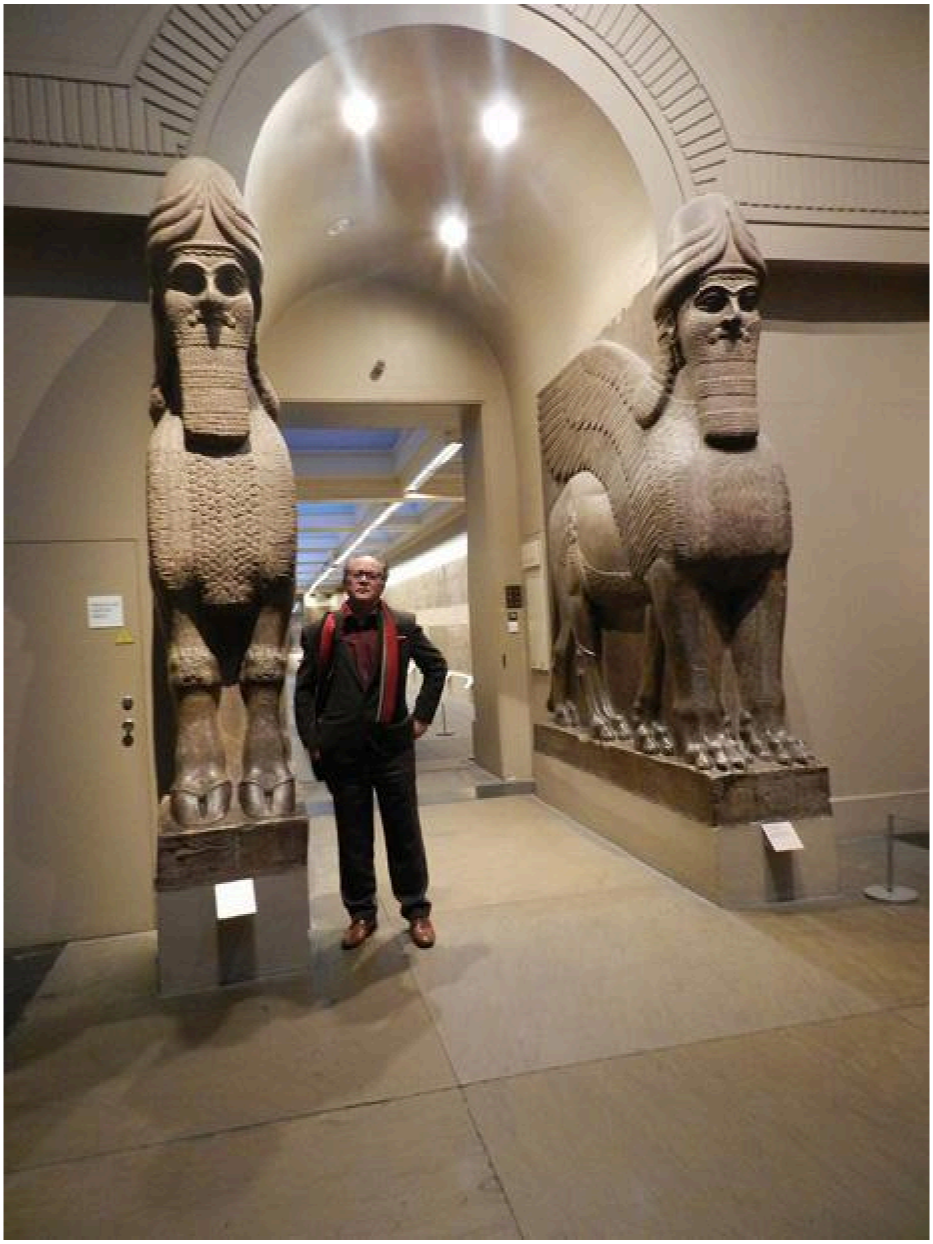
وقد حقق الفنان نجاحاً كبيراً في إبراز التفاصيل الدقيقة لتماثيله، فقد أبدى براعة في صياغة ملامح الوجه بشكل يليق بمقام الملك من معالم القوة والصرامة والكبرياء والشجاعة. وتمكن من صياغة شعر الرأس والذقن الطويل بشكل مهندم ومنتظم وواضح، وعالج عضلات الجسم وأظهرها بوضوح، وركّز على زركشة الملابس وأهدابها وأحسن مثال لذلك هو تمثال شلمنصر الثالث.

«ومن ملاحظة المنحوتات الآشورية نجد أن الزخرفة النباتية كثرت في الأشرطة وداخل المساحات التي تحصرها الزخارف الهندسية ويقل تفردها، وغالباً ما يلاحظ أنها تعتمد على زهرة الربيع اللؤلؤية والبيبون ومن هنا تميز هذا العنصر الزخرفي بخصوصية قلما نجدها في أية عناصر زخرفية أخرى. فقد استلهم الفنان الآشوري عناصره الزخرفية من النباتات والأزهار التي كانت تحيط به في الطبيعة، كما هو معروف فإن الطبيعة وما فيها من مصادر تعد أساساً لكل زخرفة. إن أروع الأشكال الزخرفية الآشورية المنفذة على الأعمال الفنية وأشهرها الوحدة الزخرفية الرمزية المعروفة باسم (شجرة الحياة) ومن أهم أشكالها شجرة النخلة، التي وجدت بكثرة في أعمال النحت الآشوري وقد اقتبس الفنان شكلها من البيئة التي كان يعيش فيها عندما كان يرافق الحملات العسكرية في القسم الجنوبي من العراق فكثيراً ما يلاحظ شكل هذه الشجرة مألوفاً في الفن التشكيلي السومري والبابلي والآشوري». (النجاري 2005: 19).

الصور البشرية وأغلب صور الآلهة المحفورة ثابتة في تشكيلها ولا فرق بين الواحدة والأخرى، فالرجال جميعهم لهم رؤوس كبيرة وشوارب غزيرة، وبطون كبيرة، وأعناقهم غير واضحة. ونرى أن الزمن ما بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد جعلت من هذا الفن الصلد ملهماً أساسياً للإغريق في نشأة الفن الكلاسيكي الذي ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد، فقد كانت مرحلة نشوء التمهيد له، والتي ساعدت عليها التماثيل الآشورية والمصرية. التي يمكن أن نسميها بالتماثيل الممهدة للكلاسيكية.

نماذجه المهمة هي تمثال آشور ناصر بال الثاني في نمرود من القرن التاسع قبل الميلاد وتمثال شلمنصر الثالث والأسود المجنحة والثيران برؤوس آدمية متوّجة حارسة البوابات التي أحكمتها أبواب خشبية مزينة بزخارف من البرونز كما في مدينة أم غربل (بلاوات).

وهناك الثور المجنح ذو رأس آدمي واللحية المستعارة، من قصر سرجون الثاني في خورسباد، وهو اليوم في متحف اللوفر في باريس، ومن صفاته المميزة أن له خمس قوائم. وإلى جانب ذلك وجد في المواقع الآشورية تماثيل حيوانات من الجص بحجوم صغيرة وأختام أسطوانية وتمائم تثير الدهشة لما فيها من دقة في تمثيل المخلوقات الخيالية والمشاهد الأسطورية.



الثور المجنّح بأرجله الخمسة في المتحف البريطاني في لندن

(المؤلف في زيارته للمتحف عام 2017)

النحت البارز (النافر)

«ولكن الأساليب الآشورية الخاصة كانت تتطور أيضاً، وكانت موضوعاتها مرتبطة بالعناصر التي وجدت في أوج ازدهار الفنون الآشورية المتأخرة لا سيما بالنسبة للنقوش النافرة المذكورة آنفاً. وما بين هذه الموضوعات نجد أزواجاً من الحيوانات المجنحة المتناظرة، وكان الواحد منها غالباً ما يواجه الآخر على كل جانب من جوانب الشجرة المقدسة. وكذلك القرص المجنح أو أحد الأبطال في المعركة أو مناظر الصيد بواسطة العربات وتظهر بعض هذه المناظر أنها من المجال الخرافي وهي توحي بأنه كانت الأعمال المشابهة في النقوش النافرة المتأخرة لها أحوالها في إضفاء صفة العلمانية على ما كان يُعرف مثلاً بالموضوعات الخرافية. ولكن ومع تلك المناظر التي كانت تبدو خرافية، فإن الأختام الآشورية في الأزمنة المتوسطة كانت تشتمل على أمثلة من مناظر الحيوانات ذات الخلفيات الطبيعية مثلاً: الماعز الذي يرتع بجانب شجرة أو الغزلان الواقفة بجانب الأشجار. وإن هذا الاهتمام الذي أبداه صانعو الأختام بالحيوانات البرية والمناظر الأرضية من الممكن اعتباره جد تلك المناظر الحية التي وجدت فيما بعد في الألواح التي تحمل نقوشاً نافرة». (ساغز 2008: 362 ـ 363).

هناك ثلاثة نماذج للنحت الآشوري البارز هي:

1. المذابح الآشورية المنقوشة بنحت بارز:



مذبح آشوري من معبد عشتار (توكلتي ـ ننورتا الأول) في آشور محفوظ في متحف الدولة في برلين

(Harper et al. 1995: 113)

2.النصب الملكية: ROYAL STELLE

وهي منقوشات تذكارية مرسومة بنحت على ما يشبه المسلات دون كتابة، تشير إلى أثر واحتفاء بالملك، وأهم نماذجها نصبا الملك شلمنصر الثالث في مكانين مختلفين:




يساراً: نصب كورخ لشلمنصر الثالث بملابس كهنوتية وهو يتعامل مع الرموز الإلهية أعلى رأسه، وهي من الحجر87×23 سم، وهي الآن في المتحف البريطاني.

يميناً: رليف الملك شلمنصر الثالث كملك وكاهن موقر (80×70 سم) في موقع نفق دجلة عند منابع دجلة.

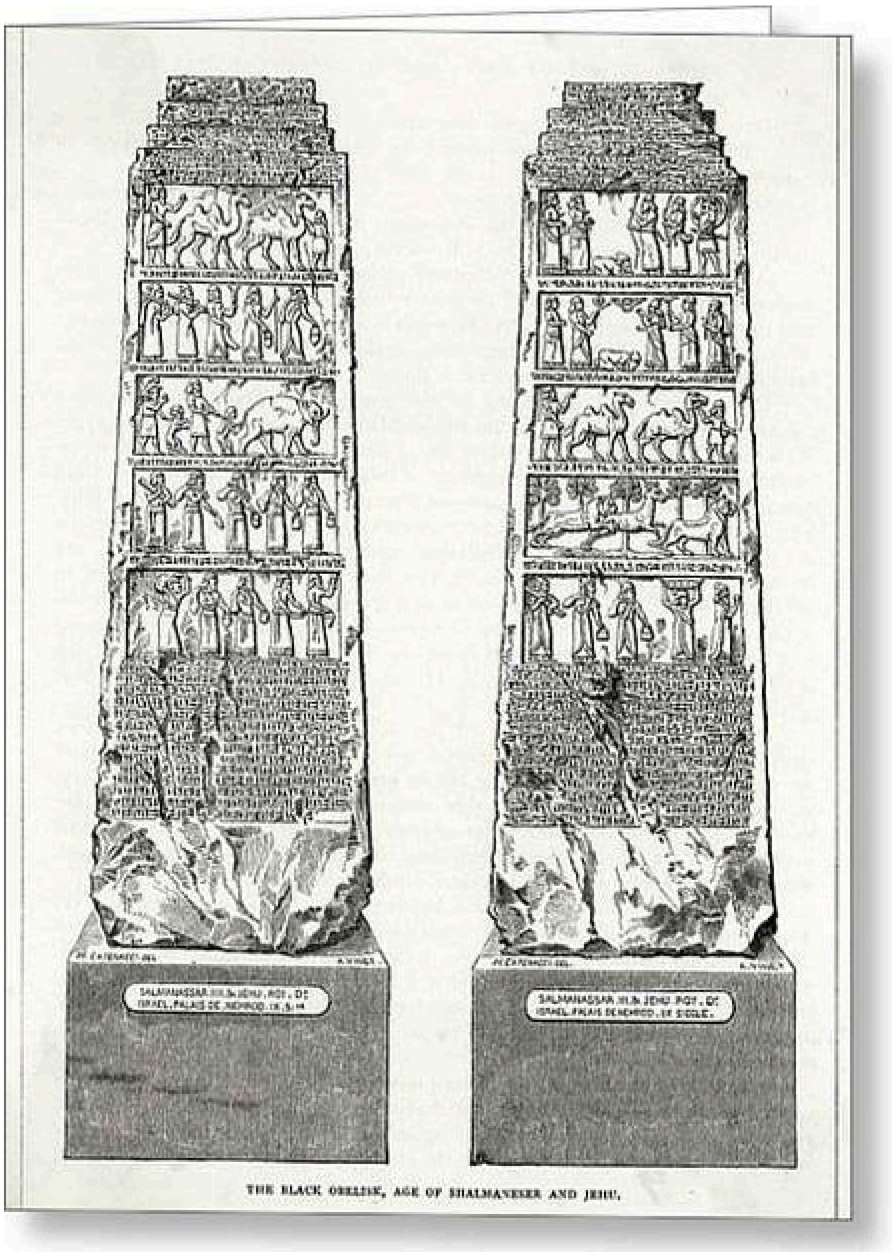
المسلات الآشورية

المسلات الآشوري نمط فنيّ وتاريخي مهم لتسجيل الأحداث وإعلانها، وهي قطع حجرية كبيرة مربعة أو مستطيلة، مقسمة أفقياً إلى خطوط أفقية توزع أحداث المشهد داخلها يمكن قراءتها بطريقة الرواية المسلسلة في تصوير الأحداث. وقد كانت هناك مجموعة من هذه المسلات سنتعرف عليها في هذا الجدول والصور المرافقة له:

المسلة السوداء:

المسلة السوداء أو مسلة شلمنصر الثالث السوداء واحدة من القطع الأثرية الأكثر شهرة من بلاد آشور القديمة، تم اكتشافها من قبل العالم البريطاني أوستن هنري لايارد في 1845م، وهي نحت على الحجر الجيري الأسود تعود إلى 824-858 قبل الميلاد، وشكلها يشبه الزقورة المتدرجة، يبلغ طولها 197سم وعرضه 45 سم ويرجع للإمبراطورية الآشورية الحديثة عثر عليها في نمرود، وهي تمثل أحياء لأعمال الملك الآشوري شلمنصر الثالث (حكم 858 ـ 824 قبل الميلاد) ومعروضة الآن في المتحف البريطاني.

الصلة بإسرائيل القديمة ـ على الرغم من أن ياهو غير مذكور في السنوات السابقة المختصرة من هذه الطبعة من الحوليات، فقد تم تصويره في النقوش. وفقاً للكتابات، فإنهم يصورون الجزية من الحكام التاليين (من أعلى إلى أسفل) ـ سوا جيلزانو، يهو بن عمري، مصر (لم يحدد أي حاكم)، ماردوك-أبلا-أوسور من سوهي، وكاربارووندا من باتينو. السجل الذي كتب عليه ياهو يظهر صورة تجلب الجزية والانحناء أمام شلمنصر. إذا كان هذا التوضيح هو في الواقع ياهو وليس مبعوثه، فستكون الصورة الوحيدة الموجودة لملك إسرائيلي قديم صنع خلال حياة هذا الملك.



THE BLACK OBELISK, AGE OF SHALMANESER AND JEHU.

المسلة السوداء بصفوفها المرسومة الخمسة من الجانبين

وتعتبر المسلة الآشورية الأكمل التي قد عثر عليها وذات أهمية تاريخية لأنها التصوير الأقدم للرموز التوراتية حيث تصور تقديم الجزية من مناطق وأشخاص معروفين، وقد شيدت على أنها نصب عام في عام 825 قبل الميلاد في زمن الحرب الأهلية.



نقوش الملوك وحاملي الجزية في المسلة السوداء

تصور المسلة عشرين نقشاً، خمس لوحات على كل جانب تصور خمسة ملوك مهزومين يقدمون الجزية ويسجدون أمام الملك الآشوري وهم:



الملوك الخمسة في المسلة السوداء

كل مشهد يحتوي أربع لوحات حول النصب وتم وصفها بنص مسماري فوقها يوجد في الأعلى والأسفل نقوش بكتابات مسمارية طويلة تسجل الأعمال السنوية للملك شلمنصر الثالث، حيث تعدد الحملات العسكرية التي يقودها الملك والقادة العسكرين لكل عام، حتى العام الواحد والثلاثين للحكم.

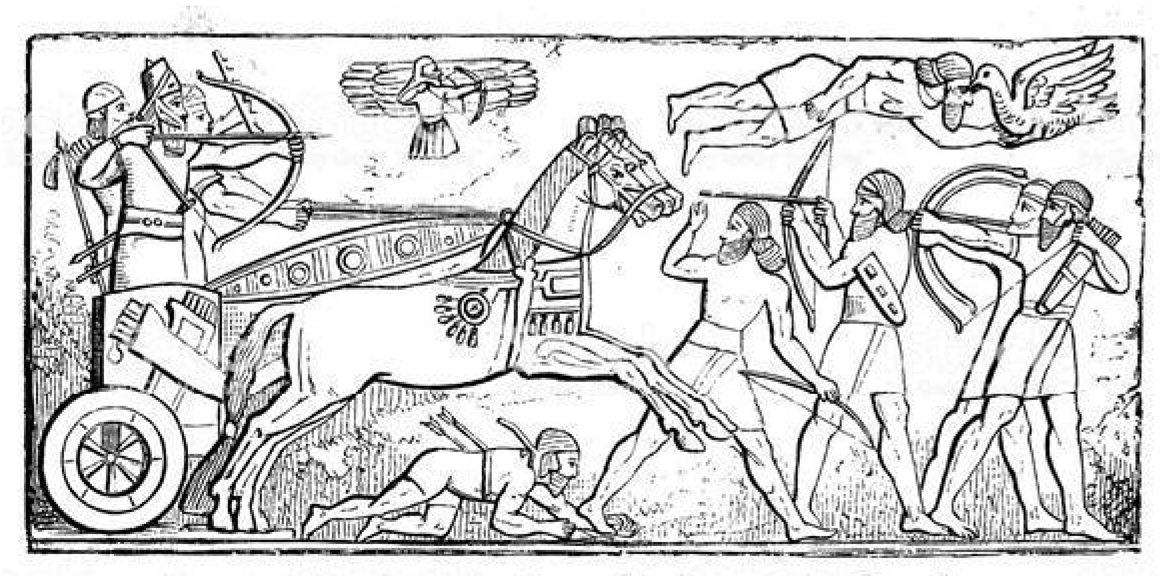
وتذكر المسلة كيف قدم ياهو ملك إسرائيل الجزية في عام 841 قبل الميلاد وأنهت مملكته تحالفها مع الفينيقيين ومملكة يهوذا وأصبحت خاضعة للإمبراطورية الآشورية

حيث تذكر الكتابات المسمارية حسب الترجمة:



جزء من المسلة السوداء يظهر ياهو من بيت عمري ساجداً بعد هزيمته في معركة قرقور ضد الملك الآشوري شلمنصر الثالث عام 853 ق.م

جزية ياهو ابن عمري: استلمت منه فضة وذهب، وعاء ذهبي ومزهرية ذهبية مدببة من «الأسفل وأقداح ذهبية ودلاء ذهبية وعلبة وأشياء للملك ورماح».



الكائنات الأسطورية (الثيران والأسود المجنحة): وهي مخلوقات مركبة من أشكال بشرية وحيوانية، والثيران أو الأسود المجنحة هائلة الحجوم ذات رؤوس بشرية متوجة بتيجان آلهة ذات قرون وهي مدهشة في تفاصيل تشريح جسمها، ولكل حيوان خمسة أرجل وأحياناً أربعة.



ثور مجنح برأس آدمي



تمثال الملك آشور بانيبال الثاني يرتدي رداءه الاحتفالي ويحمل سلاح في كل يد. التمثال الآن في المتحف البريطاني.

الألواح الحجرية (النقوش الجدارية): وهي شرائح من الحجر ذات أشكال منتظمة يتراوح ارتفاعها بين (2-3)م غُلفت بها جدران قاعات القصور الآشورية من الداخل كما ذكرنا، وتمثل مشاهدها أطول مساحة قصصية عرفت في عالم الفن القديم (ربما تصل إلى ميل ونصف الميل في قصر خرسباد)، بدأ صنعها في زمن الملك آشور ناصر بال، والتي جمعت

بين فن الجداريات في الرسم أو النحت وفن الإفريز الذي كانت تنقش عليه زخرفات معينة. وكانت الرسوم النافرة لفن الجداريات الآشورية في عصر آشور ناصر بال تقدم مضمونين مختلفين ومتعارضين هما:

1. الجداريات الدينية: وهي الجداريات التي تربط الملك بالإله آشور، وتضع الشجرة الآشورية المقدسة وحولها شخصان يواجهانها ويمثلان شحصية الملك وهو يرفع يده اليمنى بثلاث أصابع مثنية والسبابة والإبهام يؤشران وهي إشارة احترام وتقديس من الملك للشجرة المقدسة وللإله الذي كان رمزه فوق الشجرة. ويكون فون الشجرة قرص الشمس المجنح وله ذنب صقر يتوسطه الإله آشور. وقد يمثل هذا القرص ابن آشور وهو الإله ننورتا.

2. الجداريات الدنيوية: وهي جداريات الصيد والحرب والعمل وأنشطة الجيش الآشوري كالحصار والمعارك والأسرى.

أهم الجداريات:

1. بلاوات على الأبواب الخشبية.

2. مشاهد الصيد في زمن آشور بانيبال نحت جداري من قاعة العرش.

النقش الغائر:

ازدهر فن النقش الغائر في الأسرة السرجونية بشكل خاص، أجمل آياته تحفة يرجع عهدها إلى أيام آشور بانيبال الثاني. وهي من المرمر النقي وتمثل، كما هو شائع، مردوخ وهو يهزم تيامت، وقد اختلف في هذا النقش العلماء فوصفه البعض، ونظن أنه إله البرق أدد أو ننورتا وهو يهزم طائراً وحشياً مجنحاً ربما شابه تيامت وعلى الأرجح هو طائر الزو الذي هزمه ننورتا وهو يجسد هذه الأسطورة.

ارفع النقوش الغائرة الآشورية هي نقوش الحيوانات التي تجسد مناظر الحرب والصيد، كالأسود والكلاب والخيول والدببة والظباء والحمير والماعز والطيور وغيرها، وهي في حركتها الطبيعية وجراحها وفزعها، فقد كانت تعبيرية بالمعنى الدقيق للكلمة، وربما كانت هذه هي فسحة الفنان الوحيدة ليجسد انفعالها، وهو بعمله هذا رفع مستوى نقوسه إلى أرفع مقامٍ لم يعرفه فن النقش في تاريخه كلّه. وسنسمي بعض هذه الحيوانات بمرافقة الملوك الذين ظهروا معها أو في قصورهم:

الأسود:

1. اللبوة المحتضرة في قصر آشور بانيبال في نينوى.

2. اللبوة المستريحة.

3. اللبوة الجريحة في قصر سنحاريب.

4. أسود آشور بانيبال يصيدها بسهامه.

5. أسود آشور ناصر بال الثاني.

الخيول:

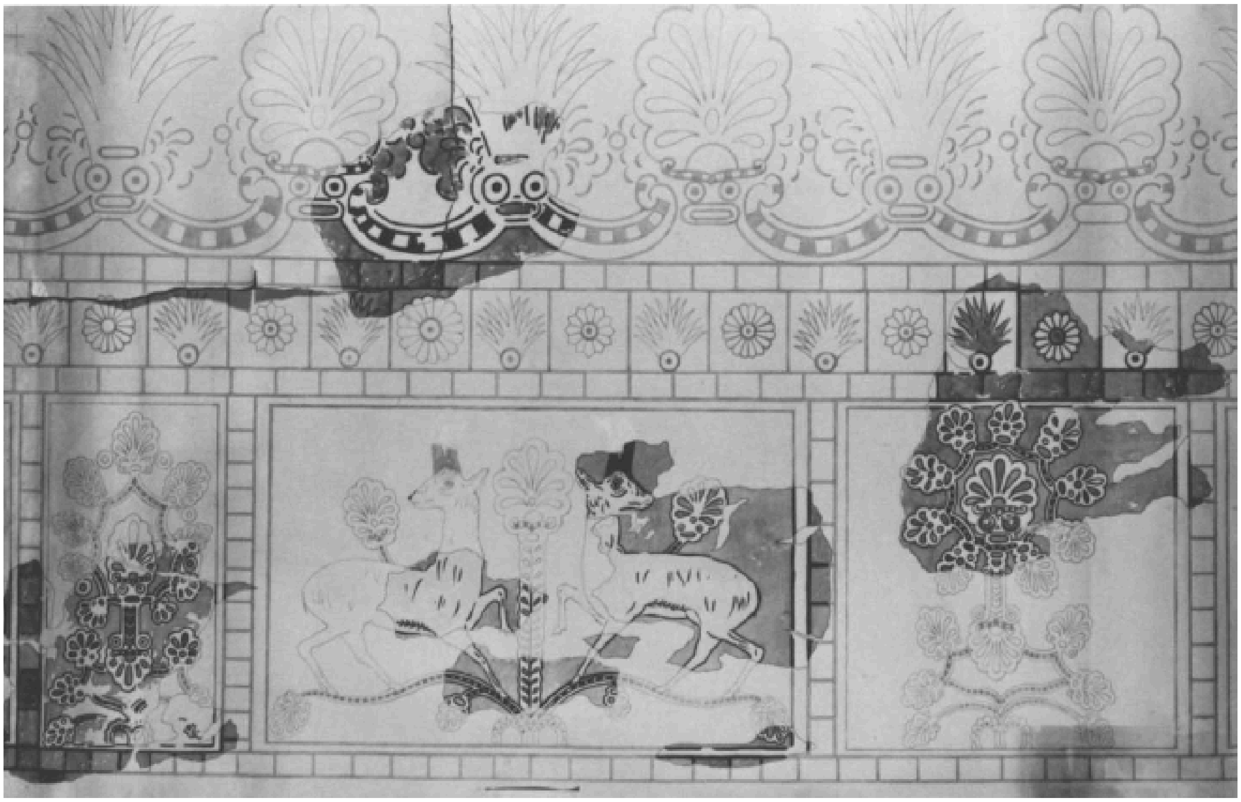
1. خيول سرجون الثاني في نقوش خراساباد.

ولسنا ننكر أن تمثيل الأشياء الطبيعية عن طريق الحفر كان عند الآشوريين فناً فجاً خشناً يجري على سنن جامدة محددة، وأن أشكاله ثقيلة غير ظريفة، وأن خطوطه قاسية عسرة، وأن العضلات مبالغ فيها كثيراً، وأن كل ما روعي فيها من قواعد المنظور لا يعدو وضع الشيء البعيد في النصف الأعلى من الصورة بنفس الأبعاد التي رسم بها ما هو أقرب منه إلى الراسم، وما وضع من تحته في الصورة، على أن المثالين في عهد سنحاريب عرفوا كيف يعوضون هذه العيوب بما أخرجوه من صور واقعية قوية، مصقولة حسب الأصول

الفنية، مثل فيها الفنانون حركاتها أوضح تمثيل، وليس ثمة فيما نقش من الحيوانات شيء يفوقها حتى اليوم. لقد كان فن النقش الغائر للآشوريين ما كان فن النحت لليونان، أو التصوير الزيتي للإيطاليين في أيام النهضة، كان فناً محبباً إليهم، يعبر تعبيراً فذا عن مثلهم الأعلى القومي في الشكل وفي الصفات.

ثالثاً: الرسم (التصوير) الآشوري

الجداريات: حلّت التصاوير الجدارية الملونة محل النقوش البارزة في بعض الحالات القليلة التي لا تتوفر فيها الإمكانيات الكافية لزخرفة الجدران بالنقوش البارزة وعثر على لوحات مصورة في القاعات الصغيرة لقصر الملك سرجون بخورسباد توضح الأسلوب المتبع في التصوير الجداري الآشوري. فقد غُطي الجدار بطبقة من الطلاء الأبيض، ووزعت فوقه الزخارف الملونة وتتكون الوحدات الموجودة في إحدى هذه الزخارف من مخلوقات مجنحة متكررة بنظام في إطارين أفقيين. ويفصل هذه المخلوقات المجنحة زخارف نباتية في دوائر.



جدارية ملونة أعيد تركيبها من كار توكلتي ـ ننورتا محفوظة في متحف الدولة في برلين

(Harper et al. 1995: 111)



أبو الهول الآشوري تتبعه امرأة

تصوير على جدار قصر آشوري من (تل أحمر) القرن الثامن ق.م

ويفصل هذين الإطارين إطار به صف من الثيران ويوجد بين هذه الثيران زخارف هندسية. وتعلو الإطارات الثلاثة صورة ملونة تمثل الملك ماثلاً أمام الإله (آشور) والألوان المستعملة في هذه الصورة هي الأحمر والأزرق والأبيض والأسود. وتقدم لوحة أخرى مشهداً لفتيان من تل بارسيب.

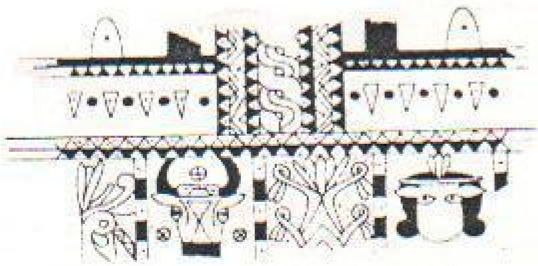
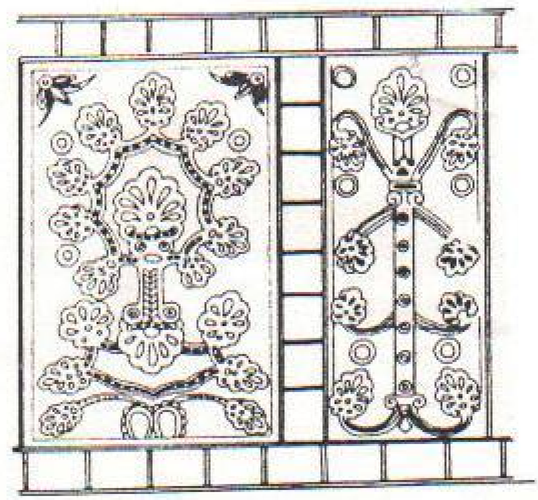


تصوير جداري من تل بارسيب (744-727 قبل الميلاد)

وهناك لوحات أخرى في مدينة تل بارسيب (حالياً تل أحمر) عثر عليها في قصر يرجع إلى القرن الثامن ق.م. ومنها لوحة لاثنين من رجال القصر، ولوحة لأبي الهول الآشوري تتبعه امرأة، ولوحة لسيّاف آشوري يقطع رأس أسير أمام الملك.

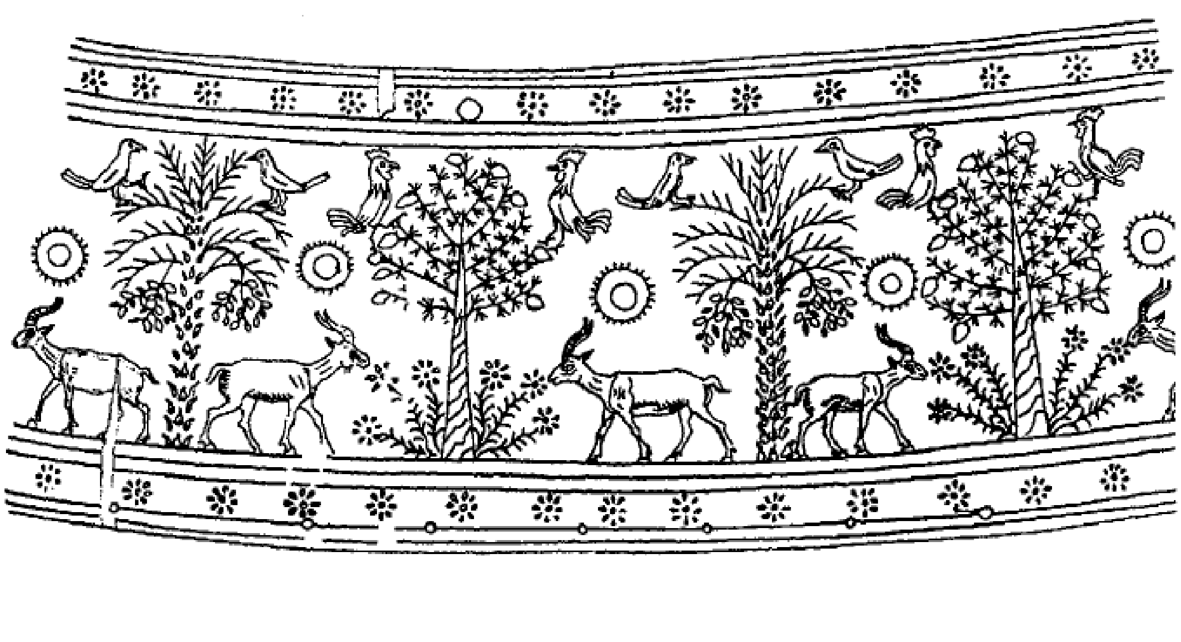
اهتم الآشوريون بالرسوم الأرضية والجدارية. وكانت الأرضيات تخطط بطريقة حرة وباستخدام الألوان السوداء والحمراء وغيرها، أما الجداريات فكانت معجزة بحق واحتوت على وحدات بشرية وحيوانية وأُبرزت عضلات أجسامها وبدقة متناهية. وكانت موضوعاتها الرئيسية ثلاثة هي (المشاهد الدينية حيث الملك متعبداً أمام الإله، والأشكال البشرية حيث الكاهن يمسك بأدوات التطهير الدينية برفقة الثيران المجنحة الجنيّة،

والمواضيع الدبلوماسية وهي مشاهد الملوك الرسمية واستقبال الوفود وسماع الشكاوي).
وهناك رسومات آشورية مبكرة في نوزي وآشور (كارتوكلتي ننورتا).

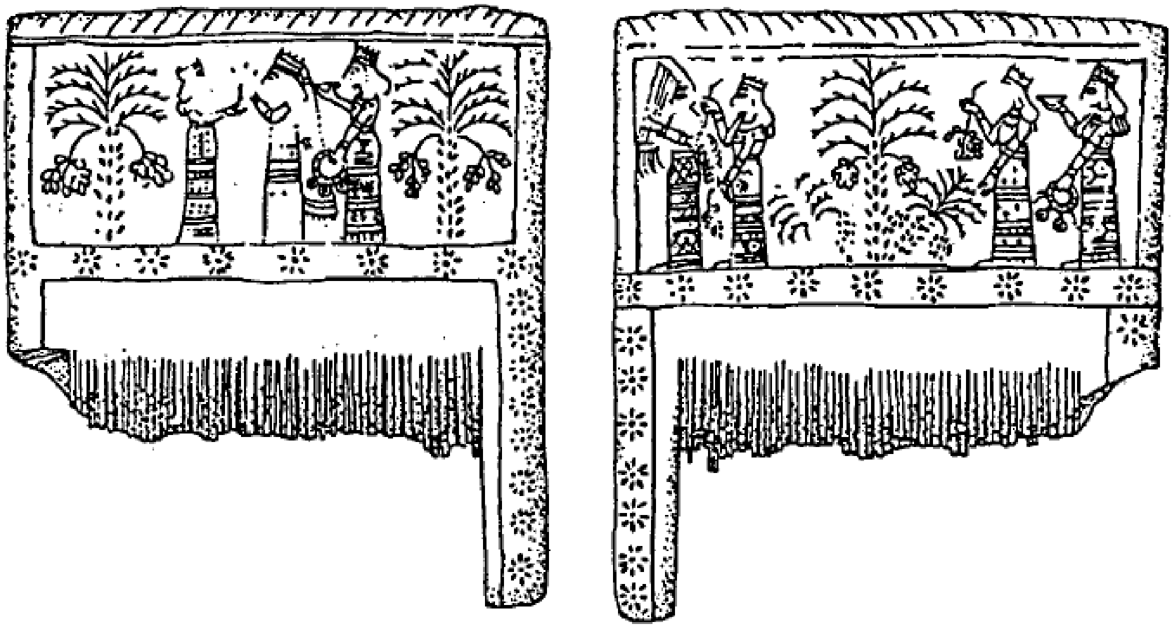
اليسار: رسومات من قصر في نوزي (قرب كركوك) القرن 15 ق.م.

اليمين: رسومات من قصر كارتوكلتي ننورتا قرب آشور القرن 13 ق.م.



رسم ختم أسطواني آشوري لمجموعة من الغزلان والأشجار والطيور

(Harper et al. 1995: 84)



رسمان على مشط عاجيّ آشوري

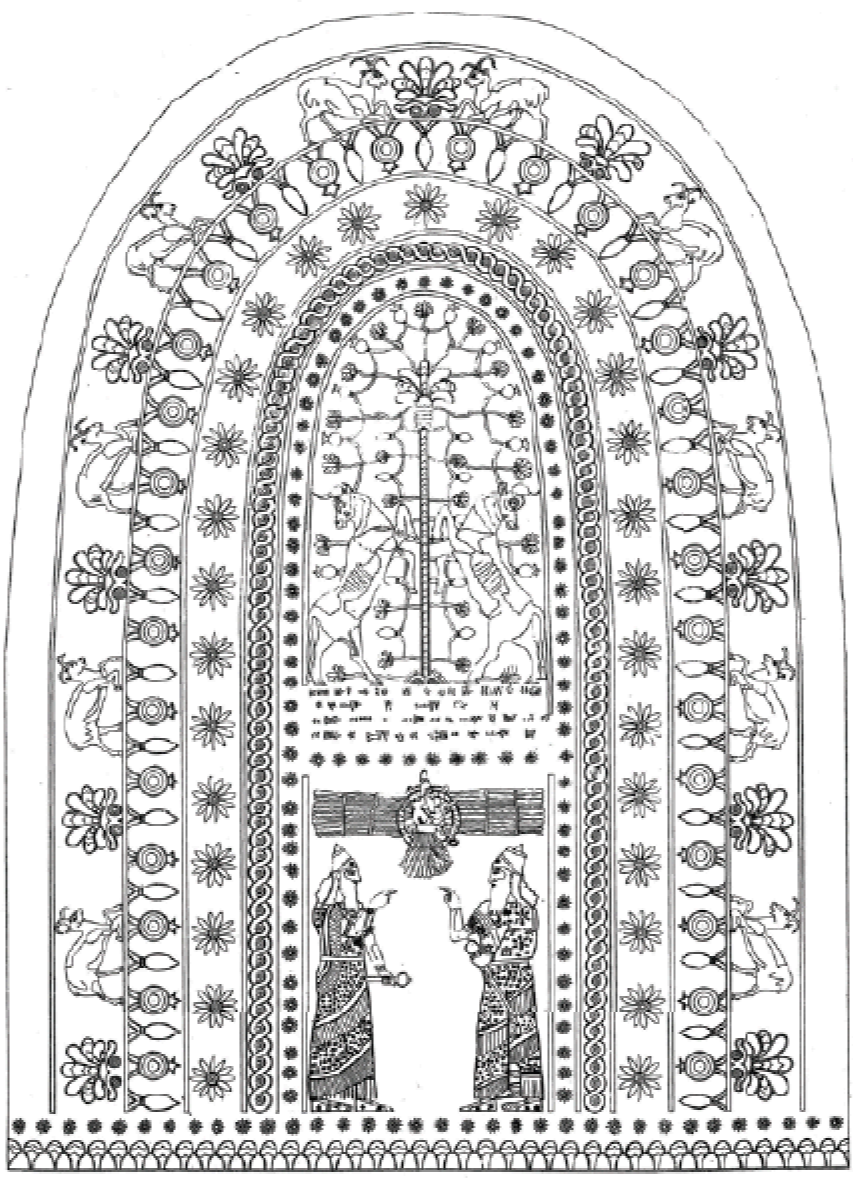
(Harper et al. 1995: 85)

رابعاً: الفنون الصغرى (التطبيقية)

الرسم على الطابوق المزجج:

تم اكتشاف أكثر من ثلاثمائة الطابوق الزجاجي في الفناء الخاص بقصر الملك شلمنصر الثالث، في خندق أثناء الحفريات في القرن التاسع عشر أعلى التلة. تم نقل الطوب إلى بغداد حيث ثبت في النهاية أنه من الممكن إعادة بناء تصميمهم بالكامل. النقش الزخرفي والفني عليها يعود إلى الطوب في عهد شلمنصر الثالث، تم تقسيم اثنين منهم، يحملان

تمثيلاً للإله آشور، اللوحة الأساسية يبلغ ارتفاع اللوحة بالكامل 4 07 أمتار، وفي قاعدتها 2.91 متراً. كان يتألف من ثمانٍ وثلاثين دورة تم وضعها بشكل منتظم تقريباً. تتكون اللوحة من أربعة أقواس محدبة على بعضها ومزخرفة بالغزلان والزهور، وفي قلب اللوحة هناك شكلان الأعلى عبارة عن الشجرة الآشورية المقدسة محاطة بأيّلين، وتحتها صورتان متقابلتان للملك شلمنصر الثالث بزي ملك وكاهن يعلو رأسه القرص الآشوري المجنح. (Reade 1963: 38- 47).



لوحة من الطابوق المزجج للملك شلمنصر الثالث (كملك وككاهن موقر). تم تصويره مرتين، يقف تحت الشجرة مقدسة والقرص المجنح. رسم معاد بناء على الطوب المزجج (407x291 سم) يقع مرة واحدة عند مدخل قاعة العرش في حصن شلمنصر، الآن في متحف العراق، بغداد.

2.الأختام الأسطوانية: هي أسطوانات صغيرة من الحجر الأبيض أو الأسود، وأحياناً متوسطة الحجم، تنقش بالنقش البارز بصورة معكوسة وتستعمل كأختام، إذا مررت على الطين فإنها تنتج صور محفورة مكررة مثل شريط سينمائي.

عملت معظم الأختام الأسطوانية الآشورية من أنواع الحجارة الثمينة الصلبة وحفرت عليها الأشكال حفراً عميقاً ووضحت تفاصيلها الدقيقة بكل اهتمام وعناية فبدت أشكال المشاهد واضحة جداً على طبعات الطين. وكانت موضوعاتها مزجاً غريباً للواقعية والخيال الأسطوري، وكانت مشاهد الصيد هي السائدة وخصوصاً صيد الأسود. بالإضافة إلى الصراع بين كائنين مجنحين وكائنات أسطورية كأشكال الثيران المجنحة والتنانين المجنحة والتي تشتبك مع بعضها في مشاهد صراع عنيفة أخرى تفيض بقوة الحركة وروح الكفاح أو الحيوية العالية وقوة التعبير. أما مشاهد التعبد فكانت قليلة الظهور، ومع ذلك فهناك مشهد يصوّر وقفة متعبد يقدم الاحترام إلى الإلهة عشتار التي تقف على لبوتها بجانب نخلة. وهناك مشهد للشجرة المقدسة المتوجة بشعار الإله آشور.

(Harper et al. 1995: 102، 105)



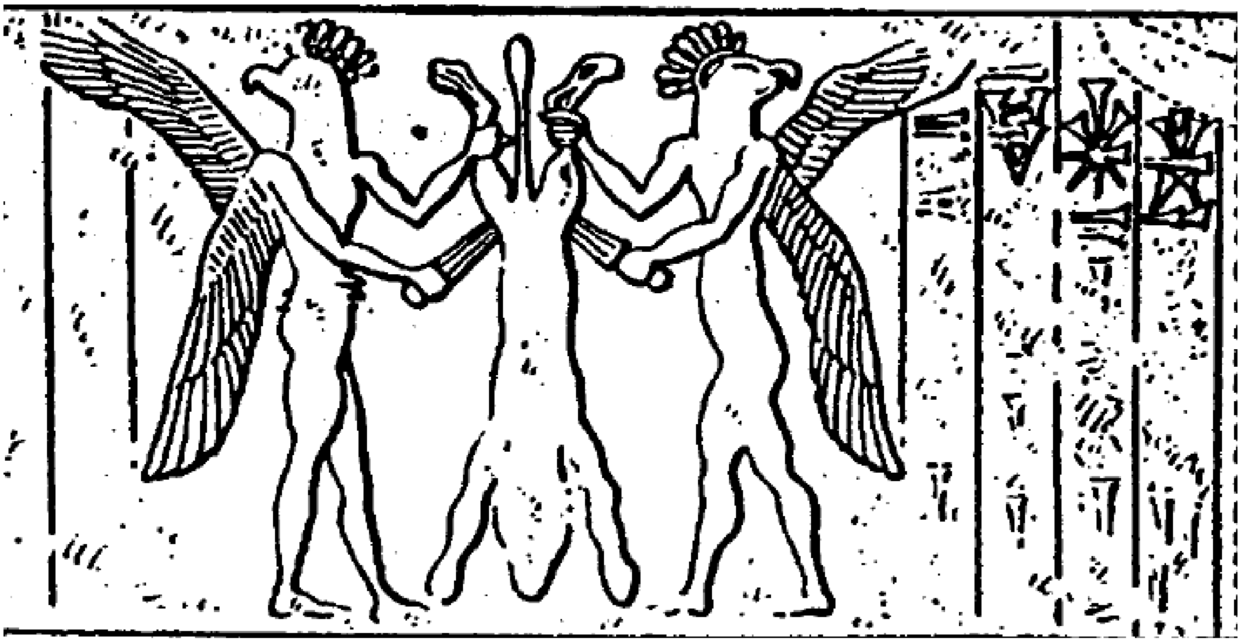
رسومات لكائنات مركبة مع علامة القرص المجنح في الأعلى والصليبين في الأسفل

(Harper et al. 1995: 103)



ختم أسطواني حجري يوضح مشهداً أسطورياً / من الإمبراطورية الآشورية الحديثة

(متحف اللوفر)

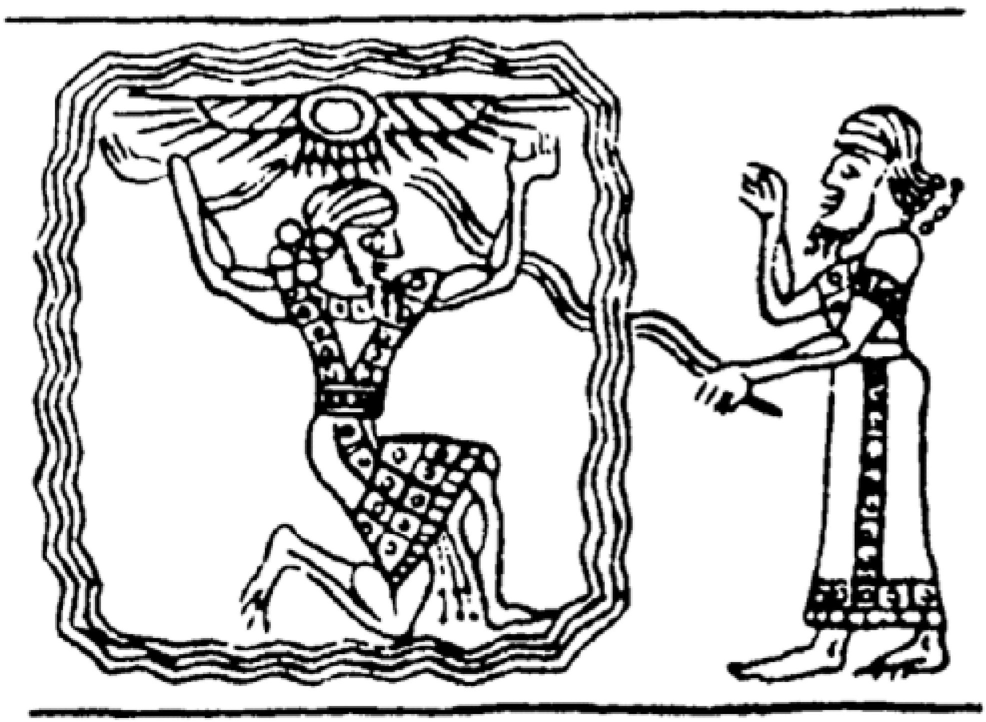


طبعة ختم أسطواني لكائنين مجنّحين يسلخان فريسة من العصر الآشوري الوسيط، عصر آشور أوبلط الأول (1363 ـ 1328) ق.م

(Harper et al. 1995: 104)

في الفترة الآشورية الوسطى، يفصل القرص المجنح المدعوم بشخصية راكعة المياه العليا عن السفلى. قد يتم إصدار خطوط متموجة، تشير إلى الماء، من القرص المجنح، تجسيداً للسور في أدب بلاد ما بين النهرين، كان للسماء الإلهية قوى مولدة غالباً ما توصف مجازاً من حيث أمطار السماء مثل السائل المنوي» الذي يولد الغطاء النباتي على الأرض في الأكادية، يتم تفسير السماء على أنها «من الماء تظهر أيقونات «ماء السماء» دائماً المطر

الذي ينزل من الحقل العلوي للعمل الفني، سواء عن طريق خطوط متموجة أو كريات أو كصفيحة من الأعمدة المليئة بالنقاط.



ختم آشوري من العصر الوسيط يصور كاهناً راكعاً يدعم جناحي قرص الشمس لكي يفصل المياه العليا عن المياه السفلى.

3. البرونزيات:

استخدم الآشوريون البرونز في عمل مشاهد النحت البارز والتماثيل المجسمة، ففي النحت البارز تشكل قطع البرونز بشكل شرائح رقيقة، تخطط عليها أشكال المشهد أولاً بأداة حادة ومن ثم تطرق من الخلف بمطرقة خاصة فتبدو أشكال مشاهدها واضحة وبارزة من أرضياتها وقد أستخدمت لتغليف أبواب القصور والمدن بعد تثبيتها عليها بمسامير خاصة وأشهرها ألواح البرونز التي تغلف مصراعي باب مدينة (بلاوات) ويصل ارتفاعها إلى أكثر من متر ونصف. وتصور أحداثها التي برمجت في عدد من الحقول الأفقية بطريقة

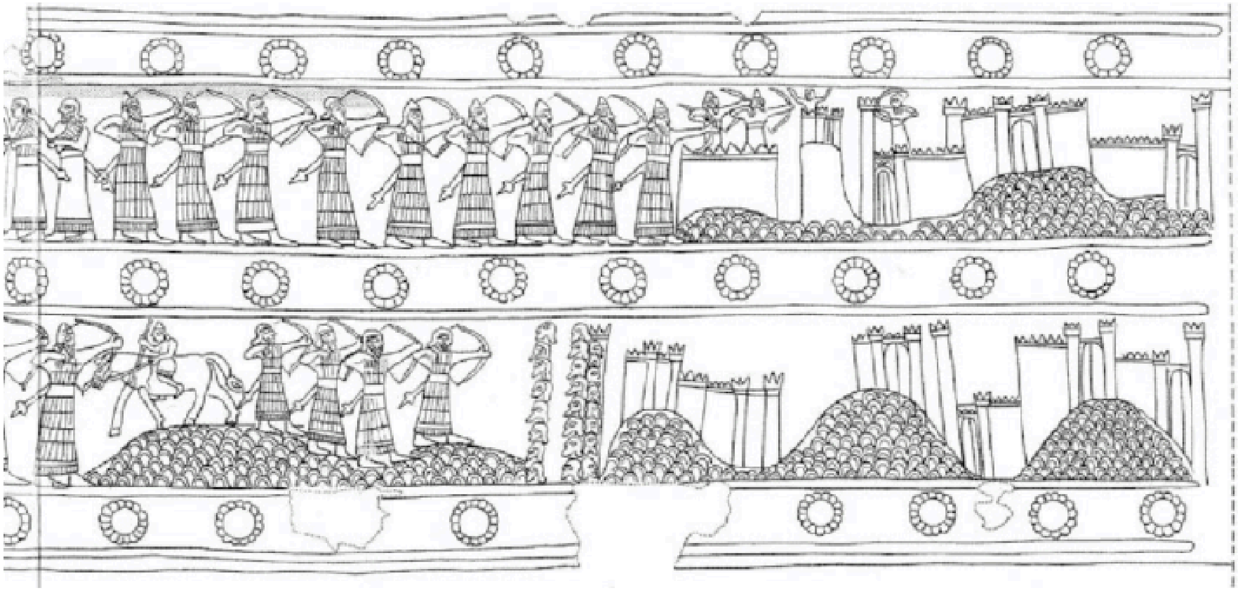
متسلسلة في تصوير الحدث، أحداث المعارك المظفرة التي قادها ملوك بلاد آشور الأقوياء. ونرى في أحد السطور الجيوش تسير في منطقة جبلية يتقدمها صف من الأعداء العرايا مقيدة أيديهم خلف ظهورهم. (علّام 1992: 66).

أما التماثيل البرونزية المجسمة فكانت تعمل بأسلوب الصب بالقوالب فقد عرف فنان البرونز الآشوري عدة طرق في صب التماثيل. فكان يصب تماثيله في قالب مغلق يتألف من نصفين ينطبقان على بعضهما انطباقاً وثيقاً. أما التماثيل المجوفة فيمكن عملها بإدخال لب فخاري في قالب حجري أو جبسي وصبّ المعدن المذاب حوله. والطريقة الأخرى هي طريقة القالب الشمعي. وتعتبر تماثيل البرونز الآشورية قطعاً خالدة في تاريخ الفن العراقي القديم وأهمها تماثيل الأسود الرابضة بفكوكها المفتوحة الواسعة وأطرافها الخلفية المتوترة.

برونزيات بلاوات شلمنصر الثالث:

Balawat Gates of Shalmaneser III

أحد أهم الأعمال الفنية الآشورية، وهي ثلاث مجموعات من الحلقات البرونزية المزخرفة التي زينت الأبواب الرئيسية للعديد من المباني في مدينة بلاوات (Balawat (Imgur-Enlil القديمة، التي يرجع تاريخها إلى عهد آشور ناصر بال الثاني وشلمنصر الثالث، وقد استخدم الفنان في نقشها الأسلوب التشكيلي السردي لمنجزات الملوك الآشوريين، وقد تدمرت آثار بلاوات بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية وتحللت العناصر الخشبية للبوابات وبقيت البرونزية منها (بعضها تضررت بشدة). وهناك بقايا مجموعتين من البوابات في مجموعة المتحف البريطاني، ومجموعة معبد مامو موجودة في متحف الموصل. وتوجد أيضاً أقسام صغيرة من شرائط أبواب شلمنصر البرونزية في متحف والترز للفنون في بالتيمور ومتاحف إسطنبول للآثار.



النطاق الثامن (جزء) من بوابات بلاوات لشلمنصر الثالث.

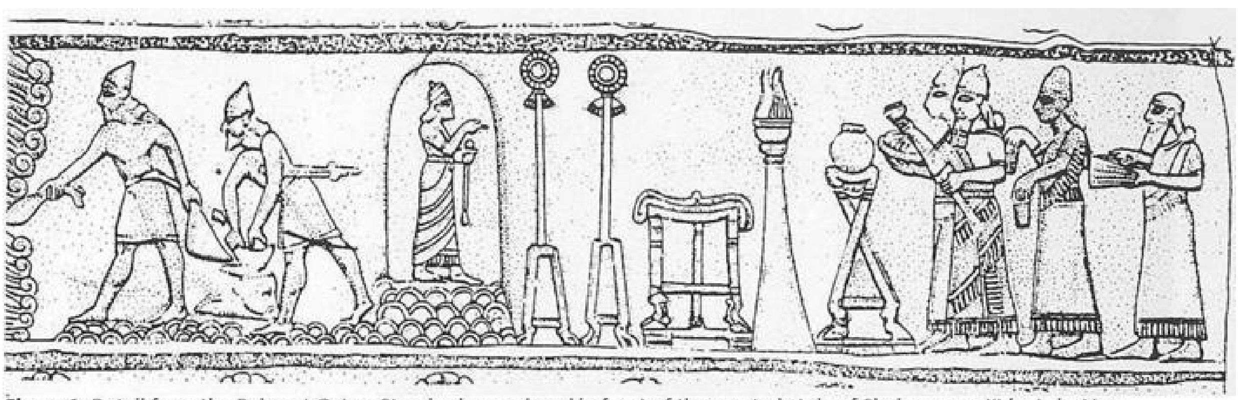
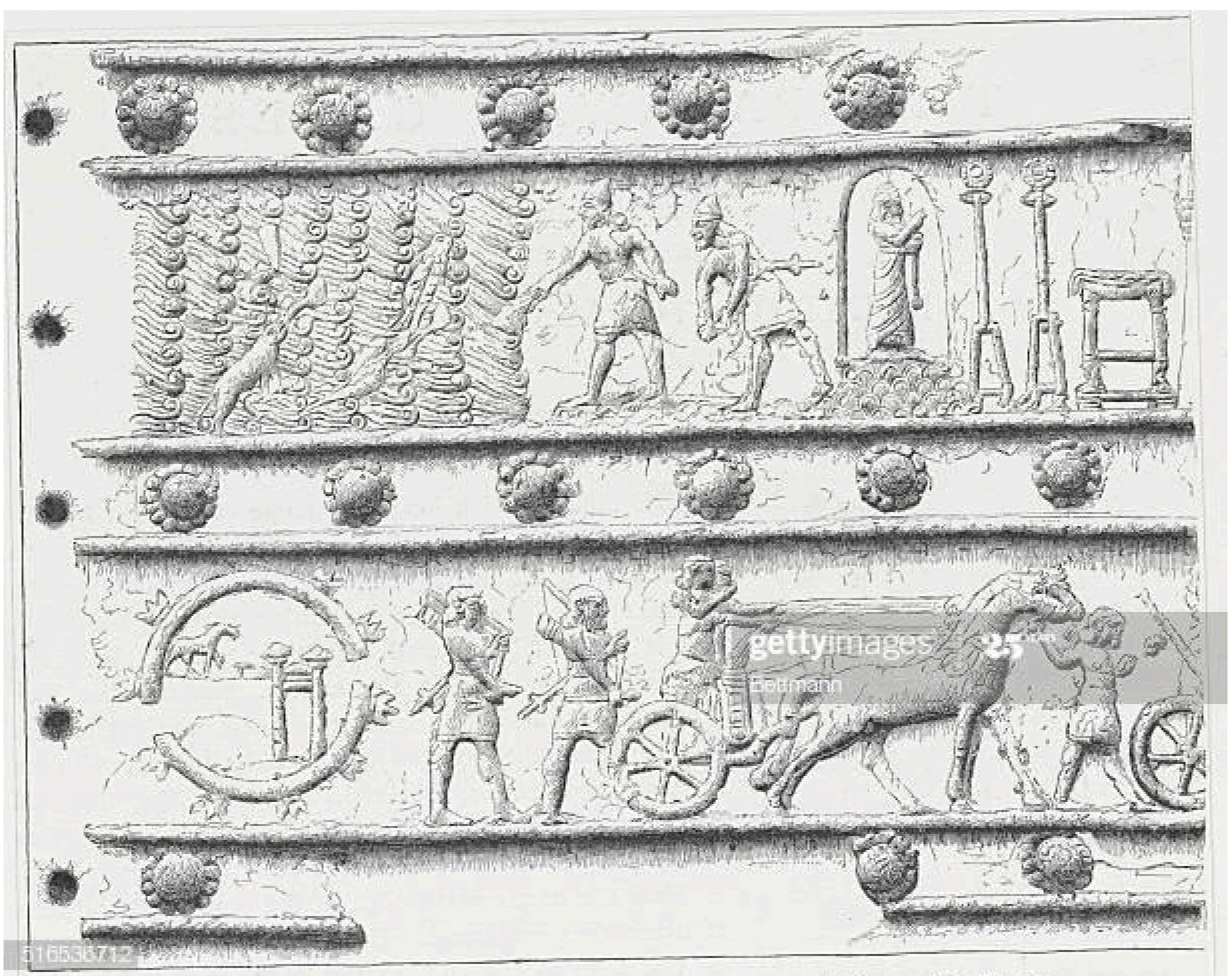


Figure 1: Detail from the Balawat Gates. Standards are placed in front of the erected stele of Shalmaneser III by Lake Van.
Source: Extracted from Bleibtreu 1992, Taf. 55b, after Börker-Klähn 1982, No. 146

ترتبط المشاهد المصورة على البوابات في الغالب بالحرب وصيد الحيوانات، فقد اعتبر الصيد طريقة مهمة لتصوير القوة خلال تلك الأوقات، الصور على البوابات تقدم أيضاً مواقف حقيقية ومهمة، مثل اكتشاف مصدر نهر دجلة من قبل الملك شلمنصر الثالث في 852 قبل الميلاد.

تُظهر الرسومات مشاهد الحرب وعرض الجزية وصيد الأسود والثيران، ويتكون كل زوج من البوابات من 16 فرقة برونزية (8 كل جانب). تم ترتيب جميع الحزم البرونزية في مخطط زخرفي. وهي منقوشة ومحفورة في الأعلى والأسفل، يحدها سعف النخيل. ما وراء هذه الحدود يوجد زوج ثانٍ من الحدود الخارجية، والتي تتضمن الوريدات الزخرفية. غطت الأحزمة البرونزية الأبواب وأعمدة الباب. يوضح إعادة البناء الدقيقة لهذه البوابات أن عتبات الأبواب مائلة نحو الأعلى.

تحمل الرسومات اكتشافاً دينياً مهماً ففي عام 852 قبل الميلاد وجد الملك شلمنصر الثالث منبع نهر دجلة عند نفق دجلة. وكان هذا حدثاً مهماً جداً لأنه كان يُعتقد أن الأنهار آلهة، وأن دجلة ينبع من جيد إله. وتُظهر الصور العمال الذين نحتوا الجدران.



السلسلة البرونزية المنقوشة التي زينت بوابات قصر الملك الآشوري شلمنصر الثالث في بلاوات البوابات مليئة بالرمزية المتعلقة بالحكام و«الآخرين». قام الباحث ماتياس كارلسون بتحليل البوابات للعثور على زخارف لأفراد مختلفين. ثم قام بتحليلها لتوضيح معناها. وذكر بنتائج بحثه: «تم التعرف على «ما لا يقل عن 840 فرداً و65 نوعاً» (أو الزخارف) من هؤلاء في عملية الجمع. في حين أن 14 فقط من هؤلاء يخبرون بالهدوء والسلام، فإن 51 منهم يتحدثون بدلاً من ذلك عن الإكراه والحرب. ومع ذلك، فإن الشكل الأكثر شيوعاً هو الطابع السلمي، وهو الشكل الذي يظهر رافداً يحمل الهدايا. بعد ذلك، تولت زخارف الحرب زمام الأمور، يمكنني أن أستنتج عملياً أن جميع الزخارف «متحيزة» (سلبيا). يبدو أن القلة القليلة التي يمكن تصنيفها على أنها «محايدة» فقط، وذلك بسبب وظائفها. ثم تمت مقارنة جميع الزخارف مع تلك التي تصور الآشوريين، ويمكن تمييز الانقسام الواضح والمجاور. وبعبارة أخرى، يوجد هنا صراع تقف فيه «الذات» ضد «الآخر». الوكيل الأخير هنا هو «ثانوي»، أي شخص أقل شذوذاً. لقد وجدت أن زخارف السلام والحرب على بوابتي القصر تتحدث عن رسالة التأكيد على الحرب. وعلى النقيض من ذلك، فإن بوابة المعبد تنقل مشاهد السلام بشكل ساحق (توصيل الجزية). في المجموع، فإن أيقونية شلمنصر ذات أكثر تركيزاً على الحرب، على النقيض تماماً من السمعة الراسخة. تفتح الاختلافات في اختيار المشاهد بين القصر وبوابات المعبد للنقاش حول فكرة أن مشاهد السلام كانت تعتبر أكثر ملاءمة في أوساط المعبد». (Karlsson 2016: 7- 8).

4. العاجيات: تميّز الآشوريون بالفنون العاجية وصناعتها سواء تلك التي كانت جزءاً من الآثاث أو تلك المنفصلة لوحدها كنوعٍ فنيّ خاص. وكانت مدينة نمرود من أهم مدن إنتاج فن العاجيات، والتي كان من أشهرها قناع عاجي لوجه امرأة بنقش طبيعي نافر.

«في تزيين العاجيات استخدم الفنان أو الحرفي العديد من الأساليب منها إكساء أو تطعيم العاج بأنواع من المعادن والذي غالباً ما يكون معدن الذهب. أو باستخدام الزجاج الملون إضافة إلى الزخارف والنقوش التي تمثل عليه بأساليب مختلفة منها النحت البارز

والمجسم أو تمثيل المشاهد بأسلوب التخريم، وقد تعكس هذه النقوش أو الزخارف طرقاً فنية متعددة يمكن من خلالها تمييز القطع العاجية عن بعضها البعض». (علي 2004: 49).

استعمل الآشوريون العاج (الذي كان يأتيهم من مستعمراتهم) في الفن البارز والمجسم وحققوا في هذا المجال تفوقاً كبيراً وأنتجوا قطعاً تعتبر من النماذج الفنية الخالدة في هذا المجال.

في النحت المجسم تتميز تماثيل العاج الآشورية بصغر حجمها، ويتم صناعتها بأن يخطط الشكل المطلوب على قطعة العاج ثم يجري نحتها تدريجياً باستعمال الفؤوس النحاسية الصغيرة المخصصة لهذا الغرض، وضعت الكثير من الأدوات والكراسي والصناديق كفنون تطبيقية في هذا المجال.

كانت المدرسة الآشورية، مع المدارس السورية الشمالية والفينيقية والمصرية، بصناعة فاخرة للعاج. لكن المدرسة الآشورية في نمرود أتحفتنا بتراث آشوري خاص في هذه الصناعة من حيث الشكل والمضمون. ومن أهم القطع العاجية الآشورية المعروفة هي أجمل وأشهر لوحة عاجية مجسمة هي التمثال لرأس امرأة متوجة عثر عليه في مدينة نمرود، والموجود حالياً في متحف اللوفر، وأطلق عليه مؤرخو الفن (الموناليزا الآشورية) تشبيهاً لها بموناليزا الفنان دافنشي، فقد صيغت معالم الوجه بيد ماهرة بعثت الحياة منه، وتمكن من إظهار ابتسامة عميقة على شفتي هذه الفتاة، وشُكّل شعر الرأس أسلوب منتظم وجميل أضاف لشكل الرأس مظهراً بديعاً.

وليس صحيحاً أن الآثاري ماكس أ وزوجته أجاثا كريستي هما من سماها بـ (الموناليزا الآشورية) فقد اقترحت كريستي تسميتها بـ(سيدة البئر) لكن مدير الآثار العام آنذاك، في عام 1952، الدكتور ناجي الأصيل هو من سمّاها (موناليزا نمرود).

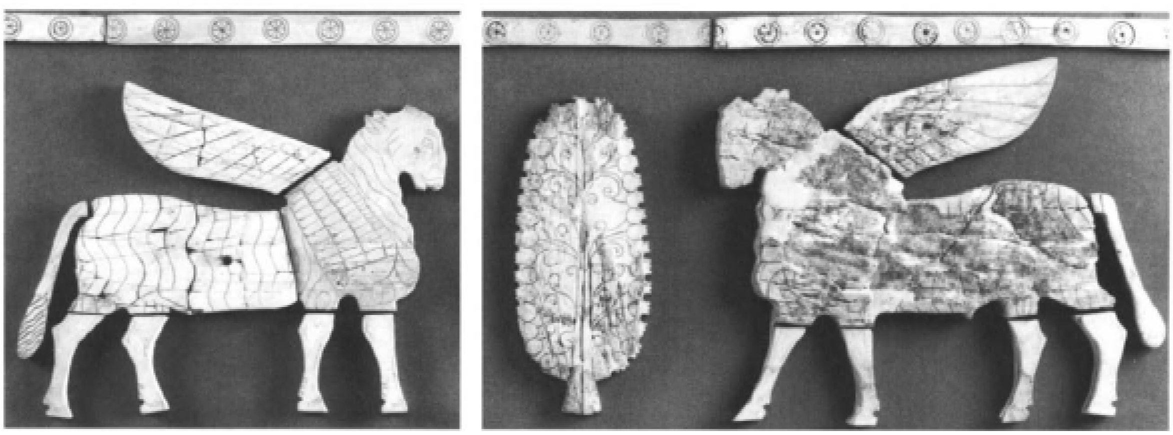
«وجدا في نفس البئر الذي رميتا فيه بعد تجريدهما من جميع الزينات الذهبية التي كان المحتمل أن يحملاها وذلك عند نهب مدينة كالح. ومن نفس البئر اكتشفت أيضاً قطعة من

العاج منحوتة بشكل كلي بشكل دائري لتشكل رأس أسد يزأر، وكان قطرها الكبير يبلغ نحو ثلاثة إنشات مع بعض التفاصيل الواقعية. وقد وجد في البئر أيضاً قطعتان من العاج مرموقتان وهما زوج من اللوحات العاجية منحوتة بشكل نقوش نافرة وهما متشابهتان كأنهما مصنوعتان بحيث تكاد إحداهما تكرر الأخرى، ويظهر فيها أسد حامل رجلاً زنجياً يطرحه على الأرض من رقبته. وهناك بعض الزخرفات النباتية التي تشكل خلفية للأشكال الرئيسية مغطاة بالأوراق الذهبية مع صورة الأزهار تتكون على التوالي من العقيق الأحمر واللازورد الأزرق وهناك نقش بارز من العاج وهو جذاب بالنسبة للذوق القديم. وكانت مجموعة تمثل بقرة ترضع عجلها. وكانت المنحوتات العاجية متقنة الصنع في وصفها وتصويرها للحيوانات، وهناك بعض المنحوتات العاجية التي تشمل مجموعة من الأجانب وقد جلبوا الجزية المؤلفة من الحيوانات، مثلاً أحد الأشخاص النوبيين يحمل قرناً على كتفه ووعلاً إلى جانبه وجلد فهد فوق ذراعه الأيمن». (ساغز 2008: 360).

أما النحت العاجي البارز فيعالج بصنع شريحة رقيقة يصقل سطحها، ثم تخطط الأشكال بالإزميل، وتُملأ الخطوط المحفورة بلصاق أحمر أو أسود فتبرز النقشة على سطح العاج بشكل واضح وهناك طرق أخرى وأشهر نماذجها اللبوة التي تفترس رجلاً في حقل من أزهار اللوتس التي مثلت أرضية المشهد، وقد صوّر الفنان الرجل بدقة متناهية في ذهول تام رغم مظهره المروع، وقد كسيت أزهار اللوتس التي حفرت في الخلفية على اللوح العاجي بطبقة من الذهب ومن ثم رسمت بقطع من العقيق الأحمر واللازورد وعجينة زجاجية زرقاء اللون. (علّام 1992: 66).



امرأة عند النافذة من نمرود. ارتفاع 8.2 سم. المتحف العراقي، بغداد



إفريز تطعيم من العاج مزين بحزوز من آشور، متحف الدولة في برلين

(Harper et al. 1995: 98)

5.الفخاريات



قطعة موزائيك آشورية من العصر الآشوري الوسيط

(Harper et al. 1995: 77)

6.المرمريات: كانت منحوتات عملية أو للزينة وتحتوي على نقوشات ورسوم لحيوانات ونباتات كعناصر زينة.

7. الزجاجيات: تطورت صناعة الزجاج وفنونه، وظهرت الرسومات والنقوش على بعضها، وتعدد أشكالها وأغراضها، ولم تكن كل الزجاجيات شفافة، بل كان أغلبها داكناً ثخيناً.



أواني آشورية مختلفة زجاجية الأشكال

(Harper et al. 1995: 77)

المبحث الثاني: الأثاث والديكورات الآشورية

أولاً: المواد المستخدمة في الأثاث الآشوري

1. أخشاب الأشجار: وهي المادة الأساسية في صناعة الأثاث، وفيما يأتي ذكر لأهم أنواع الأخشاب المستخدمة في صناعة الأثاث الآشوري:

جدول المواد المستخدمة في الأثاث الآشوري من تنظيم المؤلف

اعتماداً على مرجع (الأثاث في العصر الآشوري الحديث)

انظر: (علي 2004: 10 ـ 18)

2. الأحجار: وكما افتقدت بلاد الرافدين لمصادر الأشجار افتقدت للأحجار وخصوصاً تلك التي تدخل في صناعة الأثاث، رغم وجود بعض المقالع قرب العواصم الآشورية مثل موقع بلاطو (أسكي موصل حالياً)، وكانت المصادر الأساسية خارج بلاد الرافدين مثل الحجر النفيس (أبني نيسيكتي، زنات)، وحجر التميمة (أبان كياسدو) والعقيق الأحمر (سامتو) واللازورد (أونكو).

3. العاج: واسمه السومري (زو ـ أم ـ سي ZU-AM. SI) والأكدي (سنّي بيري) والاثنتان تعني (سنّ الفيل)، وله أهمية كبيرة في صنع الأثاث الآشورية في العصر الحديث.

4. القصب (بالسومري GI، والأكدية qanu)، واستخدم بشكل محدود لصنع بعض أنواع المقاعد.

5. اللبن (الطين الممزوج بالرمل والقش): استخدم كنوع من الأثاث في بيوت العامة بدلاً من الخشب كمقاعد وأسرّة.

6. المعادن: كالذهب والفضة والنحاس والبرونز التي استخدمت في تزيين الأثاث.

7. الجلود: (بالسومرية كش KUS، وبالأكدية Masku) واستخدم في صناعة الأثاث وأجزاء من الآلات الموسيقية والكلك وغيرها.

8. المنسوجات: من مصادر حيوانية كصوف الأغنام والماعز، والثاني من مصادر نباتية كالكتان.

9. مواد مختلفة ثانوية مثل القار والزيت والشمع والأوتار والطلاء.. إلخ.

كان النجار يسمى بالسومرية (نجار NAGAR) وبالأكدية (Nagaru)، وكان يعمل، في البداية، في مؤسسات تابعة للمعبد أو القصر، ثم ظهرت ورش خاصة لعمله. «يشير نص من عصر الملك أسرحدون إلى وجود العديد من الأعمال التي تتطلب حرفيين أو فنانين

أصحاب كفاءات عالية (يمتلكون أسرار المعرفة) منهم النجار، صانع الأحجار الثمينة، المختصين بالتعدين وقاطع الأحجار (النحات) وقد أطلق على كل هؤلاء Mar Ummani أي الحرفيين الذين يقيمون في دار للفنون تابع لمعبد الإله آشور الموجود في مدينة أشور، كان النجارون من ضمن الحرفيين الذين يقيمون في القصر أيضاً حيث تكون الحاجة مستمرة لصناعة وتصليح الأثاث وكافة الأدوات الخشبية وكان هناك شخص مسؤول عنهم يشرف عليهم ويوفر لهم كافة المستلزمات الضرورية عرف راب شومكارو إيكال Rab Sumgaru Ekalli حرفياً رئيس نجاري القصر». (علي 2004: 49).

الكراسي والعروش:

الكراسي بدون مسند ظهري: تصنع من القصب والإطار الخشبيّ. تغطى أحياناً بأغطية من الكتان.

الكراسي بمسند ظهري: تصنع من الخشب. وتزينة بنقوشٍ نحاسية أو برونزية أو عاجية أو فضية وكلها مزخرفة.

عرش الملك: تطور من الكرسي مع فخامة في الشكل والسعة والنقوش والديكور.

المقاعد: تصنع من الخشب وتغطى بالجلد أو سعف النخيل وأوراق البردي، وربما تبطّن باللباد.

المصطبات: من اللبن (طين وتبن) ولبن مشوي، وأحياناً من الخشب.

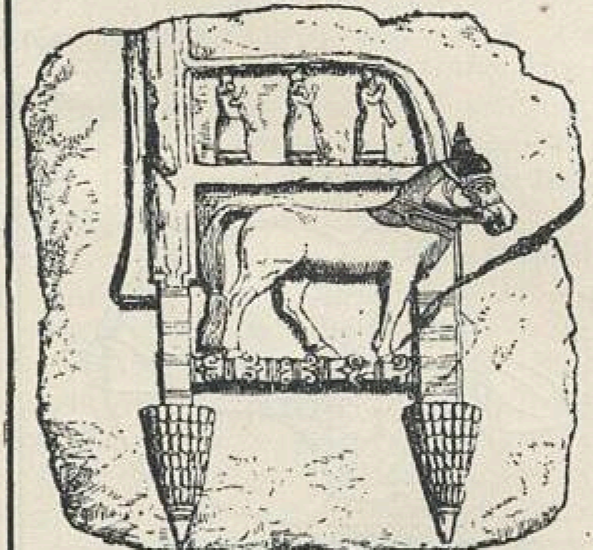
أدوات المائدة: الملاعق (الخشبية والمعدنية والعاجية)، والسكاكين (الصوانية والبرونزية والحديدية)، والجوالغ وهي قطع معدنية مسطحة لسنّ وتشفير حافة السكاكين.

السرير: تصنع من الخشب أو قطع القصب أو الحبال. وبعضها مزودة بجوانب خشبية تجعل السرير يبدو مثل صندوق خشبيّ قليل العمق. ولبعضها أقدام مزخرفة. والثمينة منها تُزيّن

بالذهب والفضة والعاج المحفور. وفرشة السرير تكون من الصوف أو سعف النخيل أو الكتان.

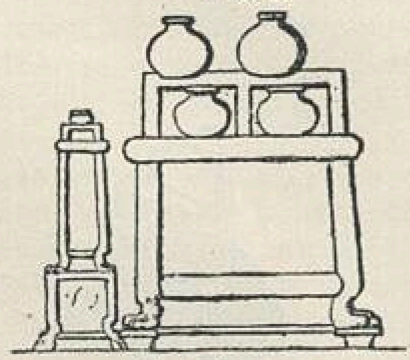
السجاد: هناك ما يشير إلى صناعة فاخرة ومتقدمة للسجاد الآشوري الذي يرجح أن يكون أصل السجّاد الفارسي، فحين سقطت الإمبراطورية الآشورية قام الميديون والفرس باستخدام الأيدي الماهرة في نسج وصناعة السجاد في بلادهن التي لم تعرف هذا النوع من الصناعة ومنها تطورت صناعة السجاد واشتهر السجاد الفارسي إلى يومنا هذا.

Fig 1.



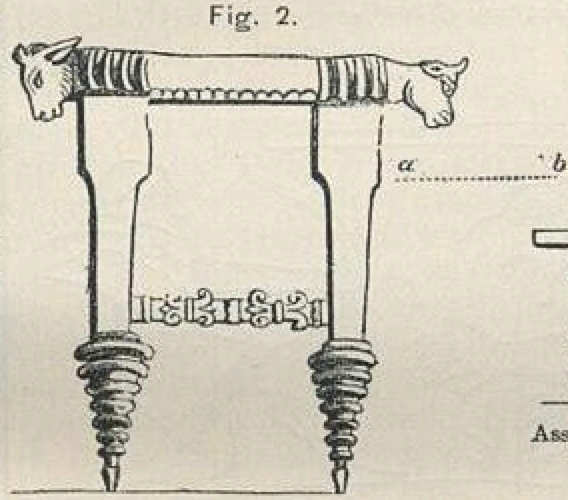
Arm-chair or Throne (Khorsabad).

Fig. 5.



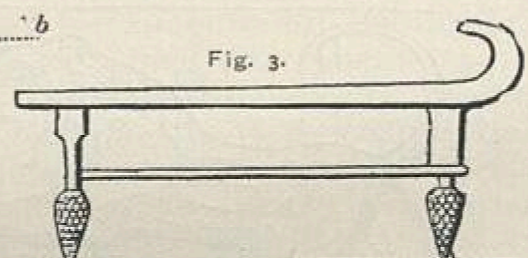
Stands for jars.

Fig. 2.



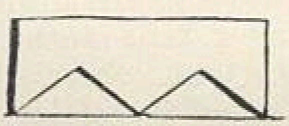
Assyrian ornamented Seat (Khorsabad).

Fig. 3.

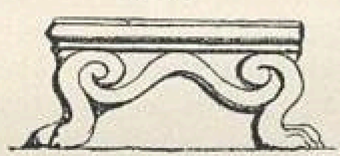


Assyrian couch, from a bas-relief, Koyunjik.

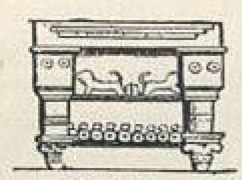
Fig. 4.



No. I.



No. II.



No. III.

Assyrian Footstools (Koyunjik).

أثاث آشورية ـ من الأعلى للأسفل: ساند الجرار، كرسي أو عرش، أريكة (شيزلون)، مقعد مزخرف، ثلاثة مساند منضدية

The Seven Great Monarchies: Assyria by George Rawlinson, .M.A

المبحث الثالث: الزخرفة الآشورية

مثلت الزخرفة الآشورية القمة في العالم القديم، فقد وصلت لنا على موادٍ وخامات منوعة كالرسومات ونقوش الملابس والمنحوتات البارزة والمجسمة والأختام والفخاريات.

كانت أساليبها متنوعة وألوانها كثيرة ومتناسقة، وقد استلهم الفنان الآشوري عناصر زخارفه من الطبيعة ومن النباتات والحيوانات والأشكال الهندسية بشكل خاص، وجعلنا نشعر بذوقه الراقي ومخيلته الواسعة. فقد جسّد فنياً وجمالياً، عناصر النبات مثل الأوراق والأغصان والأشجار والأثمار والبراعم والأزهار. حضرت الزخارف الحيوانية بقوة فقد تجسدت زخرفياً بمهارة عالية وتكرارٍ محسوب وتناظرات جذابة. وحضرت الزخارف الهندسية بقوة بكل أشكالها والتي أعانته على تصميم زخارف العمارة الآشورية وتزيين الأعمدة.

الطاولات: وهي طاولات مستديرة. والشائع منها مربع الشكل وتقوم على أربع قوائم مزخرفة. وهناك من يغطيها بقماش من الكتان، وينقش عليها رموزاً للآلهة.

«كانت تحاظ زخرفة المعين بخطوط رفيعة الشكل، وحسب اعتقاد القوم آنذاك كان لزخرفة المعين رموز دلالية يمكن أن تعكس بعض المفاهيم عليها فقد فسر الرمز (بالعين) أو حبة الذرة فأما التفسير الأول فيشير إلى الرمز الذي يمثل العين يبرز مفهوم (العين التي ترى كل شيء) (أي: عين الإله) أو إلى أنه حرز ضد إله الشر. أما التفسير الآخر فيشير إلى أن الرمز كان يمثل (حبة الذرة) وهذا المعنى يتأكد في النسخ الصورية للرمز من خلال

ظهوره على الرقم الطينية التي تخص حقول الزراعة وبمرور الزمن تغير معنى هذا الرمز ومفهومه بالكامل ومن أجل استبعاد هذه الفرضيات غير المؤكدة فإن الدراسات الحديثة لم تركز كثيراً على مفهوم أو رمز المعين. وقد وردنا أول مثال لزخرفة المعين على مشهد ختم رمادي اللون صنع من حجر الكلس اكتشف في مدينة الوركاء، ويفترض أنه يعود إلى عصر جمدت نصر. ويظهر على مشهد ختم آخر رام لسهام مع ثلاثة أشكال زخرفية معينة كبيرة بشكل أفقي واحد فوق الآخر، وقد عثر على الختم في مدينة أور، ويعود تأريخه إلى عصر أور الثالثة، وبذلك استخدام شكل المعين فمن الأشكال الهندسية كحافز وباعث زخرفي منذ الفترات المبكرة من تأريخ العراق القديم حتى سقوط الإمبراطورية الآشورية». (النجاري 2005: 47).

زخارف الثياب والأزياء:

اشتهرت آشور بزخارف الثياب «ومن النماذج التي يشار لها بهذا الخصوص مشهد جميل يمثل شخصين واقفين أمام شخص جالس، ويظهر هذان الشخصان بوضعية الوقوف أحدهما يقف على الجهة اليمنى والآخر واقف على الجهة اليسرى، ويحمل بيده كأس الفاكهة، كما يقدم الطعام والشراب إلى الشخص الجالس مما يرجح أنه يمثل الخادم، أما الشخص الواقف على الجهة اليمنى فيحمل بيده (عصا معقوفة الرأس) والخنجر معلق بحزامه، وربما كان هذا الشخص يمثل الحارس، في هذا تبرز العصا المعقوفة وهي على شكل زخرفة ترمز إلى الصليب المعقوف حيث تبرز زخرفة الصليب بشكل رائع وجميل في المشهد. لقد ظهر هذا العنصر الزخرفي مع العناصر الزخرفية الهندسية والزخارف النباتية أيضاً حيث وجدت الكثير من الأواني مزينة ومزخرفة بأشكال الأزهار والأشجار الجميلة والتي زينت بشكل الصليب، وقد كان الفنان الآشوري ماهراً ودقيقاً في إنجاز هذه الزخرفة على الأواني الفخارية، ولا سيما أنه عمد إلى تحوير أشكالها الطبيعية وتركيبها بشكل رائع وبهذا الخصوص يبرز مشهد لعصا الصيد المعقوفة التي استخدمها الآشوريون في رحلات الصيد آنذاك». (النجاري 2005: 65 ـ 66).

(الجادر والعزاوي 1970)



زخرفة ثياب عاهل آشوري

«وشملت زينة هذه الزخرفة على واجهات القصور الآشورية بهيئة منحوتات جدارية تمثل رجال بهيئة السمك المجنح كما هي الحال في مداخل قصر آشور ناصر بال الثاني في مدينة النمرود، إذ أعطى الفنان الآشوري لهذا لا عنصر الزخرفي قيمته الفنية المنفردة من حيث التكوين والزينة كوحدة متكاملة. كذلك كانت هذه الزخرفة تزين لباس الرأس وتيجان الملوك وكان التاج ذاته أشبه برأس السمكة وكان يزين بثلاثة أزواج من القرون، وعلى الرغم من أن التاج في عصر سرجون تميز بالشكل الأسطواني وزيّن بزوج من القرون

فقط. كما عثر على تصاميم متنوعة لهذه الزخرفة الجميلة وهي تزين الألواح الجدارية مما أعطت لكل أنموذج رونقاً من حيث الزخرفة بشكل مجنح أو بشكل سمكة مقوسة تعكس قيماً زخرفية رائعة. ومن المشاهد الفنية ذات العلاقة مشهد يمثل صياداً للسمك من عصر سنحاريب يرتدي بدلة قصيرة ويتمنطق بحزام عريض ويضع على رأسه عصابة تضيق بعض الشيء عند الخلف ويمسك بيده خيطاً ينتهي بسمكة كما يلاحظ على ظهر هذا الصياد سلة وضعت فيها الأسماك». (النجاري 2005: 81).

«وكما يبدو واضحاً في عدة نماذج أخرى تصاميم زخرفة الريش المكتشفة من العصر الآشوري الحديث. ومن ذلك يظهر في مشهد فني ثوراً آشورياً مجنحاً ذا رأس بشري وقورن مزينة ومزخرفة بالريش كذلك يبدو في مشهد آخر حيواناً خرافياً تم زخرفته بالريش وتم تزينه بهذه الزخرفة بأسلوب خاص وبشكل مثالي. ومن ملاحظة النتاجات الفنية يظهر استخدام هذه الزخرفة في نوع من زينة أغطية الرأس التي ترتديها الخيول لها مظهر شبيه بالفرشاة وأضفى هذا النوع من الزينة مظهراً جمالياً رائعاً على تلك الأغطية». (النجاري 2005: 96).

«وتعد زخرفة أشكال الأسود من الزخارف المهمة لدى الآشوريين وظهرت على المشاهد الفنية بكثرة ما ولا سيما على منحوتات القصور والبوابات والأختام الأسطوانية وبأشكال متنوعة، إذ نفذ الفنان الآشوري الشكل الزخرفي لحيوان الأسد أو بهيئته المركبة (ذات رأس الآدمي) بتفاصيل دقيقة وزخرفية أنيقة، وإن هذا الشكل المركب (الأسطوري) كان يرمز إلى معنى عميق فرأسه البشري كان يرمز إلى (الفكر العظيم)، وجسمه الحيواني يرمز إلى القوة والجبروت، وبذلك فقد جمع الفنان بين القوة والعقل بتوافق وانسجام. إن نحت أشكال الأسود وزخرفتها من أروع ما قدمه الفنان الآشوري في أعماله النحتية، ولا نبالغ إذ نقول أن زخرفة هذا العنصر تعد قمة ما توصل إليه الفن الآشوري من رُقي وتطور، وإن التأمل في هذه المنحوتات ودراستها تكشف الأهمية البالغة لإبداعات الفن الآشوري والأساليب الفنية الرائدة في عملية التنفيذ». (النجاري 2005: 84).



زخرفة الريش كنوع من التيجان

BABYLONISCH-ASSYRISCHE ALTERTÜMER.



1. 2. Gotzenbilder aus Chorsabad. 3. Bodengetäfel zu Kujundschik. 4. Thronender König. 5. 6. Schmuckwaffen. 7. Kopf eines Königs. 8—10. Königliche Kopfbedeckungen. 11. Pferdezeug. 12—16. Möbel. 17—21. Ohrringe. 22—26. Geschmeide. 27. Heiliges Gefäſs. 28—30. Gefäſse. 31. Keilschriftcylinder. 32. Glocke. 33. Darstellungen von einem Obelisken zu Nimrud. 34. Wedel.

المبحث الرابع: فن الثياب والأزياء والمكياج والحليّ

ملابس النساء:

الملابس تغطي المرأة من رأسها حتى كاحلها، رداء يمتد من الكتفين ثم يحيط الوركين ويمتد للأسفل بحيث ينفرج ويحيط بكل ساق على حدة ويربط هناك برباط عند الحجل، وهناك رداء إضافي حول الثديين. وهناك رداء نصف كُم مثبت بحزام.

ثلاثة أو أربعة من الخلاخيل أسفل الرداء على كل ساق.

الشعر الطويل المدعوم بضفائر صناعية يجب أن يكون مجدولاً بضفائر.

في القصر أغلب النساء يمشين حافيات، وخارجه يرتدين الأحذية.

السيدة المتزوجة ترتدي حجاباً خفيفاً على شعرها، غير المتزوجة والمومس لا ترتدي حجاباً.

ملابس الرجال:

الملابس تغطي الرجل من رقبته حتى ركبتيه

أكمام قصيرة، حزام في الخصر، تحت الحزام شرائط طولية أو مائلة.

تصالب عند الظهر، درع مزرد يشبه درع الرماة.

رداء يمتد للركبة، رداء يلبس فوق الملابس بدون أكمام، ويلبس فوق الرقبة كأنه معطف واقي من المطر، العباءة للذوات من علية القوم والموظفين الكبار والعسكريين.

(الجادر والعزاوي 1970)

ملابس الملك والموظفين الكبار:

تختلف الملابس الآشورية حسب مناسباتها الاجتماعية حيث تختلف طرز ملابس الحياة اليومية للمجتمع الملكي عن ملابس الاحتفالات الدينية وملابس الصيد والحرب وما يرتديه الملوك عند إصابتهم بالأمراض أو لطرد الأرواح الشريرة، وغيرها.

تتكون أغلب هذه الملابس من قطعتين رئيسيتين:

1. قميص يتراوح بين القصر والطول ويكون على الأغلب مزركشاً ومطرزاً بالتكوينات الزخرفية التقليدية التي تظهر على القطع الخارجية الأخرى.

2. القباء (الجبة) أو المعطف الذي يلبس عادة فوق القميص مباشرة. ولا يجوز ارتداء المعطف أو القباء بمفرده وإن جاز استعمال القميص لوحده وبمناسبات معينة.

طبقات من الثياب:

شريط من القماش واحد ملفوف حول جسده مثل الساري الهندي مزين بأزهار مجوهرة ومطرز بنقوش ورموز دينية.

ملابس الحرب والصيد: قميص عادي يمتد حتى الكاحل مثل الدشداشة.

مادة الملابس هي الصوف، الكتان موجود ولم يستخدم والقطن غير معروف.

القطن جلبه سنحاريب، ربما من الهند، ودخل لبلاد آشور حوالي 700 ق.م.

مواد أخرى: الجلود وأوراق البردي.

المعطف الآشوري:

مخصص للملوك والآلهة، ظهر المعطف الآشوري في العصر الوسيط وخلال الألف الأول ق. م، وكان ارتداؤه مقتصراً على الآلهة والملوك. ينزل إلى أسفل الركبتين ويكون مفتوحاً من الأمام الأسفل أو من الجانبين أو من جهة واحدة، وينتهي من الأسفل بأهداب كجزء من نسيج المعطف.

يتزين، عند الصدر، بعناصر زخرفية وبمشاهد دينية وخرافية تنفذ بطريقة التطريز الملون إضافة إلى استعمالهم خيوط الذهب والفضة غالباً، وتحلى أحياناً بالحلي وأنواع الأحجار الكريمة الملونة.

(الجادر والعزاوي 1970)

الأحذية: لم تلبس الأحذية دائماً من قبل العامة.

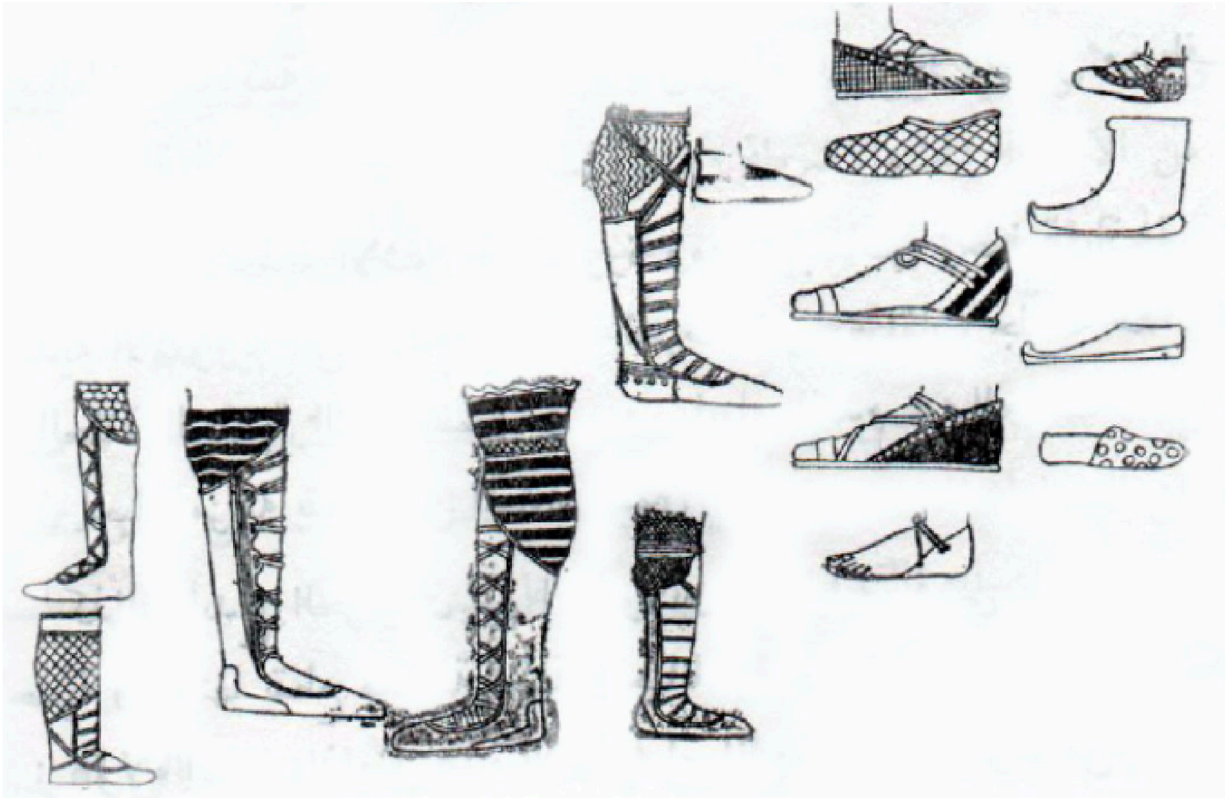
الصندل: كعب ذو إسفين مثبت بأشرطة تمتد فوق أعلى القدم وحول الإصبع الكبير الإبهام

حذاء يغطي القدم كله.

الجزمات للعسكر والصيادين، الجوارب تحتها.

أحذية لها خانات أصابع مثل الخف في كركوك 1400 ق.م.

أحذية النساء: خف يغطي الجزء الأمامي من القدم.



تخطيطات لنماذج الأحذية الآشورية (الجادر والعزاوي 1970: 364).

الشعر وأغطية الرأس

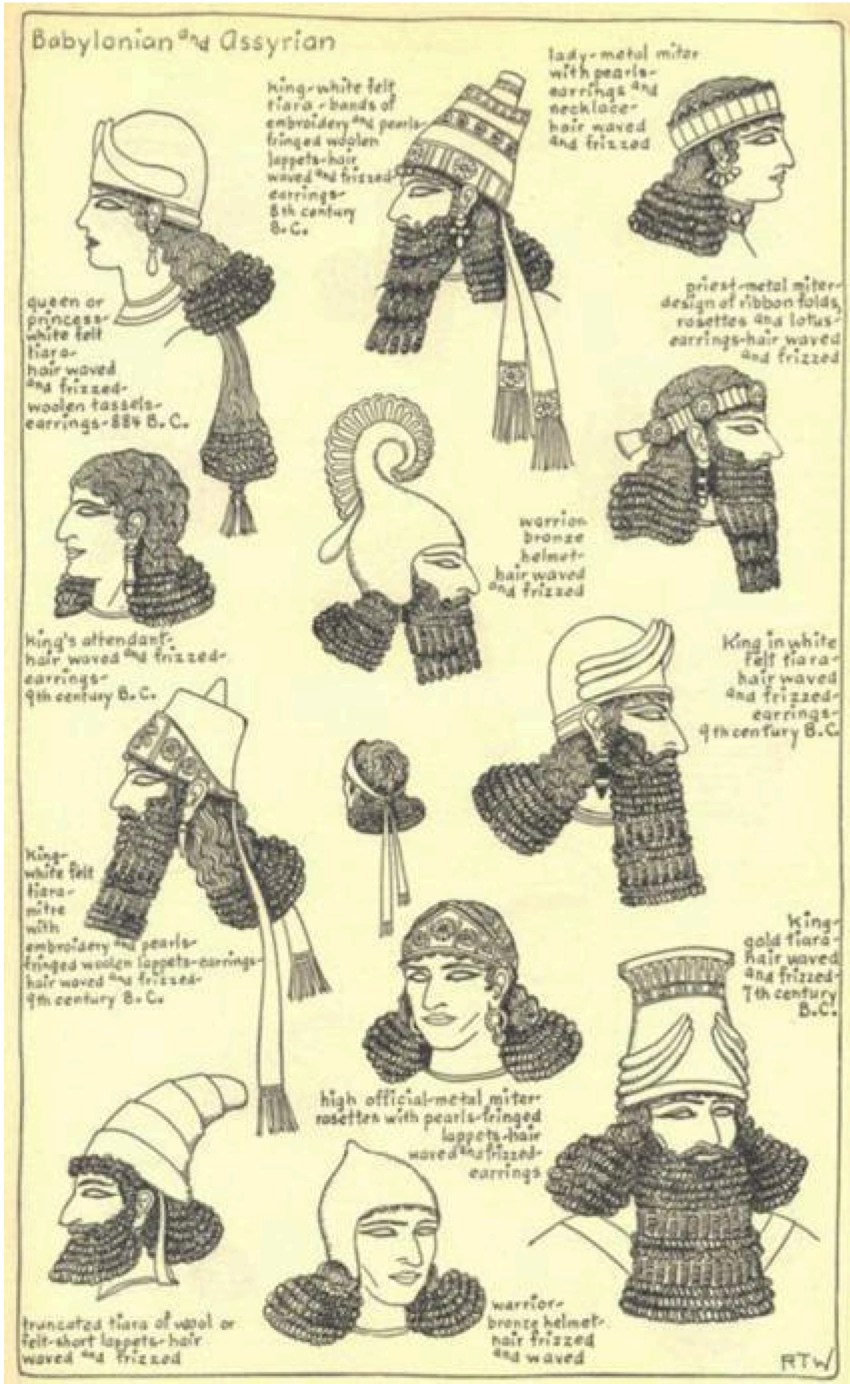
الرجال يطلقون لحاهم وشواربهم، شعر اللحية طويل مع كشف الأذنين، متموج أجعد النهاية.

الأطباء ورجال الدين يحلقون بقعة كعلامة.

الصغار والشباب والخصيان بدون لحى وشوارب.

أغطية الرأس لكبار القوم، والعامة عصابة الرأس بسيطة ومزينة ولها ترويسة أو لا.

العصابة للرجال والنساء لترتيب الشعر، فوق العمامة أحياناً طراز معقد ومهيب لكبار القوم.



أغطية الرأس الآشورية العامة (للآلهة والملوك والمحاربين والعامة)

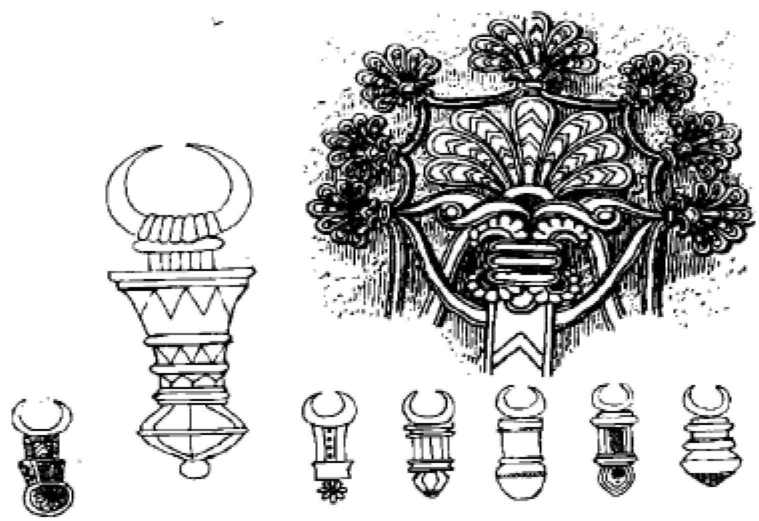
ثانياً: المكياج والحلي

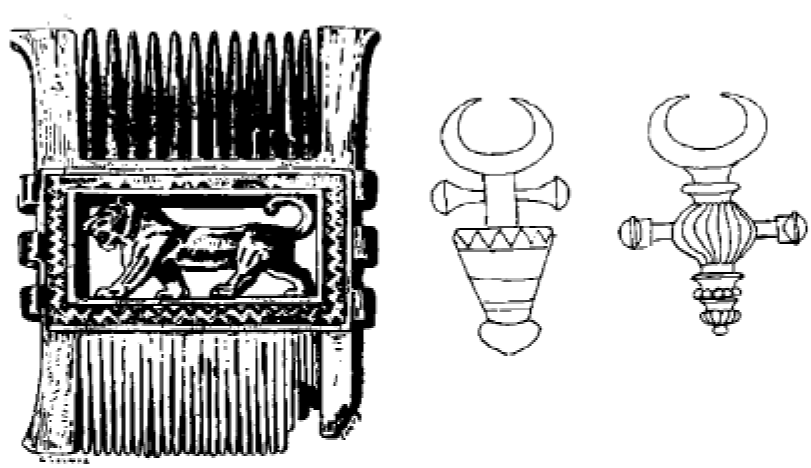
المرايا: لم تكن من الزئبق كما هي في عصرنا بل من صحائف من الذهب أو الفضة أو البرونز، وكانت تُلمّع وتوضع في إطار لتكون كسطحٍ عاكسٍ وكمرآة لهم. وكان تلميعها يتم بجلد الشاموا أو الدوسو.

تسريحات الشعر: الشعر الطويل للرجال والنساء، ويستعملون الأمشاط الخشبية والعاجية.

شفرات التزيين والحلاقة: ذكرت وبعضها معدني.

أدوات تجميل البشرة (يسمى المعجون الذهبي وهو صبغ أحمر مخفف)، والعيون (الكحل).





نماذج من الحلي والمشبكات، ومشط خشبي

الرجال والنساء يلبسون المجوهرات، تعويذة حجر في الرقبة كرأس شيطان لدرء الشر أو منقوشة بتعويذة.

الملوك: قلادة عقيق أبيض في سلسلة ذهبية مكتوب عليه اسمه.

النساء: الخلاخيل، قلائد معدنية ومجوهرات وعقيق أبيض معلق في سلسلة ذهبية.

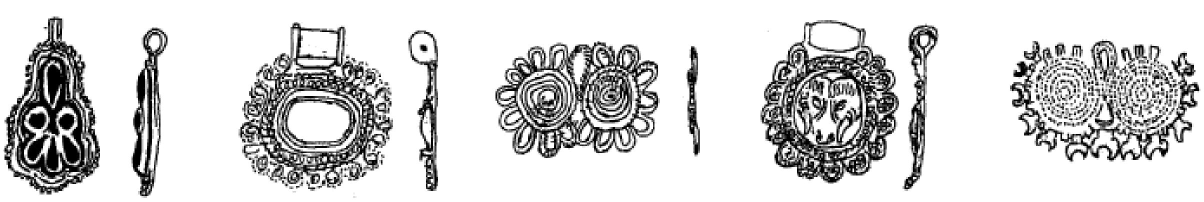
(Harper et al. 1995)

(Harper et al. 1995:74,75)

الأختام الأسطوانية كحلية: من أحجار شبه كريمة.

رجال المراتب العليا يلبسون المعاصم المحلّاة بزهور مستديرة بشكل ساعة اليد.

الأقراط للرجال والنساء تحمل الهلال مصنوعة من الذهب أو الفضة. القلائد بأشكال مختلفة ملحومة بالقرط.



مجوهرات مختلفة عثر عليها في القبر 45 موجود في متحف ألماني في برلين

(Harper et al. 1995: 93)



بعض أشكال الحليّ الآشورية

كنز نمرود

بين القرنين، التاسع والثامن قبل الميلاد، ظهرت تجمعات جنائزية من مقابر ملكات قصر نمرود الشمالي الغربي، وعكست عناصر اللباس والمجموعات الهوية والشخصية والأفكار الآشورية. وتتطابق الاكتشافات، التي لم تتم دراستها من قبل كمجموعات شاملة، مع الصور القليلة الباقية للملكات الآشورية الجديدة وتوسع بشكل كبير أدلتنا على الطريقة التي تم بها بناء وتجسيد المظهر المثالي للملكة. بالنظر إلى اللباس في الموت، وكذلك في الحياة والآخرة، كمجموعة قياسية، ولكن مرنة، ملكة، لتسهيل التحليلات، أقدم نموذجًا رمزيًا يعتمد على تجميع الأدلة الأثرية والفنية التاريخية والأدبية للمرأة الملكية المثالية. وبتحليل عناصر اللباس والمجموعات كتعبير عن الهوية الفخمة، والملكية، والفردية. أخيرًا، أفسر اللباس الملكة كآلية أيديولوجية تظهر القوة الإمبريالية من خلال موادها وأسلوبها وأيقوناتها. بشكل عام، توفير أساس جديد لدمج الوجود البصري والمادي للملكات بشكل أكثر شمولاً في تفسيرات المحكمة الآشورية الجديدة وكونها المصور إلى الأبد.

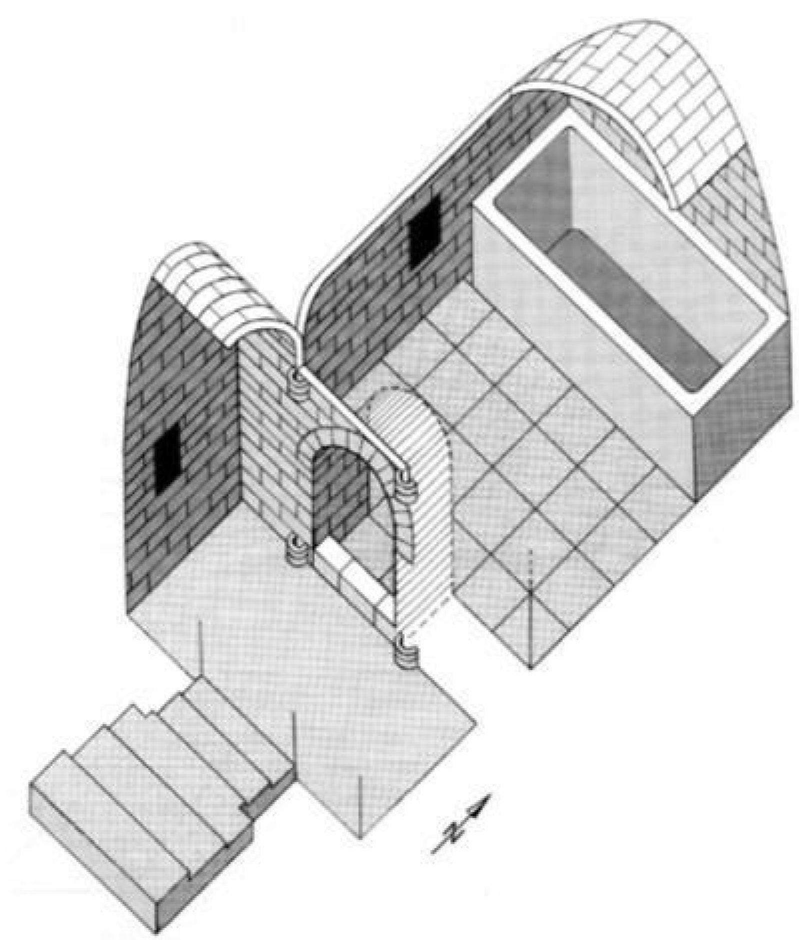
عندما توفيت الملكة يابا العظيمة في نمرود، تركت لعنة لأولئك الذين يجرؤون على إزعاج راحتها الأخيرة: «من في المستقبل، سواء كانت ملكة تجلس على العرش أو سيدة القصر التي هي محظية الملك، أو تزيلني من مقبرتي، أو تضع أي شخص آخر معي، وتضع يده على مجوهراتي بالشر نية أو كسر ختم ذلك القبر، فوق (الأرض)، تحت أشعة الشمس، دع روحه تتجول في الخارج في العطش، في الأسفل في العالم السفلي، عندما يتم تقديم شفرات الماء، يجب ألا يستقبل مع الأنوناكي جنائزية تقدم أي بيرة أو نبيذ أو وجبة. قد يصيب نينكّشيزيدا وحارس الباب العظيم، بيتو، الآلهة العظيمة للعالم السفلي، جثته وشبحه بالتململ الأبدي».

على الرغم من تحذيرها، كشفت الحفريات من عام 1988 إلى عام 1990 في القصر الشمالي الغربي للملك Assurnasirpal II في مدينة نمرود القديمة عن وجودها، وعدد من المقابر الملكية الأخرى التي يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الجديد (حوالي 900-600 قبل الميلاد). احتوت المقابر على وفرة من السلع الذهبية والصفوة التي تنافس الملك توت، لكن ظهور حرب الخليج الأولى طغى على اكتشافها ونسيت الملكات.

كان من بين أكثر الاكتشافات تميزًا في الآونة الأخيرة اكتشاف المدافن الملكية السليمة نسبيًا في نمرود، والتي غطت حرب الخليج على أهميتها إلى حد كبير. فقد كشفت الحفريات العراقية في 1988-1990 عن مقابر عدد من الملكات الأشوريات التي تحتوي على كميات مذهلة من القطع الذهبية والمجوهرات بمقياس لتتناسب مع اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون. بعد حرب الخليج الأولى عام 1991 وفرض العقوبات، أصبح من المستحيل القيام بمزيد من الأعمال الأثرية في العراق، على الأقل بالنسبة للبعثات الأجنبية.

كما تم اكتشاف سلسلة كاملة من الأقبية تحت الأرض وكذلك الآبار التي تحتوي على العديد من الجثث وبعضها مع بضائع خطيرة، حتى 400 بئر واحد في كل واحدة فقط محفوظة في أغلال حديدية، كانت هذه اعتبارات في هذا التقرير. New Light on Nimrud

استمرت الحفريات والترميمات في بقية القصر وفي عام 1988، أثناء إزالة الحطام وترتيب رصف الغرفة MM، تعثر العمال في أول قبور الملكات. ألهم هذا الاكتشاف الرائع الحفارات لمواصلة الحفر في أجزاء من الحريم، والتي لم يتم حفرها. تمت مكافأتهم في الموسمين التاليين بقبرين إضافيين، حيث تم العثور على حوالي 1000 قطعة ذهبية. في عام 1991 تم اكتشاف مقبرة رابعة تم العثور على الأواني الزجاجية والأواني البرونزية والفضية.



المدفن الثاني

استمر موسم 1992 بحفر الفناء والغرف المحيطة به. تحت الغرف 74 و75، تم اكتشاف هيكل غير عادي، ممر ضيق مقبب يؤدي إلى ثلاث غرف مقببة صغيرة. تم اكتشاف العديد من الاكتشافات الرائعة هنا بما في ذلك الأختام الاسطوانية، والعديد من الخرز، والفخار المزجج، ولوح حجري منقوش من شلمنصر الثالث. المدافن الملكية تشبه مدافن قبور السومريين بما في ذلك حوض الحمام على شكل تابوت مقطوع في الأرض.

يبدو أن الآشوريين كانوا جامعين متعطشين للعاج المنحوت فقد تم العثور على أعداد كبيرة منها، مما أثر أيضاً على عملهم في العاج. وكان في داخل التابوت بقايا سوداء من ملابس الكتان وبين طبقات هذه كانت الهياكل العظمية لامرأتين. وقد مكنت العديد من

القطع المنقوشة من التعرف على أحد الجثث باسم يابا. والآخر كان بانيتي، زوجة شلمنصر الخامس (726-722 قبل الميلاد) أو أتاليا، زوجة سرجون الثاني (721-705 قبل الميلاد).

كُتبت الأشياء المنقوشة من مقابر الملكات بنصوص مصورة وأبجدية. وهي مكتوبة على الذهب والفضة والبرونز والأحجار والعاج والطوب والطين.

جميع المدافن الملكية لديها لعنات وقائية، وكانت باسم شمش، إريشكيغال والأنوناكي، آلهة الأرض العظيمة، وكان بعضها ينص على أن «يابا، الملكة، في الموت، ذهبت إلى طريق أسلافها. ومن، في المستقبل، سواء كانت ملكة تجلس على العرش أو سيدة القصر التي هي محظية للملك ينقلني من قبرتي، أو يضع أي شخص آخر معي، ويضع يده على مجوهراتي بنية شريرة أو يكسر ختم ذلك القبر، فوق الأرض، تحت أشعة الشمس، دع روحه تتجول بالخارج في العطش».

تعتبر الأعمال الحرفية من أعلى مستويات الجودة، فقد كانت رائدة في العديد من المواد مثل الزجاج والسيراميك، على الرغم من أنها تعتمد أيضاً على الإرث الغني لبلاد الرافدين.

بعض القطع الأثرية التي تم العثور عليها كانت غامضة تمامًا ولم يتم العثور عليها في مكان آخر، مثل كوب من الحجر الأسود المنحوت مع مرفق أنبوبي.



أساور وأساور من الذهب الخالص كانت تضعها أميرات الآشوريات في المعاصم وكلها من «كنوز نمرود»



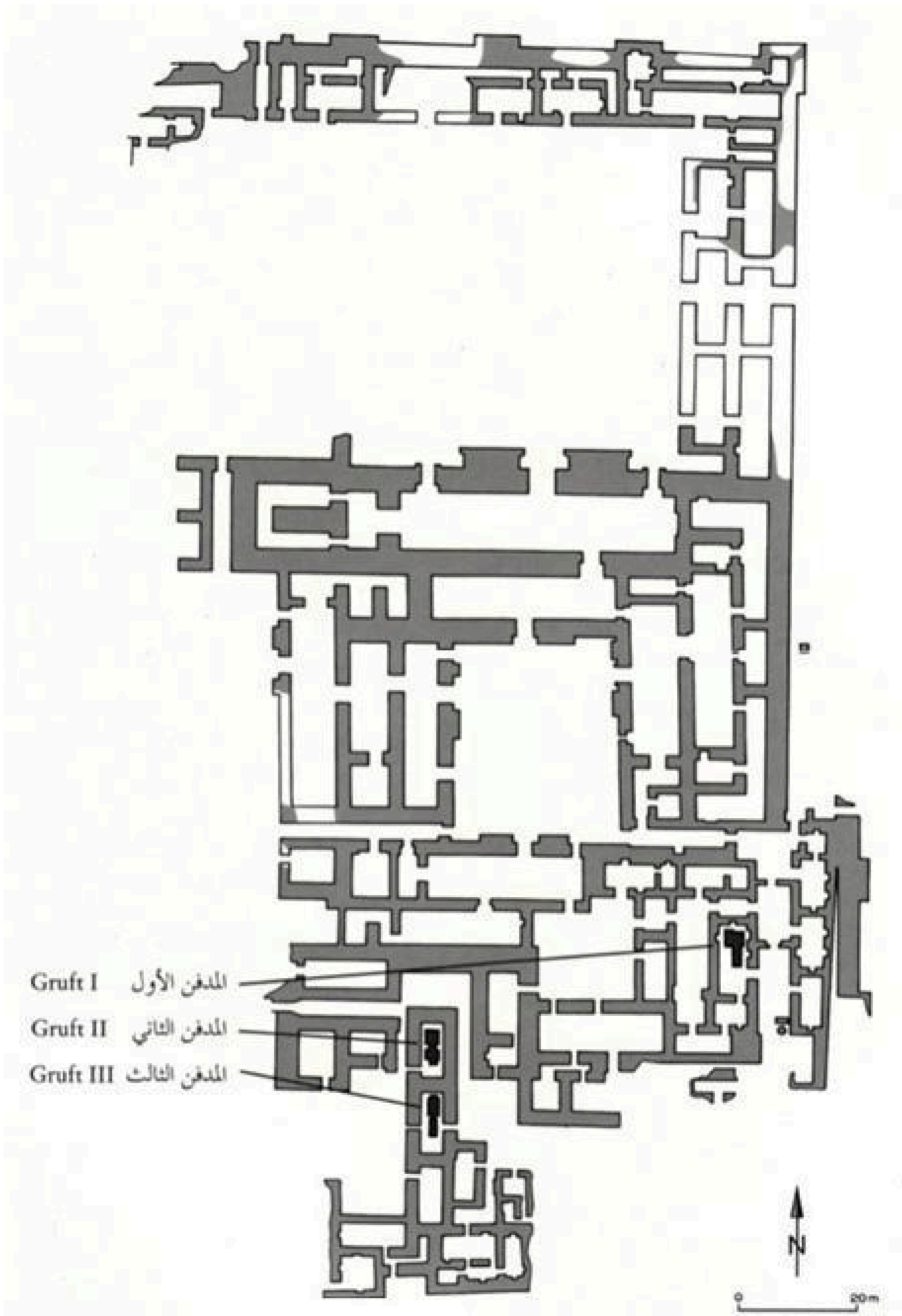
عقد من الذهب المرصع بلؤلؤ
وصف بأنه اجمل حلية صنعها
الانسان في التاريخ القديم



إبريق من الذهب الخالص كانت
الأميرات يشربن منه في القصور



تاج ملكي من الذهب لإحدى الملكات

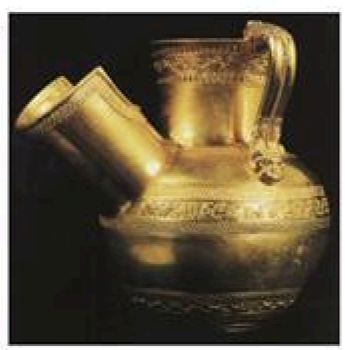


القصر الشمالي الغربي لآشوربانيبال مع القبور والمدافن الملكية الثلاثة










بعض محتويات القبر الثاني

المبحث الخامس: الموسيقى الآشورية

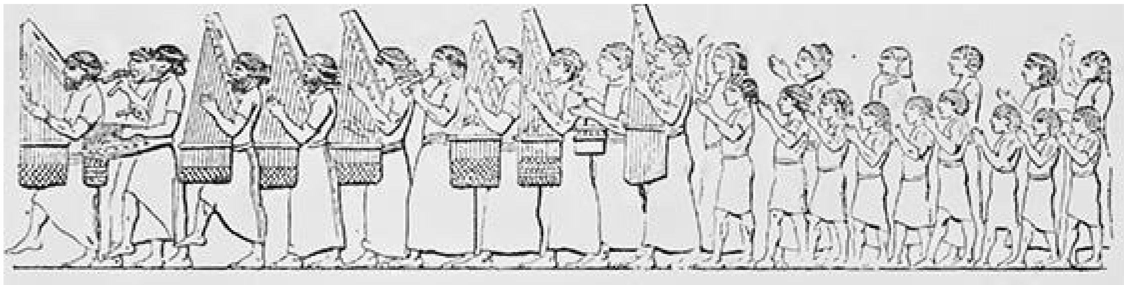
الموسيقى الآشورية ملمح بارز ومهم من ملامح الحضارة الآشورية، فقد تطورت، مثل باقي الفنون الآشورية، لتكون ملهمة لشعوب العالم القديم في نضجها وتطورها النوعي، وكان أثرها المباشر في نهضة وتطور الموسيقى الإغريقية والرومانية، فهي الأب المباشر للموسيقى الكلاسيكية القديمة، لكن الآثار المدونة عن الموسيقى الآشورية ما زالت قليلة، وما زالت البحوث، في هذا المجال، قليلة، وما زالت بقايا آلات موسيقية شحيحة، ويمكن تتبع تاريخها مع عصور التاريخ الآشوري:

1. **الموسيقى الآشورية القديمة:** التي ظهرت في المعابد وتحت إشراف رجال الدين من منشدي الكّالو والنار، واستثمرها العسكريون والقادة في حروبهم، ويبدو أن الموسيقى والأغاني الحورية كانت متطورة في هذا العصر وقد تأثر الآشوريون بها واستلهموا بعضها. فضلاً عن المؤثرات الأصيلة لموسيقى وادي الرافدين السومرية والأكدية.

2. **الموسيقى الآشورية الوسيطة:** انتشرت الموسيقى بين الناس وأصبحت مرافقة للغناء والرقص في القصور وفي الحياة الشعبية واليومية للناس. وازدهرت الموسيقى في البلاطات والمعابد الآشورية. وأصبح الموسيقيون جزءاً من الحاشية الملكية.

3. **الموسيقى الآشورية الحديثة:** اكتشف لايارد في نينوى مشهدًا مذهلاً، من النقش البارز، يتكون من موكب مهيب من العازفين والمغنين والمصفقين. ظهر فيه ستة وعشرون موسيقيًا. الأول، الذي يبدو أنه قائد الموكب، يعزف على القيثارة. ويتبعه موسيقيان. أحدهما يعزف على الفلوت المزدوج، والآخر هو حامل القيثارة، ثم اثنان من عازفي الكنّارة، ثم عازفتان للكنارة والفلوت، ثم عازفا كنّارة، ثم عازف طبلٍ صغير يتبعه عازف كنّارة، وبعدها تأتي جوقة المصفقين والمغنين المكونة من تسعة أطفال وستة من النساء والرجال. ربما يكون هذا الموكب الموسيقي الاحتفالي أحد أهم وأكبر جوق في العالم القديم، لقد

كانت نينوى تعزف وتغني عندما كانت في قمة مجدها، العظمة إلى أقصاها كما يسميها هاري ساغز.



نينوى تعزف وتغني: موكب موسيقي مهيب عبارة عن نقش بارز اكتشف في نينوى



لوحة للموسيقيين من قصر آشوربانيبال في نينوى

(Dumbrill 1998: 100)

1.التعاليم الموسيقية: كانت الموسيقى ميثولوجياً قد رافقت خلق الإنسان، ففي أسطورة خلقه قام الآلهة بذبح إله اسمه (وي ـ إيلا) ومزجت الإلهة ننتو دمه بالطين، ثم استمعوا للطبل فتكونت روح من لحم الآلهة ونودي بالإنسان الحيّ رمزاً لها. «إنه لم يمتلك أداة الزامي فيو لن يستطيع تعلم فن الغناء ذلك إنه أشد زملائه تأخراً، فهو لم يستطع أن يصنع أداة التريمولو، ولم يستطع أن يتفوه بصوت.. إنه غير قادر أن يغني أغنية أو يفتح فمه» (البلداوي 2017: 217).

«المغني الموسيقي الجيد هو الذي يعرف كيف يوازن آلته ويدعيا ترن عالياً وما عدا ذلك فيو مغن فاشل» (البلداوي 2017: 217).

2.السلّم الموسيقي الآشوري: عثر الآثاريون على لوح حجري مدون عليه نوتة موسيقية آشورية لأغنية (رومانس) يعود لحوالي 1400 ق.م، وفي عام 1975 قام أساتذة في جامعة كاليفورنيا بما يلي:

1. فكوا شفرة نوتة الرومانس الآشوري من الكتابة المسمارية وحولوه إلى السلم الموسيقي الحديث.

2. أعادوا صنع القيثارة التي عزف عليها الرومانس.

3. عزفوا الرومانس عليها وحللوا شفرته.

4. وجدوا أنه مدون على السلم السباعي، الذي أصبح أساس الموسيقى اليونانية والغربية فيما بعد ولم يدون على أساس السلم الشرقي المألوف.

5. كانوا يعتقدون أن الإغريق هم من وضع وعزف على السلم السباعي في حدود 400 ق.م، فصححوا هذا الاعتقاد وتأكد لهم أن الموسيقى الآشورية هي أصل الموسيقى الإغريقية والغربية.

كان السلم السباعي من ابتكار السومريين، ثم أصبح متداولاً عند أغلب الساميين، لكنه عند الآشوريين أخذ بعده النظري والعملي الدقيق، وكان مبنياً على أساس الكواكب السبعة التي كانوا يؤمنون بها، ويخصصون لها أعظم آلاتهم.

وضع السلم الموسيقي الآشوري على الأساس الذي بني على القيثارة ذات الأوتار السبعة (التي تبدأ من قرار الصول لتصل إلى درجة الفا) أما الوتر الثامن فهو صوت حاد جواباً للوتر الأول حيث يبدأ أوكتافاً جديداً أي ديواناً آخر فيبدأ اللحن الأول على الوتر الأول وهكذا إلى الوتر الأضافي.

جرى تقسيم السلّم الموسيقي عند الآشوريين إلى أجزاء صغيرة، أقل من الصوت الواحد، ولهذا السبب عرفوا الألوان الكثيرة من الألحان والغناء، وهو ما يفسر أن موسيقاهم كانت قوية أحياناً، ولينة أحياناً، بسبب سعة تدرجها من الهدوء إلى القوة، فقد كانوا يستخدمون الدرجة القوية في صخبهم حين يستخدمون معها التصفيق، وفي حروبهم حين يصعّدون من حماس جنودهم، ويستخدمون الدرجة اللينة في رومانسيتهم وهدوئهم.

كانت موسيقى العراق القديم، وبضمنها الموسيقى الآشورية، من ناحية الجنس الموسيقي، مبنية على أساس التتراكورد (البعد الرباعي أي أربع درجات صوتية متتابعة)، وتشبهها الموسيقى الإغريقية من هذا الجانب.

ثانياً: الآلات الموسيقية الآشورية

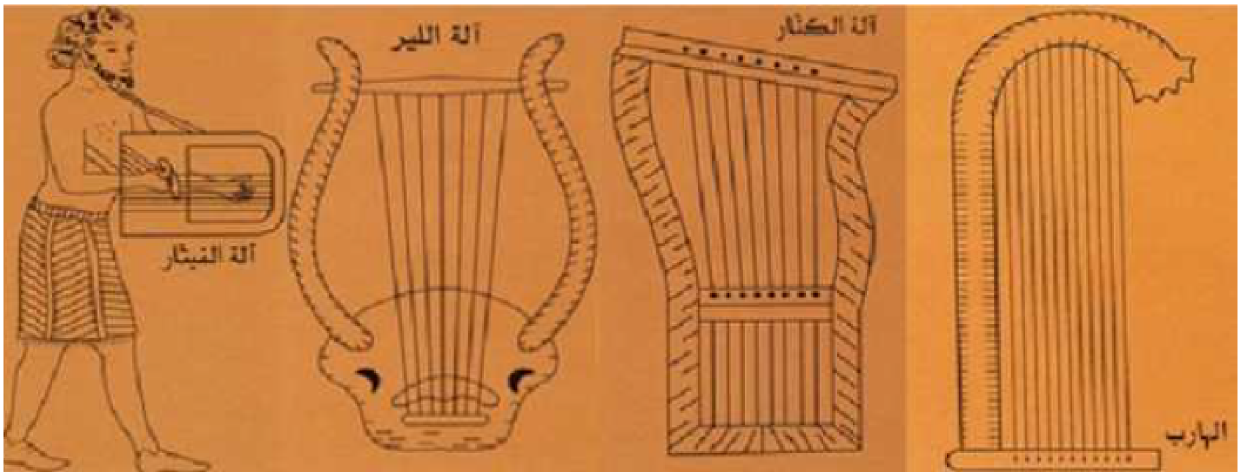
تصنيف الآلات الموسيقية:

وفي التاريخ الآشوري يعمل على Organology يقوم علم الآلات الموسيقية أورجانولوجي

على أساس تصنيف الآلات الموسيقية في تاريخ الشعوب، ويقدم صورة واسعة ونوعية عن كل الآلات

الموسيقية، وكان تصنيف الآلات الموسيقية في وادي الرافدين يقوم، في الغالب، على أساس نوع المادة التي تُصنع بها الآلات الموسيقية:

أولاً: الآلات الوترية Cordophones



الفرق بين الآلات الوترية

القيثارات Harps

القيثارة هي أقدم شكل من الآلات الوترية وربما يرجع أصله إلى قوس الرامي، بانتور السومري، فقد كان الصيادون يلاحظون اهتزاز الأوتار في أقواسهم عند استعمال السهام ورشقها، ولا شك أنهم صنعوا، في البداية، أقواساً هلالية الشكل لا تصيد ولا ترشق السهام وحركوا أوتارها لأجل سماع أصواتها الجميلة، وحين وضعت الأوتار، المصنوعة من أمعاء بعض الحيوانات، في أجسام مجوفة تشكل الجسد الصلد المبكر للقيثارة، وكانت سلسلة من الأوتار تمدد مما يسمح بوجود مسافة بين كل واحد للأصابع دون مضايقة الأوتار الأخرى.

تعددت أوتار القيثارات حتى بلغ بعضها 21 وتراً كما في أحد النقوش الأثرية. وكان يتم تصنيفها كما يلي:

1. شاليشتو: ذات الأوتار الثلاثة.

2. عشيرتو: ذات الأوتار العشرة..

وأهمها القيثارات كانت على أنواع هي:

1. زق سال: السومرية الأصل ومنها اشتقت (جنك) وبعضها بـ11 وتراً والأخرى 21 وتراً وهي آشورية.

2. اللير: قيثارة بسبعة أوتار (قيش ـ أل ـ غار).

3. الكنّارة: قيثارة بعشرة أوتار (عشيرتو).

4. شاليشتو: قيثارة بثلاثة أوتار.

5. ميريتو الذي ربما تطور منها العود والتي سماها العرب (المرط).

6. سابيتو أو سبعكا: قيثارة بسبعة أوتار وربما منها العود وأخذها الإغريق وسموها سمبوكا.

7. بان طور: ذات رقبة طويلة معناها (القوس الصغيرة) سماها الإغريق باندورا ثم الفرس طان بور وهي الطنبور أو البزق.

8. سنطور: ثمانية أوتار ومضرب وتعلق بحزام على الكتفين وهي الآلة المفضلة عند الآشوريين.



فتاة تعزف على قيثارة آشورية ب 13 وتراً

(محفوظة في المتحف البريطاني)

http://www.musicologie.org/theses/felix_clément_assyriens.html

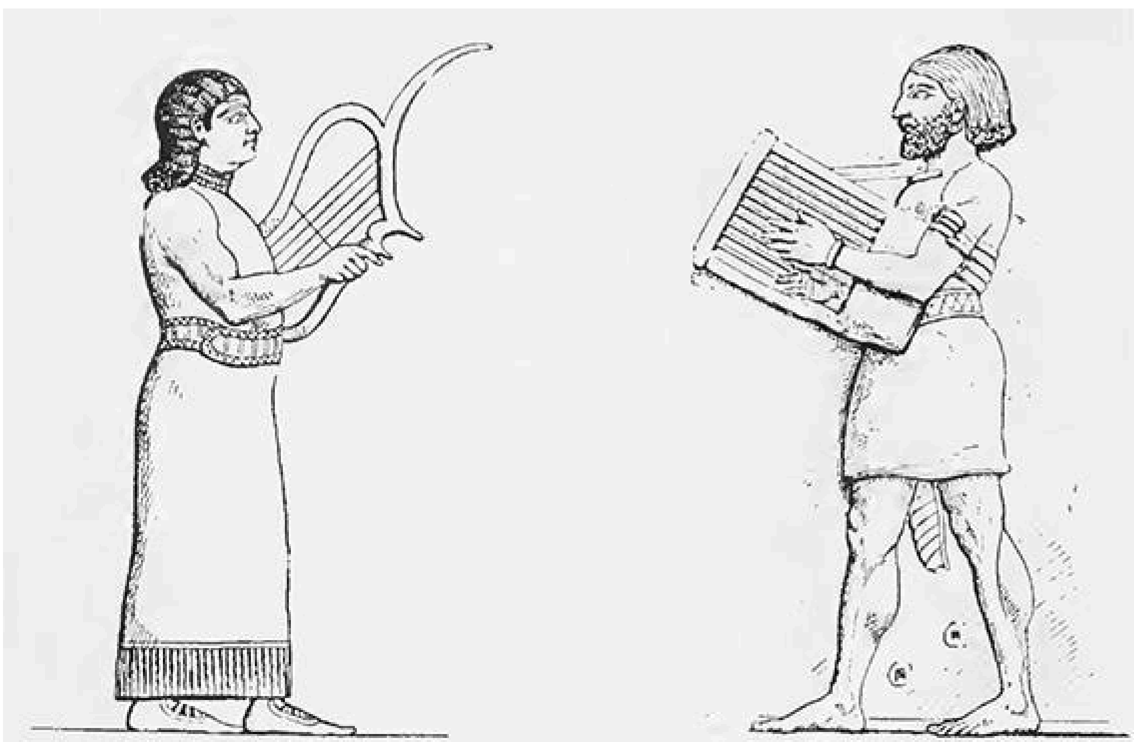
الجنك: مصطلح فارسي يعني القيثارة المحمولة وهي على أنواع.

أ. الجنك المقوّس (المنحني) وهو الذي تطور عن قوس الرماية.

ب. الجنك الزاوي: حين يتصل حامل الأوتار بصندوق الصوت تتكون زاوية قائمة، وهذا الجنك ظهر مبكراً في وادي الرافدين في 1950 ق.م. وربما كان هو مصدر الجنك المصري الزاوي.

ج. الجنك الأفقي: ظهر في القصور الآشورية في نينوى.

د. الجنك العمودي.



قيثارتان آشوريتان (اليمين 10 أوتار، اليسار 5 أوتار)

http://www.musicologie.org/theses/felix_clément_assyriens.html

2.الكنارة أو القيثارة: تسمى بالأكدية (كناروم) وتسمى بالإنجليزية (لير) وأصلها سومريّ تعود لنهاية عصر جمده نصر، تطورت الكنارة وتغير فيها المظهر العام لشكل الصندوق الصوتي وازدادت أوتارها وأضيفت لها المفاتيح (الملاوي) وفتحات الصندوق الصوتي (الشمسية) لتقوية الصوت المنبعث من الآلة. وكانت القيثارة تسمى بالسومرية والأكدية بلاك.

تصنف الكنّارات إلى نوعين رئيسيين يأخذان أشكالاً حيوانية وهما الأمامي والجانبي، كمنظر لرأس الحيوان من الأمام حيث القرون. وتُصنّف أيضاً على أساس أنها مسنودة على الأرض أو محمولة (أفقياً أو عمودياً).

3.العود: ظهر العود في العصر الأكدي (2350 ـ 2170) ق.م، وأصبح من أكثر الآلات الموسيقية انتشاراً وتفضيلاً في العصر البابلي القديم حوالي (2000 ـ 1600) ق.م وظهر عند الآشوريين بأنواعه المختلفة. ويرى الباحث الدكتور صبحي أنور رشيد بأن الفرس أخذوا العود من البابليين والآشوريين.

يسمى العود بالـ (بربط) أي صدر الحمام. وكان على أنواع منها:

1. ميريتو: عود صغير برقبة منحنية.

2. سابيتو: عود أو قيثارة بسبعة أوتار، أسماها الكلدانيون سبعكا، والآراميون شبعكا، والإغريق سمبوكا.

3. قيش ـ آل ـ غار: تشبه اللير.

4. بان ـ طور: تشبه العود الصغير، ذات رقبة طويلة وصندوق طنين صغير دعيت «بان ـ طور» أي القوس الصغيرة، واقتبسها اليونانيون ودعوها «باندورا» ثم أبدل الفرس مقطعيها فأصبحت عندهم «طان ـ بور»، وهي آلة «الطنبور» أو «البزق» الحالية.

4. السنطور، القانون Santur, Dulcimer

وهو آلة وترية يعزف عليها وقوفاً حيث تربط بالجسد من الرقبة وتضرب على أوتارها بآلات ضرب معينة فتخرج أصواتاً تشبه أصوات القيثارة.

السَّنْطُور (بالفارسية: سنتور) آلة موسيقية وترية العزف يتم بالضرب على أوتاره بمضربين صغيرين من الخشب، ويقوم بتبديل الأصوات بتحريك الحمالات التي تسند الأوتار وهي عادة مصنوعة من الخشب. وهو ما كان موجوداً في بابل وآشور.

أما القانون فهو يشبه السنطور ولكنه أحدث منه تأريخاً ويتم العزف عليه بريشتين مصنوعتين من الفضة تلبس في سبابتي يدي العازف اليمنى واليسرى، ثم ينقر بهما على الأوتار التي أمامه.



السنطور الآشوري (8 أوتار، 9 أوتار)

ثانياً: الآلات الهوائية

المصنوعة من الخشب أو العظام أو المعادن، وهي:

1. الناي: سومري الأصل وكلمة ناي فارسية ومقابلها العربي هو الشبابة والقصابة أو القصبية، وهناك أنواع من الناي هي:

أ. الناي المفرد (القصبة): ونموذجه ناي مقبرة أور نقشت عليها آلة شبيهة بالناي تدعى «كانزابو» وهي أصل كلمة «القصبة» التي تشبه القصبة أو (المطبج العربي) التي يسمى بها الناي العربي. ووجد في مدينة أور أيضاً، ناي معدني مزدوج يعود إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وما زال أحد فرعيه صالحاً للعزف.

ب. الناي المزدوج: وهو أكثر آلات النفخ مصنوع من مزمارين يلتقيان في بدايتهما عند فوهة العزف ويتفارقان كلما ابتعدا عنها. ولعل هذه الآلة هي أصل آلة «الآولوس» اليونانية.

كان المزمار يسمى بالسومرية (جيجد) وبالأكدية (إمبوبو).

2. البوق: أنبوب نحاسي شكله أسطوانيّ ـ مخروطي جرسي النهاية وجد منذ عصر فجر السلالات الثاني وفي مصر ظهر في عصر تحوتمس الثاني، وظهر نقش في أور يصور قرناً من الخشب سمي بالأكدية «بوگو» (بزق)، وبالسومرية «كاران» (قرن). وقد صنعت بعض الأبواق المنحنية من المعدن نحو ألف عام قبل الميلاد. وكان القرن الخشبي الهوائي الذي يشبه البزق وكان يسمى بالسومرية (كاران) أي (قرن).

3. القرن: تُصنع من القرون المجففة للثيران والماعز، اسمها بالأكدية قرنو وقرنوم، وبالسومرية «كاران» (قرن). وقد صنعت بعض الأبواق المنحنية من المعدن نحو ألف عام قبل الميلاد.

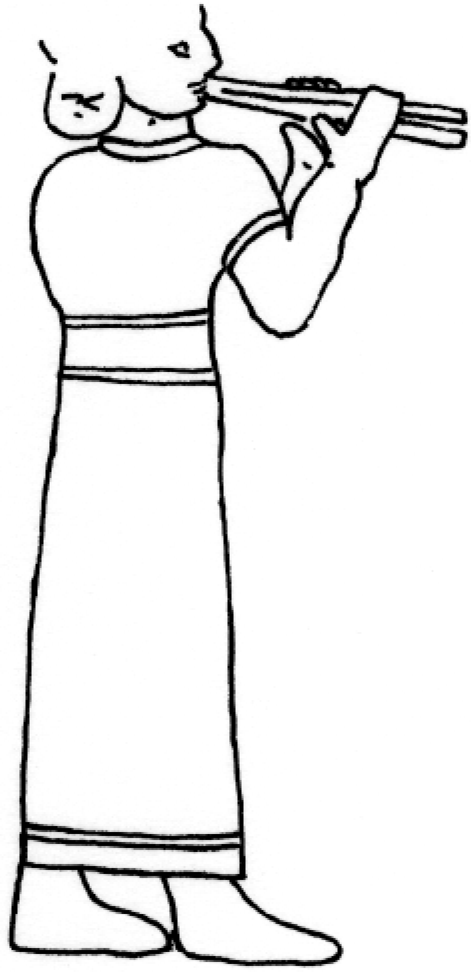
4. آلة نفخ مدورة ذات ثقبين أو ثلاثة مصنوعة من الفخار. وهي آلة شبيهة بالآلة الأوروبية الشعبية (أوكارينا).

5. الصفارة: وهي واحدة من أقدم الآلات الموسيقية في وادي الرافدين، وتعود لعصر حسونة في العصر الحجري الحديث «وهذا الأثر عبارة عن قطعة فخارية تشبه شكل (السيكّار) ينتهي برأس خروف وهناك بعض الثقوب المنتظمة على سطح الأنبوب الفخاري، الأمر الذي يشير إلى استعماله كآلة نفخية، وفي تبه كَاورا بمحاققفظة نينوى عثر على بعض الصفارات العظمية التي تعود إلى عصر العبيد وهي تحتوي أيضاً على بضعة ثقوب لإخراج الصوت، وفي الوركاء وبورسبا (برس نمرود) عثر على كسرٍ فخارية من السافرات واستمر استعماله في العصور اللاحقة على شكل طيورٍ أو أشكالٍ أخرى استعملت للأطفال» (رشيد، أنور صبحي: 430).



عازفا الناي والدف من نمرود

(Dumbrill 1998: 351)



عازفة الناي من كركميش

(Dumbrill 1998: 351)

ثالثاً: الآلات الإيقاعية الجلدية Membranaphones

1. الدف الذي منه آلة (آدابا) الخشبية أو المعدنية المربعة الشكل المشدودة، كان يستخدم في الاحتفالات الدينية والشعبية العامة، وهي أصل «الرق» أو «الدفش» (المدوّر) العربي.

2. الرق: المستخدمة شعبياً ودينياً.

3. الطبول ذات الوجه الواحد أو الوجهين.

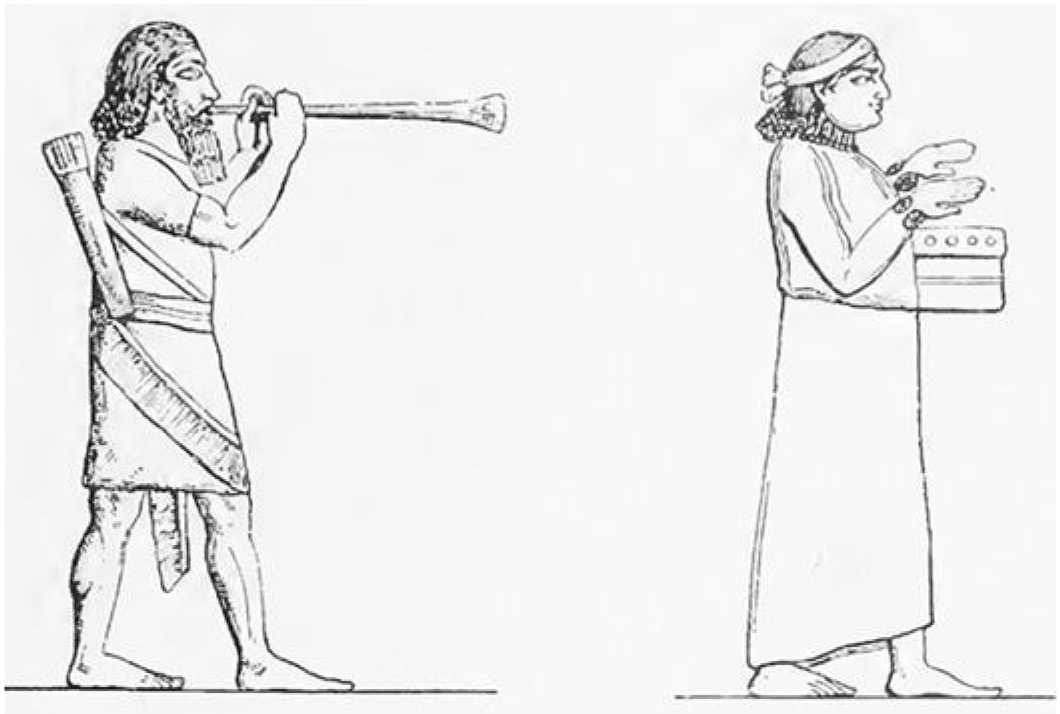
4. الطبل الكبير (بالاك) المقدس الذي كان بمثابة نداء من الآلهة، فهو الطبل المقدّس ذو الوجهين من الرق المشدودين، ضيق الخصر، وكان يحمل على الكتفين بحزام جلدي. وكان صوته يعني دعوة الآلهة لسكان الأرض، وكان يخصص له حارسان برتبة كاهن، حتى أن لقب «حارس الطبل المقدس» كان يعد من أهم الألقاب الدينية.

5. طبل (ليليس) ذات القطر البالغ مترين تقريباً والذي كان يستخدم مع بعض آلات النفخ عند خسوف القمر. وهو أكبر الطبول الآشورية حجماً إذ يبلغ قطره مترين.

عرفه السومريون وكان على هيئة طبل كبير مستدير، ومن أنواعه الأخرى الطبل اليدوي، الطبل الطويل، الطبل المخروطي، الطبل الاستوائي. وتصنع الطبول من الخشب أو الفخار أو المعدن، ويكون قرعها باليد أو المضرب والعصا.

تسمى الآلات الموسيقية الجلدية بالأكدية MEZE.MEZE. أو MANZU مزمز، مانزو)

«أما بالنسبة للطبول عند الآشوريين فقد كشفت الآثار عن منحوتة جدارية عثر عليها في القصرالشمالي بنينوى. وتصور هذه المنحوتة مشهد احتفال الملك آشور ـ باني-ابلي مع زوجته وشربه نخب انتصاره على ملك العيلاميين، ولم يبق من هذه المنحوتة سوى جزء من الطبل وكفّي العازف فقط، ويدل القسم المتبقي من الطبل على أنه كان على شكل (القمع) تقريباً، أي ضيق من الأسفل وواسع من الأعلى، وقد ثبت عليه الجلد كما يستدل على ذلك من الدوائر الأربع التي تدل على المسامير المرسومة بين إطارين رفيعين لتثبيت الجلد» (البلداوي 2017: 106).



عازف الطبل وعازف البوق من آشور

ثالثاً: الآلات المصوّتة بذاتها idiophones

وهي الآلات التي تنتج أصواتاً من تصادمها ببعضها، قرعاً أو اهتزازاً. وهي المقارع النحاسية والخشبية والعاجية.

1. الصنوج اليدوية (الكوسات، الجنجانات):

2. الخرخاشات: أظهرت التنقيبات خرخاشات فخارية مختلفة الأشكال تعود إلى العصر البابلي القديم بعضها يمثل حيوانات مثل الخنزير والضفدع وحيوانات أخرى غريبة.

3. الأجراس: هي الآلات موسيقية مصوتة التي كانت تُعلّق في رقاب الخيول والحيوانات الأخرى ظهرت في العصر البابلي القديم بهيئة فخارية وفي العصر الأشوري.

4. المضارب الرنّانة: قطع معدنية تشبه المناجل وتقرع الواحدة بالأخرى، تعود لفجر السلالات وللعصر البابلي القديم في ماري.

5. الصلاصل: آلات معدنية تشبه شوكة الطعام أو الملقط، لها جلاجل أو صنوج معدنية صغيرة متحركة تعود لعصر فجر السلالات الثالث، واستعملت في العصر الأكدي.



جوقة موسيقية من عازفي القيثارة والدفوف والسنطور من نينوى (تل كوينجق)

أنواع الموسيقية الآشورية

1.الموسيقى الطقسية: وهي الموسيقى الدينية التي كانت ترافق الطقوس، وقد يصحبها غناء ديني، وكان يقوم بها كهنة الكَالا.



طقوس الإراقة الآشورية بعد صيد الأسود مع عزف موسيقي، من تل كوينجق

2.الموسيقى العسكرية: كان الآشوريون أول من شكلوا الفرق الموسيقية العسكرية ونلاحظ ذلك في الصور التذكارية لاحتفالات آشور ناصر بال وتجلات بلاصر الثالث وآشور بانيبال، أما الفرقة الموسيقية العسكرية فتضمّ عازفين من الرجال والنساء.

هناك ألواح كانت تصور انتصارات الملوك الأشوريين مثل انتصار آشور بانيبال وانتصار سرجون الثاني على أعدائهم، وتصور أغلب أنواع العازفين على القيثارة والناي والطبول والرباب والصنوج وغيرهم، باعتبارها تحفز الجنود في الحروب وتساهم من رفع معنوياتهم.

يسمى نافخ المزمار (زمارو) والعازف على القيثارة والمغني (نارو) وكبير الموسيقيين (رب زماري). أقدم أثر صوّر الموسيقى العسكرية كان آشورياً وجاء منقوشاً على الرخام في نينوى وهو عبارة عن منحوتة جداريه ارتفاعها (1.62 م) تعود لزمن الملك آشور بانيبال، موجودة في متحف اللوفر بباريس، كانت مقسمومة إلى عدة حقول صورت تسلسل مراحل معركة الجيش الأشوري، ظهرت فيها معركة وقفت فيها فرقة موسيقية عسكرية مؤلفة من أربعة موسيقيين يقومون بتقديم الأغاني والموسيقى كتشجيع للجنود. وظهرت الآلات الإيقاعية الجلدية كالدف الكبير والآلات وترية كالكنارة والآلات إيقاعية صوتية كالكوس والصنج النحاسي. وكان هناك ما يشير لوجود الغناء.

3.الموسيقى الملكية:

وهي فرق الإنشاد أو الفرق الملكية للموسيقى التي ازدهرت في قصور الملوك الأشوريين وكانت تشمل الرجال على الأغلب واستخدموها في قصورهم في الطرب والسهرات والمراسيم الرسمية.



حفلة موسيقية للملك آشور بانيبال

المبحث السادس: الدراما الدينية الآشورية

أركيولوجيا الأداء Performance Archaeology

أركيولوجيا الأداء مجموعة من الاهتمامات والحفريات في تاريخ وحضارات وثقافات الشعوب القديمة والتي تتراوح بين المشاهد العامة للناس والطقوس والمراسيم والاحتفالات ونصوص الدراما الدينية والدنيوية وتمثلاتها الفنية في الرسم والنحت والفنون التطبيقية والموسيقى والغناء والرقص.

يركز بعض علماء الآثار الأدائية، ومعهم المهتمون بالمسرح وتاريخه، على الأحداث المسرحية الواسعة النطاق لأسباب عملية، بما في ذلك ظهورها في السجل الأثري وأهميتها لفهم السياسة والمجتمع في المجتمعات القديمة والوسيطة. ويصر آخرون على أن الحياة

اليومية، في جميع مظاهرها، تنطوي على الأداء عند الإنسان والكائنات الأخرى دون قيد أو شرط.

وفي كلّ الأحوال يهتم الجميع بمواصلة تطوير مناهج دقيقة ومفصلة لفهم الأداء والعروض في الماضي. ومتابعة علم الآثار العواطف ويعمل آخرون على تحسين المناهج العلائقية، يبدو من الواضح أن الأداء، والقدرة على الأداء، هي من المساحات الشاسعة المتروكة التي كانت مهملة والتي صار من الطبيعي البحث فيها في حقول الدراما والمسرح.

من خلال ما تلمّسناه من عناصر ومظاهر الحضارة الآشورية اتضح لنا أن هناك علاقة نوعية وفريدة بينها وبين بدايات نهوض الحضارة الإغريقية، هذا الخيط السريّ الذي لم تُسلّط عليه الأضواء والبحوث بالقدر الكافي يدفعنا للبحث عن جذور ما كان يعرف بعناصر (المعجزة الإغريقية) وتتبعها في كلّ من آشور وبابل في مرحلتهما الحديثة بشكل خاص.

هناك في الغابات العميقة المظلمة وفي الوديان الخضراء المورقة لبلاد الإغريق، ظهرت عبادة الإله ديونيسيوس واحتفل المؤمنون به بدورات الموت والولادة الأبدية، التي يرمز من خلال القناع المقدس لهذا الإله الشهواني المتدفق بحسيّته الباذخة وميله للسكر والجنس، كان كاهن هذه الطقوس يرتدي قناع ديونيسيوس، ويؤدي رقته المثيرة ويشرب النبيذ المقدس ويأكل اللحم النيء من فريسته. وفي هذه اللحظة التي تصبح خارج الزمن وتلتحم بالأبدية، يتوحّد الكاهن مع الإله ليصبحا واحدًا وكأنه اختار الإقامة في جسد وكيان هذا الإله وأصبح مجسداً له. كانت هذه الطقوس هي الجذر الديني الذي ظهر منه المسرح في اليونان القديمة، أصبح الإله هو الفكرة المقدسة الملهمة للدراما، وأصبح الكاهن هو الممثل، والمؤمنون المحتفلون بالطقس هم الجمهور، وأصبحت الناصية والمذبح المقدس اللذان يؤدى عليهما الطقس هما خشبة المسرح.

كانت هذه الفعالية الديونسيوسية هي السائدة في كل الطقوس المشرقية التي كانت تطلّ على البحر المشترك بينها وبين بلاد اليونان، ديموزي في سومر، تموز في أكد وبابل وآشور

وبلاد الشام، أدونيس الفينيقي، أوزوريس المصري. وكانت هي الجذر الذي رحل لبلاد الإغريق في أصلها الإيجي أو في تجليها الإغريقي، لكن اللحظة التي انتقل فيها الطقس من ناصيته ومعبده الديني إلى خشبة المسرح كانت مسبوقة بلحظة أكثر توهجاً وشعبية وهي لحظة الأكيتو، ذلك المهرجان الاحتفاليّ السنوي الذي خرج فيه الطقس من المعابد وأصبح في الشوارع والساحات، وكان الوقت ما زال لجعله ينحصر في فضاء محدد اسمه المسرح.

هذه الوهلة التاريخية ظهرت في المشرق كله، وكانت آشور حاضرة فيه بقوة. فقد كان الأكيتو الآشوري ساحة مميزة للدراما الدينية، ومنها طفحت روح ديونيسيوس وطافت البحر وهبطت بلاد الإغريق وظهر المسرح.

كانت مجمل الاحتفالات والأعياد الآشورية الخاصة بالآلهة والملوك وأعياد الانتصارات والخصب والزرع وأعياد الفصول ومناسبات الخسوف والكسوف، ومناحات الأمراض والأحزان وغيرها مادة نوعية لآركيولوجيا الأداء، وقد اقترب عيد الأكيتو من تجسيد المرحلة الحرجة بين طقوس المعابد وأداء المسرح.

دراما الأكيتو الآشوري

كانت عمليات سرد الأساطير وممارسة الطقوس نوعاً من العود الأبدي الذي كان يمارسه الناس في العصور القديمة، حيث ينفصلون عن الزمن التاريخي العادي الدنيوي ويلتحمون بالزمن المقدّس الأسطوري العظيم وتتحول سرديات وأفعال الأسطورة والطقس إلى ساحةٍ للأداء الدرامي الروحي في لحظة مكتنفة الوجود رمزية الأبعاد. كان المسرح، في جوهره، سحب سرديات الأساطير والطقوس من عالمها الديني والسحري إلى العالم الدنيوي، وكان هذا العمل يستلزم نزع القداسة عنها، واستبدال الغاية الطقسية الدينية بما يعرف بالتطهير الذي يمارسه الممثل والجمهور في لحظة درامية رمزية عالية.

الشرقيون كانوا أشد خوفاً من الغربيين في الحفاظ على هذا الطقس في فضائه المعبديّ المغلق، ولذلك ظلت صيغة المهرجان والعيد هي المكان البرزخي بين الدين والدنيا، فهو

مكان شعبيّ متفق عليه في كل رأس سنة.

الاسم السومري لعيد رأس السنة هو (آكيتي، آكيتو، آكيتوم أود آكيت)، أما الاسم الأكدي فهو (أومو آكيتوم) ومعناها (يوم آكيتو).

أضاف السومريون عيدين أسموا كل منهما (زاكـ مخ) ومعناها رأس (مخ) السنة (زاكـ) (بالأكدية زاكَمكّو، زامكّو) أي رأس السنة الأول (الربيعي) الذي يبدأ من 21 آذار بتقويمنا الحالي، ورأس السنة الثاني (الخريفي) الذي يبدأ من 21/ 9 بتوقيتنا الحالي.

أصل كلمة أكيتو سومريّ وهو (آكيتي) ومعناه تقريب الماء من السماء إلى الأرض. ويبدو أن هذا كان يعني طقوس الاستسقاء، ثم أصبح يعني احتفالات رأس السنة.

كانت المدن الآشورية التي تحتفل بعيد آكيتو هي: آشور، أربيلا (أربيل)، دور ـ شروكين (خورسباد)، كلخو (نمرود)، نينوى، فضلاً عن المدن السومرية والأكدية والبابلية. وكانت مدينة آشور هي المدينة الدينية للآشوريين، بحكم قدمها وكونها مدينة الإله آشور، تحتفل بالأكيتو في 16 آذار على شرف الإله آشور وكان يرافق تمثال الإله الملك، وفي مدينة نينوى يتم الاحتفال في بيت أكيتو الذي بناه سجون الثاني، وفي أربيل كان يحتفل بعض الملوك الآشوريين مثل أسرحدون.

عدد أيام احتفال الأكيتو الآشوري هي 12 يوماً وهي متشابهة، في تفاصيلها، بما كان يجري من احتفال بها في بابل (كان الإله مردوخ هو مركز الاحتفال مع الملك)، والفرق الأساسي هو أن الإله الرئيسي فيها عند الآشوريين هو الإله ننورتا ابن الإله آشور، وكان معه الملك.

نلاحظ غياب الإله آشور من حومة الاحتفالات واكتفاءه بالرعاية الرسمية له، وهو ما يشير إلى ترفّع الإله آشور عن الكثير من الأمور الدنيوية وانصرافه لرعاية الكون والحياة. وكان

ابنه ننورتا هو الوريث الرسمي له والذي يرعى تفاصيل الحياة الرسمية في بلاد آشور. ومن الطبيعي أن نجد غياب مردوخ وابنه نابو لأنهما إلهان بابليان.

انتهت خلاصات الأكيتو الآشوري والبابلي الكلداني في جذوة الحياة الروحية والسياسية لبلاد وادي الرافدين بعد الاحتلال الفارسي، وبرزت نتائجه بوضوح في المرحلة الهيلنستية السلوقية، حيث اندمجت شحنات الدراما العفوية مع آليات المسرح الإغريقي.

كان الأداء في بابل السلوقية مرتبطاً بالسياسة ويشكّل امتداداً لكل تراث بابل وآشور في الأداء الدرامي والاحتفالي. ففيها تم إنشاء المعبد والمسرح ليكونا مكاناً للطقوس عند مختلف السكان. حيث تم بناء المسارح «اليونانية» لتبدو كمعابد بابل، وكان بقاء الأكيتو الرافديني مؤثراً على طريقة عرض المسرحيات الإغريقية لينتجا ما يمكن التعبير عنه كنوع من (المسرح الهيلنستي).

الفصل الخامس عشر الأخلاق الآشورية





المبحث الأول: الأخلاق بين الفطرة الطبيعية والعدالة والقضاء

نشأت الأخلاق الآشورية من مرجعيات عديدة أهمها المجتمع الآشوري وعاداته وتقاليده المتوارثة، وقد كان هذا المجتمع محافظاً لا يميل إلى الانفتاح الواسع في علاقاته الاجتماعية وتكوينه الأخلاقي والتي سنّت قوانينها المعروفة بتشددها، والمرجعية الثانية هي البيئة القاسية التي عاشها المجتمع والتي أورثته القسوة والحذر والاستعداد الدائم للقتال، أما المرجعية الثالثة فهي الديانة الآشورية التي حددت الكثير من الضوابط الدينية له. وكانت هذه المرجعيات الثلاثة تصب في مجرًى أخلاقيّ واحد يسعى للجمع بين الفضيلة والعدالة والخير.

«استعمال الإنسان أفعال الفضيلة فيما بينه وبين غيره، فإذا كان الفلاسفة وضمن بحثهم عن العدالة اجتمعوا في أنها الفضيلة والغاية منها الوصول إلى السعادة فهي بذلك لم تخرج عما جاء في الفكر الرافديني القديم وفي مجمل الوثائق والنصوص القديمة والتي اقترصت على العدالة والمساواة ونشر الخير ودحض الشر وهو جانبها الأخلاقي والذي لا يبتعد عن كونه فضيلة، بإضافة إلى أن مضمون فكرة العدالة تجلى في القضاء على الظلم وذلك بسن القوانين التي تنظم العلاقات بين الأفراد، ففي المحور الثاني وجدنا أن موضع العدالة في حضارة وادي الرافدين أقترب من الجانب القانوني والذي ازدهر منذ مراحل مبكرة في حضارة وادي الرافدين، إذ حقق العراقيون مستويات متقدمة في صياغة القوانين المدونة، وتمثل العدالة في وادي الرافدين القديم علاقة بين إرادة الآلهة والفعل البشري، إذ يعد الملك مكلف بتطبيق العدالة لأنه يجسد إرادة الآلهة، لذلك وجدنا في المحور الثالث أن أغلب ملوك وادي الرافدين تباهوا بأنهم نقلوا إلى الناس قواعد القانون الإلهي، فقد كان الالتزام بتطبيق واحترام هذا القانون يعدُّ واجباً دينياً». (عذاب 2010: 22 ـ 23).

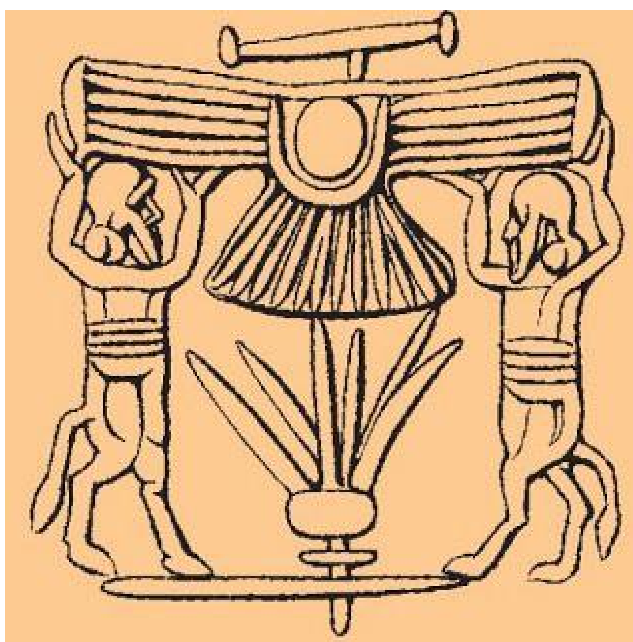
كان الإلهان آشور وشمش يحميان تطبيق العدالة، فكان آشور يمثل الجانب القوي الذي يطبق العدالة، وكان الإله شمش هو الإله المتخصص بالعدالة. وكان هذان الإلهان محط اهتمام كل الملوك الساعين لتطبيق العدالة دينياً ودنيوياً. «كان من واجبات الملك بوصفه المفوض والمختار من قبل الآلهة أن يحكم البلاد ويحميها وينشر العدل». وقد ورد في كتابات الملك آشور ناصر بال الثاني (883 ـ 859 ق.م) أنه: ((الذي نشر العدل والقوة في جميع الأرض))، وكذلك ادعى الملك سرجون الآشوري (721 ـ 705 ق.م) أنه حامي العدالة كما في النص: «أنا، سرجون حامي العدالة، الذي لم يتجاوز ضد آشور وشمش المتواضع والمبجل دائماً لنبو ومردوخ» وهناك خطابات أخرى ذكر فيها أنه يراقب القانون بعناية. كما في النص: «أنا، سرجون، ملك الأقاليم الأربعة (في العالم) حاكم (راعي) آشور، حامي سمني Samni لـ بعل ـ مردوخ الذي بعناية مراقب قانون شمش». (الأعرجي 2008: 204).

شمش هو قاضي السماء والأرض والذي يرصد الشر في كل مكان، ولم تبلغ أهمية شمش في العدالة أهميتها مثلما بلغت عند الآشوريين، وكان لقب الملك الآشوري، في المرحلة الحديثة، هو (الملك الشمس) هوهو دليل كل شيء، رسول الآلهة، البطل، قاضي العالم الذي يوجه البشرية، والأهم (سيد القانون) حسب الكلمة المستخدمة في القانون (تيرتو).

«إن حرص السلطة السياسية على العدالة في الخطاب السياسي جاء من إيمانهم بأنها تمثل جزءاً من متطلبات وجودهم الفعلي والتي تعبّر عن إرادة الآلهة التي يمثلها الملك، فكان توليهم السلطة واستمرارهم فيها يقترن بهدف تحقيق تلك الإرادة. وبما أن العراقيين القدماء اعتمدوا الواقع أساساً لبناء الفكر السياسي استطاع الملوك توظيف الأفكار الدينية لصالح السياسة، فقد اعتمدوا أفكاراً سياسية ذكية قادرة على استيعاب الشعب، الذي كان على دراية واسعة بأمور السياسة دفعت الملوك إلى استعمال مثل هذه الأفكار التي عبرت بشكل متلاحق عن نضج الفكر السياسي في العراق القديم. إن ما وراء القبول العام لقدسية الموقع الذي تتبوأه العدالة في المساعي البشرية، خصوصاً السياسية، تكمن تناقضات ومشكلات ونزاعات حول طبيعة العدالة وجوهرها وأشكالها». (الأعرجي 2008: 206).



رمز الإله شمش (إله العدالة)



صورة ممثلة للآلهة آشور وشماش وسين كقرص مجنح فيه شمس وهلال يحملهما الثيران

وعادة ما كان شمش، إله الشمس، مسؤولاً عن العدالة؛ هنا يلعب هذا الدور من قبل آشور

المبحث الثاني: أسس الأخلاق الآشورية

أولاً: أخلاقيات السياسة الآشورية:

ضمت الإمبراطورية الآشورية ما يقرب من 12 دولة محتلة في كيانها، وكانت هذه مشكلة سياسية وعسكرية حقيقية يصعب السيطرة على ثباتها. ولذلك كان الإسراف في العنف قد سبّب ضعف وسقوط الإمبراطورية، وكانت المحاولة الدائمة للحفاظ على التوسع وإخماد الثورات الداخلية يجعل الملك مستعداً للحرب دائماً. وكان سبيل الملوك للبناء ضعيفاً ولذتهم تكمن في اللهو والتلذذ بالقتل.

إن كثرة الحروب والثورات الداخلية مسوغ لشيوع العنف داخل مركز الحكم والقصر الملكي، أيضاً، وقد نتج عنه قتل الأباء والإخوان وغيرها.

لقد فضّل الملوك الأشوريون الحكم الثيوقراطي على الحكم الديمقراطي ولو بصيغته القديمة الشكلانية وجعلهم يستمرون بالعنف إلى ما لا نهاية.

حاول الآشوريون خلق شبكة إمبريالية عازلة حول مناطق آشور المركزية وهي الفواصل التي سعى القصر المركزي إلى مراقبتها، لكنها لم تنجح في فرض قاعدة منتظمة وفعالة. بالإضافة إلى القلب الإمبراطوري، كان المحيط يتألف من تنوع هائل، مع مقاطعاته النائية، التي يديرها الحكام، سواء كانوا من الآشوريين الأصليين، المعينين مباشرة من قبل الملك، أو تحت إشراف أفضل ـ من قبل مندوبي الملك الآشوري. كانت الدول العازلة ذاتية الحكم مسموحًا بها سواء كانت في حالات محدودة كان فيها وصول القوة الآشورية ضعيفًا بالفعل وكان استثمار الفتح غير متناسب مع الفوائد التي يجنيها الحكم الآشوري، أو لأنهم قاموا بدور عقبة تعمل كحماية ضد حتى أعداء يدومون لفترة أطول. الحالات النموذجية لهذه

الدول العازلة هي الممالك الصغيرة لشوبريا وكومي وأوككو ومساسير وغيرها (معظمها من الطبقات العرقية أو الشعوب الحورية اللغة)، التي فصلت آشور عن مملكة أورارتو القوية إلى الشمال الشرقي، الواقعة عند بحيرات فإن وأورميا.

فشلت النخب الآشورية لأنها تفتقر إلى خريطة طريق أيديولوجية لإدارة الاختلافات الثقافية التي واجهتها، أو للحفاظ على سلامتها كطبقة إمبراطورية عبر إقليمية. لأنها ميزت الرتبة والسلع الغالية والممتلكات العقارية، فقد كانت ملزمة من خلال قسم الولاء الشخصي للملك بدلاً من الوعي الطبقي المشترك بين أفرادها. وكانت»الثقة» بها شيئًا منحه الملك بدلاً من الحيازة المشتركة لنخبة عبر إقليمية تؤكد نفسها بنفسها عبر مفاهيم ومقولات. لذلك كانوا غير قادرين أيضاً على تأطير علاقاتهم مع النخب المحلية الخاضعة لمواجهات الجماعات، ولا يبدو أن النظام الآشوري قد تمكن من تقييم أو اكتساب رأس المال الاجتماعي الخاص بها .

ثانياً: أخلاقيات القوانين الآشورية:

مالت القوانين الآشورية إلى العنف والقتل أيضاً ولم تعتمد مبدأ الغرامات المالية سبيلاً، برغم قدمه عند السومريين مثلاً، وهو ما سبب لهم مشاكل لا حصر لها، وبدت القوانين الآشورية أكثر تشدداً من القوانين البابلية مثلاً.

«من القواعد الأخلاقية التي أظهرتها النصوص العراقية القديمة: الثواب والعقاب، ونرى في مجتمع الآلهة الذي تصوره هذه النصوص أمثلة الثواب والعقاب ترتبط بمكافأة البطولة وارتقاء مرتبة الإله البطل، وازدياد سلطته بين الآلهة، وكذلك إقامة هياكل تعبدية له في المعابد الرئيسية، حيث تغدق عليه القرابين، وهذا ما يتضح بالنسبة للإله «نينورتا Ninurta»، في صراعه مع الطائر «أنزو Ansu»»(علي، سعيد إسماعيل 1999: 153).

ثالثاً: أخلاقيات الحرب الآشورية:

يركز كارلي كراوتش Carly L. Crouch في كتابه (الحرب والأخلاق في الشرق الأدنى القديم) على علاقات النظم الأخلاقية في الشرق الأدنى القديم، من خلال دراسة الحرب في يهوذا وإسرائيل وآشور، في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. ويجادل بأن النظرة الكونية والأيديولوجية المشتركة ولدت أوجه تشابه في التفكير الأخلاقي، في المجتمعات الثلاثة، تعكس التقاليد الأسطورية المحيطة بالخلق والخاصة بوجود علاقة قوية بين الحرب والملكية وإقامة النظام. الأنشطة العسكرية لملوك البشر مشروعة من خلال تحديدهم لهذا الصراع الكوني ضد الفوضى، الذي بدأه الملك الإلهي في الخلق. وبالتالي فإن العنف العسكري لا يُعتبر مقبولاً من الناحية الأخلاقية فحسب، بل على أنه واجب أخلاقي. تعكس الانحرافات عن وجهة النظر هذه ظاهرتين: الحفاظ على وجهات نظر اجتماعية متغيرة، وتأثير التغيرات التاريخية على التفكير الأخلاقي. انظر (Crouch 2009).

يبدأ كراوتش بسؤاله عن مدى أخلاقيات الكتاب المقدس العبري، بقدر ما تعكس أخلاقيات إسرائيل ويهودا القديمة، بما يتناسب مع أخلاقيات معاصري الشرق الأدنى القدماء في هذه الأمم؟ «ويجد بأن افتراضاتها هي أن (1) إسرائيل ويهودا هما أولاً وقبل كل شيء جزء من «التيار التاريخي» الواسع للشرق الأدنى القديم وتقاسموا معه الخصائص المشتركة أكثر من تلك التي اختلفوا عليها؛ (2) لا تتطابق النصوص الكتابية في الأصل الاجتماعي مع غالبية نصوص ومواد الشرق الأدنى القديم الأخرى، أي أن المواد الكتابية يجب أن تعامل في سياقها؛ و(3) أن الظروف التاريخية تؤثر على التفكير المجتمعي في السلوك المناسب وغير المناسب».

وفي تحليله لدور الأيديولوجية في مواجهة أو حرب الثقافات. يقترح كراوتش وضع الخلفية الميثولوجية الآشورية (أينوما أليش) وأن المعركة الكونية بين مردوخ وتيامات هي خلفية الآشوريين الثقافية، وبالتالي، وأن الصراع بين النظام والفوضى على المستوى الكوني يمنحنا نافذة مهمة في معرفة الكون «الفكري الآشوري»، وأن هذا «كان موازياً بشكل وثيق في إسرائيل ويهودا» على ما إذا كان الصراع الكوني من أجل النظام ضد

الفوضى هو السبب الحقيقي لحرب يهوذا وإسرائيل لأن هناك دوافع مختلفة للانخراط في الحرب في جميع أنحاء العهد القديم. وبذلك يمكننا من خلال «النظام والفوضى» عند الشعبين معرفة الدوافع الأخلاقية الأساسية في الحرب والعنف.

يُنظر إلى الأخلاق الآشورية على أنها تضفي شرعية على مستوى متزايد من العنف ضد عدو معين في حين أن ممارسات إسرائيل ويهودا لم تكن تختلف اختلافاً جوهرياً عن ممارسات الآشوريين. ولكن من المهم في الدراسات المقارنة من هذا النوع، ليس فقط للبحث عن أوجه التشابه، ولكن أيضاً عن التناقضات والجدل المحتمل. لا يعالج كراوتش التناقضات بين يهوذا وأخلاقيات إسرائيل العسكرية والأخلاقيات الآشورية التي كانت عنيفة بشكل مفرط. إن ممارسات الآشوريين لإخضاع الجثث، وطمس الضحايا من النبلاء الأشوريين، وثني جلودهم على الجدران، وتكديس جماجم العدو، هي أساليب نفسية لم يتم وصفها في الكتاب المقدس العبري. سياسة الأرض المحروقة للجيوش الآشورية محظورة بالمثل بتعليمات محددة للحفاظ على أشجار الفاكهة.

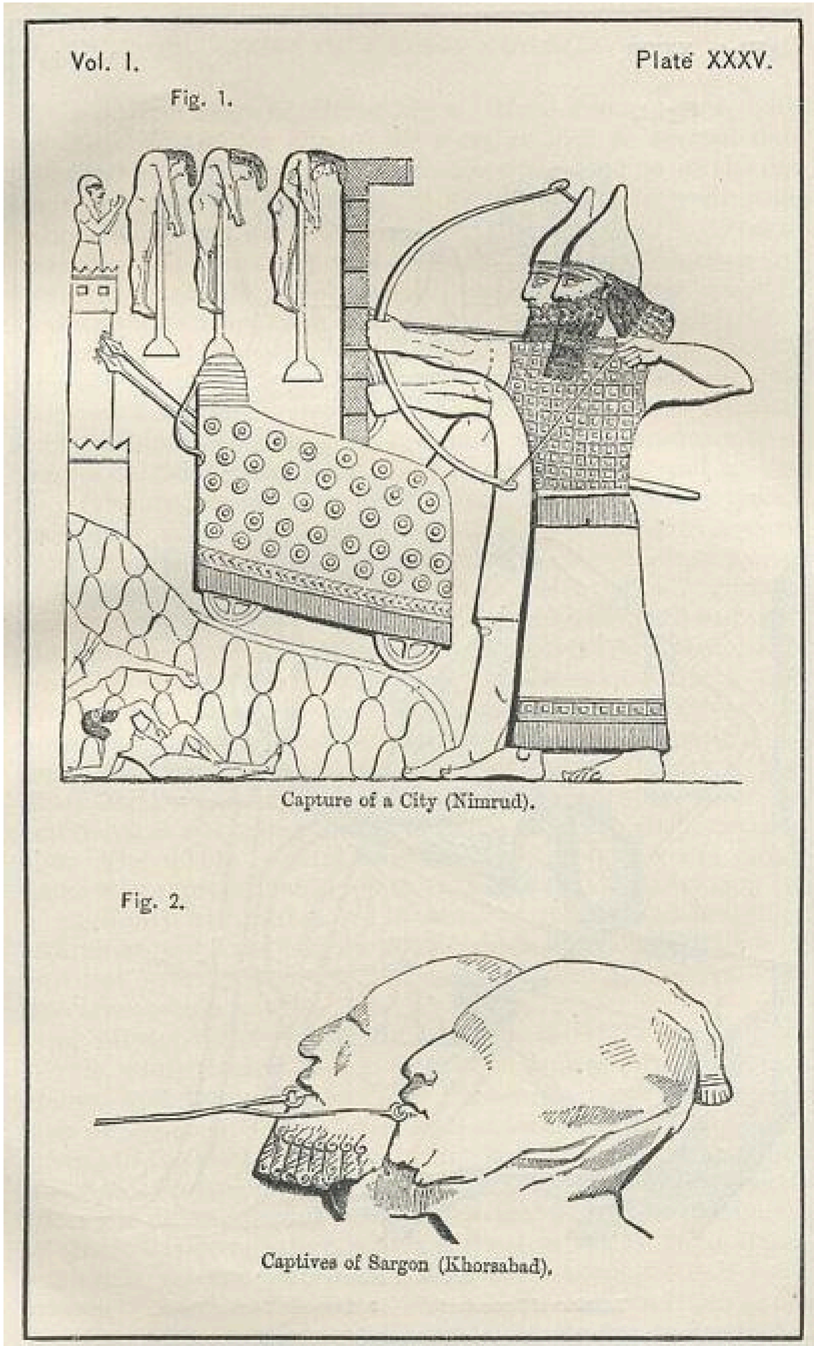
تضخيم العنف الآشوري في الحروب ليس مدعاة لتقليل عنف الآخرين فيها، فقد سادت صورة بشعة مضخمة عن عنفهم وبدوا وكأنهم وحوش مفترسة، ونسوا أن هناك دوراً إعلامياً في تصويرهم لهذا العنف وفي إشاعته لكي يدخل الرعب في نفوس أعدائهم قبل الحرب وخلالها، وكذلك فعلت كتاباتهم فهم يعاملون من يقاومون الجيش الآشوري بقسوة ويُظهرون أعداءهم يُداسون تحت الأقدام، وتخترق السهام أجسادهم، وتُدمِّر آلة الحصار الآشورية جدران مدنهم. ومن يُلقى القبض عليهم أحياءً، تُقطَع رؤوسهم أو يُسلَخ جلدهم عن عظمهم وهم أحياء. ثم تُنقَل الغنائم الكثيرة، مثل الأغراض وتماثيل الآلهة، والحيوانات، والشعوب بأسرها، إلى آشور، بحسب ما دوّنه الكتبة الآشوريون.

كان تدخل الآشوريين في شؤون بلاد الشام يوازي ما جاء في التناخ العبري حول غزو أرض كنعان قبل قرون. وقد أظهرت الدراسة الحديثة أنه بموازاة الممارسات العسكرية

الآشورية في القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، فإن بعض قوانين الحرب هذه تجد أقرب أوجه التشابه مع قوانين الحرب الإسرائيلية في نصوص التناخ.

يعترف كراوتش ببعض محدوديات هذه المقارنات وهي (1) لم تكن هناك مصادر آشورية مباشرة مقدسة معادلة للنظر فيها بالمقارنة مع مصادر يهوذا. بمعنى آخر، المصادر الآشورية هي تقارير ومجلات رسمية بتكليف من الملك. (2) كانت أدلة الفكر والعقيدة العسكرية أكثر شمولاً في المواد الآشورية. (3) الدوافع الأيديولوجية في التناخ (الملوك وأخبار الأيام) لا يتم توضيحها أبدًا ويجب استنتاجها من مصادر أخرى مثل المزامير. هذه القيود تبدو أنها تعيق الاستنتاجات الأوسع للدراسة أنه في الروايات الكتابية،»لم يكن العنف العسكري يُلقى على هذا النحو ليس فقط على أنه مقبول أخلاقياً بل على أنه واجب أخلاقي«. تشير دراسات حديثة أخرى لم يتم تضمينها في مناقشة كراوتش إلى أن أعمال إسرائيل ويهودا قد خُففت من خلال تركيز وتأثير مختلفين عن تلك الموجودة في الدول المحيطة، الحرب في الكتاب المقدس والإرهاب في القرن الحادي والعشرين.

من المؤكد أن الروابط بين الحرب والأخلاق وعلم الكونيات هي عناصر مهمة يجب دراستها فيما يتعلق بالكتاب المقدس وبيئته في الشرق الأدنى القديم. انظر (Crouch 2009)



قسوة الأخلاق في الحروب الآشورية (تعليق الأسرى وربطهم من شفاههم)

رسوم عن حصار مدينة (من نمرود) وأسرى سرجون من (خرساباد)
(Rawlinson 2016)

رابعاً: الأخلاقيات الاجتماعية الآشورية:

المجتمع الآشوري، مثل بقية المجتمعات الشرقية، مجتمع ذكوري، وهو أكثر محافظة من جميع المجتمعات الرافدينية، ويمكننا تتبع دليلنا على هذا من الوثائق الإدارية وقوانين القانون، ويرسم صورة للمرأة على أنها تابعة للرجل في جميع مجالات الحياة.

لا شك أن المرأة الآشورية عانت من هذا الوضع المجحف، لكن حالها هذا ليس أسوأ من بقية نساء الشرق الأدنى المعاصرات لهن، باستثناء المرأة المصرية والمرأة البابلية، والصورة المرأة الآشورية ينبع من وجودها الاجتماعي الخاضع لوجود الرجل في حياتها. وكان ذلك شائعاً في العالم القديم بأسره.

ومع ذلك فقد تميزت نساء البلاط بحقوق أفضل في التملك والبيع والشراء والسلطة، لكنهن كنّ تحت المراقبة فيما يخص علاقاتهن المحتملة مع رجال البلاد.

وكان للمرأة حضور في المعابد فقد كانت المرأة تؤدّي أدواراً مهمة في العبادة. تشهد النصوص على وجود عدد كبير من النبيّات اللواتي كنّ يُعلنّ كلام الآلهة على لسانهنّ في العديد من مراكز العبادة المهمة في مختلف أنحاء الأمبراطورية. وكانت النساء يعملن أيضاً كاهنات. وربما كانت هناك طقوس للزواج المقدس في المعابد، أما فكرة الدعارة في المعابد الآشورية والبابلية فقد اخترعها كاتب إغريقي بناءً على ما كان يحصل في بلاده هو.

كان هناك نساء الخاريماتو أو الحاريماتو (الحريم) وهو مصطلح يشير إلى امرأة عازبة ذات وجود اجتماعي مستقل، غير مرتبطة لا بزوج ولا بوالد ولا بمؤسسة. يبدو أن معظم الـ«حريمتو» كنّ فقيرات، على الرغم من بعض الاستثناءات اللافتة. للمصطلح دلالات سلبية في نصوص عدّة، حيث يُستخدَم بمثابة إهانة. يؤشّر ذلك على الأرجح إلى هشاشة النساء في المجتمع الآشوري القديم في غياب الحماية من العائلة أو الملاذ الذي تؤمّنه مؤسسة ما؛ لكنه يعني أنه بالإمكان أن يكون هناك وجود مستقل للنساء، ولو كان هشاً.

وكان هذا المصطلح يستخدم سابقاً من قبل الباحثين بطريقة سيئة للإساءة لنساء فقيرات مثل هذا النوع من النساء.

وامرأة الخاريمتو لا علاقة لها بحرملك الملك الآشوري الموجود في قصره والمتكون من نساء منتخبات من شعوب أخرى لرفاهية الملك، ومصطلح الحرملك الملكي نستخدمه هنا بطريقة مجازية استعارية من الحرملك التركي.

كانت الوسيلة لسحب الثقة من الحاكم هي الثورة عليه وقتله، وقد تضمنت العقيدة السياسية الآشورية مبدأ (العنف يحرك التاريخ والسلام يجعله ساكناً). وكان الشجعان هم الذين يموتون في الحروب ويبقى الضعفاء والجناء وبذلك ضعف الآشوريون في أجسادهم وأرواحهم وعزيمتهم. ولنلاحظ أن ازدياد أعداد المهجرين وتناسلهم القوي خلخل البنية السكانية للبلاد وأضعفها.

كذلك أصبحت موارد البلاد تعتمد على غنائم الحرب وثرواتها، وأهمل الملوك والناس تنمية بلدهم ومدنهم زراعياً وصناعياً، وكان لا بد من حروبٍ دائماً.

خامساً: الأخلاقيات الفكرية والدينية الآشورية:

لعبت منظومة الأفكار الدينية ونصوصها الأسطورية دوراً مهما في عكس الأخلاقيات الآشوري، فالرسائل الملكية الآشورية أوضحت دون لبسٍ أن تنفيذ عمليات الحرب والتهجير إرادة إلهية لآشور وننورتا، أولاً، ثم لبقية الآلهة.

وكانت أسطورة الخليق (إينوما إليش) قد لعبت دوراً مهماً في ترسيخ فكرة أن الفوضى تتحول إلى نظامٍ بعد الحرب، استناداً لما فعله مردوخ (الذي يمثل النظام) بالإله الأم (تيامت) التي تمثل الفوضى والكاؤوس. وأن تقطيع أوصالها هو الذي أدى لظهور السماء والأرض وعموم الكون.

يظهر الملوك الآشوريون المحاربون وكأنهم يمثلون آشور أو ننورتا وهو يقتل الوحش في لوحة معروفة شاعت على أنها لمردوخ وتيامت، والغريب أن صورة الوحش قريبة جداً من هذا الأسد الذي يطعنه الملك من الخلف، وهذا يعني أنه يتمثل أسطورة الخليقة ليولد النظام من الفوضى والخير من الشر.



Fig. 2. King killing a Lion (Nimrud).

Fig. 3. King, with attendants, spearing a lion (Koyunjik).

ملوك وأسود

على المستوى الطقسي يقدم تحليل أيقونية الملك العيلامي (تيومان) بعض العناصر المثيرة للاهتمام حيث «مركزية الرأس المقطوع للملك العيلامي تحرك سرد الأحداث نفسها إلى الخلفية: تتوقف سلسلة الأحداث الواقعية عن كونها السلك التوجيهي لتقدير الألواح المختلفة، والتي تنطبق بالمثل على النصوص التي تتعامل مع نفس الموضوع كنوع من»علامة الرسالة»، التي تحتوي على المعنى والتعبير البصري، فإن رأس تيومان لا يتم اختزاله إلى تحريض على الفظائع أو عرض متظاهر للسلطة الآشورية على أناس آخرون. بشكل أقوى، فإنه يتجه بمعنى طقسي، في شكل تحقيق نبوءة قبل قطع الرأس وذكر في النصوص، مما يشير إلى إتمام المرسوم الإلهي. في النقوش، يظهر عشتار أربيلا، آشور، مردوخ وابنه نابو بين الآلهة الذين، في لحظات مختلفة، يحرضون على العقوبة أو يتلقون عرض رأس الملك العيلامي». (Rede 2018: 3).

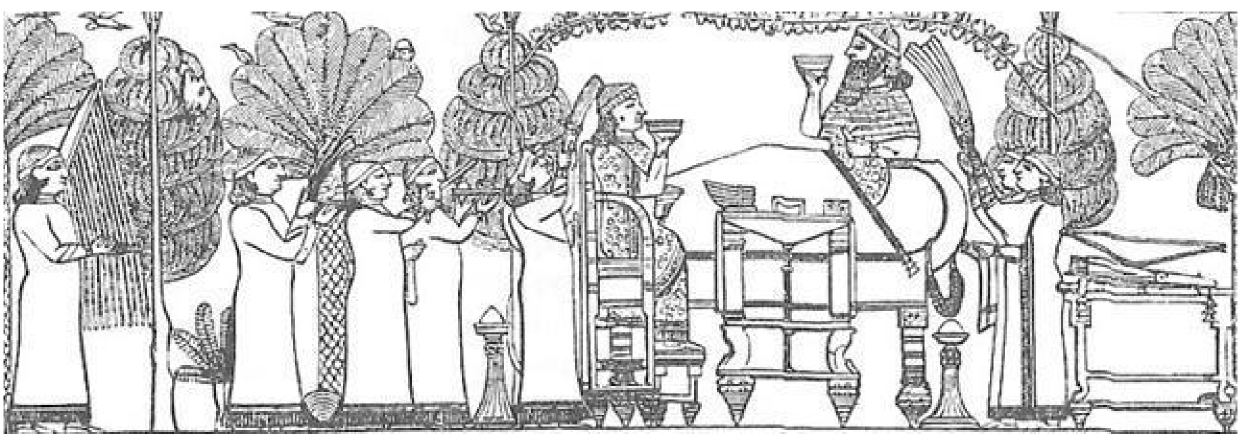
سادساً: الأخلاقيات الفنية الآشورية

في كثير من الأحيان، تقتصر مقاربات النقوش الآشورية الجديدة على أخذها كوثيقة للصراعات. في هذا المنظور، يتم تقييم الصور على أنها روايات للأحداث فقط رغم أن الطريقة المعترف بها بالفعل تقتصر على المستندات المكتوبة. من الواضح، أن الاستخدام الإرشادي الكافي للصور يمكن أن يساعد في تعزيز جمع المعلومات حول الجوانب الملموسة للحرب. ونرى أن لها أبعاداً أخرى. فقد لعبت الأعمال الفنية في العصر الآشوري الحديث، بشكل خاص، دوراً إعلامياً كبيراً في التأثير على الملوك الذين كانوا يستطلعون لمعرفتها، فضلاً عن كونها قد عكست أخلاقيات الفن ودوره في توضيحها.

في مشهد فريد من نوعه يستلقي الملك آشور بانيبال على أريكة مزينة بدقة، مدعومًا بمرفقه الأيسر، ممسكًا في إحدى يديه زهرة اللوتس؛ في الأخرى، كوباً. أمامه الملكة الزوجة الرئيسية لأشور بانيبال، ليبالي شارات، تجلس على كرسي مرتفع، وقدماها مدعومتان. تحمل باقة من الزهور وترفع كأسًا على شفتيها. حديقة مزخرفة من أشجار

النخيل والتنوب والكروم، وعناقيد تؤطر الزوجين. الطيور الصغيرة تهبط على الأشجار. يتم تهريب الملوك وتقديم وجبات خفيفة على الصواني. الموسيقى تملأ الجو.

هناك خدم يخدمون الزوجين الملكيين، لكنهم يحملون آلات موسيقية. حتى أبعد إلى اليسار، في الجزء العلوي من لوحة أخرى، هناك سلسلة من الناس، متنوعة في الملابس والمواقف؛ ثلاثة على الأرض، ينحني؛ تحتوي هذه اللوحة على كتاب بخط من ثلاثة خطوط مسمارية. على يمين المأدبة، تم الحفاظ على اللوحة بشكل سيئ، ولكن يمكن تحديد أجزاء من الخدم، تليها المزيد من الخدم والموسيقيين في التأليف، رأى بارنيت أوركسترا خادمات، وخادمات على اليسار «أسيرات من رتبة ملكية وأميرية»، يسجد على الأرض، يطلب الرأفة أو يحمل الطعام. أيضاً، وفقال، تساعد الكتابة المنقوشة في اللوحة في تحديد الأمراء العيلاميين والأمراء الجنوبية البابلية الذين يخدمون الملك. تحديد الخدم والموسيقيين السابقين كأنثى.



آشور بانيبال وزوجته ليبالي شارات في حديقة قصره يتبادلان الإنخاب بمناسبة انتصاره النهائي على بلاد عيلام

نشاهد خلف زوجة الملك رأس الزعيم العيلامي (تويمان) الذي سقط على ضفاف نهر (أولاي) بعد أن ضُربت عربته بواسطة الآشوريين. وحاول الفرار بمساعدة ابنه تاماريتو، لكنه حصل على سهم في ظهره. سقط على الأرض وقد قطع رأسه من قبل جندي مجهول؛

تم نقل رأسه خارج ساحة المعركة في عربة. أحضر إلى أربيلا، وتعرض للتعذيب وأُعدم بعد ذلك بوقت قصير؛ وأخيرًا، تم إرسال رئيس الزعيم العيلامي إلى نينوى.



تفصيل مشهد الرأس المقطوع للملك العيلامي من اللوحة السابقة، المتحف البريطاني

يرى مارسيلو ريدي «أن المناظر الطبيعية ذات الطبيعة الخلابة والعديد من عناصره تساهم في تعزيز مزاج الاستمتاع والروعة المناسبة لحياة الملوك. على أطراف المشهد، يذكرنا عنصران بأن كل فرحة لها شروطها. خلف الملك، على طاولة جانبية، ضع سيفه وقوسه وجعبة مع السهام. لا يمكن استبعاد أن الغرض من ذلك هو وضع مشهد المأدبة في تسلسل مطاردة وإدراجه في دورة سرد كانت متكررة في نقوش القصر الآشوري ومع ذلك، فإن

الصيد، لا سيما الأسد، تأليه ملكي، يقارب الحرب دلالة: كلاهما يؤلف موضوع الفعل البطولي الذي قام به الملك ضد الخصوم، سواء الوحوش البرية أو أعداء دنيوية تصل إلى أبعاد كونية في صراع النظام ضد الفوضى علاوة على ذلك، في الأيقونية الآشورية، تشير العديد من العناصر إلى البحث كعرض طقسي للملك بالاشتراك مع موكب النصر بعد النصر في القتال، كان الصيد والحرب متكاملين، وكانا متكافئين، أحدهما يعني الآخر» (Rede 2018: 3).

كانت اللوحات الجدارية المنقوشة في قصور نينوى ونمرود ودور ـ شروكين نموذجاً للأعمال التي عكست الأخلاقيات الآشورية، وفضلاً عن مقدرتها الفنية الهائلة فقد حملت أخلاقهم الخاصة في القوة والعنف والقسوة، وقد ناقشناها في الفصل الخاص بالفنون الآشورية.

كذلك لعبت تماثيل اللماسو والشيدو والنسروخ الجبارة والمهيبة دورها في إلقاء الرعب بمن يزور آشور وينقل عنها الانطباع الذي تخلّفه.

الفصل الأخير

المعايرة والتقييم والنقد والتفرّد للحضارة الآشورية



المبحث الأول: صعود وسقوط الحضارة الآشورية

مع أن التأريخين، القديم والوسيط، للآشوريين يحملان جذور نشأة الحضارة الآشورية، لكن التاريخ الحديث المتمثل بظهور الإمبراطورية الآشورية الحديثة هو زمن صعود الآشوريين، والذي بدأ من 911 ق.م، وهي أهم وأعظم فترات الدولة الآشورية، فبقدر تجلي قممها الحضارية في كلّ تاريخها، فإنها كانت تبلور عوامل انهيارها في هذا العصر تحديداً، ولذلك لا بد من إعادة فحص وتجميع أسبابها الموجبة والسالبة، والأفكار الجديدة حول كيفية بناء الملكية وتنفيذها في الإمبراطورية الآشورية الجديدة، وتقديم التحليل الأنثروبولوجي. وللقيام بذلك، لا بد من لفحص ثلاثة مكونات هيكلية قابلة للمقارنة بسهولة هي: الأيديولوجية والشرعية والتنفيذ، من خلال جميع أسباب الحضارة الموجبة لتفسير صعودها، ومن خلال عناصر الحضارة السالبة لتفسير سقوطها. ولنتأمل هذا الهرم الذي يجمع صعود وسقوط الحضارة فيه:

يُشير هذا الهرم إلى صعود الحضارة الآشورية ابتداءً من التحكّم بجغرافيتها وصناعة تأريخ لها يتناسب مع جغرافيتها، ثم يرتفع بناء الحضارة إلى حكمتها السياسية في جمع الدولة والدين بيد الملك وعدم السماح لرجال الدين بالسيطرة على الدولة، ومن المستحيل البحث عن الديمقراطية في ذلك الزمن وتلك التحديات، لكن ما يؤطر السياسة هو القانون الآشوري الذي ظهر في العصر الوسيط بصيغته الكاملة.

ويستمر الصعود الحضاري ببناء جيشٍ قويّ وحياة مدنية، وسيكون هذا التوازن قلقاً في القرون الثلاثة الأخيرة من عمر الحضارة الآشورية حيث يصبح الجانب العسكري تدريجياً هو الغالب على الحياة المدنية.

وحين ينتعش الاقتصاد الآشوري عن طريق زراعة ناجحة وتجارة نشطة وانتعاش واضح في الصناعات والحرف الصغيرة، يغيب الجانب الفكري والأدبي في حياة الآشوريين ويصبح الاعتماد على التراث الرافديني ونسخه هو الأساس، ورغم انتعاش واضح في أدب الرسائل لكن ذلك لا يكفي.



هرم صعود وسقوط الحضارة الآشورية

هذه الشروخ الصغيرة (العسكرتاريا وغياب الثقافة الخاصة بهم) ستكبر، مع الزمن، وتكوّن شقوقاً صارخة ستعمل مع غيرها على سقوط هذه الحضارة.

ورغم أن المجتمع الآشوري محافظ في تكوينه لكن سايكولوجيته الجمعية تشير إلى نوع من الإحباط فيه لأن هذه الذات الجماعية لم تحقق فرادتها بعد ولم تتحقق طموحاتها في

الرفاه والعيش الكريم الأفضل.

حاول الآشوريون استثمار خاماتهم وثرواتهم الطبيعية وطوّروا تفنياتهم لكن ذلك لم يكبح أو يحجّم النزعة الدينية القوية والمتصاعدة، وهذا أمر يمكن فهمه في تلك المجتمعات القديمة، خصوصاً أن تطوير عبادة آشور ونزعته الشمولية ونشاط كائنات الملائكة والشياطين، كلّها، شغلت حياته الدينية وميزته عن غيره من الشعوب.

ولا شك أن الآشوريين قدموا محاولات ناجحة في الاهتمام بالعلوم، لكن نجاحهم الأكبر تحقق في الفنون والنحت العمراني والطقوس المرسومة، وكان الفن التطبيقي وارفاً، وانتعش السلم الموسيقي السباعي وأصبح منهلاً لشعوب أخرى.

حينها كانت الأخلاق الآشورية حسنة المضمون، بشكل عام، لكن هذه الأخلاق اهتزت بقوة حين بدأت حملات تدمير المدن وتهجير الشعوب وقتل الأسرى. فاختلّ مضمون أخلاقها وبدأت الحضارة بالترنّح رغم كل انتصاراتها العسكرية، لأنها تسخّر العلم للصناعات العسكرية وكذلك تسخّر الفن للدعاية والتخويف وإشعار الآخرين بالرهبة، وأهملت المصادر المادية للعيش فقد أصبح الآشوريون يعتمدون على ما يحصلون عليه من السلب والنهب في حروبهم. وبدلاً من أن ينتظر الفلّاح أو المهني عودته من الحروب ليعيد زراعة حقله كما يريد أو يطور مهنته، أصبح ينتظر سنة سوقه للخدمة العسكرية ليحصل على ما يريده من مدن وقرى الأعداء وسلبهم مصوغاتهم وقطعان حيواناتهم. وهكذا ساعت الأخلاق الدنيوية والدنيوية ولم يبق من الدين سوى شكله وانفراد آشور بتكريس أباطرته، فقد أصبح آشور وسيلة للأباطرة وصار الدين نوعاً من السياسة. وازدادت الأزمة النفسية في المجتمع الآشوري، وأصبح الاقتصاد ريعيّاً حربياً ولم يعد هناك إنتاج متوتر، وتعسكر المجتمع وثقلت خطوات حضارته، والقاعدة تقول أن أي بلد يبالغ بالجيوش سيسقط لا محالة. ولم تعد هناك سياسة مرنة في البلاط فالملك لا يدخل عليه أحد حتى زوجته أو ابنه أو ولي عهده أو وزيره، ولعب الخصيان دوراً في البلاط حجبوا فيه الملك عن حاشيته ورعيته. ولم يتجدد القانون الآشوري، لم يظهر قانونيون يسنّون فقرات جديدة تتناسب مع توسع

المجتمع الآوري وتنوعه، لقد كانت هناك شعوب مهاجرة كثيرة لم يُنظر لحقوقها القانوية، بقي القانون الوسيط متحكماً وكان قانوناً ناقصاً ومربكاً ويميل للقسوة.

وجاءت الضربة القاضية من الجغرافيا حين حلّ الجفاف الطارئ في القرن السابع قبل الميلاد في بلاد آشور، ولم يكن هناك أي تحسبٍ لذلك، فجاعت الجيوش والمجتمعات واضطربت الحياة، وكان التأريخ لا يرحم حين حرّك الأعداء القدماء للآشورين فانفصلوا عن إمبراطوريتهم، وجهّز البابليون والميديون والإسكيثيون جيوشاً متحالفة لتنقضّ على العاصمة نينوى فيحرقونها ويدمرون بقية المدن والجيش، فتسقط الإمبراطورية الآشورية وتنطلق حملة إبادة مرعبة للشعب الآوري فيعزل الضباط والمقاتلون ليبنوا جيوش ميديا وفارس، ويعزل الحرفيون والمهندسون والعلماء ليخدموا عند البلاد الغازية مقابل إبقاء حياتهم فقط ويعملون كعبيدٍ.

أولاً: أسباب صعود الحضارة الآشورية

1. الأسباب الجغرافية:

كان سبب صعود الآشوريين وحضارتهم سبباً مناخياً، ففي الوقت الذي عملت عوامل الجفاف والتغيرات المناخية في بداية العصر الحديدي فعلاً سلبياً في انهيار الحضارات والإمبراطوريات المشرقية عموماً، كالحيثية والبابلية والكنعانية... إلخ، لكنّ الحكام الآشوريين الذين حافظوا على سلامة أراضيهم استغلوا هذه لإنشاء أكبر قوة عسكرية منذ بداية القرن العاشر قبل الميلاد.

«كما أثرت تلك البيئة الجغرافية لبلاد آشور كثيراً في توجيه الاقتصاد وصياغة السياسة العسكرية للملكة الآشورية فمن الناحية الاقتصادية على الرغم من أن الآشوريين عنوا بالتجارة واشتغلوا بها وقاتلوا كثيراً من أجل المحافظة على طرق مواصلاتها وجعلها مفتوحة أمام قوافلهم التجارية إلّا أن الاقتصاد الآشوري كان زراعياً بما أعطته أرض آشور من تربة خصبة ووفرة في المياه اللازمة لزراعة تلك الغلال التي كانت ضرورية لديمومة

الحياة واستمرارها وربما أن تلك البيئة كانت من الأسباب التي دفعت الإنسان القديم في بدايته الأولى في العصر الحجري القديم إلى الاستقرار في هذا المكان القريب من بلاد آشور بعد أن هجر كهوفه ليؤسس أولى مقراته بالقرب من مجاري الأنهار في منطقة تمتد على شكل هلال يبدأ في الشمال الشرقي لينتهي في الشمال الغربي ليحتضن أراضي بلاد آشور أي بين ملفعات على الكتف الغربي لنهر الخازر ونمريك بين ضفة دجلة الشرقية والمغزلية وبارم وبارم تبه إلى أم الدباغية في منطقة الحضر وعشرات غيرها لم يكشف عنها البحث الآثاري بعد». (محمد 2006: 13).

2.الأسباب التاريخية:

جاءت الحضارة الآشورية وكأنها آخر حضارة رافدينية، بالمعنى العملي، فقد ورثت نتائج الحضارات السومرية والأكدية والبابلية، ولذلك جمعت خلاصات ومصول هذه الحضارة وخلطتها مع بعضها لتخرج بمصل جديد ونكهة جديدة. كما أنها كانت ابنة ظروف تاريخية معقدة في شمال وداي الرافدين، بشكل خاص، والذي أحاطته تعقيدات كثيرة في السياسات والعلاقات الخارجية.

«تمثل العوامل الخارجية بالعلاقات السياسية المتشابكة التي كانت تربط ما بين دول الشرق القديم آنذاك، فالدولة الحثية والميتانية والمملكة المصرية في العصر الآشوري الوسيط كانت تتقاسم السيطرة النفوذ على البلدان ولا سيما سوريا التي كانت مسرحاً للصراع السياسي وهدفاً لتلك القوى، وإن وجود القبائل الجبلية في الجبهة الشرقية والتهديد الآرامي لبلاد آشور كلها عوامل حدت من توسع النفوذ الآشوري، إلا أن موازين القوى تغيرت في العصر الآشوري الحديث نتيجة لانهيار تلك الممالك والدول مما فسح المجال أمام الدولة الآشورية لتأخذ دورها على المسرح السياسي». (غزاله والمهنا 2008: 179).

«أسهم انقسام الممالك الآرامية وحروبها المستمرة في فسح المجال أمام بلاد آشور في التوسع والسيطرة، خاصة وأن المنافس الآخر لبلاد آشور بلاد بابل التي كانت تعاني من

الأوضاع المضطربة وحكمت فيها عدة سلالات ابتداءً من سلالة بابل الخامسة إلى سلالة بابل الثامنة التي حكمت زهاء قرنين من الزمان، ولا يعرف أصل ملوك هذه السلالة الغامضة التي ذكر أسماء ملوكها في قائمة الملوك بوصفهم أفراد (سلالة اي) وربما (اي) تعني بابل نفسها، وبلغ الوضع حداً من السوء حتى أن الحوليات التي تعود إلى حوالي عام 990 ق.م تذكر لفترة تسع سنوات متتالية لم يخرج الإله مردوخ ولم يأتِ الإله نابو، هذا يعني أن مراسيم عيد رأس السنة البابلية لم تتم، بسبب انعدام الأمن بحيث تعذر تنظيم موكب رأس السنة الذي يمر من خارج المدينة، كما لم يكن بالإمكان مجيء نابو ابن الأله مردوخ من معبده في بورسيبا للاضطراب السياسي في البلد، فضلاً عن ذلك فإن الميديين والفرس في إيران كانوا في بداية تبلور قوتهم السياسية ويعدون منافسين غير خطرين في هذه المرحلة على بلاد أشور، كما أن دولة أورارتو القوية في أرمينيا لم تكن قد تأسست بعد». (غزاله والمهنا 2008: 180).

جعلت الظروف التاريخية من الآشوريين شعباً متيقظاً حذراً قوياً، وأعطتهم الإحساس القوي بأن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع فرط ما عانوه من هجمات وهيمنة الشعوب التي حولهم ومنهم شعوب وادي الرافدين. فكان ذلك مدعاة لنهضة قوية في جميع المجالات الحضارة وتحت قوة عسكرية ودينية عظيمة.

3.الأسباب السياسية:

كانت النزعة المركزية للإمبراطورية الآشورية الحديثة كبيرة جداً و«كانت قوة الإدارة المركزية تعني بالضرورة قوة السلطة الملكية على حساب السلطة المحلية فكانت هناك جملة من المور وضعها تجلاث بلاصر... وتتمثل باستهداف إصلاح إداري طبّقه وبشكل تدريجي لغرض تقوية السلطة والتقليل من النفوذ المتفاقم للأمراء وربط المقاطعات بولاة يكونون مسؤولين أمامه مباشرة. أما فيما يخص النطاق الدولي فكانت هناك ثلاث مشاكل توجب حلها:

1. على جبهة بابل والدول الآرامية ومنافستها وتهديدها للدولة الآشورية بالإضافة إلى المناطق الواقعة غرب الفرات.

2. قوة الأوراتو في المناطق الشمالية وتهديداتها المستمرة للدولة الآشورية وسيطرتها على أكثر المناطق التي كانت بحوزة الدولة بالإضافة إلى منافسة بلاد آشور للسيطرة على كثير من المقاطعات الآشورية.

3. معالجة المناطق الاستراتيجية في شمال بلاد وادي الرافدين والديار السورية وفلسطين وإعادتها إلى حظيرة الدولة وعدم فسح المجال لها بالمحالفات والاتفاقيات مع أعداء الدولة الآشورية وكذلك القضاء على تمرداتها وعصيانها». (الفتيان 1991: 183).

«ومما يلاحظ على الملوك الأشوريين أنهم ابتعدوا عن تأليه أنفسهم رغم المكانة الكبيرة التي وصلت إليها الدولة واكتفوا بألقاب بعض صفات الآلهة مثل (ملك أشور، ملك الجهات الأربعة، ملك العالم، الأوحد، الرحيم، الراعي، المحب للعدل والحق). كما أنهم أضافوا القدسية بحكمهم باعتبارها مستمدة من الآلهة، حيث شبه أدد ـ نيراري الثالث (810-783 ق.م) حكمه بشجرة الحياة المقدسة للشعب الأشوري.

لقد تركزت واجبات الملوك الأشوريين في عدة أمور منها، العمل على تثبيت سلطان وكيان الدولة الآشورية، والقيام بحملات عسكرية على مختلف الجبهات لمجابهة الأخطار المحيطة ببلاد آشور، ولمد نفوذ آشور وسيطرتها إلى الأقاليم المجاورة، معتمدين في ذلك على قوة وعزم الفرد الآشوري وصلابته، فضلاً عن طاعته لأوامر ملكه والتزامه بها باعتبارها واجبة التنفيذ، ومن ثم فإن تثبيت سلطان الدولة يعد واحداً من الأمور التي تدلل على طاعة الآلهة وبذلك سيحظى الملك برضاها ومباركتها لأعماله» (غزاله والمهنا 2008: 181).

«اهتم الأشوريون كثيراً بالتنظيمات الإدارية لدولتهم نتيجة لاتساع رقعتها وضمها لمناطق عديدة، وكان القصر مركزاً للأوامر والتعليمات التي يصدرها الملك للموظفين التابعين له

في إدارة المناطق الخاضعة للدولة إذ قسمت تلك المناطق إلى عدد من المقاطعات أو الأقاليم يشرف على إدارة كل منها ممثل ينوب عن الملك يعرف بـ (سيد المقاطعة)، ومن واجباته تنفيذ أوامر الملك والخضوع للسلطة المركزية، فضلاً عن الواجبات الإدارية المنوطه به والمهام العسكرية والمالية والدينية.

قسمت كل مقاطعة إلى عدد من الوحدات الإدارية التي يشرف على إدارتها حاكم، وهي ترتبط بالمدن الرئيسية التي ترتبط بدورها بالحكومة المركزية التي كانت ترسم الخطوط العامة للسياسة الواجب اتّباعها من الحكام مع إعطائهم جزءاً من الحرية لتنفيذ تلك السياسة، ولتأمين الاتصالات بين المقاطعات والحكومة المركزية فقد أنشأ نظام للمواصلات والبريد سهل وصول الرسائل والتقارير من حكام الولايات والمناطق التابعة للدولة إلى الملك الأشوري، كما أسهم الأدلّاء والعيون المنتشرون في أنحاء الدولة على ربطها ببقية المناطق من خلال إعطائهم للمعلومات والتقارير الاستخبارية، إذ كان هؤلاء على اتصال دائم بقادة الجيش لتلقي الأوامر وتنفيذها دون تأخير ومهمتهم جمع المعلومات من حكام المقاطعات الحدودية والحلفاء والتجار والمراسلين والدبلوماسيين ومن المارة وغيرهم، لذلك كانوا ينتقلون من منطقة لأخرى ويتوزعون على الطرق والمرتفعات والمسالك والممرات الجبلية، وذلك للعمل كأدلاء أثناء مرافقة الجيوش الأشورية، فضلاً عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ لتأمين المنطقة للجيوش الآشورية». (غزاله والمهنا 2008: 183).

«جدير بالذكر أن طبيعة السياسة الخارجية الآشورية تجاه بلاد عيلام في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية (744 ـ 612) ق.م. كانت قائمة على أربع مراحل:

المرحلة الأولى يمكن أن نطلق عليها الانتهاك والتآمر، وتغطي المدة الممتدة (744 ـ 705) ق.م.

1. المرحلة الثانية تسمى مرحلة الهجوم (704 ـ 681) ق.م.
2. المرحلة الثالثة تسمى الهدنة القصيرة (680 ـ 669) ق.م.

3. المرحلة الرابعة يطلق عليها مرحلة التدمير (688 ـ 627) ق.م». (الأعرجي 2014: 4).

«أما بالنسبة للمصريين فقد شكلوا حلفاً معادياً للدولة الآشورية في سورية بسبب إدراكها خطورة التوسع الآشوري وأثره على المصالح الاقتصادية لمصرن فشكلت حلفاً بزعامة أيلو ـ بعدي حاكم حماة وضم هذا الحلف كلاً من مدن أرفاد ودمشق والسامرة. فمنذ بداية تأسيس الإمبراطورية الآشورية الثانية 750 ـ 612 ق.م. ازدادت التدخلات المصرية في مناطق النفوذ الآشوري الحيوي ولا سيما في بلاد الشام. ففي عام 720 ق.م. حدث تمرد جديد في مدينة الفرقار وجهز سرجون الثاني حملة عسكرية على أثرها باتجاه هذه المدينة وسلكت هذه الحملة الطريق نفسه الذي سلكته حملة شلمنصر الثالث عام 853 ق.م. التقت القوات الآشورية مع قوات الحلف عند قرقر انتهت بانتصار الآشوريين، وأصبحت منطقة فلسطين تحت سيطرتهم ويبدو أن هذا الانتصار أثّر بشكل إيجابي في السياسة الآشورية بالمنطقة بدليل أن المصريين قد أقروا بالوضع الجديد وأقاموا علاقات طيبة مع الآشوريين». (الأعرجي 2014: 6).

4.الأسباب القانونية:

كان لصدور القوانين الآشورية، في العصر الوسيط للآشوريين، وتفويض الإلهين آشور وشمش بتطبيق ونشر القانون بالقوة أثره الكبير في جعل الآشوريين يخرجون خارج حدودهم وهم يحملون قانونهم معهم، «وإذا جاز لنا القول أن نأخذ بالمبدأ القائل أن سيادة حكم القانون ونشر الأمن تبرر اخضاع كثير من الدول طوعاً أو كرهاً لسلطان الحكومة وهذا بالفعل ما حدث في الدولة الآشورية عبر تاريخها الإمبراطوري، فلو نظرنا إلى الخارطة السياسية للدولة الآشورية في عصرها الحديث لرأينا أنها أقامت في غرب آسيا حكماً منتظماً متطوراً قادراً على توفير الأمن والرخاء. ذلك أن الدولة الآشورية التي كانت تضم تحت هيمنتها بلاد آشور وسوريا

وفلسطين وعيلام وبابل وأرمينيا وميديا بالإضافة إلى مصر في فترة من تأريخها هذا كانت تتمتع بقسط من الحرية فقد احتفظت مدنها الكبرى بقسط موفور من الحكم الذاتي المحلي، كما احتفظت كل مقاطعة فيها بدينها الخاص وأعرافها وحكامها ما دامت لا تتوانى عن أداء الولاء والجزية المفروضة عليها». (الفتيان 1991: 172).

ويقيناً أن تطبيق القوانين الآشورية، خارج آشور، لم يكن كما هو تطبيقه داخلها، فقد كانت تلك مجرد حجة دستورية كانت عواصف الرياح تُذهب بها في أدراج الرياح، وربما كان هذا أحد أسباب جعل الآوريين يعلنون قانون المواطنة الآشورية للشعوب المهجّرة داخلها ولبعض الشعوب المحتلة.

5.الأسباب العسكرية:

ربما كان الجانب العسكري أهم أسباب نهضة الآشوريين وقيام دولتهم وحضارتهم «أن حالة التهديد والتحدي الخارج شمل جميع جهات بلاد آشور وجبهاتها لهذا جاءت الحملات العسكرية الآشورية التي قادها ملوك بلاد آشور ضد المعتدين من تلك الأقوام لتعبر عن حاجة حقيقية تدفعها مصلحة البلاد السياسية وليس لرغبة أو نزعة شخصية من لدن الملك الآشوري كما يعتقد البعض. فحينما انتشرت مجموعات الأخلامو والآراميين على طول نهر الفرات ثم اجتازته لتنزل بالقرب من حدود بلاد آشور، وأحدثت اضطرابات اقلقت المنطقة بهدف زعزعة الأمن والاستقرار فيها من أجل تسهيل عملية الاعتداء على أملاك الآشوريين الذين أدركوا مدى خطورة التهديد الكامن وراء وجود هذه المجاميع بالقرب من حدودهم الأمر الذي دفع بالملك الآشوري أرك ـ دين ـ ايلي 1208 - 1319 Ark - Din - Ili ق.م، إلى قيادة حملة عسكرية تعد الأولى في مجابهة الأخلامو إذ يقول (قهرت مجاميع الأخلامو والسوخو)، في معركة كانت قاسية انقطع ذكرهم لفترة تاريخية قبل أن يظهروا مرة ثانية على المسرح السياسي كمتحالفين مع الميتانيين والحثيين ضد الدولة

الآشورية بحدود القرن الثالث عشر ق.م، في عهد شلمان ـ أشريد الأول 1274 ـ 1245 ق.م.».

«وشكلت في بلاد نائيري الواقعة إلى الجنوب من بحيرة وان تهديداً خطيراً لبلاد آشور عندما تقدمت نحو الاقسام الشمالية من بلاد آشور مما دفع الملك الآشوري شوكلتي ننورتا الأولى 1244 ـ 1208 ق.م، إلى قيادة حملة عسكرية ضدها دفع بها أذاها عن بلاد آشور، فاستغل الملك الكاشي كاششياش الرابع، حاكم بلاد بابل هذه الأحداث وقام بالاعتداء على الأراضي الآشورية في محاولة للتوسع باتجاه الشمال، حاول توكلتي ننورتا الأول أن يجد حلاً سلمياً لما حدث ولكن من دون جدوى فقد جيش نحو كاشتلياش الرابع وانتصر عليه وتمكن من أسره وإرساله إلى آشور، وتذكر كتابات تولتي ننورتا الأولى قوله الآتي (وطأت بقدمي رقبته الملكية وكأنها منصة للأقدام ووضعته مقيداً أمام الإله آشور وجعلت الملك الكاشي مسخرة لمحاربي الإله آشور)». (محمد 2006: 18 ـ 20).

ولا شك أن التحدي كان من جهاته الأربع، وكل جهةٍ لعبت دورها في مرحلة من مراحل النهوض والقوة، «فقد شهدت الأقسام الشرقية بحدود منتصف القرن التاسع ق.م، إبان حكم الملك الآشوري شلمان ـ أشريد الثالث 858 ـ 824 ق.م، توتراً خطيراً نتيجة تدفق أقوام جديدة على إيران هم الميديون والفرس. الذين ذكرهم شلمان ـ أشريد الثالث في حولياته بصيغة Mada أو Amadia أي الميديون أو الماديون وبارسوا Parsua أي الفرس، الذين شكلوا تهديداً حقيقياً عندما تقدموا باتجاه بلاد آشور والاعتداء على أملاكها والتحرش بحدودها. ولكبح جماح تلك الأقوام ومنع اعتداءاتها ودفع أذاها تقدم شلمان ـ أشريد الثالث نحو منطقة زاموا واجتاز جبل كلار وأخضع عدداً من المدن هناك منها مونا Munna، ألابريا Alabria، وأديرا Adira وتمكن من أخذ أبواب قصر حاكمها نزي الذهبية وكنوز قصره، ثم تقدم وأخضع مدن بازوا Pazua وسابيداني Sabiddani وخمباني Hambani التي أحرقها بالنار.
وتقدمت القوات الآشورية لضرب مردوك مودامق حاكم مقاطعة نامري Namri

الواقعة على الزاب الأسفل كونها تشكل تهديداً باعتداءاتها على أملاك الدولة الآشورية. فجرت معركة عنيفة بين الطرفين عند نهر نمريت Namrite هرب خلالها مردوكم مودامق مع جيشه تاركاً مدنه المحصنة وتماثيل آلهته وممتلكاته وخيوله بأعداد كبيرة غنائم للجيش الآشوري وشلمان ـ أشريد الثالث، الذي يقول في حولياته (.. مردوك مودامق ملك نامري... انطلق نحوي بفرسانه ومقاتليه ليحاربني عند نهر نمريت.. أخذت فرسانه وخزمته.. وترك مدنه القوية المحصنة.. لينقذ حياته.. فاغرت على قصوره وأخذت منها آلهته وممتلكاته..) وبعد هرب مردوك مودامق قام شلمان ـ أشريد الثالث بتعيين حاكم محلي على منطقة نامري». (محمد 2006: 22 ـ 23).

الآشوريون والآريون:

لا بد من بحث أمرٍ في غاية الأهمية، كان يهمل عادة في غمرة الحمى التي تركز على القوة الذاتية الجينية للآشوريين وقسوتهم وصلابتهم، وهو أثر الآريين في حفز الآشوريين وجعلهم بهذه القوة.

كان الآشوريون مهددين، على الدوام، من قبل الشعوب الآرية التي بدأت بالزحف والغزو من مراكز ظهورها بين البحرين الأسود وقزوين متجهة في ثلاثة اتجاهات أساسية نحو الشرق وصولاً للهند والصين وجنوباً باتجاه إيران التي دخلوها دون عناء وفي وادي الرافدين الذي كان صعب التضاريس بحيث منعت هذه التضاريس عنفوان اندفاعهم لكن خطرهم ظل قائماً، وغرباً باتجاه أوروبا.

بعد أن انهارت الإمبراطورية البابلية القديمة، بعد فترة وجيزة من وفاة حمورابي، خضعت لسلسلة من التوترات لمدة 600 سنة حتى صعود الآشوريين، الذين لعبوا دور الجيران المتحضرين للإمبراطورية البابلية، فقد كانت بابل على مدى 2000 عام، مصدر إشعاع حضاري في المنطقة كلها، حتى عندما بنى الآشوريون عاصمتهم في نينوى.

كان الملك الآشوري شمشي آدد مناظراً لحمورابي زمناً ومكانة، ومع ذلك، في الوقت الذي توفي فيه حمورابي تقريبًا، تم غزو بلاد ما بين النهرين من قبل البرابرة الناطقين باللغة الآرية والبرابرة الذين اخترعوا تكنولوجيا عسكرية جديدة تتمثل في عربة الحرب.

في هذا الوقت، كان الآريون قد هبطوا من سهوب غرب آسيا وقاموا بتدجين الحصان على نطاق واسع ودمجه مع عربة خفيفة ذات عجلات مما يمثل تحسنًا كبيرًا على عربات الثور والبغال ذات العجلات الصلبة التي ظهرت في وادي الرافدين منذ للسومريين. مع هذا الاختراع، تمكنوا من تدمير جيوش بلاد ما بين النهرين من الجنود المشاة. وانتشر الغزاة الآريون البرابرة كحيوانات مفترسة على مدى السنوات الـ 500 المقبلة في جميع أنحاء العالم المتحضر.

1. وصلوا إلى بلاد اليونان وكانوا يسمون الدوريين الذين جرفوا الماضي العريق للحضارات الإيجية، وكان المينويون شعباً يتحدث باللغة السامية كما تشير الآثار الجديدة، ولكنهم بعد 500 عام أنتجوا الحضارة الإغريقية الكلاسيكية.

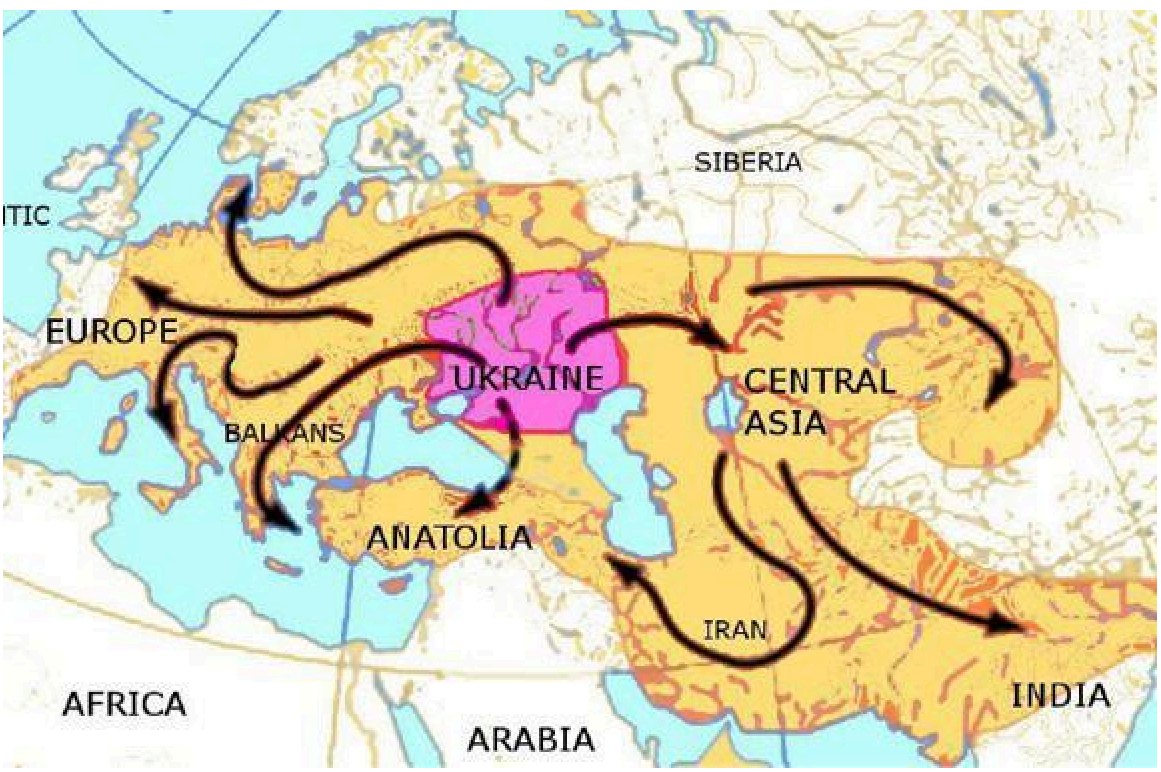
2. وصلوا إلى الهند ودمروا الحضارة السندية للشعب الدرافيدي المتطور ثقافياً وصاحب البشرة الداكنة وتم استيعابهم من قبل الدرافيديين الأكثر تحضراً والذي هاجر إلى جنوب الهند بعد تدمير حضارته (لاحظ أن الكلمة السنسكريتية للطبقة هي «فارنا»، وتعني «اللون»). شكّل الآريون نظام الطبقات من أجل الحفاظ على هويتهم وفرضوا لغتهم وثقافتهم على السكان الأصليين.

3. في بلاد إيران وصلوا إلى شمالها وشكلوا الشعب الميدي الذي سيساهم في الإطاحة بالإمبراطورية الآشورية باتفاق مع البابليين. ووصلوا إلى الجنوب الغربي واستوعبوا وضموا الحضارة العيلامية، ثم أسقطوا الحضارة البابلية.

4. في بلاد الصين، حاولوا اختراقها وكونوا التوكاريين الذين أدخلوا العصر البرونزي والمركبات، وأسسوا سلالة (شانج) أول إمبراطورية صينية حقيقية. كانت سلالة هسيا السابقة، التي يبدو أنها نظام أمومي، تحكم فقط قرى كبيرة من العصر الحجري الحديث.

5. في بلاد آسيا الصغرى وصلوا فكان الحيثيون الذين صهروا الحديد أولاً وشكلوا أول حضارة آرية بحتة.

6. وسط أوروبا وصلوا لها وكان الغزاة الآريون ورثة الهياكل الصخرية في مالطا وستونهنج. كانت المجموعات الأوروبية الوحيدة التي نجت من الآرية في ذلك الوقت هي الباسك. تذكر أن هؤلاء قد يكونوا أحفادًا مباشرين للكرومانيين، وهم الفنلنديون والإستونيون والمجريون، وجميعهم مرتبطون لغويًا في مجموعة اللغات الفنلندية الأوغرية، هم من غير الآريين الذين قدموا إلى أوروبا لاحقًا.



سهول بونت شمال البحر الأسود مركز انطلاق الهجمات والهجرات الآرية

أمام هذا المشهد المرعب من فوران البركان الآري كان الآشوريون بعيدين عن الغزو الآري في البداية، فقد امتصوا التقنية الآرية وتجاوزوها بمرور الوقت. وأصبح الآشوريون بارعين مثل الآريين في تربية الخيول وتدجينها وخلقوا تكتيكات الحرب الأولى باستخدام المركبات الجماعية. ومع ذلك، كان سيتم التراجع عنها في نهاية المطاف في القرن السابع قبل الميلاد. بواسطة اختراع آري جديد، سلاح الفرسان الخفيف. في هذه الأثناء، تعلم الأشوريون صهر الحديد من الحيثيين، الذين كانوا أكثر المجموعات الآرية حضارية في ذلك الوقت. عام 1370 قبل الميلاد. بدأ الأشوريون بالنهوض وبحلول القرن السابع قبل الميلاد. كوّنوا أعظم إمبراطورية شهدها العالم على الإطلاق. وقد ساعدهم في ذلك الموجات المتتالية من البرابرة الآريين الذين استمروا في تعطيل حضارة أبناء عمومتهم الأكثر تحضراً.

سيصل الآريون مليئين بالحيوية الأخلاقية البدائية والتفوق العسكري الساحق في الموجة الأولى. كانوا يبذلون قصارى جهدهم لتوسيع تقنياتهم وتطبيقها على البيئة التي تصادفهم من أجل معالجتها والسيطرة عليها. سيشكلون بعد ذلك نخبة حاكمة ويصبحون متحضرين وفاسدين، وفي ذلك الوقت سيتم غزوهم بموجة آرية أخرى لم تكن متفوقة من الناحية التقنية، على الرغم من أنها قد تكون أكثر حيوية أخلاقية. في نهاية المطاف، تم صد الغزاة الآريين لأنه لم يعد لديهم تفوق عسكري واضح، انتفض الآشوريون ضد الغزاة الآريين الذين كانوا يهددون باستعبادهم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبالتالي بدأوا في اتخاذ الخطوات الأولى نحو تشكيل الإمبراطورية الآشورية.

رأى الأشوريون أنفسهم على أنهم ورثة عرقيون وروحيون ومثقفون للإمبراطورية البابلية. تم الضغط عليهم نحو الجدار من قبل الغزاة الآريين وردوا عليهم من خلال هزيمتهم ثم توسيع نطاقهم خلال القرون الستة القادمة حتى غزوا كل من الشرق

الأوسط ومصر وحتى أجزاء من النوبة وإثيوبيا، والتي جمعوا منها الجزية ثم تم تعطيل الإمبراطورية الآشورية من السهول من قبل حشد جديد من الغزاة الآريين، السكيثيين، الذين كان لديهم اختراعان جديدان ـ السروج وسلاح الفرسان.

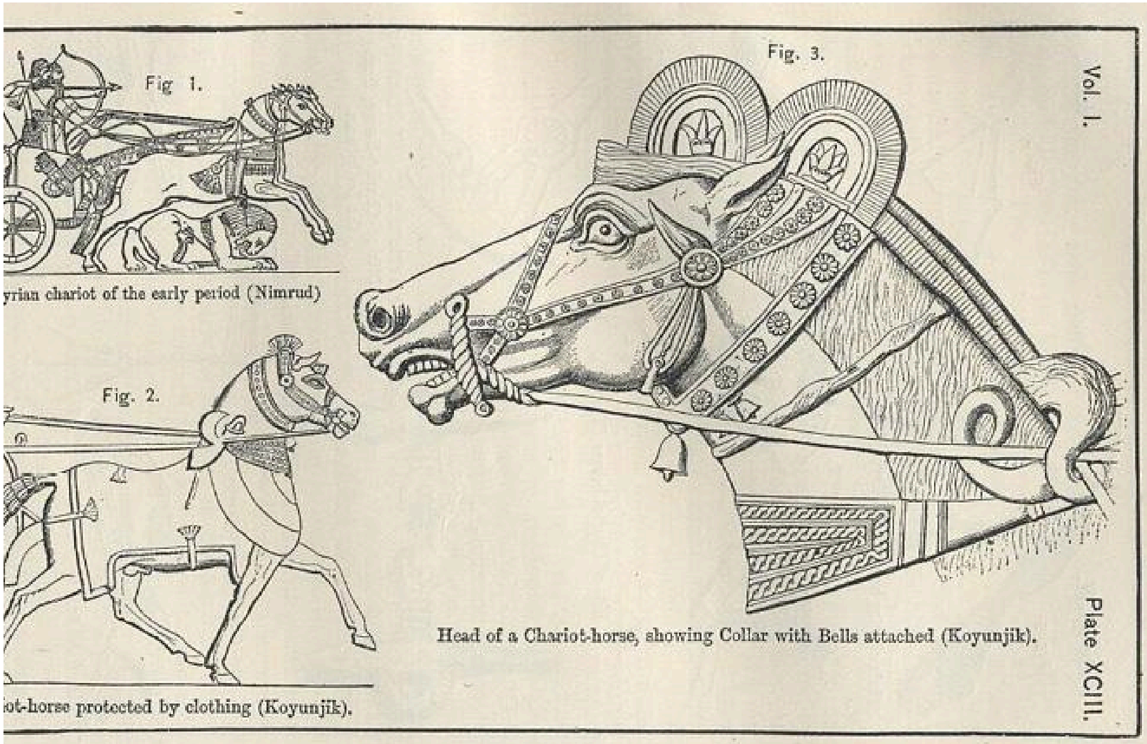
هذا هو سرّ تفوق وهيمنة الحضارة الآشورية، كان تحديداً هو جمع بين الخبرة المعرفية والثقافية والحضارية من تراث سومر وأكد وبابل، مع الخبرة المادية والعسكرية والتقنية التي استوعبها من القوة الآرية، وبذلك جمع أعظم حقلين في الحضارة، تعكز عليهما مثل لاعب الزانة وانطلق عالياً في سماء الحضارات يومها وأبعد الزخم الآري العنيف عنه بل وكوّن منطقة عازلة معهم ومع غيرهم.

لم يكرر هذا الفعل، من قبل الساميين، إلّا عرب الإسلام، فبعد أكثر من 1500 عام تمكن آخر شعب سامي (العرب) من تشكيل إمبراطورية معارضة للهيمنة الآرية، وسيكون ابتكارًا نفسيًا اجتماعيًا جعله الدين الشمولي ممكنًا وهو الإسلام.

كان صهر الحديد اختراعًا حاسماً تم تطويره في وقت ما في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وربما قام بهذا الاختراع الحيثيون أو أحد الشعوب الآرية القريب منهم، كان الحديد أكثر وفرة بكثير من مكونات البرونز، التي كانت أساسًا لأسلحة العربات. كانت أسلحة العربات باهظة الثمن ومقتصرة على نخبة صغيرة، الأمر الذي أتاح بدوره لأعداد صغيرة من البدو البربر الذين كان لديهم العربات «تدجين» الجماهير المتحضرة من البشر الذين لم يكن لديهم. يمثل الأشخاص المتحضرون نظيرًا بشريًا للحيوانات الأليفة. يصعب ترويض الحيوانات البرية وكذلك البدو البرية والصيادين. لذلك، فإن الخصائص العقلية الآرية الغريبة ـ فقد رأوا أنفسهم على أنهم «عِرق رئيسي» مقدر لهم أن يحكموا الفلاحين المتهورين، والفقراء، المتحضرين، لكنّ الآريين سيكتسبون بسرعة نقاط ضعف رعاياهم المتحضرين، وفي هذه العملية غالبًا ما يفقدون فضائلهم الرئيسية المتمثلة في الإبداع التقني والحيوية الأخلاقية.

أصبح اختراع صهر الحديد شائعاً، فيما بعد، حتى يتمكن كل رجل قادر على تحمل السلاح والمشاركة. وقد زاد هذا بشكل كبير من الذكاء الجماعي للمجموعة من خلال نشر المعرفة والقدرات العسكرية بين المجموعة بأكملها. كان الحيثيون أول من استغل هذه القدرة، وكانوا قادرين على هزيمة جيوش رمسيس الثاني في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. لأنهم كانوا يمتلكون أسلحة حديدية بينما توقف المصريون عن الابتكار التكنولوجي. حاول الحيثيون الحفاظ على سر صهر الحديد، ولكن على الرغم من أنه كان عملية معقدة تتطلب تكريرًا منهجيًا، وتبريدًا، وفي النهاية السبائك، كانت العملية قادرة على الانتشار. بحلول عام 800 قبل الميلاد. كانت معروفة في جميع أنحاء العالم المتحضر وحتى في أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. استخدم الآشوريون أسلحة حديد لتعزيز إمبراطوريتهم ونشرها. ومع ذلك، كان سلاح الفرسان الخيالي مفهومًا جديدًا تمامًا أدى إلى عدم استعداد الأشوريين.

استغرق تدجين الحصان أكثر من ألف عامٍ، وكان ركوب الخيل معروفًا في وقت مبكر من عام 1900 قبل الميلاد، ولكن لم يكن له قيمة عسكرية تذكر لأنه كان من السهل جدًا خلع الفارس. إن اختراع السرج وتقنية إطلاق النار على قوس قصير ولكن قوي مزدوج الانحناء، مركب من ظهور الخيل أثناء الركوب في مضمار كامل أعطى ميزة عسكرية هائلة للفرسان السكيثيين المناورة للغاية على العربات ذات القدرة على المناورة الأقل. كانت العربات تتطلب رجلين ماهرين لكل عربة واستثمارًا كبيرًا في رأس المال. عاش البدو الآريون الرحل في وسط أكبر قطعان الخيول في العالم ويمكن أن يشموا خام الحديد الوفيرة. دمجوا هذه التقنيات لإنتاج أول سلاح فرسان مثبت في حوالي 900 قبل الميلاد.



الخيول والعربات الحربية الآشورية

كان البدو يجتاحون السهول في مجموعات من عدة آلاف وينهبون المجتمعات المتحضرة في الشرق الأوسط. (كان السكيثيون مصدر أساطير القنطور) في هذه العملية دمروا الإمبراطورية الآشورية. ومع ذلك، على عكس الغزاة الآريين السابقين، كان السكيثيون يزدرون رعاياهم المحتلين. ورفضوا أن يصبحوا متحضرين. لذلك، انتهكوا الأخلاق التطورية من خلال عدم تعظيم الذكاء الأخلاقي، وبدورهم تم تدميرهم في نهاية المطاف من قبل المزيد من الشعوب المتحضرة الذين أتقنوا تكنولوجيا الفرسان. تم إبادة آخر السكيثيين في القرن الثاني قبل الميلاد. ولكن قبل حدوث ذلك، حدثت سلسلة من الطفرات النفسية الاجتماعية الراديكالية في جميع أنحاء العالم المتحضر والتي كانت إلى الأبد تغير عقل الإنسان.

بعد قرون من تعرض الآشوريين للاحتلال، وبعد أن كانوا شعباً يتقي شرور الآخرين بوسائله الدفاعية المحدودة، تحولوا من شعب دفاعي إلى شعب هجوميّ، وبدأوا بتحييد أو احتلال الشعوب التي كانت تهددها والتي كانت تحتها وتستعمرها. وبحكم توسع مساحة نفوذها، فقد كانت دوافع العسكرين لشن حملاتهم تنقسم إلى نوعين هما:

1. الدافع الوقائي: الذي كان يدرأ أخطار الدول والإمبراطوريات المجاورة لها كالحيثيين والحوريين والميديين والكَوتيين واللولوبو والبابليين، والتحركات الآرامية والمنافسة المصرية.. وغيرها.

2. الدافع الاقتصادي: كانت بلاد آشور خالية من الخامات المعدنية والأخشاب التي كانت ضرورية لحياتها، وكانت هذه المواد موجودة بشكل خاص في بلاد آسيا الصغرى وبلاد الشام وكان لا بد من توفيرها بوجود نفوذ لها في هذه المناطق، وكذلك كانت تبحث عن موانئ قريبة منها تسوّق فيها منتوجاتها وتستورد ما تحتاجه، ولذلك كانت تحاول دائماً تأمين مكان لها على سواحل البحر المتوسط، وسواحل الخليج العربي وتفسر هذه الأخيرة دافع احتلالها لبابل بشكل خاص.

«ومن شأن هذا النظام أن يحافظ على قوته لأن أي تراخ في سلطته المركزية يؤدي بدون شك إلى التمرد والثورة أو التباطؤ عن أداء الجزية، لذلك كان لا بد والوضع هذا إلى استخدام القوة العسكرية في إعادة فتح البلاد المرة بعد المرة وهذا واضح من خلال سير الأحداث التأريخية لهذا العهد. لذلك كان الجيش الآشوري أقوى دعامة للدولة وأهم مقوماتها فكانت آشور تعترف اعترافاً واضحاً بأن الحكم هو تأمين القوة وإضفاء صفة القدسية عليها وذلك لربطها ربطاً وثيقاً بالدين، حيث اعتبر القوة الثانية التي اعتمد عليها نظام الحكم، لذلك كان رأس الدولة الأول وصاحب القرار من الوجهة الرسمية هو الإله آشور، حيث تصدر الأوامر باسمه، وكل الأنظمة والقوانين ما

هي إلا قرارات تمليها إرادته الإلهية المقدسة، كما أن كل الضرائب تجبى لخزانته». (الفتيان 1991: 173).

بدأت الخزانة الأيديولوجية الآشورية بالتضخم كلما مرّ الزمن، وكان العامل الأول في ذلك والفهم الديني السياسي الجديد للإله آشور ودوره القادم، فكان «نمو حركات التوسع الآشورية بعد القرن الخامس عشر ق.م. ولقد اقترح أنه كان هناك عامل آيديولوجي، فقد كانت إرادة الإله آشور أن يوسع الملك أملاكه، فالأوصاف التي أضيفت إلى اسم آشور ظهر أنها مظهر من هذه المظاهر، فهو الذي يستطيع أن يهزم جميع العصاة، والذي يبعثر الأشرار، وإن الذي يعمل ضده هو الذي لا يحترم كلمته، وإنه الواحد الذي لا يستطيع الشر أن يهرب من شبكته. وكل هذه الجمل كانت تأتي في سياق الإساءة إلى الإله آشور إذا عارض ذلك الجبروت العسكري الذي تتمتع به آشور، وهناك أحد الباحثين المتميزين يذهب إلى حد القول عن التوسع الآشوري الإمبراطوري بأنه نوع من اللاهوت الديني الذي يبرر الحرب الحقيقية، وهذا الرأي مؤسس على الادعاء بأن الإله آشور سوف يحكم جميع البشرية. يظهر أن الأيديولوجية اللاهوتية سوف تحاول أن تضع التوسع الإمبراطوري الآشوري في مستوى أعلى كلياً من تلك الفوائد السياسية والاقتصادية المجردة، ولكن لا يمكننا فصل الأيديولوجيا عن الاعتبارات العملية فليس هناك من شاهد أنه في بداية الألف الثاني ق.م. قد قام الإله آشور بالادعاء بحكمه للعالم بأجمع، إذ إن هذه الفكرة إنما تنبع من فكرة التوسع الآشوري. ويبدو أن اللاهوت لم يحض على اتباع سياسة توسعية بل لقد حاول أن يعكس ويعطي تعبيراً دينياً لتلك السياسة أثناء تطورها. وهكذا فإن النظام اللاهوتي بالنسبة للحرب المقدسة لم يكن القوة الدافعة المستقلة بنفسها بل نوع من التفسيرات بمصطلحات الخرافة لما كان يحدث فعلاً تحت دوافع القوى الاقتصادية والسياسية، ولكن وبما أنها قد حدثت فقد خدمت لتدعم وتحافظ على الزخم الإمبراطوري الآشوري، وهو يمثل كشيء لا يعتبر مجرد جواب بشري

على الظروف السريعة فحسب بل يعتبر نشاطاً قد تقرر على مستوى إلهي». (ساغز 2008: 371).

وهكذا تشبعت الأيديولوجيا الآشورية بطموحات دينية وسياسية مهدت لنهضة دولتها وحضارتها، وكان لا بد من الهيمنة على محيط آشور الدولي كله «وعليه قاد أدد نيراري الثالث 810 ـ 783 ق.م، الذي تسلم عرش آشور بعد والده شمشي أدد الخامس حملة عسكرية قوية باتجاه بلاد حاتي في سوريا لإعادة إخضاع المدن والأقاليم التي كانت تابعة لبلاد آشور فقد ورد عنه قوله: (أتار شومكي Atarsumki بن أدرامو Adramu... أن ملوك أرض الحثيين الذين تمردوا وامتنعوا عن دفع الإتاوات.. إن شهرة آشور دبت الرعب في قلوبهم واكتسحتهم ولهذا جعلتهم يخضعون لي.. وبسنة واحدة أخضعت كل أراضي الحثيين.) واستكمالاً لحملاته على بلاد الحثيين توجه أدد نيراري إلى بلاد أمورو مجتاحاً كل المدن في طريقه لضرب المتمرد مرعي (Mari) حاكم مدينة دمشق وعبرت قواته نهر الفرات واستولت على مناطق سوريا الشمالية، ومدن وسط سوريا وغربها فضلاً عن صور وصيدا في الساحل الفينيقي وبيت عمري وأدوم وفلسطين ثم صعد من هناك باتجاه دمشق الهدف الرئيس للحملة بعد أن تم عزلها عن جميع حلقاتها وتمكن من اخضاعها واستلام الإتاوة منها. وهكذا تمكن أدد نيراري الثالث من إنهاء التمرد في مملكة دمشق والمدن والأقاليم في شمال سوريا ووسطها وصولاً إلى البحر المتوسط خلال سنة واحدة. حسبما ورد في كتاباته التي جاءتنا مدونة على ثلاث مسلات هي مسلة شيخ حمد، ومسلة السبأ، ومسلة تلك الرماح، فضلاً عن نص مسماري آخر عثر عليه في مدينة النمرود». (محمد 2006: 34).

6.الأسباب المدنية:

التحوّل التدريجي للمجتمع الآشوري من مجتمع زراعي وحرفي وتجاري إلى مجتمع عسكري كانت له نتائجه الخطيرة، فقد كانت الزراعة والمهن والتجارة عوامل نهضة

حضارية، وكان يمكن حمايتها بقدر معين من القوة العسكرية، لكن العسكرتاريا زحفت للمجتمع الآشوري الذي كان يشكو من انقسام حاد بين الفلاحين ومالكي الأرض «وكان هناك إمكانات أخرى فإن عضوية الفرد في المجتمع لم تجلب له الحق بأراضي المجتمع فحسب، بل تجلب له بعض الالتزامات لخدمة المجتمع، مثلاً رصف وفتح الطرق وأعمال الري أو الخدمة العسكرية، ولكن أصبحت الحقوق والواجبات الآن منفصلة بعضها عن بعض فالحقوق والامتيازات قد استولى عليها الأغنياء، في حين فرضت الواجبات على الفقراء، وحالما زادت الفروق بين معاملة مالكي الأراضي والفقراء الذين يملكون أرضاً أصبح مالكو الأراضي يعاملون الفقراء معاملة لا تشبه معاملة العبيد تماماً، بل كتابعين وملتزمين بتأدية بعض الخدمات للمجتمع التي كانت أصلاً مسؤولية أصحاب الأرض، وقد استطاع هؤلاء التابعون أن يستمروا في الأرض التي كانوا هم بأنفسهم أو أجدادهم يملكون الحق فيها». (ساغز 2008: 184).

7.الأسباب الاقتصادية:

«لم تكن الحياة الاقتصادية عند الآشوريين تختلف كثيراً عنها عند البابليين، وذلك لأن هؤلاء وأولئك لم يكونوا في كثير من الأحوال إلّا أبناء الشمال وأبناء الجنوب من حضارة واحدة. وأهم ما كان بين البلدين من فروق أن المملكة الجنوبية كانت أكثر اشتغالاً بالتجارة على حين أن الشمالية أكثر اشتغالاً بالزراعة، فكان أثرياء البابليين تجاراً في الغالب، أما أثرياء الآشوريين فكانوا عادة من كبار الملاك، يشرفون بأنفسهم على ضياعهم الواسعة، ويزدرون ازدراء». (ديورانت 2007: 278).

كانت مشكلة المواد الأولية للبناء من أخشاب ومعادن دافعاً مهماً للتوسع من أجل تأمينها «ويشير اهتمام الآشوريين بالعالم حولهم ورغبتهم بقبول الأفكار الجديدة على وجود حماس وحيوية ذهنية توازي أو ربما تغذي حماسهم العسكري وبدعهم الإدارية، وكان لكثير مما فعلوه تحت تأثير هذه البواعث نتائج مهمة في التطورات التي حدثت بعد ذلك في الشرق الأدنى، وهكذا فقد اكتشفت مصادر جديدة من

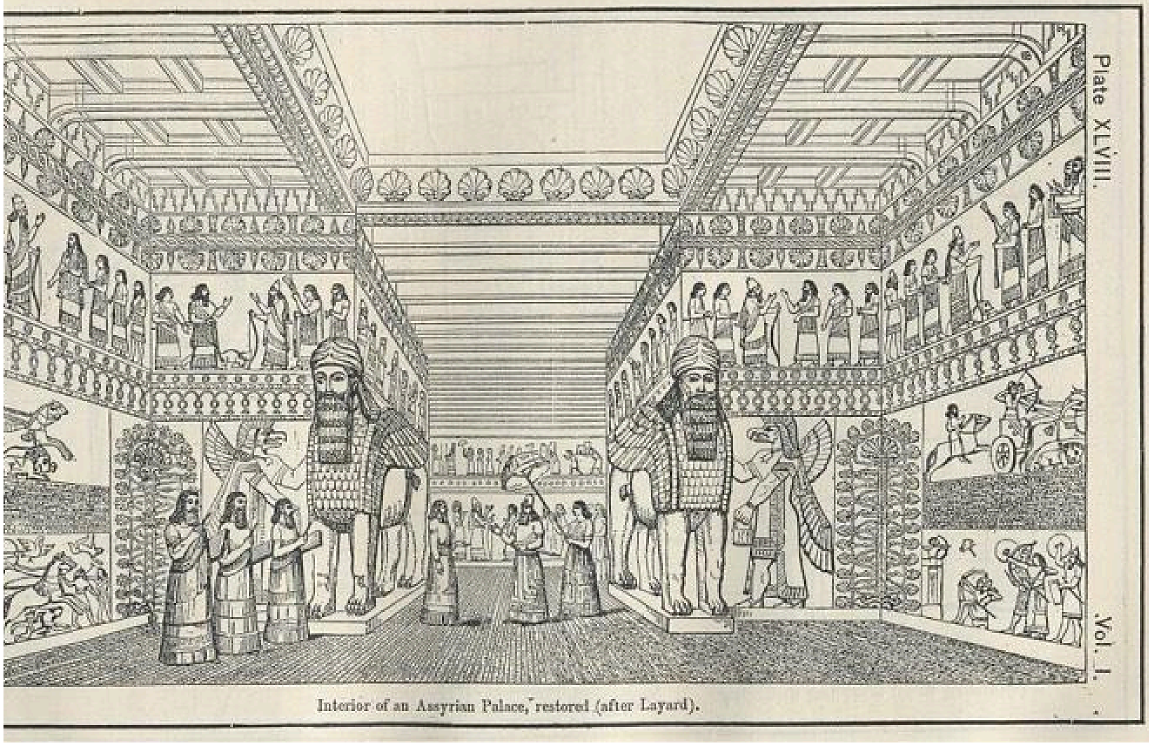
الخامات والحجارة والخشب، وانتشرت التقنيات، ولقد بدأت بعض الوسائل الجديدة في الحكم ذات الأهمية القصوى بالنسبة للشرق الأدنى فيما بعد تحت حكم الآشوريين. مثلاً: نظام الطرق الإمبراطوري بالإضافة إلى نظام بريدي سريع لتأمين المواصلات بين حكام الولايات والملك، وينبغي أن يقال: إن بقاء تلك القيم التي نُقلت إلى جميع أنحاء العالم عن طريق الحضارة السومرية هذا البقاء مدين جداً لقوة الآشوريين العسكرية». (ساغز 2008: 402).

«قاد توكلتي ـ ايل ـ ابشر الثالث الذي يعد من الملوك الأقوياء حملة عسكرية باتجاه تلك المدن والأقاليم لجمع الإتاوات وإعادة فرضها كإتاوة سنوية كما كانت في عهد آبائه وأجداده وتمكن من دحرهم والسيطرة على مدنهم وأقاليمهم واستلم منهم الإتاوات وزاد عليها كما جاء في أحد من نصوصه المسمارية ((... استلمت الأتاوات من ملوك بلاد حتي، والآراميين على الساحل الغربي.. العرب القيداريين، ورصين من دمشق، مناحيم من السامرة، طربائيل من صور.. زبيبة ملكة العرب.. كوشتاشبي ملك كموخ، وأورك ملك قوي، وبسيرس ملك كركميش، البي ـ ايل ملك حماه.. وباتا مو ملك سمأل. وتازخولارا ملك كركم، وسولومال ملك ميليد، والرسومي ملك تابال.. وشيني من تونا.. وتوهامي من اشتوندا.. وريمي من هوباشا. وكانت الإتاوة قد اشتملت على الذهب، الفضة، القصدير، الحديد، العاج، ثياب من الكتان المزركش الملون، صوف مصبوغ بالأزرق والأرجواني، خشب الأبنوس وخشب البقس والخيول والبغال والماشية والجمال وكل ما هو ثمين وأودعتها في خزينتي الملكية...))
واستناداً إلى حجم الإتاوات وأنواعها فإن الواضح أن حملة توكلتي ـ ايل ـ ابشر الثالث كانت بدافع اقتصادي إذ قام بتسجيل الغنائم بأنواعها وأعدادها». (محمد 2006: 140).

8.الأسباب الثقافية:

كلما توسع الآشوريون في نفوذهم احتاجوا لتوسيع الوحدة الثقافية التي ستربطهم مع الشعوب الجديدة التي ستدخل ضمن نفوذهم «وفي بعض العواصم الكبرى في الدولة الآشورية نفسها كان الآشوريون العرقيون أقلية وذلك بسبب مجيء شعوب من عروق مختلفة واستقرارهم هناك ومعاملتهم كمواطنين متساوين رغم اختلاف أسلافهم وأجدادهم، ومع استمرار عملية إعادة الإسكان المفيدة فوق كامل المنطقة خلال حوالي ثلاثة قرون فقد حدثت زيادة لا بأس فيها في الاندماج والاختلاط العرقي وإضعاف النزعة العرقية الاستثنائية (باستثناء الأماكن التي حافظت على العزلة فيها عن طريق الوسائل الدينية كما حدث مع اليهود). ولم تكن هذه عملية سريعة ولم تظهر نتائجها حالاً ولكنها مهدت الطريق لنمو الوحدة الثقافية في المنطقة بأكملها مما أثر على التاريخ التالي لمنطقة الشرق الأوسط. فقد تأمن وجود قاعدة للتجانس الذي مهّد لدخول الثقافة الهلينية في الشرق الأدنى بعد عهد الإسكندر الأكبر، وكانت الهيلينية بدورها عاملاً مهماً في انتشار الديانة المسيحية بسرعة عبر المنطقة، وبعد ستمائة عام انتشار الإسلام». (ساغز 2008: 403-404).

ولا شك أن ما يجمع الآشوريين والبابليين من وحدة في اللغة والثقافة كان له الأثر الكبير في نهضة الآشوريين، فقد كانت الخزائن البابلية عامرة والتي يمكن قراءتها وهضمها والتعامل معها، وهو ما دعا العاهل الآشوري الكبير آشور بانيبال لجمع تراث وادي الرافدين في لغته الأكدية وحتى السومرية ووضعه في مكتبة عملاقة في ثنيات قصره الكبير في نينوى.



Interior of an Assyrian Palace, restored (after Layard).

مدخل في قصر آشوري (معاد التصميم)

(Rawlinson 2016)

9.الأسباب النفسية والمدنية والمادية:

استعمل الآشوريون العامل النفسي في نهضة حضارتهم فجعلوا الجميع يخافون منهم، وكان «السبب وراء مغالاة الآشوريين في إظهار قوتهم وجبروتهم يكمن في استخدام الحرب النفسية التي تعد من أخطر الأسلحة التي استخدمت لنشر الخوف وبث الرعب في نفوس السكان لإشعارهم بأنهم خاسرون في الحرب لا محالة وعليهم الاستسلام لقدرهم هذا. وبذلك تضمن بلاد آشور ولاء الأقاليم التابعة لها بسبب خوف الأخيرة من العقاب والدمار الذي سيلحق بها إن خرجت عن الطاعة والولاء للدولة الآشورية. لذا يمكن وصف الحرب النفسية بأنها سلاح دفاعي وهجومي يهدف إلى تحطيم معنويات العدو وذلك عن طريق الإعلام الذي يغالي في ذكر العقوبات التي

يتعرض إليها كل من يتمرد على الدولة وهذا ما ذكرته النصوص الآشورية وصورته المنحوتات وذلك لإيجاد حالة من الذعر والخوف، ومن المعروف أن الإنسان قادر على تحمل حدود معينة من الهلع والخوف فإذا ما زادت عن حدها الطبيعي فالنتيجة إما أن يفر من القتال أو يتحول إلى مواطن تابع للدولة وهذا هو هدف الحرب النفسية». (غزالة والمهنا 2008: 187).

أما من الناحية المادية والتقنية فقد تراكمت الخبرة الآشورية في التعامل معها وأصبحت من عناصر النهضة الآشورية، حيث «لم يبرع ملوك الدولة الآشورية في عصرها الحديث بالأعمال العسكرية فقط، بل برعوا بالأعمال العمرانية أيضاً، وهذا ما يمكن استقصاؤه من جملة ما شيدوه في مدن بلاد آشور إذ قام الملك أدد ـ نيراري الثاني (911 ـ 891 ق.م) بإعمار مدينة آشور، فبنى باب دجلة فيها وإعادة بناء أسوارها وخاصة السور الخارجي (32)، وكذلك توسيع هيكلها العظيم. هذا فضلاً عن قيامه بإعادة بناء مسناة آشور لغرض النقل النهري مما أسهم في ازدهـار التجارة مع الجنوب (34)، وأكمل توكلتي ننورتا الثاني (890-884 ق.م) إعمار مدينة آشور عن طريق بنائه عدة قصور في المدينة وإعادة بناء سورها». (غزالة والمهنا 2008: 181).

كان سرجون الآشوري يقول «هناك شعوب من جهات الدنيا الأربع، ذوو لغات غريبة وكلام مختلف يسكنون في الجبال والسهول، لقد استوليت عليهم كغنائم طبق كلمات آشور سيدي لقد جعلتهم ذوي غرض واحد، ونية واحدة وجعلتهم يسكنون في داخل المدينة ـ أي داخل دور شاروكين ـ وجعلت مواطني آشور الماهرين في عمل كل الأعمال مراقبين ومشرفين لكي يعلموهم العادات وأن يخدموا الآلهة والملك». (ساغز 2008: 177).

10.الأسباب الدينية:

مع نشوء الإمبراطورية الحديث شعر الآشوريون أن هناك إرادة إلهية تقضي بتوسعهم في الأرض وجعل الشعوب كلها تحت مشيئة الإله آشور «فالمواقف القديمة تقص وتقول: إن الآلهة هي التي خلقت نظام هذا العالم، وهذا كان ألزم وجود ثقل اكتسبته القوى الرجعية المحافظة، وهذا أدى إلى التأثير على أي نوع من التغيير أو التقدم. فالآشوريون لم ينكروا تلك المعتقدات علناً، ولكن في بلاد آشور وفي الألف الأول بدأنا نلمس دلالات على نشوء وجهة نظر مختلفة أو طبخاً للأفكار القديمة كان العالم ساكناً أو بالأحرى دوري الحركة أي أنه إذا تغيرت الأشياء فإنها تتغير ضمن إطار متكرر، فالنظرة الجديدة للحياة وللعالم تتلخص أن الآلهة كان لديها مخطط في التأريخ، وأن آشور هي العامل الرئيسي في هذا المخطط. وكان العنصر الرئيسي في هذا المخطط عاملاً دينياً سياسياً لكونه يمثل التوسع المستمر وسيطرة آشور وهي تحت الإله القومي آشور، ولكن مجرد الاعتقاد وإمكانية التطور داخل التأريخ كان يعني إمكانية التغيير بصورة عامة فالأشكال المنوطة بالحياة لم تعد محددة بالطريق القديمة». (ساغز 2008: 399).

أصبح آشور إلهاً شمولياً «ومن هنا أتى الاسم آشور، وقد نشأ الاعتقاد أن سلطة آشور امتدت فوق العالم المتحضر، وكان من وظائف وواجبات الملك تأكيد وصيانة سيادة الإله آشور. وللوهلة الأولى، ربما يبدو هذا وكأنه نوع من النزعة القومية والإمبريالية ذو شكل معين، وفيه الفكرة التجريدية للقومية الممثلة بالإله ولكن ليس الأمر بهذا الوضوح والصراحة. فقد كانت تلك الفكرة مؤسسة على فكرة لاهوتية ودينية لآشور، وهي أن الإله كان لديه خطة بالنسبة للبلاد، وأنه قد انفصل عن أرضه وشعبه، فالقومية ليس لها أهمية دون وجود مجموعة بشرية، ولكن بالنسبة للتفكير في الشرق الأدنى يستطيع الإله أن يتواجد بشكل مستقل عن شعبه وحتى عن وطنه، وباستطاعته حتى هجر ومعاقبة شعبه، الأمر الذي ليس باستطاعة القومية المجردة عمله». (ساغز 2008: 172).

كان الملوك ينفذون خضوعهم للإله آشور وهذا يعني أنهم ازدادوا استخداماً له كأداة ووسيلة للتوسع والقوة «لم تتغير سياسة الملوك الآشوريين في إطاعة الآلهة وتقديس أوامرها، فقد عثر على نص تذكاري في مدينة النمرود، يبين أوامر الإله آشور والآلهة الأخرى ويذكر مساعدتها ومساندتها، للملك آشور ـ ناصر ـ إيل الثاني 883 ـ 859 ق.م، في حملاته العسكرية لضرب المتمردين ودحرهم وإخضاعهم لمشيئة الآلهة، ويدعى آشور ـ ناصر ـ إيل الثاني بأن الإله آشور ناداه باسمه وأمره في قوله: ((عندما ناداني الإله العظيم آشور باسمي.. وجعل سلطاني فوق سلكان ملوك الجهات الأربعة واسمي العظيم فوق كل شيء بوضع سلاحه الفتاك الذي لا يعرف الرحمة بين أسلحتي الإلهية وأمرني بأن أحكم وأخضع وأسيطر على الأراضي العليا المنيعة وبمساعدة ودعم آشور إلهي استمريت بالزحف عبر المسالك الصعبة والشاقة والجبال الوعرة ترافقني حشود قواتي ولم يكن هناك خصم يواجهني..))، وكان من نتيجة حملته هذه أن أخضع عدداً من المدن وضمها إلى المملكة الآشورية وفرض عليها أعمال السخرة، فضلاً عن استحصال الأتاوات منها التي اشتملت على الثيران والبغال والحمير والأغنام وأوان برونزية من مدن بلاد كيروري مثل سميسي وسميرا، واستناداً إلى تعليمات الآلهة وبأمر من الإله آشور قاد آشور ـ ناصر ـ إيل الثاني حملته العاشرة عام 866 ق.م، للحصول على كميات من الغنائم وإضافة مناطق جديدة وضمها تحت قيادته وتحت قدسية الإله آشور فقد جاء في قوله: (بأمر من الإله آشور، في الثالث عشر من شهر أيار زحفت من كلخو وبعد عبوري نهر دجلة انحدرت باتجاه بلاد قيبان Qipanu، وبدأت في مدينة خوزيرينا أتسلم الإتاوات من حكام المدن في بلاد قيبانو.. استلمت جذوع أشجار الأرز والفضة والذهب.. وتوجهت من مدينة خزويرينا نحو ضفاف الفرات الأعلى..)». (محمد 2006: 91 ـ 92).

كان لا بد من إسباغ القوة والشمولية على آشور من أجل المكاسب العسكرية والسياسية «وخص الآشوريون الإله آشور الإله القومي لهم بشيء من التقديس وأطلقوا عليه أسماء عديدة للتعظيم والتبجيل ولقبوه بالجبل الكبير ورمزوا إليه

بالقوة وقدموا له أنفس الهدايا وأغلاها وأعدوا أن عدم احترام آلهتهم والإساءة لها إنما هو عمل شرير يستحق الانتقام بشدة من المذنبين وأن واجبهم تجاه الآلهة هو التصدي لهذه الإساءة وإعادة الاعتبار للآلهة فقد جاء شلمان ـ أشريد الأول قوله ((إن مدينة أرينو Arinu المدينة المقدسة والتي بنيت على أرض صخرية التي تمردت سابقاً واحتقرت آشور وبعون آشور والآلهة العظام سادتي استوليت ودمرت تلك المدينة)). عد الملك توكلتي ـ إيل ـ أبشر الأول عدم دفع الإتاوة للإله آشور هو دافع مباشر لشن حملة عسكرية للانتقام، فهو أمر يظهر عدم احترام للآلهة والخضوع لها وهذا ما أورده في أحد نصوصه بقوله: ((في تلك الفترة سرت إلى بلاد كتموخي غير الخاضعة التي كانت قد امتنعت عن دفع الإتاوة للإله آشور سيدي)). ثمنت الآلهة جهود توكلتي ـ إيل ـ أبشر الأول في رعايته لها والدفاع عن مقدساتها وإضافة أملاك جديدة لحسابها وبذلك نصرته على أعدائها الذين لا يحترمون قدسيتها ولا يهابون قدرتها وقوتها، إذ يقول ((... لقد ثمن كل من الآلهة الكبار سيادتي على المدن... وثمنوا قوتي وجبروتي.. ووضعوا بيدي سلاح قوي كالطوفان في المعركة... فأحكمت السيطرة على الأراضي والجبال والمدن والإمارات التي كانت ضد آشور واختضعت المقاطعات التابعة لها... وجلبت سيني Seni ملك أرض دايانو Daienu الذي لا يخاف ولا يخضع للإله آشور من خلال علاقته معه وقد رحمته وتركته ليغادر مدينتي آشور بغية طلب العفو من الآلهة، وأصبحت ملك كل الأراضي الشاسعة لمنطقة نايري Nairi وأخضعت له ملكه...))». (محمد 2006: 106-107).

ثانيا: أسباب سقوط الحضارة الآشورية

1.الأسباب الجغرافية:

السبب الرئيسي وراء سقوط الإمبراطورية الآشورية هو التغيرات المناخية المفاجئة التي طرأت على مناطق مركز الإمبراطورية الآشورية أي في آشور وما حولها من المدن، نينوى، كالح، أربيل، آرابخا.. إلخ، حيث تسبّب الجفاف والحرارة الكبيرة

بمجاعةٍ في أهم المدن الإمبراطورية المزدحمة. أثّر هذا على اقتصاد أهلها من جهة وعلى مجاعة كبيرة في قواتها المسلحة. وقد تحدثنا بإسها ب عن هذا الموضوع في أكثر من مكان في هذا الكتاب.

يتحدث الأرشيف الآشوري، في السنوات الأخيرة من تاريخ الإمبراطورية، عن الجفاف والسنوات العجاف، وكيف أن فلاحي المناطق النائية من بلاد آشور لم يتمكنوا من جني المحاصيل.

وتؤيد معلومات رصد الأقمار الاصطناعية للمناطق الآشورية وجفافها من ذلك الزمن، وكذلك تحليل عينات من الصخور والماء والتربة والنباتات والأشجار الأحفورية منذ ذلك الوقت.

كانت الزراعة أساس الحياة الاقتصادية في بلاد آشور كلها، وكان جفافها يعني موت تلك الحضارة، وقد استغل التحالف المضاد لآشور هذا الجفاف الاقتصادي وهجموا على آشور وهم يعلمون تماماً أن جيشها في أطراف الإمبراطورية لا يجد ما يقتات به ويديم قوته، وكذلك جيشها في نينوى والمدن القريبة المزدحمة الجائعة.

كانت الزراعة في المناطق الآشورية تعتمد على الأمطار بالدرجة الرئيسية، وكان تتعرض بين وقت وآخر لفترات جفافٍ قد تصل إلى سبع سنوات!!؟، وكان هذا لوحده سبباً كافياً في موت الزراعة وحلول الجفاف. وقد ساعد هطول الأمطار على ازدهار الزراعة لثلاثة قرونٍ، توسعت الإمبراطورية خلالهما منذ القرن العاشر حتى القرن السابع، وعندما تحول المناخ إلى الجفاف أدى إلى تغيير قوتها. ففي بداية القرن السابع قبل الميلاد أصبح المناخ في المناطق الآشورية جافاً بشكل تدريجي حتى منتصف القرن، عندما بدأت المنطقة تعاني من الجفاف الكامل، ترافق هذا مع موت آشور بانيبال ونزاع أبنائه وضباطه على العرش.

كتب المنجم والكاهن أكولان، إلى الملك آشوربانيبال بما معناه أنه لم يكن لدى المزارعين، في عام 657 ق.م، محاصيل على الإطلاق بسبب انعدام كامل تقريباً للأمطار. وكان هذا مؤشراً خطراً لأن المجاعة بدأت، والجيش الآشوري بدأ يتفكك وينهار، بسببها، ابتداءً من الأطراف نحو المركز.

كل هذه المعلومات أيدتها المسوحات المناخية لتلك العصور من خلال عينات راكدة أخذت منها وتم تحليليها مناخياً. وهكذا خرجت النتائج متطابقة مع فكرة حلول الجفاف وتسبّبه في مجاعات هائلة نتج عنها وهن شديد أصاب الناس والجيوش.

2.الأسباب التاريخية:

شغل التاريخ الآشوري زمناً بين (2450 ـ 609) ق.م، أي أنه استغرق 1841 عاماً، وهو زمن طويل في تاريخ الشعوب القديمة، لكن زمنه الحاسم والمحتدم ابتدأ منذ نشوء إمبراطوريته الحديثة (911 ـ 609) ق.م، أي أنه استغرق 302، وفي هذه القرون الثلاثة كان عصره الذهبي وكان مجده.

فحين أنجز آشور بانيبال آخر إنجازاته الحضارية المتمثلة بمكتبته الكبرى، وآخر إنجازاته العسكرية المتمثلة بالنهاية التامة للعدو الشرس لحضارات وادي الرافدين كلّها (بلاد عيلام) وبدت أركان إمبراطوريته واسعة ممتدة شمالاً من جبال طوروس وجنوبي الأناضول وأرمينيا وبحر قزوين وجنوباً إلى الخليج العربي، وشرقاً من جبال زاجروس وإلى داخل مصر غرباً. كانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم والتاريخ آنذاك. لكنها سقطت بطريقة تراجيدية وهي واقفة على أقدامها، فبعد حوالي 22 عاماً من وفاة آشوربانبيال لم يعد لها أثر، وتمزق شمل الآشوريين وهجروا مدنهم المعروفة التي بدأت الرمال تغطيها.

أنهك الآشوريون الشعوب التي كانت حولهم، فلم يقدّروا حجم حضورهم التاريخي المبالغ فيه، وكان يجب أن يكتفوا بدولة ثابتةٍ راسخة بحجم إثنيتهم في المنطقة،

لكنهم أسرفوا في حضورهم التاريخي لثلاثة قرون أسقطوا فيه أغلب المدن والدول والإمبراطويات التي حولهم، كان حضورهم التأريخي لا يتناسب مع جغرافيتهم الواسعة التي يتيه فيها أي قويّ مهما كان، وكان هذا يجافي طبيعة التاريخ في ذلك الزمن. ولهذا سقطت إمبراطوريتهم وتفككت بسرعة.

3.الأسباب السياسية:

«إن الظروف السياسية العامة التي أحاطت بالمملكة الآشورية والتحركات الوقتية الواضحة التي اجتاحت المنطقة أملت على بلاد آشور اتباع سياسة عسكرية خاصة (ضربات استباقية إن صح التعبير) في سبيل المحافظة على حدودها ودرء الشر عنها وضمان سيادتها ووحدة أراضيها وشعبها، وبالتالي تأمين طرق مواصلاتها التجارية واتصالها بالعالم الخارجي، وعندما تفشل الطرائق السلمية العديدة التي كانت متيسرة آنذاك كعقد المعاهدات وتنظيم الاتفاقيات وقيام الزيجات السياسية فضلاً عن عدد من تلك الحملات العسكرية التي كانت تهدف أساساً إلى صنع السلام ومنح الحرية ونشر النظام كما جاء في حوليات الملك الآشوري توكلتي ننورتا الأول 1244 ـ 1208 ق.م، الذي يقول (إن السلام لا يمكن تحقيقه في أوقات عديدة بدون حرب) وهو ما يعكس جانباً من الفكر السياسي للملوك الآشوريين ونظرتهم إلى مفهومي الحرب والسلام. كما عد أغلب الملوك الآشوريين أن قيادتهم للحملات العسكرية هو واجب ديني مقدس يؤدونه بناءً على رغبات الإله أو الآلهة مجتمعة، تلك الرغبات التي لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال، والتي أوحت إليهم إرادتها بضرب أولئك الذين يحنثون بقسم الإله أو الآلهة العظمى ويتجاوزون عليها وينتهكون محرماتها». (محمد 2006: 6).

عصفت الثورات الداخلية في الإمبراطورية الآشورية الحديثة، بشكل خاص، رغم أنها كانت موجودة منذ أزمانٍ بعيدة، وكانت أسباب هذه الثورات، في الغالب، حول

ولاية العهد. وبعض منها كانت كأنواعٍ من التمرد والانفصال في أطراف الإمبراطورية.

يبدأ الشرخ الخفي للثورة الداخلية مع مؤسس آخر إمبراطورية آشورية هي الخامسة وهي السرجونية، الذي كان مغتصباً للعرش، والذي أورث العرش لولده سنحاريب الذي اضطر لقمع ثورة بابل بالقوة ثم حين قتل البابليون والعيلاميون ولده قام بتدمير بابل ودكّ عمرانها. ثم ظهرت مؤشرات حرب داخلية جديدة كانت مع ولاية عهد ابنه الأصغر أسرحدون، الذي كان أصغر إخوته ولكن تسميته من قبل والده سنحاريب وقبول الآلهة (المؤسسة الدينية) جعلت ولايته شرعية، لكن الثورة التي خاضها ضد أخيه (أردا موليسو) ومع أخ آخر له هو (نبو شار) بقتل والدهما سنحاريب، فما كان من أسرحدون إلّا قيادة الجيش واستولى على نينوى بعد ستة أسابيع من القتال والحرب الأهلية وأعدم أخويه، وأصبح هو الملك.

إمتد شرخ هذه الحرب الأهلية لعصره وتكررت ثورة أخرى حين تولى ولده الأصغر آشور بانيبال ولاية العهد، بينما تولى ابنه الأكبر ولاية بابل فقط، وكان هذا سبباً لحربٍ طاحنة بين الأخوين. ويبدو أن شرخ الدم الأخويّ يستمر بنخر الإمبراطورية من الداخل فحين توفي آشور بانيبال ظهر الصراع ذاته بين ولديه (آشور أطل إيلاني) و(سنشار أيشكون) فوقف ضباط كبار مع كلّ منهما وظهرة ثورة صدام بين الطرفين.ثم جاء سنشار أيشكون (سردنبال) الذي واجه ثورة ضابط أخيه (سين شومو ليشر) واستلم هذا العرش مغتصباً بعد أن بدأ التحالف الميدي البابلي بالزحف على بابل.. ليبقى آشور أوبالط الثاني رافضاً لتحالف أعدائه ولكنه دون عرش في نينوى بل في حران ولتتوارى الإمبراطورية الآشورية بعدها وهي مزدحمة بنتانة الثورات والمؤامرات الداخلية والطمع في السلطة من قبل إخوان دمروها دون أن يعلموا أنهم أحدثوا شرخاً سيقوضها نهائياً مع أول ضربة من الخارج، وهذا ما حصل.

«تطرف الملوك في سياسة الفتح والغزو والإغريق في النواحي العسكرية والروح الحربية. وتكاد تكون أعوام حكم ملوكها حروباً متواصلة، بحيث إنهم حملوا مواردهم فوق طاقاتها، ومدوا فتوحهم إلى جهات نائية يتعذر الاحتفاظ بها، ولعل أوضح مثال على ذلك فتح مصر الذي أنهك ماكنة الحرب الآشورية عدة سنوات. وإلى ذلك فإن سياسة القسوة والتدمير والقتل الجماعي والتمثيل بالأسرى التي سار عليها الملوك الآشوريون جرت على الآشوريين، رغم الإرهاب الذي كانت توقعه بالشعوب المفتوحة، نقمة الشعوب وسخطها، أما ولاؤها وتبعيتها لهم فلم يكن ليحصل إلا باستمرار الإرهاب والبطش إلى حد الإسراف». (باقر 2009: 581).

4.الأسباب القانونية:

لم تعد قوانين الدولة الآشورية تتناسب مع توسع إمبراطوريتها، ولذلك فشلت في تحقيق العدالة والتوازن بين الحقوق والواجبات، ولم يسعَ الناشطون في مجال القوانين والمحاكم إلى إصدار قوانين جديدة تتناسب مع العصر الإمبراطوري الحديث الذي اختلف، كليّاً، عن طبيعة العصرين القديم والوسيط.

5.الأسباب العسكرية:

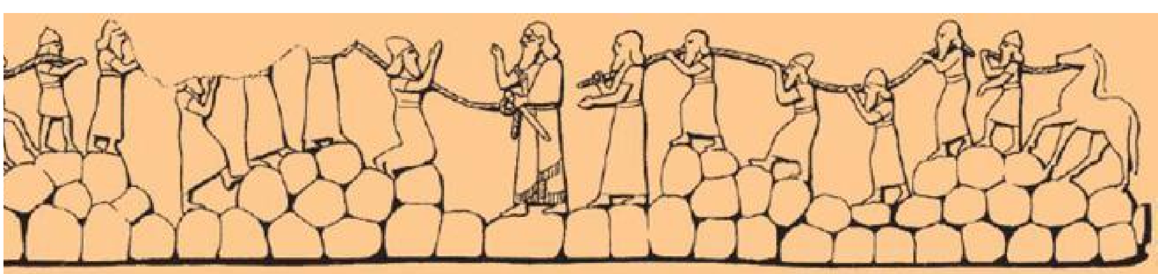
هناك قاعدة عامة تقول: إنّ أي توسع في التحشيد والإنفاق العسكري وتضخيم أهمية الجيش وعسكرة الشعوب، أمر يؤذن بسقوط الدولة أو الحضارة. وهذا صحيح إلى حدٍّ كبير، وينطبق على كل مراحل التاريخ.

ولا شك أن الإمبراطورية الآشورية أنفقت كل ما تملك على الحملات العسكرية وما تحتاجه في القرون الثلاثة التي شغلتها، وقد كان هذا على حساب الجوانب الأخرى في الجوانب الحضارية، وهو ما أحدث خللاً واضحاً في بنية هذه الحضارة وجعلها تترنح نحو السقوط.

«على الرغم مما وصلت إليه المملكة الآشورية الحديثة من أقصى توسع لها في بلدان الشرق الأدنى القديم وبلوغ مؤسساتها العسكرية أعلى مراتب التطور والتقدم، إلا أن ذلك لم يمنع بعض أفراد تلك المؤسسة من الهروب والتخلف عن أداء الواجبات العسكرية وهذا الأمر تم إرجاعه إلى العوامل النفسية والجسدية التي يتعرض لها الجندي فضلاً عن الانتماء العرقي له كونه من الأقوام التي تم ترحيلها من أراضيها ومدنها إلى مناطق أخرى تابعة للملكة الآشورية. وعلى الرغم من محدودية تلك الحالات إلّا أن الملوك الآشوريين لم يتوانوا من معالجتها بكونها تعد من الحالات الخطيرة التي قد تنخر المؤسسة العسكرية الآشورية في الفترات اللاحقة». (سمار وعزيز 2018: 217 ـ 218).



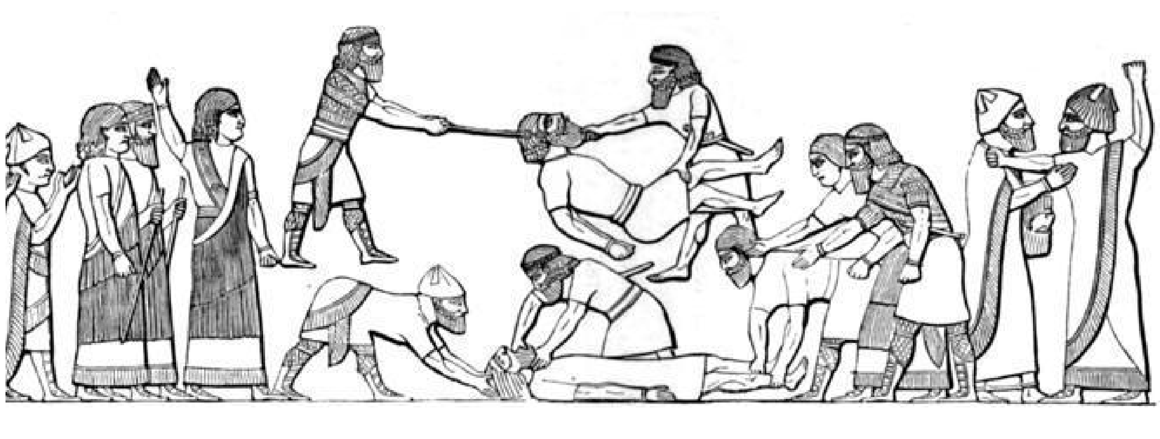
الموظفون يحصون رؤوس القتلى من أعداء الآشوريين في الحرب



توكولتي-ننورتا الأول، غزو لأرض جبلية، يحيط بها فارسان يقودان سجناء مقيدين

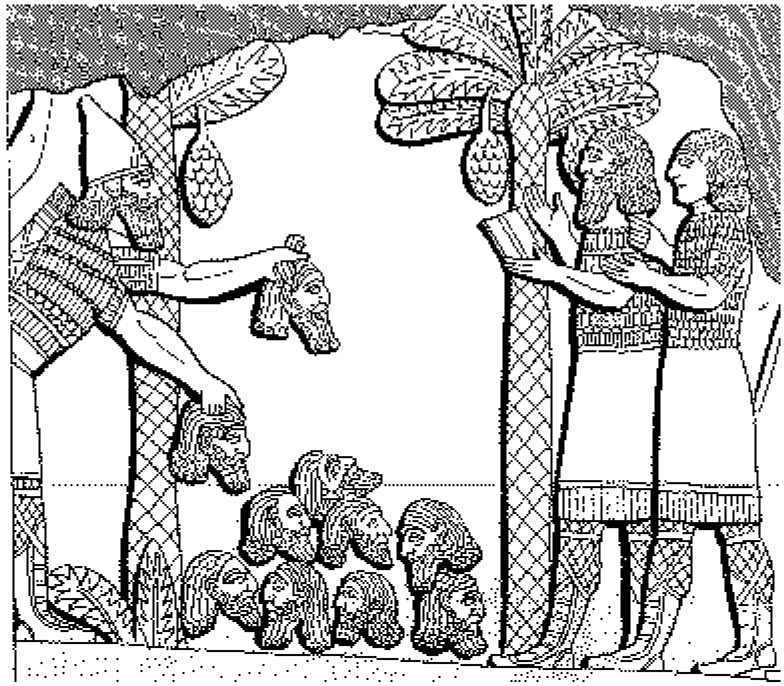
6.الأسباب المدنية:

بعد أن كانت الدولة الآشورية في العصرين القديم والوسيط مدنية، أصبحت عسكرية، وتحوّل المجتمع المدني الآشوري إلى مجتمع عسكريّ «وعندما يسمع المرء ما سجله آشور ناصر بعل بنفسه عن قائده، فليس هناك مجال للشك أنه من الممكن اتهام الآشوريين بممارسة الفظاعات وها هو يكتب واصفاً نتائج إحدى معاركه: لقد قتلت 3000 جندي من جنودهم المقاتلين، وقد أحرقت كثيراً من الأسرى الذين أسرتهم منهم بالنار، وأبقيت الكثير منهم أحياء وقد قطعت أيادي بعضاً منهم حتى الرسغ وقطعت أنوف آخرين وآذانهم وأصابعهم، وقد سملت عيون كثير من الجنود وقد أحرقت شبابهم وشاباتهم حتى الموت. وعند احتلال مدينة أخرى كتب يقول: ((لقد كومت كومة من الجثث أمام بوابة المدينة وقد سلخت جلود النبلاء من الذين تمردوا وقد نشرت جلودهم على أعمدة، وقد سلخت جلود الكثيرين من أهل البلاد ونشرت جلودهم على الأسوار))، إن مثل هذه الأخبار لا تسبب لنا أي ارتياح ومع ذلك ينبغي أن ننظر إلى هذه المشاهد ضمن منظور الحروب القديمة». (ساغز 2008: 393).

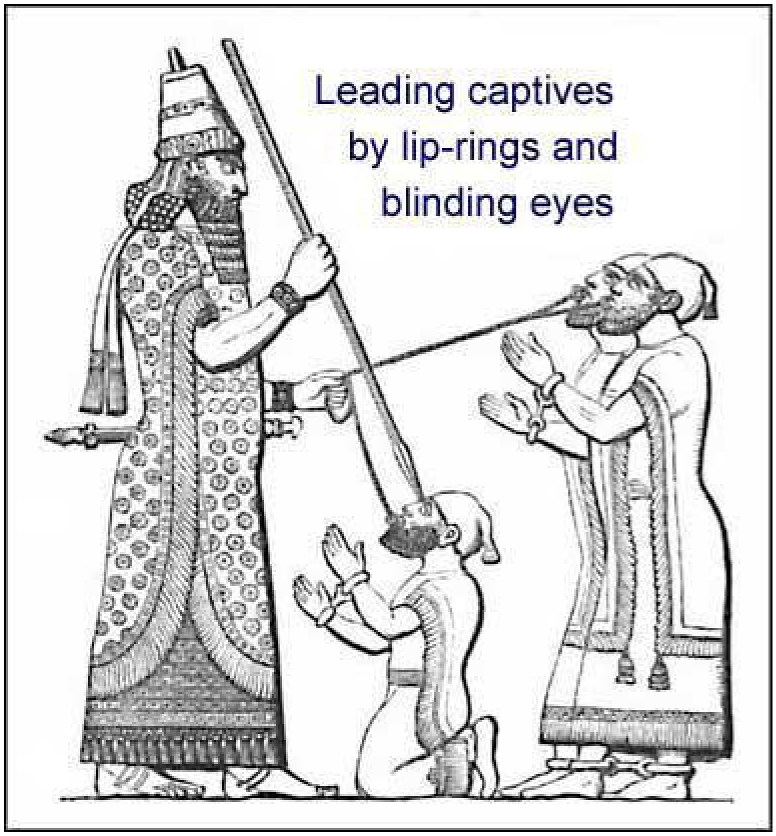


قتل وتعذيب أسرى الآشوريين

كان هناك تفاوت في سلوك ومصير الشعوب التي هجّرها الآشوريون، فبعضهم اندمج في الشعب الآشوري الأصلي وذابوا فيه وبعضهم تحول لقوة اقتصادية للدولة الآشورية وبعضهم بقي غير قابلٍ للذوبان «لقد كان هدف الترحيل لا ينحصر في قضية التأديب بقدر ما هو وارد لمصلحة الإمبراطورية الآشورية ولمصلحة الأمن، فلقد استقر بعض المرحلين في المدن حيث شكلوا احتياطياً من اليد العاملة لتنفيذ مشاريع البناء فضلاً عن تأمين مصدر من مصادر الحرفيين المهرة، وقد ذهب آخرون إلى مناطق غير مأهولة وذلك لزيادة مساحة الأراضي الزراعية وزيادة المنتوجات الزراعية، وبالتالي إحراز الازدهار الاقتصادي. زد على ذلك فقد وصل آخرون لإعادة إعمار بعض مناطق في الإمبراطورية كانت قد أخليت من السكان بسبب هجرات سابقة أو حالات من العصيان والتمرد، وهناك مثال توراتي معروف وهو قصة السامرة في فلسطين التي أصبحت خالية من السكان لدرجة أن سكنتها الأسود وكانت هذه الأسود مشكلة. ويبدو أن بعض المهجرين تحت الحكم الآشوري كانوا يستقرون في بيوت جديدة، ويجدر بالذكر أن الإسرائيليين الذين سباهم الآشوريون ونقلوا من السامرة إلى منطقة نهر الخابور في شمال غرب منطقة ما بين النهرين وإلى شمال غرب إيران قد انسجموا في المنطقة تماماً نظراً لأننا لم نعد نسمع عنهم شيئاً، ولكن حدث العكس مع اليهود الذين سباهم نبوخذنصر وأسكنهم في بابل فقد احتفظوا بحس الانفصال بحيث رجع قسم كبير منهم إلى أورشليم». (ساغز 2008: 396).



إحصاء رؤوس قتلى الأعداء



أنواع القتل والتعذيب لأعداء الآشوريين

7.الأسباب الاقتصادية:

تحوّل الاقتصاد الآشوري من اقتصاد زراعي حرفي تجاري، كان نشطاً وسائداً في العصرين الآشوريين القديم والوسيط، إلى اقتصاد ريعٍ حربيّ يعتمد على ضم ثروات الشعوب وسلبها، وهكذا ضعفت مقوماته الأولى، وكان الوقت يمرّ لصالح التفنن بأذى الشعوب واقتلاعها من جذورها، فقد «ابتدع ملوك الدولة الآشورية وسائل جهنمية في هذا الشأن، ومنها سياسة تهجير الشعوب والأقوام برمتها ومحو البعض منها، بحيث يصح القول إن مثل تلك المظالم قد برهنت على صحة الحكمة التأريخية القائلة «الظلم إذ دام دمر». وإلى هذا فإن التطرف والإغراق في العناية بفنون الحرب

والفتك والدماء على حساب فنون السلم والبناء سبب إهمال تطوير موارد البلاد وتحميلها فوق طاقاتها». (باقر 2009: 581).

8.الأسباب الثقافية:

نرى أن غياب الإنتاج الأدبي والفكري للآشوريين كان شرخاً عميقاً يحفر في أعماق حضارته، ولم يكن إشباع هذه الحضارة كافياً، من خلال الثقافة البابلية والرافدينية عموماً، بل كان يجب ظهور أعمال جديدة خاصة بهم تسجّل تاريخهم الروحي والجمالي الخاص.

9.الأسباب الاجتماعية:

ومع الانتقال إلى الإمبراطورية تغير الوضع، إذ إنه بعد كل حملة ناجحة، قام ملك آشور بتوطين جزء كبير من الشعوب المهزومة في المناطق الوسطى للدولة، وبسبب ذلك ازداد حجم كثافة السكان بشكل كبير في القرنين الأولين من وجود الإمبراطورية. وبالإضافة إلى ذلك، كان معظم الملوك الآشوريين يعملون على بناء المدن، وبالتالي كانوا ينهجون سياسة التوسع الحضاري.

ونتيجة لذلك أصبحت العاصمة الإمبراطورية نينوى أضخم مدينة في تلك الحقبة مع توسيع مساحتها من 150 حتى 750 هكتاراً. إلا أن الجزء الكبير من المستوطنات الجديدة في نينوى وفي مدن آشورية أخرى كانت مبنية على أراضي الحقول الخصبة، وهذا ما سبب في نقص مزمن في الموارد الغذائية.

10.الأسباب النفسية:

نال الشعب الآشوري التعب والإرهاق من كثرة حروبه واستعداداته العسكرية «وكانت التأثيرات النفسية والجسدية التي يتعرض إليها المقاتل الآشوري قد تؤدي إلى تعب نفسي يؤثر ذلك على الجسد عبر العديد من الانفعالات المختلفة منها؛

الخوف والقلق وما شاكل ذلك تؤدي في نهاية الأمر إلى الإحباط الشديد قبل المعارك أو أثناءها وبالتالي تكون هذه العوامل ذات تأثير سلبي على نتائج المعارك التي يخوضها الآشوريون ولم تكن التأثيرات النفسية والجسدية وحدها المشاكل التي واجهت الملوك الآشوريين وإنما كان هناك عامل آخر يتمثل بالانتماء العرقي والقومي للجندي لا سيما وأن الملوك الآشوريين انتهجوا سياسة ثابتة تتمثل بالترحيل الجماعي لأعداء المملكة الآشورية من مدنهم إلى مناطق أخرى غيرها وإشراك البعض منهم في المؤسسة العسكرية الآشورية وهذا الأمر بطبيعة الحال قد يضعف من العزيمة للجندي وقد يضعف من اندفاعه في ساحات القتال وقد يدفعه ذلك إلى الهروب والتخلف من أداء الخدمة العسكرية». (سمار وعزيز 2018: 209).

رغم بأس وقوة الشخص الآشوري لكنه، بسبب كثرة الحروب وعمليات القتل، أصبح خائفاً وتراوده أشباح القتلى وأرواحهم الهائمة في الوديان والبرية بسبب اعتقاده بأن الأجساد التي لم تدفن جيداً تتحول أرواحها إلى أرواح هائمة في الأرض تهاجم الناس وتقتلهم «ويأتي في مقدمة العوامل النفسية التي تؤثر في الفرد هو الخوف، الذي يعد من الانفعالات المهمة في حياة الإنسان ويكون له صلة مباشرة ما بين العقل والجسد، فحالة الخوف مرتبطة بوجود الخطر الذي يهدد حياة ذلك الفرد وعند زواله يزول الخوف والاضطراب، وهذه الحالة تعد من الأمور الطبيعية لدى الإنسان، فالذي لا يخاف هو مخلوق غير موجود فعلاً، ولكن يبقى تأثير ذلك العامل مختلف من شخص لآخر تبعاً لطبيعة وقوة تحمله للمواقف التي تنشأ نتيجة الصراع النفسي في داخل الإنسان من وجود رغبتين أو أكثر تدفع كل منهما إلى سلوك يتعارض مع السلوك والرغبة الأخرى، وبالتالي فإنها تنعكس على تصرف ذلك الفرد. ويعد خوف الجندي على حياته ومن الأخطار المحيطة به من الأسباب التي تدفعه إلى عدم تأدية الخدمة العسكرية وهذا ما يمكن لمسه من تسجيل حالات الهروب لدى الجندي في عصر فجر السلالات وبخاصة لدى صنف المشاة من حملة الأقواس كون هذا الصنف يعد من الصنوف الأساسية التي يقع على عاتقها الاقتحام المباشر مع الأعداء الأمر

الذي قد يسفر عن وقوع خسائر بين أفرادهم مما يدفع بعضهم على الهروب وقد أشار إلى ذلك النص المسماري: هرب من صنف حملة الأقواس». (سمار وعزيز 2018: 210-211).

11.الأسباب المادية:

انهارت الموارد المادية الطبيعية من زراعة وصناعة لمعظم الآشوريين بسبب استمرار الحروب وعمليات التجنيد والسوق العسكري، و«سعى الملوك إلى إشعار أولئك المقاتلين بأن حاجاتهم المعنوية والمادية كانت تجد طريقها إلى الإشباع والتلبية بمختلف الوسائل، إلى جانب الدعم النفسي للجنود من إثارة حماسهم قبل وأثناء المعارك وبعدها، فضلاً عن تعزيز القدرات العسكرية لأولئك الجند بتسليحهم الجيد والتدريب العالي ومن الأساليب التي أتبعها الملوك وساهمت في رفع معنويات المقاتلين هو الثواب والذي يكون مشروطاً أحياناً في تخصيص أراضي زراعية للمقاتلين يتوجب على المقاتل أن يقوم بزراعتها، فضلاً عن تأدية حقوق الدولة من الالتزامات الضريبية، وقد كفلت له الدولة باسترداد أرضه إذا ما وقع ذلك الشخص المقاتل أسيراً فعند قيام شخص آخر باستثمار أرض ذلك الجندي فتنتزع منه وترد إلهي بعد عودته وأن لا تتجاوز مدة بقائه في الأسر لمدة سنتين، وهذا الأمر يعد من بين السبل التي انتهجتها المملكة الآشورية للتخفيف عن كاهل كونها في حالة حرب لذا اكتفت بالمدة المذكورة أعلاه، وبخلافه سوف تعطى الأرض إلى جندي غيره، فضلاً عن عدم قيام ذلك الجندي ببيع أرضه أو بستانه إلى أي شخص آخر فعند ذلك يلغى العقد المكتوب بينهم ويخسر المشتري نقوده وأن ملكية ذلك الحقل أو الأرض أو البستان تعود إلى صاحبها، ويبدو أن السبب الذي يدفع المشروع إلى أن يخسر المشتري أمواله إذا قام بهذه العملية كونه يتعامل مع شخص مالك للأرض بشكل مؤقت لأن المالك الحقيقي لتلك الأرض هي الدولة». (سمار وعزيز 2018: 211 ـ 212).

12.الأسباب الدينية:

كانت هناك مجموعة من الظواهر الدينية التي رافقت احتلال بلاد الشعوب ومحاولة إدماجها في الحياة الآشورية وهي:

دمج الآلهة القريبة في آلهتهم:

كان الحكام الأشوريون سياسيين بما فيه الكفاية ليطبّقوا هذا الإجراء على مردوخ، لكي يشاركوا روح بابل، التي استمدوا منها فنونهم وعلومهم ومعتقداتهم الدينية، والتي استفادوا منها في العديد من الاتجاهات، والتي يجب أن تكون ممثلة بجدارة في الدين القومي لهم. حيث يعتقد الحكام الآشوريون، أنهم بهذا الإجراء، سيدمجون مردوخ في بانثيون آلهتهم فسيصبح آشوريًّا في نظرته بحيث يتوقف عن كونه بابليًّا تمامًا، وسيعمل بلا شك لصالح المملكة الأقوى.

سجن الآلهة الأجنبية:

مع الآشوريين برزت ظاهرة غريبة تقضي بسجن آلهة الأعداء عن طريق وضعها في سجن خاص لهذا الغرض في معبد الإله آشور، فهم حين يحتلون بلاداً يأخذون بعض تماثيل آلهتها، الصغيرة بشكل خاص، ويضعونها في هذا السجن لكي يُضعفوا تأثيرها، كما يعتقدون، وهو ترميز لأعدائهم يقضي بضرب معنويات شعبهم وقادتهم في الصميم، وهو إجراء تفردوا به.

كانت الفكرة قوية للغاية بحيث يجب أن يصبح إله البلاد المحتلة سجينًا افتراضيًّا في أرض الغزاة، أو على الأقل يجب استيعابهم في عبادتهم الوطنية. ذهب بعض الملوك الآشوريين إلى حد سحب كل صنم صغير تقريبًا واجهوه في غزواتهم إلى معبد آشور العظيم، ومن الواضح أنهم لم يفعلوا ذلك بقصد اقتلاع عبادة هذه الآلهة في المناطق التي غزاها، ولكن لأنهم كانوا يرغبون في جعلهم سجناء سياسيين،

ووضعهم في سجن معبد، حيث لن يكونوا قادرين على الانتقام منهم، أو مساعدة المصلين الذين تعرضوا للضرب في الحرب عليهم في المستقبل.

لا بد من التذكير بمدى اعتزاز الشعب الآشوري، بعيدًا عن حكامه، بالمعتقدات القديمة لبابل. كان كلا الشعبين إلى حد كبير من المخزون الروحي ذاته تقريباً، وأي حركة كان هدفها تدمير الدين البابلي كان سيواجه بقوة، كذلك اعتبر الآشوريون الأقل ثقافة كل شيء مرتبطًا، ببابل مقدسة بشكل غريب. كان ملوك آشور يفتخرون بكونهم حكام بابل، وكانوا معتدلين للغاية في معاملتهم لرعاياهم البابليين، بل إنّ الملوك يلمحون أنهم رشحوا من قبل الآلهة للحكم على أرض بيل.

ورغم ذلك لا يمكننا أن ننسى قسوة أسرحدون حين دمّر بابل ومعابدها، ولكنّ الملوك الآشوريين، عموماً، حرصوا على عدم إزعاج العبادة البابلية القديمة، فقد ذكر شلمنصر الثاني، عندما غزا بابل، بأنه دخل بالفعل معبد مردوخ وقدم له الأضاحي.

مكانة آشور كإله أعلى للجميع:

لم يُجبر الآشوريون الشعوب التي هجروها أو احتلوا أرضها أن تتعبد الإله آشور أو تقيم له الطقوس الدينية، ولكنها أبلغت هذه الشعوب أنه الإله الواحد الذين يجمع الشعوب جميعاً، وهو إله الأرض والسماء الذي لا يفرق بين شعب وآخر. وكان هذا الإجراء، برغم نعومته وسلاسته، ضاغطاً على هذه الشعوب وجعلها تعود لآلهتها بشكل أقوى، بل إن بعضهم كشعب السامرة وأورشليم وجدها فرصة مناسبة لتطوير محدودية فهم إلههم (يهوا) وجعله إلهاً تفريدياً ثم شاملاً، تماماً كما توصل له الآشوريون مع إلههم آشور.

الملائكة والشياطين، النجاح والإخفاق:

كان ابتكار الآشوريين لصفوف كثيرة من الملائكة والشياطين لتفسير ظاهرتَي الخير والشر والتعامل معها بمرونة أمراً لافتاً ومهماً، فقد أضعف دور الآلهة، باستثناء آور، واستطاع أن يحصر الصراع بين الخير والشر من خلال الملائكة والشياطين على الأرض.

كانت خطوة رائدة ولكنها لم تكن كاملة فلو أنها تقدمت أكثر لوصلت إلى ما وصلت له الزرادشتية والتي تلقّفت هذا الابتكار ووضعت المبدأ الثنوي الذي أنتجها كدينة غير متعدد وقريبة من التوحيد.

كان الآشوريون يحتاجون لفلاسفة وفقهاء ورجال دينٍ يهتمون بالفكر الديني لينجزوا هذه الخطوة، لكنهم افتقروا لها وبدت الفكرة من منظور آخر مضجرة عند البعض وتحريفاً في العقائد القديمة، وهكذا خسر الآشوريون حصاد هذه الخطوة وجعلوه في بيدر الفرس الذين جاؤوا بعدهم.



الجن في لوح آشوري

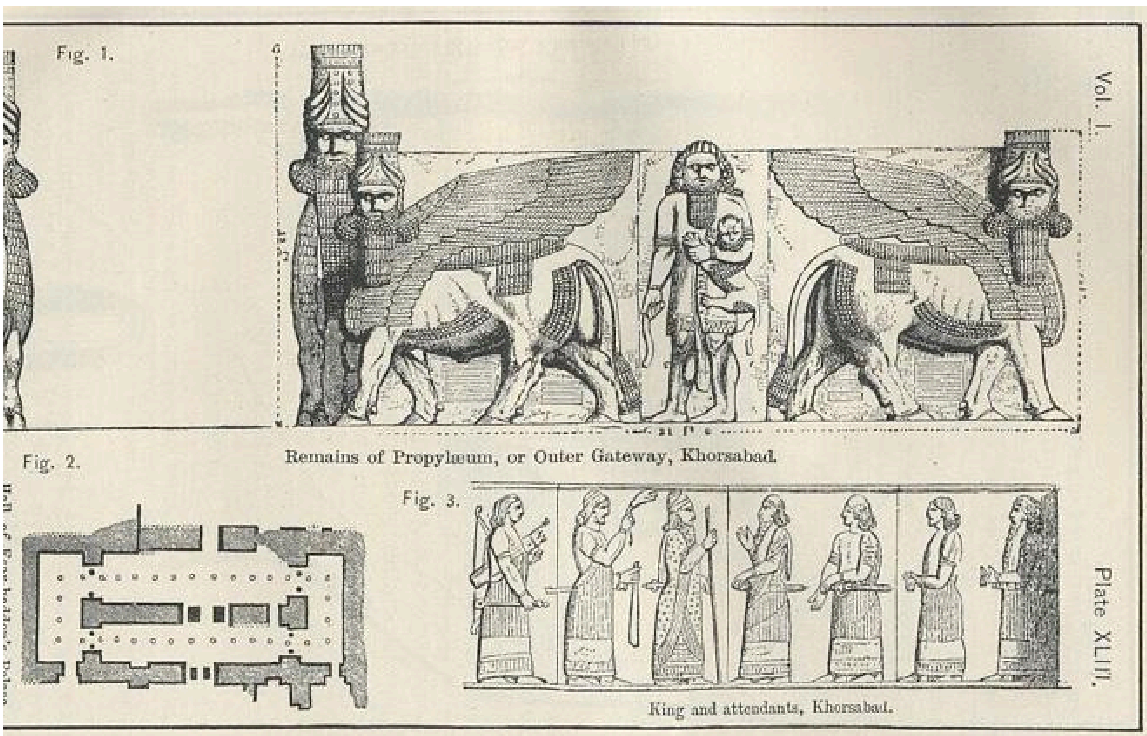
13.الأسباب العلمية:

تسخرت العلوم والتكنولوجيا العلمية الآشورية لصالح الأمور العسكرية، ولم تطوّر الحياة المدنية وحاجاتها الكثيرة، كان المهندسون والكيميائيون والمخترعون منشغلين بالسلاحف الحربية الآشورية وتطويل المقذوفات النارية والأسلحة والمعدات. ولو أن هذا الاستعداد للتطوير قد بُذل في تحسين حياة الناس وحاجاتهم لكان هذا توازناً يمضي لصالح استمرار الحضارة الآشورية.

14.الأسباب الفنية:

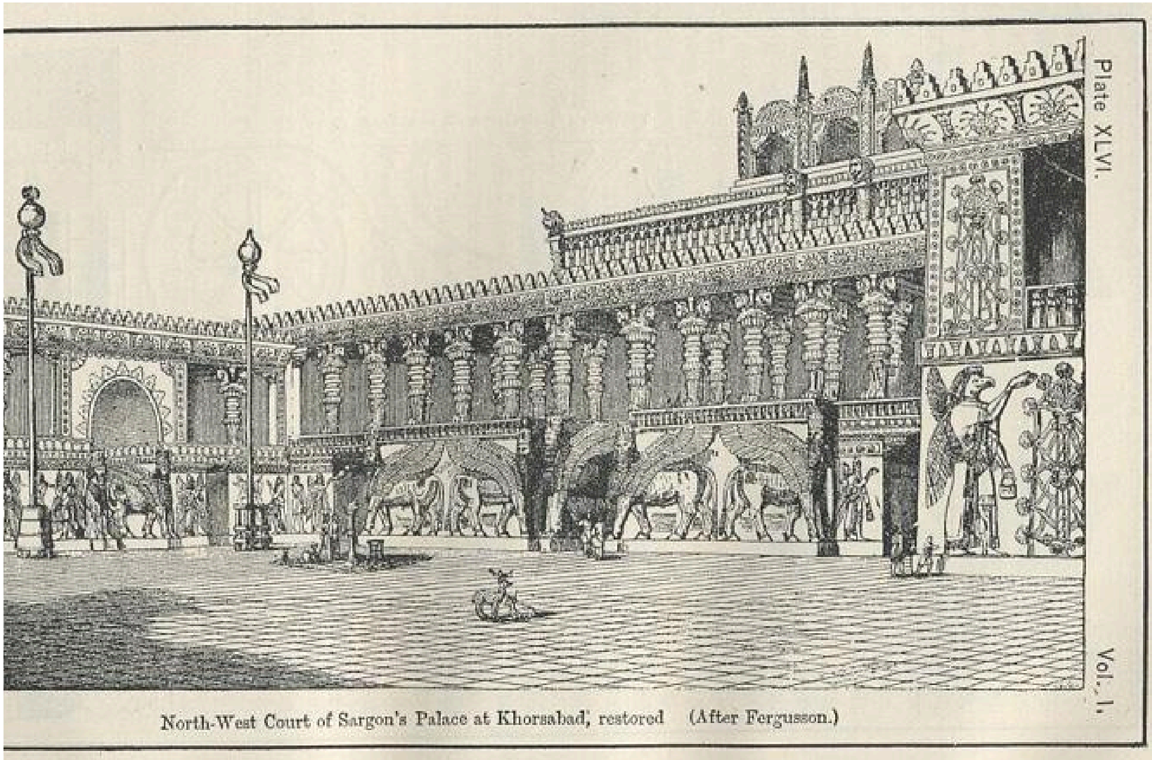
لا شك أن الفن الآشوري كان بارعاً ونوعياً في العمارة والنحت والنقوش بشكل خاص، لكن هذه الفنون استُثمرت لجوانب دعائية واستعراضية كجزءٍ من آلة جبارة تمضي باتجاه الحروب والقوة.

شرحنا هذا مفصلاً في الكتاب ووضعنا يدنا على الكثير من هذه الجوانب التي كان الغرض منها إرهاب وإدهاش الجميع ومن ضمنهم الشعب الآشوري وجعلهم يدورون في فلك القوة وجبروتها.



مدخل من مداخل قاعات قصر في خرسباد مزين باللماسو والبطل الذي يحمل أسداً

مع صور للملك ومساعديه (Rawlinson 2016)



North-West Court of Sargon's Palace at Khorsabad, restored (After Fergusson.)

القاعة الشمالية الغربية من قصر سرجون الآشوري في خرسباد والتي تبعث على الهيبة في شكلها الفنيّ

(Rawlinson 2016)

15.الأسباب الأخلاقية:

اختل ميزان الحضارة الآشورية بسبب اختلال الأخلاق التي تعاملت مع الشعوب التي حول آشور كشعوبٍ لا بد من فرض الطاعة عليها بالقوة، وكانت أخلاق القسوة والإرهاب مفرطة ومجحفة.

الكثير من الحملات العقابية تمت من أجل حفظ مكانة آشور وعدم نزولها أو العبث بها من قبل أعداء البلاد أو الملك، لقد كانت مزلة آشور الشمولية العليا هي الدافع، حيث يعتقد أن الإله آشور كان يرافق القوات في حملتهم ضد شعب الشعوب

المتمردة، وأن النصر كان، حتمياً، له وحده. فقد أصبحت جميع الشعوب التي تدفع الجزية، وتعيش في أراضيها بسلام، تحت راية آشور وملكا له، بل إن أصدقاء آشور من الملوك العظماء والفخورين بهذه المملكة الحربية يؤكدون ولاءهم لآشور الإله وأنهم من مخلوقات أشور.

كان التعصّب لعظمة آشور هو دافع الفتوحات والتوسعات الكبيرة في الإمبراطورية الآشورية، وكان آشور يمثل (روح الغزو) وأساس فرض النظام الكوني والسياسي. لا نجده يعتبر أي شيء آخر غير إله الهيمنة والسيطرة على العالم. فهو لا يُشبه الآلهة الأخرى وليست له صفاتها، وربما كان هذا هو سبب صعود مكانة الآشوريين وتأثيرها الإنساني ودقتها الأخلاقية التي تتلخص في (إعادة النظام) وكسر الفوضى، هكذا كانوا يرون في حروبهم الدينية الجوهر. لقد كانت عبادة إله حرب وسيطرة، مثل آشور، عبادة نقية وبسيطة، وهذا يفسر أن سقوط الإمبراطورية الآشورية يتضمن، جوهرياً، في شعور الآشوريين أنه تخلى عنهم أو لم يعد قادراً على فرض هيمنته.

قام أهل السامرة وأورشليم الذين سباهم الآشوريون بالاحتفاظ بالصورة الآشورية عن ربط الحروب والانتقام بطبيعة مقدسة يفعلها إله يغضب ويدمر كل شيء، ويُصدّر هذا التلاعب الفكري للشعب العبري أو لأعدائه كنوع من البروباجاندا المقدسة. فقد «استندت فكرة الإمبراطورية الآشورية الحربية والقاسية في الغالب (في القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد) إلى رؤى معينة موروثة من الماضي (تتراوح من المؤلفين الكلاسيكيين إلى الكتاب المقدس العبري). من القرن التاسع عشر فصاعدًا، تطورت بعد الاكتشافات الأثرية وفك رموز النصوص المسمارية. فإلى جانب الوثائق الرسمية (النقوش، الحوليات، إلخ)، لعبت صور نقوش القصور الآشورية دورًا مركزيًّا في هذا البناء. يُنظر بهذه الرؤية كنتيجة للتلاعب الأيديولوجي والدعائي للخطاب الملكي وتحديد نهج انتقائي للتأريخ الحديث كأمر ضروري، ولكنه ليس كافياً. ونرى أن تقديم تقدير بديل. يقترح أنه من الضروري تصور صور للعنف كعناصر فاعلة للظاهرة الاجتماعية للحرب المقدسة، في سياق

عملية التوسع. تشير الردود في اتجاه مزدوج: أولاً إلى العلاقة بين العنف البصري والنوع المحدد من التوسع الآشوري؛ وثانياً بسبب طبيعة طقوس التحف البصرية». (Rede 2018: ABSTRACT).

المبحث الثاني: تقييم التفاعلات الاجتماعية والسياسية في الحضارة الآشورية

أولاً: أنواع التفاعل المتبادل Interaction

تُعرِّف قواميس العلوم الاجتماعية التفاعل الاجتماعي بأنه «صلة بين مجموعتين من أي نوع كان بحيث إنّ فاعلية كلّ منهما تحددها جزئياً فاعلية الأخرى». (بدوي 1982: 222).

سنركز على مجموعة من أنواع التفاعل الاجتماعي التي تنفعنا في تحليل طبيعة المجتمع الآشوري الذي كان يتّسع بطريقة غير عادية وغير مألوفة في العالم القديم، وهذه الأنواع هي:

Segregation: (1) (الفصل ،العزل)تركز«اختياري أو إجباري لأنماط سكانية معينة أو تنظيمات في مناطق بعيدة تنظيمات في مناطق معينة. (2) فصل الأشخاص من جماعات عرقية مختلفة في سياق استخدامهم للتسهيلات العامة أو قيام الجماعة العرقية المسيطرة بمنع الأشخاص من الجماعات العرقية الأخرى من دخول جمعيات (أو اتحادات) معينة». (الصالح 1999: 479).

انقسام العلاقات بين الجماعات العرقية في البلد. يحدث هذا في حالات مختلفة مثل منطقة الإقامة والنظام المدرسي والنقل والمرافق العامة. ـ يحدث بموجب القانون (بحكم القانون) أو لا يستند إلى القانون (بحكم الواقع).

ثانياً: التفاعل الاجتماعي والسياسي في الحضارة الآشورية

شغلت مشكلة الصراع، بين الهوية الآشورية الوطنية والهويات الإثنية المختلفة للشعوب الساكنة في الإمبراطورية الآشورية أو المهجّرة لها، مساحة مهمة من وجود وطبيعة الحياة الآشورية خلال ثلاثة قرونٍ متواصلة، أي بين 911 ـ 609 ق.م.

وقد انتبه الملوك والحكّام والسياسيون الآشوريون لهذه المشكلة وقاموا بخطوات عملية تضمن الحصول على نتائج نوعية في هذا المجال وترسيخ الهوية الوطنية الآشورية على حساب الهويات الإثنية المختلفة للشعوب الساكنة أو المهجرة في الإمبراطورية الآشورية، ومن هذه الخطوات ما يلي:

1. منح حقوق المواطنة للساكنين في المقاطعات الآشورية الجديدة لمن هم من غير الآشوريين.

2. التشجيع على تبني اللغة الآرامية وخطها الآراميّ الإبجدية، بسبب سهولة كتابته، إضافة للغة الآشورية الأكدية وخطها المسماري العريق.

3. جعل الديانة الآشورية مشتركة بين جمع الشعوب الجديدة والشعب الآشوري إضافة لمن يرغب في ممارسة طقوسه الإثنية الأصلية. بشرط الولاء للإله آشور وكون آشور هي مملكة الرب.

4. ترسيخ الثقافة المشتركة لجميع شعوب آشور في كافة مجالات الحياة.

5. ممارسة العمل والعيش منه ودفع الضرائب المستحقة على جميع مواطني الإمبراطورية.

6. أداء الخدمة العسكرية للذكور من كل الشعوب، والدفاع عن آشور الوطن من جميع مواطني الإمبراطورية.

7. العدالة والمساواة في القانون، ووضع حق الالتماس للملك باعتباره رمز الشعب الآشوري الواحد.

كانت هذه الخطوات العملية تصبّ في آفاق استراتيجية كبيرة وواسعة المدى في التاريخ الآشوري، ويمكننا شرح موجز هذه الآفاق الاستراتيجية من أكثرها حدّة إلى أقلها:

1.الاندماج (الملغمة) Amalgamation

تعني تفاعل المجتمعات الصغيرة مع مجتمعات الكيان الآشوري وتفاعلها الإيجابي معها دون أن تذوب فيه. أما الفرق بين التثاقف والاستيعاب والاندماج فيوضحه قاموس ويبستر كما يلي:

«التثاقف هو واحد من عدة أشكال من الاتصال الثقافي، ويتضمن نوعين من المصطلحات ذات الصلة الوثيقة، بما في ذلك الاستيعاب والاندماج. على الرغم من أن هذه الكلمات الثلاث تشير إلى التغييرات بسبب الاتصال بين الثقافات المختلفة، إلا أن هناك اختلافات ملحوظة بينها. فغالبًا ما يرتبط التثاقف بالفتح السياسي أو التوسع، ويتم تطبيقه على عملية التغيير في المعتقدات أو الممارسات التقليدية التي تحدث عندما يحل النظام الثقافي لمجموعة ما في نظام المجموعة الأخرى. يشير الاستيعاب إلى العملية التي من خلالها يكتسب الأفراد والمجموعات من التراث المختلف العادات والمواقف وطريقة الحياة الأساسية لثقافة الاحتضان. يشير الاندماج إلى مزج الثقافات، بدلاً من القضاء على مجموعة أخرى، أما أن تختلط مجموعة واحدة مع أخرى فهذا هو (الاستيعاب)». (انظر: https://www.merriam-webster.com/dictionary/assimilation).

ولمزيد من التوضيح نقول إنّ أعلى درجات التفاعل تتم في التثاقف حيث تذوب ثقافة الجماعة الصغيرة في ثقافة الجماعة الكبيرة.

أما الاستيعاب فهو أقل من التثاقف حيث تختلط ثقافة الجماعة الصفيرة وتتفاعل، دون أن تذوب، مع ثقافة الجماعة الكبيرة.

أما الاندماج فهو الأقل حيث تختلط ثقافة الجماعة الصغيرة مع ثقافات الجماعة الكبيرة في مجتمع متعدد الثقافات (Multiculture).

ولا شك أن عملية الاندماج قد حصلت في المجتمعات الجديدة بشكل واسع جداً، فقد كانت المجتمع الآشوري الإمبراطوري (الإمبريالي) يضم ثقافات وأعراقاً متعددة لم تلغِ بعضها بل تعايشت مع بعضها بطريقة أو بأخرى.

2.التماثل (الاستيعاب) Assimilation

التماثل أو الاستيعاب هو مجموعة من العمليات التي تتكيف فيها أقلية تدريجياً مع عادات ومواقف الثقافة والعادات السائدة، ومن أهم أنواع الاستيعاب هو الاستيعاب الثقافي حيث تتم فيه عملية تحول اللغة، والمعروف أيضاً باسم استيعاب اللغة، وهو العملية التدريجية التي يتحول بها مجتمع الكلام للغة إلى التحدث بلغة أخرى. وهناك الاستيعاب الديني والاستيعاب النفسي والاستيعاب البايولوجي وغيرها.

منذ أن بدأت عمليات التهجير الجماعي منذ حكم الملك آشورناصر بال الثاني، ثم توسعت على يد شلمنصر الثالث وملوك العائلة السرجونية، ظهرت الحاجة لخلق وصناعة الأمة الآشورية عن طريق التماثل والاستيعاب، وفي هذه العمليات تمّ التأكيد على الهوية الوطنية الآشورية والتقليل من الهويات الإثنية الأصلية للشعوب المهجّرة. وقد نجحت الإمبراطورية الآشورية في هذه العمليات بعد مرور ما يقرب من ثلاثة أجيال على تهجير تلك الشعوب.

«من الجانب الآخر لا يمكن نكران حقيقة كون سكان الإمبراطورية الأصليين معرضين إلى عملية مستمرة للتماثل والاندماج منذ النصف الأخير للألف الثانية ق.م.

إن هذا التماثل والاندماج يعزى بالأخص إلى سياسة التهجير الجماعي التي بدأها آشور ناصربال الثاني واستمرت بشكل واسع في عهد شلمانصر الثالث والسلالة السرجونية التي بمجموعها غيرت الخارطة السياسية والديموغرافية واللغوية للشرق الأدنى القديم كلياً. وبين 830 و640 ق.م. تم تهجير ما يقدر بـ 4.5 مليون نسمة من شتى أطراف الإمبراطورية وإسكانهم في أماكن أخرى خاصة في قلب الإمبراطورية ومراكز المدن الكبرى. بدأت هذه التهجيرات أصلاً لأسباب سياسية واقصادية محضة لكن في المدى البعيد كانت لها عواقب لغوية واجتماعية وثقافية واسعة». (باربولا 2004: 31).

3.التثاقف (المثاقفة) Acculturation

وهي عمليات تغيير ثقافة المهاجرين والساكنين باتجاه الثقافة الآشورية، وقد حصلت في أوضح صورها مع الحوريين «الذين هجروا من وطنهم وأسكنوا في آشور في العهد الآشوري الوسيط. وبعد مرور عدة قرون تم تماثل سليل هؤلاء الحوريين كليًا في المجتمع الآشوري دون أي أثر لهم باستثناء بعض الأسماء الشخصية المحوّرة جاء ذكرها في مصادر العهد الآشوري الحديث. وهكذا اكتسب هؤلاء الحوريون إثنية آشورية لا يتميزون عن غيرهم من مواطني آشور». (باربولا 2004: 33).

«إن عملية التجانس الثقافي (Acculnuration) بدأت واستمرت لأكثر من قرنين وزاد هذا التجانس عبر التزاوج والمساهمة في الحملات العسكرية وبناء المشاريع والأشغال والتداخل بين كافة قطاعات السكان في شتى المجالات. وفي نفس الوقت الذي أصبحت الآرامية اللغة العامة للإمبراطورية وانتشر استعمال أبجديتها في الإدارة، تم تحويل سكان الإمبراطورية اللامتجانس إلى سكان عاليي التجانس اجتماعياً وثقافياً. وهذا التجانس له شبيه كامل في التجانس الاجتماعي والثقافي في الولايات المتحدة الذي تم بموجبه تحويل مجتمع متعدد الإثنيات واللغات

والثقافات إلى مجتمع موحد متجانس عبر لغة موحدة هي الإنكليزية. ومثل ما حدث في الولايات المتحدة حدث الشيء نفسه في بلاد آشور حيث تم إزالة الحزازات التي كانت تنشب بين مختلف المجموعات الإثنية. وفي نهاية المطاف، أصبحت الأصول الإثنية لمختلف الناس غير ذي أهمية كما تشهد على ذلك المسميات في العهد الآشوري الحديث حيث المئات من الأسماء الأكدية تم تبنيها من قبل أفراد يحملون أسماء غير أكدية كما أن العديد من العوائل الأكدية الأسماء تبنت لأبنائها أسماءً آرامية». (باربولا 2004: 32).

لم تكن هناك عمليات فصل عنصري Segregation على أي من المستويات فقد حاول ملوك وحكام آشور دمج الشعوب التي انضوت تحت خيمة الإمبراطورية الآشورية في مجتمع آشوري واحد يمتاز بحقوق وواجبات متساوية.

لكن ذلك لم يكن هذا يمنع من وجود عمليتين متضادتين تؤشران الضرورة البراجماتية التي سارت عليها الحضارة الآشورية وهما:

أ.التآشر (الأشرنة) Assyrianization

وهو نوع من الإجراءات الاجتماعية (socialization) التي تجري على أساس صهر المجتمعات المختلفة في الإمبراطورية الآشورية وفق العادات والتقاليد الاجتماعية الآشورية.

«إن تهجير وإسكان أعدادٍ ضخمةٍ من الأجانب في الإمبراطورية وإعادة تنظيم الأجزاء المستولى عليها كمقاطعات آشورية أخضعت الكثير من السكنة الجدد إلى تأثير مباشر ومتزايد للثقافة الآشورية. وهذا التأثير شمل نظام الضرائب والخدمة العسكرية، ووحدة في التقويم والقضاء ونظام التجنيد وفي استعمال الأوزان والمقاييس والقيم الإمبراطورية. إضافة إلى ذلك، فالأيديولوجية الملكية الآشورية والأفكار الدينية والميثولوجية كانت دوماً تُنشر بين كافة شرائح السكان عبر الفن

الإمبراطوري وشخصية الإمبراطور والاحتفالات الدينية وعبادة شخوص الآلهة عشتار ونابو وسين وغيرها. وهكذا أصبح سكان الأقاليم الحديثة مواطنين آشوريين روتينياً. يصح القول أن عملية التآشر أخذت مفعولها بسرعةٍ أكثر في المدن الكبيرة في وسط البلاد غير أن مفعولها لم يكن ليقلّ في الأقاليم الجديدة، خاصة تلك التي لم تعد بلدانها كعهدها السابق. فالنخبة المثقفة لهذه الأقاليم تم تهجيرها إلى بلاد آشور، واستبدلت بإداريين آشوريين كما تمّ هدم عواصمها وإعادة بنائها، على طرازٍ آشوري، وأصبح سكانها يشملون، ليس فقط، المهجّرين بل المهاجرين والمستعمرين الآشوريين كذلك». (باربولا 2004: 32).

ب.التأريم (الأرمنة) Aramaization

من المفارقات العجيبة في الحضارة الآشورية والتي تُثبت عدم تعصبها العنصري وتثبت براجماتيتها العملية، هي تبنيها للغة والخط الآرامي رغم عدائها الشديد للآراميين.

«الحركات السكّانية جلبت مئات الألوف من الغرباء إلى قلب آشور والأقاليم الشرقية من الإمبراطورية أغلبهم من الناطقين بالآرامية. كل ذلك أدى إلى تحويل المجتمع الآشوري الأحادي اللغة إلى مجتمع متعدد اللغات المشتركة (lingua franca) في عموم الإمبراطورية. وفي عين الوقت، بدأت الإدارة الآشورية باستعمال الأبجدية الآرامية جنباً إلى جنب مع الكتابة المسمارية. هناك الكثير من الأدلة، منذ أواسط القرن الثامن فصاعداً، التي تستعرض الكتبة الآراميين وهم يخطّون على الألواح الطينية والألواح المُشمّعة. في الحقيقة، إن اشتغال الكتبة الآراميين بصحبة الكتبة الآشوريين قد ورد ذكره في الوثائق الإدارية للإمبراطورية بنصف قرن قبل ذلك. وفي حوالي 700 ق.م كانت الأبجدية الآرامية قد حلّت محل الكتابة المسمارية في جميع أنحاء الإمبراطورية». (باربولا 2004: 31).

4.التدويل (الأممية) Internationalization

المواطنة العالمية Cosmopolitanism

يعرف القاموس الاجتماعي معنى المواطنة العالمية فيقول «اتجاه يهدف إلى التحرر من الأحقاد القومية واعتبار الإنسانية أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعاً دون اعتبار لاختلاف اللغة أو الجنس أو الوطن». (الصالح 1999: 126).

أظهرت الحضارة الآشورية أول نمط من أنماط الأممية أو العولمة الحضارية، فقد سبقت بابل الكلدانية في ذلك التي حوّلت بابل لمدينة عولمية، وسبقت الإسكندر المقدوني في إمبراطوريته المقدونية، وفي ظهور الهيلنستية بعده التي دمجت الشرق بالغرب. وسبقت روما في رومنة مواطني الإمبراطورية الرومانية بعد صدور دستور أنطونين الصادر في 212 م الذي منح المواطنة الكاملة لكل سكان الإمبراطورية. وكانت بذلك أول حضارة تمزق شرنقتها القومية وتعلن نمطها التدويلي الأممي.

«لا يمكن فصم كل هذه التطورات عن التدويل (internationalization) المستمر للطبقة الحاكمة في العهد الآشوري الحديث. ورغم أن أشخاصاً بأسماء غير أكدية نادراً ما ورد ذكرهم كحملة مناصب عالية في القرن التاسع ق.م. نرى الكثير منهم يحملون مثل هذه المناصب الإدارية العالية في أواخر القرنين الثامن والسابع ق.م. ويبدو أن المنتسبين الجدد إلى الطبقة الحاكمة الآشورية كانوا يتلقون التربية والتأهيل في الآداب والثقافة البيتنهرانية ويلبسون ويتصرفون مثل الآشوريين ويتكلمون الأكدية ويستعملون الكتابة المسمارية كأعراف مميزة لمركزهم الاجتماعي. على أية حال، كانت الآرامية لغتهم الرئيسية للتداول اليومي مثلما كانت لغة سائر الإمبراطورية. إن الطبقة الحاكمة برمتها، من ضمنها العائلة المالكة، كانت على الأرجح ثنائية اللغة (Bilingual) على الأقل مع مطلع القرن السابع وكل ملوك العهد الآشوري الحديث ابتداءً من تكلت بيلاسر الثالث إلى أسرحدون كانت لهم

زوجات أو أمهات ينطقن الآرامية وهناك أيضاً بعض المؤشرات التي توحي بأن الآرامية كانت بمثابة لغة الأم لبعضهم. وهكذا كانت بلاد آشور في القرن السابع ق.م. مقسمة إلى مجموعتين لغويتين رئيسيتين: الناطقون بالآرامية ـ في الواقع قاطبة السكان ـ والناطقون بالأكدية». (باربولا 2004: 32).

سبقت آشور كلاً من بابل وروما والإسكندر المقدوني في هذا النمط من السلوك الأممي أو العولمي، وكانت ناجحة به، ومن الصعب تفسير سقوط الإمبراطورية بسبب انفراط عقد هذه الإثنيات وتحطم الهوية الآشورية دون الالتفات للعوامل الأخرى الأكثر أهمية في سقوطها والتي ذكرناها.

المبحث الثالث: تأثير الحضارة الآشورية في ما بعدها من الأديان والحضارت

أولاً: الهبيتوس الآشوري: أسلوب الحياة الآشورية Assyrian Habitus

الهبيتوس هو أسلوب الحياة، وطريقة التعامل معها، وهو فطرة الفرد والشعب وما جُبل عليه، سمته ولونه ورائحته، وطبيعته.

يمكننا اشتقاق الهبيتوس الآشوري من الملاحظات التي جمعناها في رحلتنا لتقصي تاريخهم وحضارتهم وأسلوب الحياة عند الفرد الآشوري المشتق من أسلوب حياة المجتمع ضمناً أو الذي يُشكّل باجتماع أفراده نمط حياة الشعب كلّه:

1. الصلابة والقوة في الحياة.

2. الحذر والاستعداد الدائم للحرب والحياة الصعبة.

3. عدم الاهتمام بالتعليم بالنسبة لأفراد الشعب عامة، وإن حصل فسيكون مقتصراً على القراءة والكتابة، بينما نعمت الطبقة الحاكمة بالتعليم العالي والمتخصص.

4. العزوف عن الأدب والثقافة بشكل عام.

5. الاهتمام بالزراعة والتجارة بشكل خاص.

6. تغليب الجانب المادي والسياسي والعسكري على الجوانب الروحية والثقافية.

7. الاهتمام بالفنون على المستويين الشعبي والرسمي.

8. القسوة المفرطة في التعامل مع الأعداء.

ثانياً: تأثير الحضارة الآشورية في ما بعدها من الأديان والحضارت:

أثر الحضارة الآشورية على الدولتين الميدية والفارسية وديانتهما الزرادشتية:

أوضحنا الأثر الكبير للحضارة الآشورية على الدولتين الميدية والفارسية في مختلف مظاهر الحضارة، فقد أثر الآشوريون أثناء قوتهم على الشعبين الميدي والفارسي بشكل كبير في أمور كثيرة، وأصبح التأثير قوياً وفعّالاً أكثر بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية واستخدام القادة والمهنيين والعلماء والمهندسين الآشوريين في مختلف القطاعات في بناء اختصاصاتهم في بلاد إيران القديمة مقابل حياتهم، فقام الضباط الآشوريون الأسرى ببناء الجيشين الميدي والفارسي على أتم الوجوه، وقام الحرفيون والأطباء والفلكيون الآشوريون وغيرهم بالفعل ذاته، وانتقلت تقنيات الإدارة والبريد الملكي وصناعة السجاد لبلاد فارس، والتفاصيل كثيرة وبحاجة لبحوثٍ معمّقة في هذا المجال.

الأثر الأكبر ظهر في الديانتين الميدية والفارسية، وفي الزرادشتية تحديداً، حيث اصطبغ أهورامزدا بصفات آشور وشعارة وحيث ظهرت فكرة الملائكة الآشورية

(الأبكالو والجن) في الديانة الزرادشتية. وكان هناك عالم الظلام وعالم النور وصراع الملائكة والشياطين، وكل الشحنة الغنوصية الآشورية ظهرت بوضوح في الزرادشتية.

أثر الحضارة الآشورية على الحضارة البابلية:

لا شك أن الإمبراطورية الكلدانية سارت على منوال الإمبراطورية الآشورية الأخيرة، وقد خبر البابليون أساليب الحكم منذ حكمت الأسرة البابلية العاشرة وهي الآشورية في بابل مباشرة، ولا شك أن بابل تلاقحت مع إرث آشور بكل مراحله التاريخية القديمة مثلما أخذت آشور من بابل الكثير في كل مظاهر حضارتها. وهكذا صبّ كل تراث آشور في جذوة بابل وساهم في نهضتها في كلّ المجالات.

أثر الحضارة الآشورية على الحضارة الكلاسيكية:

الأمر الذي أغفله الباحثون ومؤرخو الحضارة هو التأثير الآشوري على نهضة الإغريق، فقد بدت الكثير من الملامح الجديدة في الحضارة الإغريقية ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد، وهو تأريخ سقوط الإمبراطورية الآشورية، وأظهرت بلاد اليونان انتعاشاً في مظاهرها الحضارية كلّها بحكم الاتصال المباشر بين مناطق نفوذ الآشوريين في آسيا الصغرى ومناطق حضور اليونانيين فيها، وقد سمح هذا التنافذ بوجود مؤثرات حضارية كبيرة ومهمة نترك تفاصيلها لمناسبة أخرى، ونتمنى البحث الجديّ فيها، والغريب أن المؤثرات الآشورية طالت إيطاليا القديمة وتوسكانيا وروما، ولعلّ من الطبيعي أننا حين نذكر روما نتذكر آشور في كل شيء تقريباً.

أثر الحضارة الآشورية على الديانة اليهودية:

ربما ستتاح لنا فرصة قريبة لرصد تفاصيل المؤثرات الآشورية على الديانة العبرية واليهودية وعلى مجمل حياة أهل السبي إجمالاً والذين تواجدوا في بلاد آشور وبلاد

بابل، وهو موضوع جدير بالدراسة والبحث والتقصي ويكفي القول أن النزعة الشمولية للإله آشور وجدت صداها المناسب والواضح في الشمولية والتوحيد للإله يهوا.

ثالثاً: آشور والكتاب المقدس:

كانت مملكتا إسرائيل ويهوذا من الممالك الكنعانية المتأخرة، وكانتا منفصلتين وصغيرتين، في عهد الآشوريين، وقد ذكرت السجلات التاريخية الآشورية بعض ملوك إسرائيل وهم (عموي وآخاب وياهو ومنحيم وفقح وهوشع). وبعض ملوك يهوذا وهم (عزيا وحزقيا ومنسى). وقد دفع معظم هؤلاء الملوك جزية لآشور. ولم تذكر السجلات الآشورية اسم أي نبي من أنبياء هاتين المملكتين كما يدّعي العهد القديم فيما بعد. أما ملوك آشور الذين اتصل تاريخهم بتاريخ إسرائيل فهم:

1.الملوك الآشوريون الذين ذكرتهم التوراة:

كان شلمنصر الثالث أول ملك آشوري تصدى لحلف كبير كانت إسرائيل ضمنه وانتصر عليه وأجبر ملكها (ياهو) لتقديم الجزية له، وفي سنة 740 ق.م، أخضعت آشور السامرة، عاصمة مملكة إسرائيل الشمالية، وأخذت شعبها إلى السبي. وبعد سنوات، اجتاحت يهوذا وفرض الملك الآشوري سنحاريب على حزقيا ملك يهوذا جزية. ومع أن الكتاب المقدس يذكر أن الجزية دُفعت، أصرّ سنحاريب أن تستسلم له أورشليم عاصمة يهوذا دون قيد أو شرط.

وبذلك يكون الآشوريون قد أسروا أهل إسرائيل ويهوذا ثلاث مرات من قبل ملوكهم: تجلات بلاصر الثالث، سرجون الثاني، سنحاريب. أما بقية الملوك فقد أسكنوا بلاد إسرائيل ويهوذا بشعوبٍ أخرى.

ولا شك أن هذا أثار حفيظة كتبة العهد القديم فتناولوا آشور وتأريخها بالسوء واللعن والشتيمة والدعاء بالخراب والزوال. أما تنبؤ أنبيائهم بسقوط آشور فلا شك أنه جاء مصطنعاً بعد سقوط آشور والكتابة المتأخرة لأسفارهم.

2.كيف ذكر أنبياء العهد القديم آشور؟

يشير كثيرون من أنبياء العهد القديم إلى آشور، وسنذكر في هذا الجدول المختصر بعض النصوص التي جاءت على لسان أنبيائهم أو في أسفارهم الموجودة في العهد القديم (التناخ):

حسب الاستنتاجات التحليلية لمادة العهد القديم هناك من يرى أن نينوى سقطت في أيدي أعدائها بمساعدة الجاسوس اليهودي يونان إنويا (يونان النبي)، الذي كان في نينوى حين سقوطها ولم يغادرها حتى بعد إبلاغ رسالته إلى ملك آشور في نينوى، واستمر، خلال التجسس، من داخل نينوى ضد نينوى إلى خارج نينوى ولصالح أعداء نينوى وحتى سقوطها. فلم يكن الدين اليهودي تبشيرياً حتى يأتي له يونان وينصح ويبشر به في نينوى.

كل هؤلاء الأنبياء الذين لا نعرف أثراً لهم تحدثوا عن بلاد آشور بالسوء ودعوا أن تدفن وتموت، وأما تنبؤاتهم فنشكّ فيها لأن العهد القديم كتب بعد سقوط آشور وبابل، قبيل القرن الميلادي الأول. يقوم ناحوم بمحاكمة آشور على مراحل هي: 1. نينوى، مدينة الدماء (1 ـ 3). 2. الزانية الساحرة الجمال (4 ـ 7). 3. تصير مثلًا كغيرها (8 ـ 11). 4. دمار تام (12 ـ 19).

وهكذا يصب ناحوم جام غضبه على نينوى، وتمضي هذه الصورة في العهد القديم وتبقى متداولة، في حين تكون آشور قد سقطت، فتبقى هذه الصورة المشوهة في أذهان الناس.

«ما حلّ بمدينة نوأمون يحل بنينوى، ومن هول ذلك يصير سكانها سكرى مخبولي العقل، يشربون من كأس غضب الله عليهم. وكما قيل لأورشليم: «التي شربت من يد الرب كأس غضبه، ثقل كأس لترنح شربت مصصت... لذلك اسمعي هذا أيتها البائسة والسكرى وليس بالخمر...» (إش 51: 17، 21). وجاء في إرميا النبي: «لأنه هكذا قال لي الرب إله إسرائيل: خذ كأس خمر هذا السخط من يدي، واسقِ جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها، فيشربوا ويترنحوا ويتجننوا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم؛ فأخذت الكأس من يد الرب، وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم» (إر 25: 15-17)». تفسير الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ القمص تادرس يعقوب، -https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible Tafsir

ينسبون لإلههم سبب سقوط الدول والإمبراطوريات، ويتناسون الحروب الطاحنة والأسباب الكثيرة لسقوط الدول والإمبراطوريات، وهو أمر بات معروفاً للجميع.

رابعاً: الصيانة والتهديم في الحضارة الآشورية:

تضاربت قوتا الصيانة والتهديم، فقد كانتا حاضرتين بوضوح في التأريخ الآشوري، حيث كان البناء الخلّاق القديم في الاقتصاد الآشوري متمثلاً بالزراعة والتجارة والحرف قد بدأ يتقوّض مع ظهور الحروب الشاسعة التي خاضتها الإمبراطوريات الآشورية فضعفت الزراعة وتبددت المهن وتقلصت التجارة وأصبح الاعتماد على اقتصاد الحرب والغزو والنهب هو الأساس، وينطبق هذا على كافة الحقول الحضارية الأخرة في متلازمة الصيانة والتهديم.

خامساً: الانتشار والديمومة في الحضارة الآشورية:

بالقدر الذي انتشرت فيه مساحة الحضارة الآشورية جغرافياً كانت هناك ديمومة في تواتر هذه المنجزات وتأثير واضح لها عند كل الشعوب المحتلة منها والمتاخمة لها،

لكن العنف كان يصطحب معه نوعاً من ردّ الفعل السلبي نحوها، فكانت هذه الحضارة تعاني من ازدواجية عمّقها أعداؤها وجعلوها قبراً لموتها وطمساً لفضلها الكبير ودورها الحضاري بالرغم من كلّ ما حصل، فقد كانت البروباغاندا المضادة عند الإعداد بالضد من آشور تشتغل الليل والنهار أثناء وجودها وبعد سقوطها لإفراغ آشور من مضمونها الحضاري وتصويرها على أنها بلدوزر حرب طائش ومقيت، للأسف حصل هذا من الجميع سواء كانوا في وادي الرافدين أو خارجه. ويبدو أن ذلك تحقق وماتت الحضارة الآشورية مشفوعة بالغضب والشتائم، لكن الآوان قد بدأ فعلياً لإنصافها وإحقاق ما لها وما عليها.

سادساً: الأبعاد الثقافية لنظرية هوفستد وتطبيقها على الحضارة الآشورية:

يرجى العودة لشرح نظرية البروفسور الهولندي جيرت هوفستد عالم الأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي وواضع نظرية الأبعاد الثقافية وفهمها في كتابنا (الحضارة البابلية).

يمكننا وضع هذا الجدول المبسط الذي يشرح بإيجاز ماهية الأبعاد الثقافية الآشورية على ضوء نظرية هوفستد ومقولاتها ومضمونها:

وبذلك تكون الأبعاد الثقافية في المجتمع والحضارة الآشورية متجهة نحو الضيق والانغلاق رغم اختلاط شعبها بشعوب مهجّرة كثيرة، وميلها للحياة والثقافة والحرية قليل. ولا شك أن مثل هذا الحكم ينطبق على جميع الحضارات الشرقية القديمة بنسبة أو بأخرى، بل وينطبق على حضارتَي الإغريق والرومان أيضاً.

المبحث الرابع: المنجزات المتفردة للحضارة الآشورية

الاختراعات والاكتشافات الآشورية غير المسبوقة

Inventions and discoveries Assyrian

أولاً: المنجزات السياسية:

1. الإمبراطورية العضوية: استطاع الآشوريون، لأول مرة في التاريخ، بناء إمبراطوريةٍ عضوية ذات نظام إداري متماسك، فقد كانت الإمبراطوريات التي سبقتها مجرد خارطة واسعة النفوذ خارج الإقليم أو الدولة المركزية التي بنتها، لكن الآشوريين استطاعوا بناء إمبراطورية سياسية قوية وعميقة التكون ومقسّمة بشكل واضح ومدروس.

2. الهوية الآشورية (آشورايا): لا أقصد هنا انحيازاً للآشورايا، بل أشير لابتكارهم أول مصطلح كوزموبوليتي في التاريخ، ولا شك أن هذا المفهوم الذي يعني من الناحية المفهومية خلق مجتمع أممي كوزموبوليتي كان أيضاً أول محاولة للنظر إلى إمكانية وحدة الشعوب والقوميات في دولة واحدة، ذلك الحلم الذي طارده الإسكندر المقدوني وقيصر وأغسطس في العالم القديم. وعمّت فيه مفاهيم هلنستية العالم ورومنة العالم التي نراها أصداءً لمفهوم أشرنة العالم.

3. الطريق الملكي: كان اختراع البريد الملكي السريع عبر ما يعرف بالطريق الملكي أحد أهم اختراعات الآشوريين، وقد كان يُحسب هذا الاختراع للفرس الأخمينيين حتى وقت قريب.

نظام البريد السريع **Courier System** كان الآشوريون أول من طور نظام بريد فعال (أو نظام بريد سريع). وقد كُتبت الحروف المسمارية على أقراص طينية كانت

ثلاث بوصات مربعة ومغلقة في أظرف طينية. لم تكن جميع الرسائل المكتوبة عن الأعمال.

ثانياً: المنجزات العسكرية:

1. الجهاز التنظيمي للجيش ولإدارته وخدماته: تمتع الجيش الآشوري بأفضل جهاز إداري في التاريخ القديم بسبب تنوع فصائله وتطورها.

2. الأسلحة المتطورة: استخدم الآشوريون مجموعة واسعة من الأسلحة بما في ذلك السيوف والرماح والأقواس والسهام والرافعات والخناجر. كان الآشوريون أول من استخدم الحديد لصنع أسلحتهم. وكان الآشوريون أول من استخدم أسلحة الحديد في الحرب، وأول من صنع الدبابات السلحفاتية لثقب جدران الأسوار. كانوا قادة جيدين للغاية، واستخدموا تكتيكات حرب فعالة للغاية.

ثالثاً: المنجزات الاقتصادية:

1. تطور التجارة والمراكز التجارية الخارجية: حيث كانت تجربة الآشوريين المبكرة في بلاد الأناضول (ومنها كانش) تجربة رائدة بوجود مجتمع آشوري مصغر في بلاد أجنبية من أجل مهام تجارية يقومون فيها بعمل نوعي وبتواصل مع منتجين في داخل بلاد آشور لتجهيزهم ببعض ما يقومون بتجارته من بضائع.

2. استخدام الحديد والسباكة في الصناعات المعدنية: فقد تطور تعامل الآشوريين مع المعادن وخاماتها وخلطها وتنفيتها وسباكتها، وكان الحديد على رأسها.

3. ابتكار قنوات الريّ الطويلة لجلب ماء الشرب للمدن: من روافد الأنهار الكبيرة، وهي تجربة برع فيها الآشوريون.

4. الطرق المعبدة: كان الآشوريون سبّاقين لصنع الطرق المعبدة بالقار من أجل تسهيل مرور المركبات والعجلات وحيوانات النقل والحرب.

رابعاً: المنجزات الاجتماعية:

1. الحجاب الاجتماعي: ابتكر الآشوريون الحجاب الاجتماعي للنساء لكي يميزوا به المرأة المتزوجة عن غيرها، وقد وضعوا لهذا الإجراء القوانين التي تطبقه ويعاقب من لا يتبعه أو يخرقه.

«كانت آشور تشجع الإكثار من النسل بقوانينها الأخلاقية وبما تسنه من الشرائع شأنها في هذا شأن جميع الدول العسكرية، فكان الإجهاض عندهم جريمة يعاقب عليها بالإعدام، وكانت المرأة التي تجهض نفسها، وحتى المرأة التي تموت وهي تحاول إجهاض نفسها، تخزق بعد موتها. وكانت منزلة النساء في آشور أقل منها في بابل، وإن كان منهن من بلغن منزلة سامية بالزواج والدسائس. وكانت تفرض عليهن عقوبات صارمة إذا ضربن أزواجهن، ولم يكن يسمح للمتزوجات أن يخرجن إلى الطريق العام بغير الحجاب، وكان يطلب إليهن أن يكن جد أمينات على أعراضهن ـ وإن كان يسمح لأزواجهن بأن يتخذوا لهم ما يشاؤون من السراري. وكان البغاء يُعد في عرفهم أمراً لا بد منه وتنظمه القوانين». (ديورانت 2007: 281).

كان المجتمع الآشوري ذكورياً، وكان الذكور مسؤولين عن القبائل. وكان ينظر إلى الزواج بجدية. حصلت المرأة في آشور على مكانة أكبر من دول الشرق الأوسط الأخرى، ولكن هيمنة الذكور كانت طبيعية. كان الآشوريون ضد المثلية الجنسية.

2. المجتمع المحارب: كان غالبية الناس في المجتمع الآشوري مزارعين فلاحين، وبالتالي كانوا سيشهدون العديد من التحسينات الزراعية التي نفذتها زيادة الآشوريين المتزايدة من الفتوحات والضرائب العادية. ومع ذلك، عاش أعضاء النخبة في المجتمع في المدن، لذلك لم يكونوا ليختبروا نفس فوائد الإمبريالية الآشورية

التي عاشتها المناطق الريفية. وهكذا، تم اختبار الانتقال السياسي والحكومي والثقافي من المملكة إلى الإمبراطورية بشكل مختلف في المناطق الحضرية عن المناطق الريفية. في المدن المهمة، ومعظمها عواصم، كانوا مجتمع محارب حيث كان القتال جزءاً من الحياة. كانوا معروفين في جميع أنحاء الأرض بأنهم محاربون قاسيون ولا يرحمون. شيئان جعلا الآشوريين محاربين عظماء هم مركباتهم القاتلة وأسلحتهم الحديدية.

3. الجنائن المعلقة: ابتكر الآشوريون نظام الحدائق المعلقة وإيصال الماء لطبقاتها العليا عن طريق لولب المياه الذي يصعد إلى أعلاها وفق نظرية أرخميدس التي ظهرت بعد حوالي 400 سنة من استعمالها من قبل الآشوريين.

خامساً: المنجزات المادية والطاقة:

بسبب الحجم الواسع لإمبراطوريتهم، تمكن الأشوريون من الوصول إلى العديد من الموارد بما في ذلك الحجر والحديد. أدت شعبية أدوات الحديد إلى إنشاء قصور ضخمة. واحدة من السمات الفريدة للفن الآشوري هي نقوشهم البارزة.

1. سد البناء: Masonry Dam

كان الآشوريون أول من طور سدًّا من البناء. تم إنشاء السد على نهر أتروش. تم توجيه المياه إلى قناة تؤدي إلى عاصمة آشور.

كانوا أول من استخدم عجلة الخزاف لصنع فخار أفضل، واستخدموا الري لتوصيل المياه إلى محاصيلهم، واستخدموا المعدن البرونزي (والمعدن الحديدي اللاحق) لصنع أدوات وأسلحة قوية، واستخدموا النول لنسج القماش من الصوف.

«لماذا كانت منطقة الشرق الأدنى مفضلة للغاية، تتميز منطقة الشرق الأدنى ببروز ملامح ثلاثة تميزها عن غيرها من المناطق، وهي المناخ الذي يتميز بعدم تطرفه

وشكل المنطقة وبنيانها بما ضمته من نباتات وحيوانات، وبما هيّأته من ظروف ملائمة للنقل والاتصالات. أما العنصر الأكثر أهمية فهو التنوع الهائل للمصادر الطبيعية المتواجدة في المنطقة». (هودجز 1988: 20).

«يُضاف إلى ذلك توافر عدد محدود من الرسومات المعدنية النادرة، والتي تتواجد بأشكال متنوعة في مناطق محدودة كالصوداء (كربونات الصوديوم) والبوتاسيوم (هايدروكسيد البوتاسيوم). وعلى أية حال، فإن توافر ثروة من الموارد النباتية والحيوانية والمعدنية غير كاف لتعليل التقدم المبكر للتقنيات المختلفة في هذه المنطقة، إذ إنه دون حدوث اتصالات مناسبة لم يكن بالإمكان تحقيق القليل من التقدم.

فالجماعات الصغيرة المعزولة كانت تستغل جزءاً فقط من الموارد المتوافرة، إذ يعتمد جزء كبير من التقدم التقني على تبادل الأفكار واستعارة أساليب تصنيع أو مواد معينة من صناعة ما واستعمالها في نصاعة أخرى. لقد وفرت الأنهار والبحار وسيلة سهلة للتنقل، وكانت بمثابة دافع لتطوير صناعة القوارب والسفن بينما قامت أحواض الأنهار نفسها بتزويد الإنسان القديم بطرق للتنقل قبل تطوير النقليات البحرية». (هودجز 1988: 20).

سادساً: المنجزات العلمية:

1. صناعة العدسات: عدسة مكبرة ربما للتلسكوب، ويرى أوبنهايم أنهم صنعوا عدسات طبية.

2. القفل والمفتاح: صنعوا نظاماً بسيطاً للتحكم بقفل الشي وفتحه، وشاع بعدهم.

3. التدليك العلاجي (المساج الطبي).

4. مضادات الاكتئاب anti-depressent: كان الآشوريون أول من خلق مضادات الاكتئاب. تم استنشاق الأبخرة من قبل المرضى لتبديد الحزن أو الحزن.

5. خط الطول وخط العرض longitude and latitude.

6. أعظم مكتبة في التاريخ القديم: أنشأ الآشوريون أقدم مكتبة من قبل الملك آشوربانيبال، في نينوى. تضم هذه المكتبة معلومات ونصوصاً من كل حضارات وادي الرافدين فاق عدد ألواحها الطينية 30 ألف لوحٍ.

سابعاً: المنجزات الدينية:

اعتمد الآشوريون في تأريخهم القوي، بشكل خاص، على عاملين رئيسيين هما الجيش والدين، فقد كان الجيش يؤمن السيطرة على الأرض الإمبراطورية، أما الدين فكان يسيطر على السماء الإمبراطورية وروحها المعنوية، «كانت القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك هي قوة الدين، ولكنه لم يكن ينال معونة الكهنة إلّا بأغلى الأثمان. فقد كان إجماع القوم منعقداً على أن رأس الدولة من الوجهة الرسمية هو الإله آشور. وكانت الأوامر الرسمية تصدر باسمه، وكل القوانين قرارات تمليها إرادته الإلهية، وكل الضرائب تجمع لخزانته، وكل الحروب تشن لتأتي له (أو لإله غيره أحياناً) بالمغانم والمجد. وكان الملك يحمل الناس على أن يصفوه بأنه إله، وكان في العادة هو الإله شمش (الشمس) مجسماً. وقد أخذ الآشوريون دينهم عن سومر». (ديورانت 2007: 275).

ثامناً: المنجزات الفنية:

أنفق الآشوريون جزءاً من ثروتهم الفائضة لإنشاء أعمال رئيسية للفن العام بحلول القرن التاسع قبل الميلاد، كان ذلك من خلال تماثيل عملاقة للملائكة والأرواح الطيبة من اللماسو والشيدو، بشكل خاص، لحراسة المدن والمعابد والقصور، حيث تعرضت

النخبة للفن العام الآشوري، الذي صور الفتوحات العسكرية الناجحة والفتوحات الإمبراطورية بشكل فني جديد يسمى (النحت المعماري) كانت هذه التماثيل مهمة لأنها ذكّرت الأشخاص الأكثر نفوذاً في آشور بالمجد والثروات والموارد والقوة التي نتجت عن دعمهم المستمر للإمبريالية.

وتخطى الفن عتبة المحدودية وظهرت جداريات طويلة يصل طولها لأكثر من كيلومتر داخل القصور وهي تصوّر البطولات العجيبة للملوك والقادة وفتوحاتهم وحصارهم للمدن. وتزينت أثاث القصور بذلك «الأثاث الفخم الجميل الشكل الدقيق الصنع المتخذ من أثمن الأخشاب، والمقوى بالمعادن، والمرصع بالذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة. وكانت صناعة الفخار عندهم منحطة، وفي الموسيقى لم يزيدوا على ما أخذوه منها عن البابليين، ولكن التصوير بالطلاء الممزوج بالغراء وصفار البيض الزاهي الألوان أصبح من الفنون الآشورية الخاصة التي انتقلت إلى بلاد الفرس فبلغت فيها حد الكمال. وكان التصوير في آشور كما كان على الدوام في بلاد الشرق القديم فناً ثانوياً تابعاً للحرب يسير في ركابها». (ديورانت 2007: 278).

«أما النقوش التي تثير إعجابنا بحق فهي نقوش الحيوانات، وما من شك في أن الفن قديمه وحديثه لم ينجح في نحت الحيوانات نجاح الفن الآشوري. إن الألواح تكرر أمام الأعين مناظر مملة تمثل الحرب والصيد، ولكن العين لا تمل قط من النظر إلى حركات الحيوانات القوية ونفورها الطبيعي، وتصويرها البسيط الذي لا تكلف فيه كأنما الفنان الذي حرم عليه أن يصور مادته في حقيقتهم وفرديتهم قد وهب كل علمه وحذقه لتصوير الحيوانات. وهو يصور منها أنواعاً جمة لا عديد لها ـ يصور أسوداً، خيلاً، حميراً، معزاً، كلاباً، دببة، ظباء، طيوراً، جنادب، ويصورها في كل وضع من أوضاعها، ما عدا سكونها. وما أكثر ما يمثلها وهي تعاني سكرات الموت، ولكنه حتى في هذه الحال يجعلها مركز الحياة في صورته وفنه». (ديورانت 2007: 290).

استخدم بعض علماء ومؤرخي الفن حجة المضامين الآشورية للتقليل من عظمتها وإهمال فنها العظيم حين ركّزوا على الجوانب العنيفة والدعائية فيها، متناسين أن كل الفنون لا بد أن تحظى بهذا القدر أو ذاك من هذه الجوانب فهل هناك ما هو أروع من خيل سرجون الثاني في نقوش خراساباد، أو اللبوة الجريحة التي عثر عليها المنقبون في قصر سنحاريب في نينوى، أو اللبوة المحتضرة المنقوشة على حجر المرمر والتي استخرجت من قصر آشور بانيبال، أو مناظر صيد آشور ناصربال الثاني وآشور بانيبال للأسود، أو منظر اللبوة المستريحة، أو الأسد الذي أطلق من الشرك، أو القطعة التي نقش عليها أسد ولبوة يستظلان تحت الأشجار. كل هذه من أجمل روائح هذا الفن في العالم كله. ولسنا ننكر أن تمثيل الأشياء الطبيعية عن طريق الحفر كان عند الآشوريين فناً فجاً خشناً يجري على سنن جامدة محددة، وأن أشكاله ثقيلة غير ظريفة، وأن خطوطه قاسية عسرة، وأن العضلات مبالغ فيها كثيراً، وأن كل ما روعي فيها من قواعد المنظور لا يعدو وضع الشيء البعيد في النصف الأعلى من الصورة بنفس الأبعاد التي رسم بها ما هو أقرب منه إلى الرسم. (ديورانت 2007: 290).

تاسعاً: المنجزات الأخلاقية:

كان الشعب الآشوري قد بنى حضارته بمزيج من الأخلاق المحافظة داخله والقاسية خارجه، وقد نجم عن هذا الخليط نوعاً مضطرباً من الغاية التي ابتغتها حضارته.

لم تستطع الآشوريايا أن تحقق اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) التي حاولت بناءها في جعل الإمبراطورية الآشورية مكاناً للفضيلة والخير، فقد شاب العنف والإرهاب مشروعها، ولا يمكننا أن نستخدم المصطلح المضاد لليوتوبيا وهو (ديستوبيا) الذي يعني (المدينة الشريرة)، فقد كانت مزيجاً منهما (يوتو ـ ديستوبيا)، فهي التجربة الأولى لصنع حضارة عالمية وكان لا بد أن تكون فيها من الأخطاء ما يكفي، بل إنّ كل المحاولات التي جاءت بعدها هي عبارة عن يوتو ـ ديستوبيات بدرجات مختلفة.

كان الشعب الآشوري قد قدّم نوعاً من الأخلاق المتوازنة في بداية نشوء حضارته، ومن وجهة نظرنا أنه بقي محافظاً على هذه الأخلاق رغم الطموح المتطرف الذي جعل ملوك إمبراطوريته الحديثة ينحون نحو العنف والقسوة ويحاولون إفساد هذا التوازن، وتشهد الآثار على ملل المواطنين من الخدمة العسكرية المرهقة الطويلة وفرار بعضهم منها.

لكن الإنصاف يدفعنا للفت الانتباه لما حصل لهذا الشعب بعد سقوط إمبراطوريته، فهل كانت الجيوش والشعوب التي أسقطتها على حقٍّ حين مارست أبشع أشكال الموت والتنكيل والحرق والإبادة للشعب الآشوري ومدنه. لقد أشار الكثير من المؤرخين إلى المجزرة الكبرى والإبادة الجماعية التي تعرض لها الشعب الآشوري بعد سقوط نينوى، فهل يصحّ أن ندين الآشوريين حين صنعوا إمبراطوريتهم بالقوة، ونغفر لمرتكبي جريمة الإبادة لشعب أعزل من النساء والأطفال والشيوخ في المدن الآشورية التي دفنت تحت التراب. هل نغفر للشعوب التي سرقت ونهب كل التراث الآشوري ونسبته لنفسها؟ هل نغفر لكل الذي حوّلوا الحرفيين والمهرة والعلماء الأذكياء من الآشوريين إلى عبيد لبناء إمبراطورياتهم الجديدة مقابل بقائهم أحياءً؟

إذا وضعنا هذه الأسئلة في مقابل ما فعله الآشوريون طيلة القرون الثلاثة من عمر الإمبراطورية الأخيرة لهم فسنجد أنهم كانوا على حق في خوفهم وحذرهم واحتراسهم الذي دفعهم لبناء معقلٍ إمبراطوري من القوة التي لا تسمح للمحيطين بها من اختراقه.

ولنعترف أخيراً أن ما قدمته الحضارة الآشورية للتاريخ والبشرية يفوق أضعاف ما اعتدنا على جعله الصفة الغالبة لهم ونعني به القوة والعنف، لأن تاريخ الحضارات والشعوب الكبيرة، مثلها، كان يشبه ما فعلوه، في هذا الجانب، بهذا القدر أو ذاك.

الفهارس

1.فهرس المراجع

2.فهرس الأعلام

3. فهرس الأماكن

4.فهرس المصطلحات

5.الفهرس العام لكتب المؤلف

فهرس المراجع

المراجع العربية

1. الأحمد، سامي سعيد: المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى، **مجلة سومر،** ج1 وج2، المجلد 33، دائرة الآثار العامة، بغداد (1977).

2. الأحمد، سامي سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، **مجلة المؤرخ العربي،** العدد الثاني، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد (1977).

3. الأحمد، سامي سعيد: الزراعة والري، **حضارة العراق**، تأليف نخبة من الباحثين، ج 2،، دار الجيل، بيروت، بغداد، (1985).

4. الأحمد، سامي سعيد: المدن الملكية العسكرية، **كتاب المدينة والحياة المدنية ج2**، تأليف نخبة من أساتذة التأريخ، دراسات في تأريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

5. الأحمد، سامي سعيد: التجارة، من كتاب **موسوعة الموصل الحضارية**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (1991).

6. أحمد، علي ياسين: وظيفة الخزانو الآشوري، **مجلة سومر،** ج1 ـ 2**،** المجلد 49، مديرية الآثار العامة، بغداد (1964).

7. الأسود، حكمت بشير: **أكيتو عيد رأس السنة البابلية والآشورية**، وزارة الثقافة، المديرية العامة للثقافة والفنون السريالية، أربيل (2011).

8. الأعرجي، حسين سيد نور: مفهوم الحداثة في الخطاب السياسي في العراق القديم، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، العددان (3 ـ 4)، المجلد 7، (2008).

9. الأعرجي، حسين سيد نور جلال: سياسة تجفيف منابع التمرد لدى الدولة الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد (عيلام ومصر أنموذجاً)، **مجلة كلية التربية**، جامعة واسط، العدد 17، أيلول (2014).

10. الأعرجي، حسين سيد نور، الكعبي، مؤيد مجيد محمد: نتائج التهجير القسري في العراق القديم، الدولة الآشورية أنموذجاً، **مجلة كلية التربية**، العدد 28، جامعة واسط (2017).

11. الأنباري، نجم: المعاهدات الدولية القديمة، **مجلة التراث العلمي العربي**، العدد الرابع، بغداد (2015).

12. أليسون، إليزابيث روزماري: **ميزوبوتاميا ونهري دجلة والفرات في التأريخ**، ترجمة نصرت أدمو، موقع أكاديميا، (2020).

13. برغش، سعدون عبد الهادي، والطائي، غفران جعفر عزيز: الكواكب والنجوم ورمزيتها في أدب العراق القديم، **مجلة كلية التربية في جامعة واسط،** العدد 31، (2018).

14. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،** ج1، ط2 شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد (1986).

15. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،** ج1، دار الوراق، لندن (2009).

16. باربولا، سيمو: الهوية الوطنية والإثنية في عهد الإمبراطورية الآشورية الحديثة والهوية الآشورية في الأزمنة عقب الإمبراطورية، ترجمة إدوارد يوحنا أوديشو، **مجلة الدراسات الأكاديمية الآشورية**، مجلد 18، العدد 2 (2004).

17. البدري، عبد اللطيف: **من الطب الأشوري**، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1976).

18. البدري، عبد اللطيف: **التشخيص والإنذار في الطب الأكدي**، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1976).

19. البدري، عبد اللطيف: الطب في العراق القديم، **دراسات في تاريخ الطب والعلوم**، المجمع العلمي العراقي، بغداد (1993).

20. بدوي، أحمد زكي: **مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي**، مكتبة لبنان، بيروت (1982).

21. أبو بكر، عبد المنعم وآخرون، **العراق القديم ـ تاريخه وحضاراته** (الألف كتاب 59)، القاهرة (د.ت).

22. البلداوي، شيماء عصام: الموسيقى والطرب في العراق القديم، **مجلة مركز دراسات الكوفة،** فصلية محكّمة، العدد 46، السنة (2017).

23. بوتيرو، جان: **بلاد الرافدين (الكتابة، العقل، الآلهة)**، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة د.وليد الجادر، سلسلة المائة كتاب الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1990).

24. بوتيرو، جان: الجذور التأريخية لتقديم المرق في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين،** ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

25. التطلّي، بينامين: **رحلة بنيامين، (للرحالة الربّي بينامين بن يونه التطلّي النباري الأندلسي)**، ترجمها عن الأصل العبري لعزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد (1945).

26. الجادر، وليد، والعزاوي، ضياء: **الأزياء والحليّ عند الآشوريين،** وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1970).

27. الجادر، وليد: **حضارة العراق** تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، الفصل السابع ـ صناعة التعدين، دار الجيل، بيروت (1985).

28. جاسم، صفوان سامي سعيد: **التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية**، أطروحة دكتوراه بإشراف أ.د. علي ياسين أحمد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الموصل (2006).

29. جبور، باسم ميخائيل: **ملاحم تاريخية من الأدب الأكدي (ترجمة ودراسة)**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت (2017).

30. الجنابي، صلاح حميد: جغرافيا الموصل دراسة في العلاقات الأقليمية، من كتاب **موسوعة الموصل الحضارية**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (1991).

31. الجنابي، قيس حاتم هاني: دراسة في نشأة النقود في بلاد ما بين النهرين، **مجلة كلية التربية الأساسية**، العدد 16، جامعة بابل، حزيران (2014).

32. الجميلي، عامر عبد الله: **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل (2001).

33. الجواري، رائد راكان قاسم عبد الله: المفاهيم الجغرافية البشرية في حضارة وادي الرافدين، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 4، العدد 2، (2006).

34. حسان، أحمد عبد الرحمن عابدين: المعاهدات الدولية: **دراسة في تاريخ العراق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد**، أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور محمد عادل محمد عبد المنعم والدكتور محمد الشحات عبد الفتاح شاهين، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق (2006).

35. حبة، فرج: الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، **مجلة سومر**، المجلد 25، العددان 1، 2، مديرية الآثار العامة، بغداد (1969).

36. حبيب، طالب منعم: **سنحاريب (سيرته ومنجزاته 704 ـ 681 ق.م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد (1986).

37. حديد، حسيب إلياس: الجذور التأريخية لتقديم المرق في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين**، ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

38. الحمداني، ياسر هاشم حسين: **وسائط النقل في العراق القديم**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، بإشراف الأستاذ الدكتور حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل (2002).

39. ديورانت، ول وإيرل: **قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ج2 المجلد 1**، ترجمة محمد بدران، بيروت، تونس (2007).

40. دي شاي، جان وريموند بلوش: **دليل حضارات الشرق الأدنى القديم**، ترجمة سهى محمد حسن الطريحي، دار الجواهري، بغداد (2013).

41. الراوي، فاروق ناصر: حضارة العراق تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، **الفصل الثامن ـ العلوم والمعارف،** دار الجيل، بيروت (1985).

42. الراوي، فاروق: اقتصاد المدينة العراقية القديمة، **كتاب المدينة والحياة المدنية،** ج1، تأليف نخبة من أساتذة التاريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

43. الراوي، هالة عبد الكريم سليمان كرموش: **المسلات الملكية في العراق القديم (دراسة تاريخية ـ فنية)**، رسالة ماجستير في التأريخ القديم، جامعة الموصل، كلية الآداب، الموصل (2003).

44. رشيد، فوزي: العلوم الإنسانية والطبيعية، **موسوعة الموصل الحضارية**، المجلد الأول، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (1991).

45. ساكز، هاري: **قوة آشور**، ترجمة الدكتور عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1999).

46. ساغز، هاري: **عظمة آشور**، ترجمة خالد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق (2008).

47. سعدون، أباذر راهي، سهيل، مصطفى كاظم: الرسائل في بلاد الرافدين (دراسة في ضوء النصوص المسمارية)، **مجلة كلية التربية**، جامعة واسط، المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر، نيسان (2019).

48. سعيد، خليل: **معالم من حضارة وادي الرافدين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء (1984).

49. سعيد، مؤيد: المدن الدينية والمعابد، **كتاب المدينة والحياة المدنية**، ج1، تأليف نخبة من أساتذة التأريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

50. سعيد، باسل أياد: **الثروة الحيوانية في العراق القديم**، رسالة ماجستير في الآثار العامة بإشراف الدكتورة أحلام سعد الله صالح الطالبي، كلية الآداب، جامعة الموصل (2008).

51. سلمان، عيسى: **الأزياء الآشورية**، بغداد (1971).

52. سلمان، كاظم جبر: أثر الدعاية الإعلامية في سير الأحداث السياسية في مدينة بابل خلال الألف الأول ق.م، **كتاب المؤتمر العلمي الحادي عشر لجامعة بابل**، بابل (2010).

53. سليم، سعيدي: **القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050 ـ 332 ق.م)، دراسة تاريخية مقارنة،** رسالة ماجستير بإشراف الدكتور بن لحرش عبد العزيز، كلية العوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، الجزائر قسنطينة (2010).

54. سليمان، عامر: التراث اللغوي، **كتاب حضارة العراق** ج1، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الجيل، بيروت، بغداد (1985).

55. سليمان، عامر: قدف المحصنات، من **موسوعة القانون في العراق القديم** ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1989).

56. سليمان، عامر: الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية، **كتاب المدينة والحياة المدنية** ج1، تاليف نخبة من أساتذة التاريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

57. سمار، سعد عبود، وعزيز، علي جبار: الجندي في المملكة الآشورية الحديثة (911 ـ 612 ق.م) بين الضغط النفسي والانتماء العرقي، **مجلة كلية التربية**، العدد العاشر، واسط (2018).

58. شيت، أزهار هاشم، وعلي، صمود حسين: بعض الوسائل المستخدمة لمعالجة الأمراض في بلاد آشور، **دراسات موصلية**، العدد 34، أيلول (2011).

59. الصالح، مصلح: **الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، إنجليزي ـ عربي**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض (1999).

60. الصوفي، شذى بشار حسين محمد: **دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين**، رسالة ماجستير بإشرف خالد سالم إسماعيل، قسم الآثار، كلية الآداي، جامعة الموصل (2004).

61. طاهر، أحمد كاظم، ومحمد، فائق منصور: الآلات والأدوات الزراعية في بلاد الرافدين، **مجلة الأداب**، العدد 129، حزيران (2019).

62. العبادي، معاذ حبش خضر: **الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية،** (رسالة ماجستير بإشراف خالد سالم إسماعيل)، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، الموصل (2006).

63. العبادي، معاذ حبش خضر: **المجالس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية**، أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور عامر سليمان إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل (2012).

64. عبد الحق، حسان: العمارة الملكية في بلاد وادي الرافدين وسوريا في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (من أواخر عصر البرونز القديم إلى نهاية عصر البرونز الحديث)، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد 30، العدد 3-4 (2014).

65. عبد الرحمن، يونس: نهر الخوصر في المصادر المسمارية، **مجلة آثار الرافدين**، المجلد الأول، العدد الأول، الموصل (2012).

66. عبد الكريم، قصي منصور: شذرات من كنوز التراث العراقي القديم في جوانب من العلوم والمعارف الإنسانية، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 14-15، صيف ـ خريف (أكتوبر) (2014).

67. عذاب، نضال ذاكر: فلسفة العدالة في الفكر الرافديني القديم، كلية الآداب، قسم الفلسفة، **مجلة آداب المستنصرية**، العدد 53، (2010).

68. علي، سعيد إسماعيل: **التربية في حضارات الشرق القديم**، عالم الكتب، القاهرة (1999).

69. العلي، فائز هادي: البناء في بلاد الرافدين (مفهومه والعوامل المؤثرة فيه)، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، العدد 53 جمادي الآخرة 1437 هـ ـ نيسان 2016.

70. علي، فائز هادي: أثر الاقتصاد في العمارة العراقية، **مجلة دراسات في التأريخ والآثار**، العدد 66، تشرين الأولى (2018).

71. العلوش، إيمان هاني: طبقات المجتمع الآشوري في ضوء المصادر المسمارية، **مجلة دراسات موصلية**، العدد 30، آب (2010).

72. علي، إيمان هاني سالم: **الحياة الاجتماعية في بلاد آشور في ضوء المصادر السومرية**، أطروحة دكتوراه بإشراف أ. د. علي ياسين أحمد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الموصل (2006).

73. علي، محمد عبد اللطيف محمد: **المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م)**، د.

ن، الإسكندرية (1984).

74. علي، ياسمين عبد الكريم محمد: **الآثاث في العصر الآشوري (911 ـ 612 ق.م)**، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب قسم الآثار (2004).

75. علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط 6 دار المعارف، القاهرة (1992).

76. غزالة، هديب حياوي، المهنا، رشا ثامر: مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث (911 ـ 612 ق.م) العوامل، الجهود الملكية، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، السنة: 2008 المجلد: 11 الإصدار: 1-2 الصفحات: 179 ـ 194، القادسية (2008).

77. الفتيان، أحمد مالك: **نظام الحكم في العصر الآشوري (أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة)**، بإشراف الدكتور تقي الدباغ، كلية الآداب، جامعة بغداد (1991).

78. أبو الفداء، إسماعيل بن عليّ بن محمود (672 هـ/ 1273م ـ 732هـ / 1331م): **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت (1964).

79. قاشا، سهيل: **تأريخ الفكر في العراق القديم**، مكتبة السائح، دار التنوير، بيروت (2008).

80. القطان، شعيب فراس إبراهيم: **مسائل رياضية في ضوء نصوص منشورة وغير منشورة**، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، بإشراف الدكتورة باسمة جليل عبد، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد (2018).

81. كانجيك، إيفا وشباوم، كير: **تأريخ الآشوريين القديم**، ترجمة د. فاروق إسماعيل، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (2008).

82. لابات، رينيه (Labat, R)، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة الأب البير أبونا ود. وليد الجادر وخالد سالم إسماعيل، مراجعة وإشراف د. عامر سليمان، بغداد 2004 العلامة 334.

83. لافو، صوفي: المؤسسات القضائية في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين**، ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

84. لوكاس، كرستوفر: حضارة الرقم الطينية في العراق القديم، الموسوعة الصغيرة 61، دار الجاحظ للنشر ـ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1980).

85. الماجدي، خزعل: **عراق ما قبل التاريخ (الكتاب الأول من سلسلة عراقولوجي)**، دار الرافدين للنشر والتوزيع، بيروت (2017).

86. محمد، حياة إبراهيم: **نبوخذنصر الثاني، المؤسسة العامة والتراث**، بغداد (1983).

87. محمد، هيفاء أحمد عبد الحاج: **ألقاب حكام وملوك العراق القديم،** رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عامر سليمان، كلية الآداب، جامعة الموصل (2007).

88. محمد، نبيل نور الدين حسين: **الحملات العسكرية الآشورية: دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة،** أطروحة دكتوراه بإشراف الدكتور علي ياسين أحمد، جامعة الموصل، كلية الآداب (2006).

89. المحمد، سعد نوري أحمد عبد القادر: **الكتابات المسمارية على الأواني في العراق القديم**، رسالة ماجستير، بإشراف خالد سالم إسماعيل، كلية الآثار، جامعة الموصل (2009).

90. مظلوم، طارق: **الأزياء الآشورية**، مديرية الآثار العامة، سلسلة الأزياء العراقي 3، بغداد (1971).

91. المعماري، رعد سالم محمد جاسم: **الأَحجارُ والمعادنُ في بلادِ الرافدين في ضوءِ المصادرِ المسماريِّةِ**، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ خالد سالم إسماعيل، كلية الآداب، جامعة بغداد (2006).

92. مورتكات، أنطوان: **الفن في العراق القديم** ج2، ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مديرية الآثار العامة، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد (1975).

93. الموزاني، زيدان خلف: **من العقوبات المشددة في القوانين العراقية القديمة**، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 21، (2016).

94. الهاشم، ثريا عبد الله: **الأمومة والطفولة في تشريعات بلاد الرافدين (2500 ـ 500 ق.م)،** رسالة ماجستير، قسم التاريخ في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، بإشراف الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن العبد الجبار (2012).

95. هودجز، هنري: **التقنية في العالم القديم**، ترجمة رندة قاقيش، مراجعة د. محمود أبو طالب، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان (1988).

96. النجاري، غسان مراد حجي: **العناصر الزخرفية في الفن الآشوري**، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف الدكتور حسين ظاهر حمود، الموصل (2005).

97. النعيمي، راجحة عباس خضر، **الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد (1976).

98. النعيمي، شيماء علي: الأسماك في ضوء المصادر المسمارية والمنحوتات الأثرية الآشورية، **مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية**، المجلد 5، العدد 13، السنة الخامسة أيار (2018).

المراجع الأجنبية

1. Alexander، M. Wayne and Violet, William: Trade from Assyrian Aššur to Anatolian Kaneš in the 19th Century B.C.E. **Journal of Management and Marketing Research**، (2020).

2. Amrhein, A: Neo-Assyrian gardens: a spectrum of artificiality, sacrality and accessibility. **Studies in the History of Gardens & Designed Landscapes,** (35) (2015).

3. Al-Rawi, Farouk N.H.: «Inscriptions from the Tombs of the Queens of Assyria», ***New Light on Nimrud Proceedings of the Nimrud Conference 11th - 13th March 2002***, (Eds.) J.E.Curtis-H.McCall-D.Collon-L.al-Gailani Werr, British Museum, London (2008).

4. Ascalone, E.: ***Mesopotamia, Assyrians, Sumerians, Babylonians***, Translated by Rosanna M. Giammonca Frongia, University of California Press, London (2007).

5. Belibtreu, Erika: Grisly Assyrian Record of Torture and Death، Editor, H. S. BAR 17:01 (Jan/Feb 1991). **Biblical Archaeology Society**. (2002).

6. Black, Jeremy & Green، Anthony: **Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia**, London: British Museum Press, (2004).

Bertman، Stephen: **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, ISBN .7
York (2003). 0816043469 ,9780816043460

BRILL، Robert H.: «Some Chemical Observations on the Cuneiform .8
Glassmaking Texts.» **Annales du 5e Congrès de l'Association**
Internationale pour l'Histoire du Verre. Liège: Edition du Secrétariat
.Général,(1972)

Clarke، Joseph Thacher: A Proto-Ionic Capital from the Site of Neandreia، .9
The American Journal of Archaeology and of the History of the Fine
.(Mar., 1886 - .Jan) **Arts**, Vol. 2,No. 1

Military - Crouch، Carly L.: **War and Ethics in the Ancient Near East** .10
.De Gruyter,(2009) - **Violence in Light of Cosmology and History**

Dalley, Stephanie: «**Ancient Mesopotamian Gardens and the** .11
Identification of the Hanging Gardens of Babylon Resolved,» Garden
.History, Vol. 21, No. 1. (Summer, 1993)

Dalley, S.: **Nineveh, Babylon and the Hanging Gardens: Cuneiform** .12
.and Classical Sources Reconciled. Iraq, (1994)

Deligiannis، Periklis: **Assyrian urbanization as a means of ethnic** .13
expansion: Tracing the interdependent urban and ethnic expansion of the
.Assyrian people from city to city, https://www.academia.edu (2014)

De Camp,L. Sprague: The Ancient Engineers (New York: Doubleday, .14
1974), 51-52; Christopher J. Eyre,»The Agricultural Cycle, Farming, and

Water Management in the Ancient Near East,» **in Civilizations of the Ancient Near East**, Vol. 1, ed. by Jack Sasson (Peabody, MA: Hendrickson, .1995)

Dick, M. B.: The Neo-Assyrian Royal Lion Hunt and Yahweh's Answer .15 .to Job. **Journal of Biblical Literature**, (125), (2006)

Dumbrill ,R: **The Archaeomusicology of the Ancient Near East**، .16 .Traford Publishing (1998)

Eyre: Ch. J.: The Agricultural Cycle, Farming, and Water Management .17 in the Ancient Near East, in **Civilizations of the Ancient Near East, Vol. 1**, 180-182; H.W.F. Saggs, The Might That Was Assyria (London: Sidgwick .& Jackson, 1984)

Frankfort H.: **Kingship and the Gods**، Astudy of Ancient Near Eastern .18 .Religion as the Integration of Society and Nature، Chicago (1969)

Finkelstein, J. J.: «Subartu and Subarians in Old Babylonian Sources,» .19 .**Journal of Cuneiform Studies 9**, no. 1 (1955)

Grayson, A. Kirk: **Assurnasirpal 2 Banquet Stele composite**، UCLA .20 Library ARK,21198/z1bv8ndw (1991). https://cdli.ucla.edu/search/search_results.php?SearchMode=Text&ObjectID=P463664

Groß,Melanie & Kertai ,Kertai: Becoming Empire: Neo-Assyrian .21 palaces and the creation of courtly culture, **Journal of Ancient History** |

.Volume 7: Issue 1, Published online: 11 Jun 2019

Gyllenbok, Jan: **Encyclopaedia of Historical Metrology**, Weights, and .22
Measures (eBook) Volume 1 ,Science Networks Historical Studies 56
.Birkhäuser (2018)

Haidar، Diana R.: **Assyrian Iron Working Technology and** .23
.**Civilization**, Wisconsin University (Madison) (2011)

Harper, Prudence O., Evelyn Klengel-Brandt, Joan Aruz, and Kim .24
Benzel: **Assyrian Origins: Discoveries at Ashur on the Tigris**: Antiquities
in the Vorderasiatisches Museum, Berlin, Metropolitan Museum of Art New
.York (1995)

Hayakawa, Hisashi et.al: The Earliest Candidates of Auroral .25
Observations in Assyrian Astrological Reports: Insights on Solar Activity
around 660 BCE, The American Astronomical Society. **The Astrophysical**
.**Journal Letters**, Volume 884, Number 1, October 7 (2019)

Humphris, Sam: In what ways did the Neo-Assyrian Empire utilise the .26
techniques of psychological warfare and siege warfare during the period
610BC? School of Oriental and African Studies, University of - 934
.London https://**www.academia.edu**/6202629. (2020)

Hunt, Norman Bancroft: **Living in Ancient Mesopotamia Thalamus**، .27
.Publishing Chelsea House books ,NewYork (2009)

28. Irving L. Finkel and Julian E. Reade: **Assyrian Hieroglyphs**، Zeitschrift (Fur Assyriologie Und Vorderasiatische Archaologie ,)1996.

29. Karlsson, Mattias: **Early Neo-Assyrian State Ideology Relations of Power in the Inscriptions and Iconography ofAshurnasirpal II (883–859) and Shalmaneser III (858–824)**، Uppsala University, ISBN 978-91-506-2363-5 Uppsala, Sweden.(2013).

30. Karlsson، Mattias: **The Depictions of the»Other» on the Balawat Gates**, Uppsala University, Disciplinary Domain of Humanities and Social Sciences, Faculty of Languages, Department of Linguistics and Philology. (2016).

31. Koch. J.: **Neue Untersuchungen zur Topographie des Babilonischen Fixsternhimmels** ,Wiesbaden (1989).

32. LEICK, GWENDOLYN: **A Dictionary of ANCIENT NEAR EASTERN ARCHITECTURE**، Routledge 11 New Fetter Lane, London (2003).

33. Luckenbill, Daniel David: **The Annals of Sennacherib**, Oriental Institute Publications 2 (PDF) 2005. University of Chicago Press، (1924).

34. Martha T. Roth.: Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor 2nd ed. **SBL Writings from the Ancient World Series**, vol.6. Atlanta: SBL Press, (1997).

Melville, Sarah C.: The role of Naqia/Zakutu in Sargonid politics. .35
Helsinki: Neo-Assyrian ,**Text Corpus Project.** ISBN 9514590406.
.(1999)

Meek, Theophile, trans. (1969). The Middle Assyrian Laws. In James .36
B. Pritchard (ed.), **Ancient Near Eastern texts: Relating to the Old
.Testament.** Princeton, N.J: Princeton University Press

Milano, Lucio: PALEONUTRITION AND FOOD PRACTICES IN .37
THE ANCIENT NEAR EAST, TOWARDS A MULTIDISCIPLINARY
APPROACH ,**History of the Ancient Near East / Monographs**،
Lanfranchi, Giovanni-Battista, S.A.R.G.O.N. Editrice e Libreria Padova
.(2014)

Nadali، Davide &Vidal، Jordi: The Other Face of the Battle (The Impact .38
of War on Civilians in the Ancient Near East) **Ugarit-Verlag Münster**
.(2014)

Olmstead, A. T.: **History of Assyria** ,The University of Chicago .39
.(1960)

Oppenheim, A. Leo: **The interpretations of Dreams in Ancient Near** .40
.**Eest with aTranslation** (1956)

Parpola, S.,: Neo-Assyrian Treaties from the Royal Archives of .41
.Niniveh», **Journal of Cuneiform Studies**, Vol.39, No.2, Autumn,(1987)

Parpola, S.: «The Neo-Assyrian Word for»Queen»«,**State Archives of** .42
.**Assyria Bulletin**, Vol.2, No.2,(1988)

PRINCE، J. DYNELEY: The God-name Ninib، **JOURNAL OF** .43
BIBLICAL LITERATURE، The Society of Biblical Literature is
.collaborating with JSTOR، 82.168.249.187 on Sun, 05 Apr (2020)

Ragozin, Zénaïde Alexeïevna: **Assyria From the Rise of the Empire to** .44
the Fall of Nineveh (Continued from the Story of Chaldea.) Publisher: THE
STORY OF THE NATIONS, NEW YORK ,G. P. PUTNAM'S
.SONS,LONDON: T. FISHER UNWIN (1898)

the imperial communication ـ Radner, Karen: «The King's Road .45
.network». **Assyrian empire builders.** University College London (2012)

Radner, Karen: «**Royal pen pals: the kings of Assyria in** .46
correspondence with officials, clients and total strangers (8th and 7th
centuries BC)» (PDF). In S. Prochazka, L. Reinfandt and S. Tost (eds.).
Official Epistolography and the Language(s) of Power. Austrian Academy
.of Sciences Press. (2015)

Rawlinson، George: **The Seven Great Monarchies Of The Ancient** .47
Eastern World, Vol 2. (of 7): Assyria, The History, Geography, And
Antiquities Of Chaldaea, Assyria, Babylon, Media, Persia, Parthia, And
Sassanian or New Persian Empire; With Maps and Illustrations, eBook or
.online at www.gutenberg.net. (2016)

Reade، J. E.: **A Glazed-Brick Panel from Nimrud, British Institute** .48
for the Study of Iraq، Stable URL: http://www.jstor.org/stable/4199730،
.Iraq, Vol. 25, No. 1 (Spring, 1963)

Rede، Marcelo: The image of violence and the violence of the image: .49
Varia Historia ,(seventh centuries BCE - Ninth) War and ritual in Assyria
.vol.34 no.64 **Belo Horizonte** (Jan./Apr. 2018)

Rowton, M. B.»Ancient Western Asia» in: W. H. Hayes, M. B. Rowton, .50
F. H. CAH, Revised Edition of **CAH** Volumes I & II, (Cambridge
.University Press, 1) pp. 44-45; M. B. Rowton, CAH I, Part 1, (1976)

Rumor, Maddalena: http://**www.asor.org**/anetoday/2018/05/Alchemy- .51
.Between-Two-Rivers.(2018)

Roth. Martha T.: Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor .52
2nd ed. **SBL Writings from the Ancient World Series**, vol.6. Atlanta:
.SBL Press, (1997)

Saggs, H.W.F.: **The Might that Was Assyria**. New York, St. Martin's .53
.Press. (1984)

Sinha, Ashish & Kathayat، Gayatri: Climate change fueled the rise and .54
demise of the Neo-Assyrian Empire, superpower of the ancient world,
https://**theconversation.com**/climate-change-fueled-the-rise-and-demise-of-
.the-neo-assyrian-empire-superpower-of-the-ancient-world-126661 (2019)

55. Schneider, A.W. & Adalı, S.F.»No harvest was reaped»: demographic and climatic factors in the decline of the Neo-Assyrian Empire. **Climatic Change.** DOI 10.1007/s10584-014-1269-y,(2014).

56. SPENCE. LEWIS F.R.A.I.: **MYTHS & LEGENDS OF BABYLONIA & ASSYRIA**، GEORGE G. HARRAP & COMPANY, LTD. 2 & 3 PORTSMOUTH STREET KINGSWAY W.C. (1916).

57. Spurrier، Tracy L.: The Life and Health of Assyrian Queens، **Findings of Astor**، Vol. III, No. 6، June (2015).

58 Stol, Marten: Women in the Ancient Near East, Translated by Helen and Mervyn Richardson, 2016 Walter de Gruyter Inc., Berlin,(2016).

59. Strommenger, E.: **The Art of Mesopotamia**, London,(1964).

60. Svärd, S.: **Power and Women in the Neo-Assyrian Palace**, Helsinki University Print, Helsinki(2012).

61. Teppo, S.: **Women and Their Agency in The Neo-Assyrian Empire**, MA Thesis, University of Helsinki, Helsinki (2005).

62. Thompson، R. Campbell: **On the Chemistry of the Ancient Assyrians.** (London: Luzac and Co). (1925).

63. Ultimate Bible Dictionary(UBD): **A Quick and Concise Guide to the People, Places, Objects, and Events in the Bible** (Ultimate Guide) eBook: Holman Bible Editorial Staff.(2019).

64. Weiss, Harvey: Tell Leilan on the Habur Plains of Syria، The American Schools of Oriental Research, Stable URL: http://**www.jstor.org**/stable/3209945، (2010).

65. Wiseman, D.J.: «A new stela of Aššur-naṣir-pal II», Iraq 14, pp. 24-44; Grayson, A.K., 1991. Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC: I (1114-859 BC) (**Royal Inscriptions of Mesopotamia. Assyrian Periods.** Volume 2), Toronto: University of Toronto Press, pp. 288-293, RIMA.0.101.30. (1952).

66. Younger K. Lawson, Jr.: **Ancient Conquest Accounts**: A Study in Ancient Near Eastern and Biblical History Writing, Sheffield Academic Press, Worcester, (1990).

67. Zimmern's Das Princip unserer Zeit-und Raumteilung, in the Berichten d. philolog. **histor. Classe d.** Königl. Sächs. Gesellschaft der Wissenschaften zu Leipzig. November 14, (1901).

المراجع الشبكية (الإنترنيت)

ريكو كاواباتا ـ من الممكن أن يكون تغيُّر المناخ مرتبطًا بانهيار الإمبراطورية الآشورية، تاريخ الاطلاع 4/ 4/ 2020، موقع:

(https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/article/10.1038/nmiddleeast.2019.162.)

Shamun، Bailis Yamlikha: One Step Forward, Five Backward Perspective: Guest-Editorial ,The Assyrian Star, Volume 34, No. 2, March-April

1985.Posted: Tuesday, March 13, 2012 at 03:19 PM UTC http://www.atour.com/news/perspective/20120313a.html

باين، روبرت: المرأة والأصولية والإرهاب: أصداء من بلاد آشور القديمة، ترجمته من الإنكليزية نسرين نادر، موقع بيروت الشرق الأوسط، (2017). تاريخ الاطلاع 20 / 4 / 2020 رابط الموقع:

https://lb.boell.org/ar/2017/02/15/lmr-wlswly-wlrhb-sd-mn-bld-ashwr-lqdym#_edn2(https://classicalastrologer.me/assyrian-astrology-2/)

Allène، Simone: Phuket: The ancient ways of breathing underwater، (2012) https://www.thephuketnews.com. **تم** الاطلاع عليه في 12 كانون الثاني 2020

انظر (Architectural Watercolors: 2011)

http://architecturalwatercolors.blogspot.com/2011/12/ionic-order.html

انظر https://www.merriam-webster.com/dictionary/assimilation

باربولا، سيمو: الآشوريون بعد سقوط بلاد آشور، ترجمة زكاي نينوايا، موقع بيت نهرين (2004)،

http://www.betnahrain.net/Arabic/History/Fall%20of%20Assyria.htm

تم الاطّلاع عليه في 15، 2/ 2020.

https://lb.boell.org/ar/2017/02/15/lmr-wlswly-wlrhb-sd-mn-bld-ashwr-lqdym#_edn2

انظر The Life and Health of Assyrian Queens, asor Tracy L. Spurrier

http://www.asor.org/anetoday/2015/06/the-life-and-health-of-assyrian-queens/

تاريخ الاطّلاع والترجمة الملخصة 15/ 5/ 2020.

(Laura Kelly: An Assyrian Banquet 2011). تاريخ الاطّلاع 15/ 5/ 2020

https://silkroadgourmet.com/an-assyrian-banquet/

OLIVER، MARK: 10 Horrors Of Being Invaded By The Assyrian Army

https://listverse.com/2016/12/07/10-horrors-of-being-invaded-by-the-assyrian-army/

Laura Clark.SMITHSONIANMAG.COM. JANUARY 26, 2015

https://www.smithsonianmag.com/smart-news/ancient-assyrian-soldiers-were-haunted-war-too-180954022/ تاريخ الاطّلاع 19/ 5/ 2020

(https://classicalastrologer.me/assyrian-astrology-2/)تاريخ الاطّلاع 15/ 6/ 2020.

كتاب الحضارة الآشورية

الجزء الثاني

فهرس الأعلام

أ

ح

د

ر

ش

ل

م

فهرس الأماكن

ج

ح

ك

فهرس المصطلحات

ت

ث

خ

د

س

الفهرس العام لكتب المؤلف

ثالثاً: علم وتاريخ الأساطير

رابعاً: الاستشراق

خامساً: علم وتاريخ الأدب والفن

القسم الثاني: الأعمال الإبداعية

أولاً: الشعر

ثانياً: المسرح

القسم الثالث: الأعمال المترجمة لكتبه